البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان
الغرناطي الأندلسي
٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء
محمد أنس الخن — محمد رضوان عرقسوسي

الجزء العشرون

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع و التصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي و صلاحي

2625

(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات سورة الطور*

الـرَّق ـ بالـفـتـح والكسر ـ: جلدٌ رقيقٌ يُكتَبُ فيه، وجَمْعُه رُقوق. والرِّقُّ ـ بالكسر ـ: المملوك[1].

مـار الـشـيء: ذهـب وجـاء[2]. وقـال الأخـفـش وأبـو عـبيدة: تـكـفَّأ. وأنـشـد للأعشى:

كـأنَّ مِـشْـيَـتَـهـا مـن بـيـتِ جـارتِـهـا   مَوْرُ[3] الـسَّـحـابةِ لا رَيْـثٌ ولا عَـجَـلُ

ويُروى: مَرُّ السَّحابةِ[4].

الدَّعُّ: الدفع في العنق بشدَّةٍ وإهانة[5].

السَّموم: الريح الحارَّة التي تدخل المَسامّ، ويقال: سُمَّ يومُنا فهو مسموم، والجمع سَمَائم. وقال ثعلب: السَّموم: شدَّة الحر، أو شدَّة البرد في النهار. وقال أبو عبيدة: السَّموم بالنهار، وقد يكون بالليل، والحَرور بالليل، وقد يكون

---

* تفسير السُّوَر من «الطُّور» إلى «التغابن» من تحقيق محمد أنس الخنّ، ومن سورة «الملك» إلى سورة «المرسلات» من تحقيق محمد رضوان عرقسوسي.

(١) الصحاح (رقق).

(٢) الصحاح (مور).

(٣) في النسخ والمطبوع: مرّ، والتصويب من مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٢٣١، وغريب الحديث لابن قتيبة ٢/٥٨ و٢٣٢، والصحاح (مور) وفيه قول الأخفش؛ وينظر النكت والعيون ٥/ ٣٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٧، وتفسير القرطبي ١٩/ ٥١٩، وروح المعاني ٢٦/ ٧٠.

(٤) وهي رواية الديوان ص١٠٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧، ونسبه لابن عباس ﷺ.

بالنهار[١]. وقد يُستعمل السَّمومُ في لَفْحِ البرد، وهو في لفح الحرِّ والشمسِ أكثر[٢].

المَنون: الدهر، وريبُه: حوادثه[٣]. وقيل: اسم للموت[٤].

المُسَيْطِر: المتسلِّط[٥].

وحكى أبو عبيدة: تسطَّرْتَ عليَّ: إذا اتخذتَني خَوَلاً[٦].

ولم يأتِ في كلام العرب اسمٌ على مُفَيْعل إلّا خمسة: مُهَيْمن، ومُجَيْمِر، ومُبَيْطِر، ومُسَيْطِر، ومُبَيْقِر، فالمُجَيْمِر اسم جبل[٧]، والبواقي أسماء فاعلين، والله تعالى أعلم.

* * *

سورة الطور

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ۝٨ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ۝١٠ فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ۝١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤

---

(١) الصحاح (سمم) دون قول ثعلب.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٣٨٣.

(٣) قاله مجاهد فيما أخرجه الطبري ٢١/ ٥٩٢.

(٤) قاله ابن عباس ﷺ فيما أخرجه الطبري ٢١/ ٥٩٢-٥٩٣.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٠-٢٦١.

(٦) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٣، ونقله عنه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٨٥، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٣. والخَوَل: اسم يقع على العبد والأمة. الصحاح (خول).

(٧) ينظر معجم البلدان ٥/ ٥٩.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ
وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ
﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية، ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرةٌ؛ إذ في آخرها ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ﴾ وقال هنا: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾[1].

الطُّور: الجبل، والظاهر أنَّه اسمُ جنسٍ لا جبلٌ مُعيَّن، وفي الشام جبلٌ يُسمَّى الطُّور، وهو طُور سَيناء. فقال نَوْف البَكالي: إنَّه الذي أقسم اللهُ به لفضله على الجبال[2]. قيل: وهو الذي كلَّم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام[3].

والكتاب المَسْطور: القرآن[4]. أو المُنْتَسَخ من اللوح المحفوظ[5]. أو التوراة[6]. أو هي الإنجيل والزَّبور[7]. أو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق[8].

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٣٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٥. وقول نوف أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على السنة (٩٧٠)، وفي زوائده على الزهد (٣٤٩)، وأبو الشيخ في العظمة (١١٩٣)، وأبو نعيم في الحلية ٦/ ٤٩.
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٤، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٦١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٣، والكشاف ٤/ ٢٢.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٧٧، والكشاف ٤/ ٢٢.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٥.
(٦) نسبه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٧٣ للكلبي، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٧ لابن بحر.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٥.
(٨) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٥.

أو الصحف التي تُعطى يوم القيامة بالأيمان والشمائل. أقوالٌ آخرها للفرَّاء[١]. ولا ينبغي أن يُحمَلَ شيءٌ منها على التعيين، إنَّما تُورَدُ على الاحتمال.

وقرأ أبو السمَّال: «في رِقٍّ» بكسر الراء[٢].

﴿مَّنشُورٍ﴾أي: مبسوط[٣]. وقيل: مفتوحٌ لا خَتمَ عليه. وقيل: ﴿مَّنشُورٍ﴾: لائح. وعن ابن عباس: ﴿مَّنشُورٍ﴾ما بين المشرق والمغرب[٤].

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾قال عليٌّ وابن عباس وعكرمة: هو بيتٌ في السماء مُسامِتٌ الكعبةَ يُقال له: الضُّراح[٥]، والضَّريح أيضاً، وهو الذي ذُكِرَ في حديث الإسراء: «قال جبريل: هذا البيتُ المعمورُ يدخلُه كلَّ يومٍ سبعون ألفَ ملَكٍ ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[٦].

وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: في كلِّ سماءٍ بيتٌ معمور، وفي كلِّ أرضٍ كذلك[٧].

---

(١) في معاني القرآن له ٣/ ٩١، ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٦.

(٣) الوسيط للواحدي ٤/ ١٨٣، وزاد المسير ٨/ ٤٨.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٣٧٨.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨٨٧٥)، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٤١٢٢)، والحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (٣٨٥)، والطبري ٢١/ ٥٦٣-٥٦٤، والبيهقي في الشعب (٣٩٩١) عن علي ﷺ.
وأخرجه عبد الرزاق (٨٨٧٤)، والأزرقي في أخبار مكة (٣٤) و(٧٢٢)، والطبري ٢١/ ٥٦٤، والبيهقي في الشعب (٣٩٩٧) عن ابن عباس ﷺ.
وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٤ عن عكرمة.
والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٨٦.

(٦) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤)، وأحمد (١٧٨٣٣) من حديث مالك بن صعصعة ﷺ، وقوله ﷺ: «آخر ما عليهم» برفع الراء على تقدير: ذلك آخِرُ ما عليهم من دخوله، وبنصبها على الظرف.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٦. وأخرجه عنهم بنحوه الطبري ٢١/ ٥٦٤-٥٦٥.

وسأل ابنُ الكَوَّاء عليًّا رضي الله عنه، فقال: بيتٌ فوقَ سبع سماواتٍ تحت العرش يُقال له: الضُّراح[١].

وقال الحسن: البيت المعمور: الكعبة، يعمُره اللهُ كلَّ سنة بستِّ مئة ألف، فإن عجز من الناس أتمَّه الله بالملائكة[٢].

﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾: السماء. قال ابن عباس: هو العرش، وهو سقف الجنة[٣].

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ قال مجاهد وشِمْر بن عطية والضحَّاك ومحمد بن كعب والأخفش: هو البحرُ الموقَدُ ناراً[٤]. ورُوِيَ أنَّ البحر هو جهنم. وقال قتادة: البحر المسجور: المملوء[٥]. وهذا معروف من اللغة. رجَّحه الطبري بوجود ماء البحر كذلك، ولا ينافي ما قاله مجاهد؛ لأنَّ سجَرْتَ التنُّور، معناه: ملأتَه بما يحترق. وقال ابن عباس: المسجور: الذي ذهبَ ماؤه[٦].

وروى ذو الرُّمَّة الشاعر عن ابن عباس قال: خرجَتْ أَمَةٌ لتستَقي فقالت: إنَّ الحوضَ مسجورٌ، أي: فارغ[٧]. وليس لذي الرُّمَّة حديثٌ إلَّا هذا، فيكون من الأضداد.

ويُروى أنَّ البحارَ يذهب ماؤها يوم القيامة. وقال ابن عباس أيضاً: المسجور:

(١) ذكره القرطبي ١٩/ ٥١٤ وعزاه لأبي بكر الأنباري. وينظر تفسير الطبري ٢١/ ٥٦٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٩/ ٥١٥. وأخرجه عنه بنحوه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٧٤.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٥١٦. وقول ابن عباس أخرجه الأزرقي في أخبار مكة (٧٢١).
(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٤ دون قول مجاهد، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٦ عن مجاهد وشمر، والكلام منه. وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٨ عنهما.
(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٨. وهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٥، والنكت والعيون ٥/ ٣٧٩.
(٦) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٩.
(٧) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٧٥، وهو في تفسير القرطبي ١٩/ ٥١٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١٨ للشيرازي في الألقاب.

المحبوس؛ ومنه ساجور الكلب: وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه، ولولا أنَّ البحرَ يُمسَكُ لفاض على الأرض[١].

وقال الربيع: المسجور: المختلط العذب بالمالح[٢]. وقيل: المفجور، ويدلُّ عليه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٣] [الانفطار: ٣].

والجمهور على أنَّ البحر المُقسَم به هو بحر الدنيا، ويُؤيِّده: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٤] [التكوير: ٦]. وعن عليٍّ وابن عمر أنَّه في السماء تحت العرش، فيه ماءٌ غليظٌ يقال له: بحر الحياة، يُمطَرُ العبادُ منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً، فينبتون في قبورهم[٥]. وقال منذر[٦] بن سعيد: هو جهنَّم، وسمَّاها بحراً، لسَعتِها وتموُّجِها كما جاء في الفَرَس: «وإن وجدناه لَبحراً»[٧].

قيل: ويحتمل أن تكون الحكمة[٨] في القَسَم بالطور والبيت والبحر؛ لكونها أماكن خلوة مع الله تعالى، خاطبَ منها ربُّهم رسلَه، فالطور قال فيه موسى: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، والبيت المعمور لمحمد ﷺ، والبحر المسجور ليونس، قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فشُرِّفَتْ هذه الأماكن بهذه الأسباب، والقَسَم بكتاب مسطور؛ لأنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان لهم مع الله في هذه الأماكن كلام، واقترانُه بالطُّور دلَّ على ذلك، والقَسَم بالسقف المرفوع؛ لبيان رفعة البيت المعمور. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٦. وقول ابن عباس أخرجه الطبري ٢١/ ٥٦٩. وهو في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٥، والنكت والعيون ٥/ ٣٧٩.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٥، وزاد المسير ٨/ ٤٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٥١٧.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٦.

(٥) أخرجه الثعلبي ٥/ ٥٧٥ عن علي ﷺ، وفيه: نهر الحيوان، بدل: بحر الحياة.

(٦) تحرف في (أ) والمطبوع إلى: قتيبة. وقوله في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧.

(٧) أخرجه البخاري (٢٦٢٧)، ومسلم (٢٣٠٧)، وأحمد (١٢٧٤٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٨) المثبت من (يه)، وتحرفت في باقي النسخ والمطبوع إلى: الجملة.

ونكَّرَ «وكتابٍ»؛ لأنَّه شاملٌ لكلِّ كتابٍ أنزله اللهُ شُمولَ البدل. ويحتمل أن يكون شُمولَ العموم، كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] أي: كلُّ نفسٍ.

وكونه في رقٍّ يدلُّ على ثبوته، وأنَّه لا يتخطَّى إليه الرؤوس، ووَصْفُه بمنشور يدلُّ على وضوحه، فليس كالكتابِ المطويِّ الذي لا يُعلَم ما انطوى عليه، والمنشور يعلم ما فيه، ولا يمنع من مطالعة ما تضمَّنه[(١)].

والواو الأولى واو القسم، وما بعدها للعطف، والجملة المُقْسَم عليها هي قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾.

وفي إضافة العذاب لقوله: «ربِّكَ» لطيفةٌ؛ إذ هو المالك والناظر في مصلحة العبد، فبالإضافة إلى الربِّ وإضافته لكاف الخطاب أمانٌ له ﷺ، وأنَّ العذابَ الواقعَ هو بمن كذَّبه، و«لَواقع» يدلُّ على الشدة، وهو أدَلُّ عليها من «لكائن»[(٢)]، ألا ترى إلى قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] وقوله: ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ﴾ [الشورى: ٢٢] كأنَّه مُهيَّأٌ في مكانٍ مرتفعٍ فيقع على مَنْ حَلَّ به.

وعن جُبير بن مُطْعِم: قدمتُ المدينةَ لأسألَ رسولَ الله ﷺ في أسارى بدرٍ، فوافيتُه يقرأ في صلاة المغرب ﴿وَٱلطُّورِ﴾ إلى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ فكأنَّما صُدِعَ قلبي، فأسلمتُ خوفاً من نزول العذاب، وما كنتُ أظنُّ أنْ أقومَ من مقامي حتى يقع بي العذاب[(٣)].

وقرأ زيد بن علي: «واقع» بغير لام.

قال قتادة: ويريد عذابَ الآخرة للكفار، أي: لَواقعٌ بالكفار.

ومن غريب ما يُحكى أنَّ شخصاً رأى في النوم في كفه مكتوباً خمسَ واوات،

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٨/ ٢٤٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٦، والنكت والعيون ٥/ ٣٧٩، والكشاف ٤/ ٢٣. وأخرجه أحمد (١٦٧٦٢). وأخرج البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣) عنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور.

فُعبِّر له بخير، فسأل ابنَ سيرين، فقال: تهيَّأ لما لا يسُرُّ. فقال له: من أين أخذت هذا؟ فقال: قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١﴾إلى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾فما مضى يومان أو ثلاثة حتى أُحيط بذلك الشخص.

وانتصب «يومَ» بـ «دافع» قاله الحَوْفي. وقال مكي[١]: لا يعمَلُ فيه «واقع». ولم يذكر دليلَ المنع[٢]. وقيل: هو منصوب بقوله: «الواقع» وينبغي أن يكون قوله: «ما له من دافع» على هذا جملة اعتراض بين العامل والمعمول.

قال ابن عباس: ﴿تَمُورُ﴾: تضطرب[٣]. وقال أيضاً: تشقَّق[٤]. وقال الضحَّاك: يموجُ بعضُها في بعض[٥]. وقال مجاهد: تدور[٦].

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ هذا في أول الأمر، ثم تنسف حتى تصير آخِراً كالعهن المنفوش[٧].

«فويلٌ» عطف جملة على جملة تتضمَّن ربطَ المعنى وتأكيدَه.

والخَوْض: التخبُّط في الباطل. وغلب استعمالُه في الاندفاع في الباطل[٨].

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾وذلك أنَّ خزنةَ جهنَّم يغُلُّون أيدي الكفار إلى أعناقهم،

(١) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٠.
(٢) بل ذكر دليل المنع فقال: لأنَّ المنفي لا يعمل فيما قبل النافي، لا تقول: طعامَكَ ما زيدٌ آكِلاً... إلخ.
(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٥١٩. وكذا فسَّره قطرب كما في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٦.
(٤) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٧٤. وهو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٤، والنكت والعيون ٥/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٧.
(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٥٧٣، وابن أبي الدنيا في الأهوال (٣٦). وهو في النكت والعيون ٥/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٧.
(٦) أخرجه ابن قتيبة في تأويل مشكل الحديث ص٧٧، والطبري ٢١/ ٥٧٢، وابن أبي الدنيا في الأهوال (٣٥). وهو في النكت والعيون ٥/ ٣٧٩.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧، وما بعده منه أيضاً.
(٨) الكشاف ٤/ ٢٣، وما بعده منه أيضاً.

ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ويدفعونهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزَجًّا في أقفيتهم.

وقرأ علي، والسُّلمي، وأبو رجاء، وزيد بن علي: «يَدْعون» بسكون الدال وفتح العين من الدعاء[١]، أي: يُقال لهم: هلمُّوا إلى النار وادخلوها ﴿دَعًّا﴾مدعوعين، يُقال لهم: هذه النار.

لمَّا قيل لهم ذلك وقفوا بعد ذلك على الجهتين اللَّتين يمكن دخول الشكِّ في أنَّها النار، وهي إمَّا أن يكون ثَمَّ سحرٌ يلبس ذات المرئي، وإمَّا أن يكون في نظر الناظر اختلالٌ، فأمرهم بصَلْيها على جهة التقريع، ثم قيل لهم على قطع رجائهم ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾عذابكم حتمٌ، فسواءٌ صبرُكم وجزَعُكم، لا بُدَّ من جزاء أعمالكم. قاله ابن عطية[٢].

وقال الزمخشري[٣]: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ يعني: كنتم تقولون للوحي: هذا سحر، أفسِحْرٌ هذا؟ يريد: أهذا المِصداقُ أيضاً سحر؟ ودخلتِ الفاءُ لهذا المعنى ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم لا تبصرون في الدنيا، يعني: أم أنتم عُميٌ عن المُخبَرِ عنه كما كنتم عُمياً عن الخبر؟ وهذا تقريعٌ وتهكُّم. فإن قلتَ: لِمَ علَّلَ استواءَ الصبرِ وعدمَه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾قلت: لأنَّ الصَّبرَ إنَّما يكون له مزيَّةٌ على الجزع؛ لنفعه في العاقبة بأنْ يُجازى عليه الصابرُ جزاءَ الخير، فأمَّا الصَّبرُ على العذاب الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزيةَ له على الجزع. انتهى.

و«سِحْرٌ» خبر مُقدَّم، و«هذا» مبتدأ، و«سواءٌ» مبتدأ، والخبر محذوف، أي: الصبر والجزع[٤]. وقال أبو البقاء[٥]: خبرُ مبتدأٍ محذوف، أي: صبرُكم وتركُه سواء.

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٧ عن أبي رجاء، والكشاف ٤/ ٢٣ عن زيد بن علي والكلام منه.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧.

(٣) في الكشاف ٤/ ٢٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٥٥. وبمثله قال الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٣، إلا أنه قال في تقديره: أي: سواء عليكم الأمران الصبرُ وعدَمُه.

(٥) في الإملاء ٢/ ٢٤٥، وحسَّنه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٦٨.

ولمَّا ذكرَ حالَ الكفار ذكرَ حالَ المؤمنين ليقع الترهيب والترغيب، وهو إخبارٌ عمَّا يؤول إليه حالُ المؤمنين، أخبروا بذلك[١]. ويجوز أن يكون من جملة القول للكفار؛ إذ ذلك زيادةٌ في غمِّهم وتنكيدٌ لهم[٢]. والأول أظهر.

وقرأ الجمهور: «فاكهين» نصباً على الحال، والخبر «في جنات ونعيم».

وقرأ خالد بالرفع[٣] على أنَّه خبر «إنَّ» و«في جنَّات» متعلِّقٌ به، ومَنْ أجاز تعداد الخبر أجاز أن يكونا خبرَين «ووقاهم» معطوفٌ على «في جنات»؛ إذ المعنى: استقرُّوا في جنات، أو على «آتاهم» و«ما» مصدرية، أي: فاكهين بإيتائهم ربُّهم النعيم ووقايتِهم عذابَ الجحيم. وجُوِّز أن تكون الواو في «ووقاهم» واوَ الحال، ومَنْ شرط «قد» في الماضي قال: هي هنا مضمرة، أي: وقد وقاهم[٤].

وقرأ أبو حَيْوة: «ووقَّاهم» بتشديد القاف[٥].

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ على إضمار القول، أي: يقال لهم: هنيئاً. قال الزمخشري[٦]: أكلاً وشُرباً هنيئاً، أو طعاماً وشراباً هنيئاً، وهو الذي لا تنغيص فيه. ويجوز أن يكون مثلُه في قوله:

هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ لِعَزَّةَ من أعراضِنا ما استَحَلَّتِ[٧]

أعني صفة استُعمِلَتْ استعمالَ المصدر القائم مقامَ الفعل[٨]، مرتفعاً به «ما استحَلَّتِ» كما يرتفع بالفعل، كأنَّه قيل: هَنَأ عَزَّةَ المُستَحَلُّ من أعراضنا، وكذلك معنى «هنيئاً» هاهنا: هَنأكم الأكلُ والشربُ، أو هَنَأكم ما كنتم تعملون،

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٤٨ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٧.
(٣) أي: «فاكهون»، وقراءته في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٨.
(٤) ينظر الكشاف ٤/ ٢٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٨.
(٦) في الكشاف ٤/ ٢٣-٢٤
(٧) البيت لكُثَيِّر عزَّة، وهو في ديوانه ص٧٨، وسلف عند تفسير الآية (٤) من سورة النساء.
(٨) تحرفت في (يه) و(د٣) إلى: الفاعل.

أي: جزاءُ ما كنتم تعملون، والباء مَزيدة كما في ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٤٥]، والباء متعلِّقةٌ بـ «كلوا واشربوا» إذا جعلتَ الفاعلَ الأكلَ والشُّربَ. انتهى.

وتقدَّم لنا الكلامُ مُشبَعاً على «هنيئاً» في سورة النساء[1].

وأمَّا تجويزه زيادةَ الباء فليست زيادتُها مَقِيسةً في الفاعل إلَّا في فاعل كفى على خلافٍ فيها، فتجويز زيادتها في الفاعل هنا لا يسوغ. وأمَّا قوله: إنَّ الباء تتعلَّق بـ «كلوا واشربوا» فلا يصِحُّ إلَّا على الإعمال، فهي تتعلَّق بأحدهما.

وانتصب «متَّكئينَ» على الحال[2]. قال أبو البقاء: من الضمير في «كلوا»، أو من الضمير في «ووقاهم»، أو من الضمير في «آتاهم»، أو من الضمير في «فاكهين»، أو من الضمير في الظرف[3]. انتهى. والظاهر أنَّه حالٌ من الظرف، وهو قوله: «في جنَّاتٍ».

وقرأ أبو السمَّال: «على سُرَرٍ» بفتح الراء[4]، وهي لغةٌ لكلب في المُضعَّف؛ فراراً من توالي ضمَّتين مع التضعيف.

وقرأ عكرمة: «بحورِ عين» على الإضافة[5].

والظاهر أنَّ قوله: «والذين آمنوا» مبتدأٌ، وخبرُه: «ألحقنا». وأجاز أبو البقاء[6] أن يكون «والذين» في موضع نصب على تقدير: وأكرمنا الذين آمنوا.

ومعنى الآية قال الجمهور وابن عباس وابن جُبير وغيرهما: المعنى: إنَّ المؤمنين الذين اتَّبَعَتْهم ذرِّيتُهم في الإيمان يكونون في مراتب آبائهم وإن لم يكونوا في التقوى والأعمال مثلَهم؛ كرامةً لآبائهم[7]. فـ «بإيمان» متعلِّقٌ بقوله: «واتَّبعَتْهُم».

---

(١) عند تفسير الآية (٤) منها.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٨.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٨.

(٥) القراءات الشاذة ص١٤٦. وهي عنه في المحرر الوجيز ٥/ ١٨٨: «بعيسٍ عِين».

(٦) في الإملاء ٢/ ٢٤٦.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩.

وروى سعيد بن جُبير عن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله لَيرفَعُ ذُرِّيةَ المؤمن معه في درجته وإن كان لم يبلُغْها بعمله؛ لتَقرَّ بها عينُه» ثم قرأ الآية[١].

وقال ابن عباس أيضاً والضحاك: إنَّ الله تعالى يُلحِقُ الأبناء الصغار وإن لم يبلغوا الإيمان بأحكام الآباء المؤمنين[٢]. انتهى. فيكون «بإيمان» متعلِّقاً بـ «ألحَقْنا» أي: ألحَقْنا بسبب إيمان الآباء ﴿بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾وهم الصغار الذين ماتوا ولم يبلغوا التكليف، فهم في الجنة مع آبائهم، وإذا كان أبناءُ الكفار الذين لم يبلغوا حدَّ التكليف في الجنة كما ثبت في «صحيح البخاري»[٣] فأحرى أولاد المؤمنين.

وقال الحسن: الآية في الكبار من الذرِّيَّة. وقال منذر بن سعيد: هي في الصغار لا في الكبار[٤]. وعن ابن عباس أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: المهاجرون والأنصار، والذرِّيَّة: التابعون. وعنه أيضاً: إنْ كان الآباءُ أرفعَ درجةً رفعَ اللهُ

(١) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠٧٥)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٨٤٩)، والثعلبي في تفسيره ٥/ ٥٧٨، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٨٦-١٨٧.
ورُوي ـ أيضاً ـ من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٧، وهناد في الزهد (١٧٩)، والطحاوي ٣/ ١٠٥ و١٠٧، والنحاس (٨٤٨)، والطبري ٢١/ ٥٧٩-٥٨٠، والحاكم ٢/ ٤٦٨. قلت: وهذا الموقوف في حكم المرفوع؛ قال النحاس: لأن ابن عباس لا يقول هذا إلا عن رسول الله ﷺ؛ لأنه إخبار عن الله تعالى بما فعله، وبمعنى آية أنزلها الله.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩. وأخرجهما الطبري ٢١/ ٥٨٠-٥٨١.

(٣) أخرج البخاري (٧٠٤٧) من حديث سمرة بن جندب ﷺ ضمن حديث طويل فيه: «وأمَّا الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم ﷺ، وأما الوِلْدانُ حولَه فكلُّ مولودٍ مات على الفطرة» فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين».

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩.

الأبناءَ إليهم، وإن كان الأبناءُ أرفعَ درجةً رفعَ اللهُ الآباءَ إليهم، فالآباء داخلون في اسم الذرِّية[١]. وقال النَّخَعي: المعنى: أعطيناهم أجورَهم من غير نقصٍ، وجعلنا ذريَّتهم كذلك[٢].

وقال الزمخشري: «والذين آمنوا» معطوفٌ على «حورٍ عين» أي: قرَنَّاهم بالحور العِين وبالذين آمنوا، أي: بالرُّفَقاء والجُلَساء منهم، كقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧] فيتمتَّعون تارةً بملاعبة الحور، وتارةً بمؤانسة الإخوان المؤمنين، وأتبعناهم ذرياتهم[٣]. ثمَّ ذكر حديثَ ابن عباس، ثم قال: فيجمع اللهُ لهم أنواعَ السُّرور؛ بسعادتهم في أنفسهم، وبمزاوجة الحورِ العين، وبمؤانسة الإخوان المؤمنين، وباجتماع أولادِهم ونسلِهم بهم. ثمَّ قال: «بإيمانٍ ألحَقْنا بهم ذُرِّياتِهم» أي: بسبب إيمانٍ عظيمٍ رفيعِ المحلِّ وهو إيمان الآباء، ألحَقْنا بدرجاتهم ذُرِّيَّتَهم وإن كانوا لا يستأهِلونها؛ تفضُّلاً عليهم وعلى آبائهم، لِنُتِمَّ سرورَهم ونُكمِلَ نعيمَهم. فإنْ قلتَ: ما معنى تنكير الإيمان؟ قلت: معناه: الدِّلالة على أنَّه إيمانٌ خاصٌّ عظيمُ المنزلةِ، ويجوز أن يُراد إيمانُ الذرِّية الداني المحلّ، كأنَّه قال: بشيءٍ من الإيمان لا يؤهِّلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم. انتهى.

ولا يتخيَّلُ أحدٌ أنَّ «والذين آمنوا» معطوفٌ على «بحورٍ عِين» غير هذا الرجل، وهو تخيُّلٌ أعجميٌّ مخالِفٌ لفهم العربيِّ القُحِّ ابنِ عباسٍ وغيرِه.

والأحسن من هذه الأقوال قولُ ابن عباس، ويعضِدُه الحديثُ الذي رواه؛ لأنَّ الآياتِ كلَّها في صفة إحسان الله تعالى إلى أهل الجنة، وذكر من جملة إحسانه أنَّه يرعى المحسن في المسيء، ولفظةُ «ألحَقْنا» تقتضي أنَّ للمُلْحَق بعضَ التقصير في الأعمال[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٩/ ٥٢٥.
(٢) الهداية في بلوغ النهاية ١١/ ٧١٢٦.
(٣) هي قراءة أبي عَمرو من السبعة، و«أَتْبَعْنَاهُم» ـ حسب هذا القول للزمخشري ٤/ ٢٤ ـ معطوف على «وزَوَّجْناهم».
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩ بنحوه.

وقرأ أبو عمرو: «وأتبعناهم». وباقي السبعة: «واتَّبَعَتْهم»[١].

وأبو عمرو: «ذُرِّياتِهم» جمعاً نصباً. وابن عامر: جمعاً رفعاً. وباقي السبعة مفرداً.

وابن جُبير: «وأتْبَعْناهم ذُرِّيئتَهم» بالمدِّ والهمز.

وقرأ الجمهور: «ألَتْناهم» بفتح اللام، من ألاتَ. والحسن وابن كثير بكسرها[٢].

وابن هُرْمُز: «آلَتْناهم» بالمدِّ[٣]، من آلَتَ على وزن أفعَلَ.

وابنُ مسعود وأُبيٌّ: «لِتْناهم» من لات، وهي قراءة طلحة والأعمش، ورُويَتْ عن شِبْل وابن كثير[٤].

وعن طلحة والأعمش أيضاً: «لَتْناهم» بفتح اللام[٥]. قال سهل: لا يجوز فتحُ اللَّام من غير ألف بحال، وأنكر أيضاً «آلَتْناهم» بالمدِّ، وقال: لا يُروى عن أحدٍ، ولا يدلُّ عليها تفسيرٌ ولا عربية. وليس كما ذكر، بل قد نقل أهلُ اللغة: «آلَتَ» بالمدِّ كما قرأ ابنُ هُرْمُز.

وقُرئ: «وما وَلَتْناهم» ذكره هارون. قال ابن خالويه[٦]: فيكون هنا الحرفُ من لاتَ يَليتُ، ووَلَتَ يَلِتُ، وألِتَ يألَتُ، وألَتَ يألِتُ، وألاتَ يُليتُ، وكلُّها بمعنى نقص. ويُقال: ألَتَ بمعنى: غَلَّظَ. وقام رجلٌ إلى عمر ﷺ فوعظَه، فقال رجل: لا تألِتْ أميرَ المؤمنين. أي: لا تُغْلِظْ عليه.

---

(١) السبعة ص٦١٢، والتيسير ص٢٠٣.
(٢) قراءة ابن كثير في السبعة ص٦١٢، والتيسير ص٢٠٣.
(٣) القراءات الشاذة ص١٤٦، والمحتسب ٢/ ٢٩٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٨٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩ دون ذكر الأعمش وشبل، والمحتسب ٢/ ٢٩٠ عن ابن مسعود وأُبي، والقراءات الشاذة ص١٤٦ عن ابن كثير، والمشهور عنه: «ألِتناهم» كما تقدَّم.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠ عن الأعمش.
(٦) في القراءات الشاذة ص١٤٦.

والظاهر أنَّ الضمير في «أَلَتْناهم» عائدٌ على المؤمنين، والمعنى: أنَّه تعالى يُلحِقُ المقصِّرَ بالمحسن، ولا ينقص المُحسنَ من أجره شيئاً. وهذا تأويل ابن عباس وابن جبير والجمهور. وقال ابن زيد: الضمير عائدٌ على الأبناء.

﴿مِّنْ عَمَلِهِم﴾ أي: الحسن والقبيح. ويُحَسِّن هذا الاحتمال قولُه: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مُرْتَهَن فيه[١].

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ أي: سَرَّبنا لهم شيئاً فشيئاً حتى يكثر ولا ينقطع.

﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ أي: يتعاطَون؛ قال الأخطل:

نازَعْتُهُ طيِّبَ الرَّاحِ الشَّمولِ وقَدْ صاحَ الدَّجاجُ وحانَتْ وقعةُ السَّاري[٢]

أو ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾: يتجاذَبون تجاذُبَ ملاعبة؛ إذْ أهلُ الدنيا لهم في ذلك لذَّة، فكذلك في الجنة[٣].

وقرأ الجمهور: «لا لغوٌ فيها ولا تأثيم» برفعهما. وابن كثير وأبو عمرو بفتحهما[٤].

واللَّغو: السَّقَط من الكلام كما يجري بين شُرَّاب الخمر في الدنيا. والتأثيم: الإثم الذي يلحقُ شاربَ الخمر في الدنيا[٥].

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ أي: مماليك ﴿مَّكْنُونٌ﴾ أي: في: الصَّدف لم تنَلْه الأيدي. قاله ابن جُبير. وهو إذ ذاك رطبٌ، فهو أحسنُ وأصفى. ويجوز أن يُراد بـ «مكنون» مخزون؛ لأنَّه لا يُخزن إلَّا الغالي الثمن[٦].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٩-١٩٠.
(٢) ديوان الأخطل ص١١٦. والكلام من تفسير الطبري ٢١/ ٥٨٧، والنكت والعيون ٥/ ٣٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.
(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٥٣.
(٤) التيسير ص٦١٢، والتيسير ص٨٢.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٣، والكشاف ٤/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٠ بنحوه.
(٦) الكلام من الكشاف ٤/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.

والظاهر أنَّ التساؤل هو في الجنة، إذ هذه كلُّها معاطيفُ بعضُها على بعض، أي: يتساءلون عن أحوالهم وما نالَ كلَّ واحدٍ منهم، ويدلُّ عليه ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي: بهذا النعيم الذي نحن فيه[١]. وقال ابن عباس: تساؤلهم إذا بُعِثوا في النفخة الثانية. حكاه الطبري عنه[٢].

﴿مُشْفِقِينَ﴾: رقيقي القلوب، خاشعين لله[٣].

وقرأ أبو حَيْوة: «ووَقَّانا» بتشديد القاف[٤].

و﴿ٱلسَّمُومِ﴾ هنا النار. وقال الحسن: اسمٌ من أسماء جهنَّم[٥].

﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل لقاءِ الله والمصيرِ إليه ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده ونسأله الوقاية من عذابه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾: المحسن ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: الكثيرُ الرحمة؛ إذا عُبِدَ أثاب، وإذا سُئِلَ أجاب[٦]. أو ﴿نَدْعُوهُ﴾ من الدعاء[٧].

وقرأ الحسن، وأبو جعفر، ونافع، والكسائي: «أنَّه» بفتح الهمزة، أي: لأنَّه. وباقي السبعة: «إنَّه» بكسر الهمزة، وهي قراءة الأعرج وجماعة[٨]، وفيها معنى التعليل.

❋ ❋ ❋

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٠، وتفسير الرازي ٢٨/ ٢٥٥.
(٢) تفسير الطبري ٢١/ ٥٩٠، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.
(٣) الكشاف ٤/ ٢٥، والمحرر الوجيز ٢١/ ٥٩٠.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.
(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٨١، والوسيط للواحدي ٤/ ١٨٨، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٠، وزاد المسير ٨/ ٥٣.
(٦) الكشاف ٤/ ٢٥.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.
(٨) السبعة ص٦١٣، والتيسير ص٢٠٣. وقراءة أبي جعفر من العشرة في النشر ٢/ ٣٧٧. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٩٠.

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾
أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ
﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾.

لمَّا تقدَّم إقسامُ الله تعالى على وقوع العذاب وذكرَ أشياءَ من أحوال المعذَّبين والنَّاجين، أمرَه بالتذكير؛ إنذاراً للكافر، وتبشيراً للمؤمن، ودعاءً إلى الله تعالى بنشر رسالته. ثمَّ نفى عنه ما كان الكفارُ ينسبونه إليه من الكهانة والجنون إذ كانا طريقين إلى الإخبار ببعض المُغيَّبات، وكان للجنِّ بهما ملابسةٌ للإنس، وممَّن كان ينسبه إلى الكهانة شيبة بن ربيعة، وممَّن كان ينسبه إلى الجنون عُقبة بن أبي مُعَيط[1].

وقال الزمخشري: ﴿فَذَكِّرْ﴾ فاثبُتْ على تذكير الناس وموعظتهم، ولا يُثبِّطَنَّك قولُهم: كاهن أو مجنون، ولا تُبالِ به، فإنَّه قولٌ باطلٌ متناقضٌ، فإنَّ الكاهنَ يحتاج في كهانته إلى فطنةٍ ودقَّةِ نظر، والمجنون مُغطًّى على عقله ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ بحمد الله تعالى وإنعامه عليك بصدق النبوة ورَجاحة[2] العقل أحدَ هذين. انتهى.

وقال الحَوْفي: «بنعمة ربِّكَ» متعلِّقٌ بما دلَّ عليه الكلام، وهو اعتراضٌ بين اسم «ما» وخبرِها، والتقدير: ما أنت في حال إذكارك بنعمة ربك بكاهن.

---

(١) الكلام بنحوه في تفسير الثعلبي ٥/ ٥٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩١.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: رصافة، والمثبت من (يه) و(د٣) والكشاف ٤/ ٢٥.

وقال أبو البقاء: الباء في موضع الحال، والعامل فيه «بكاهن» أو «مجنون» والتقدير: ما أنتَ كاهناً ولا مجنوناً ملتبساً بنعمة ربك[١]. انتهى. وتكون حالاً لازمةً لا منتقلةً؛ لأنه عليه الصلاة والسلام مازال ملتبساً بنعمة ربِّه.

وقيل: «بنعمة ربِّكَ» مُقسَمٌ بها، كأنَّه قيل: ونعمةِ ربِّكَ ما أنتَ كاهنٌ ولا مجنون، فتوسَّط المُقسَمُ به بين الاسم والخبر، كما تقول: ما زيدٌ واللهِ بقائم.

ولمَّا نفى عنه الكهانة والجنون اللَّذَين كان بعضُ الكفار ينسبونهما إليه ذكر نوعاً آخر ممَّا كانوا يقولونه[٢].

رُوِيَ أنَّ قريشاً اجتمعت في دار النَّدوة، وكثُرَتْ آراؤهم فيه ﷺ، حتى قال قائلٌ منهم ـ وهم بنو عبد الدار قاله الضحاك ـ: تربَّصوا به ريب المنون، فإنَّه شاعرٌ سيهلِكُ كما هلَكَ زهيرٌ والنابغةُ والأعشى. فافترقوا على هذه المقالة، فنزلت الآيةُ في ذلك[٣]. وقولُ مَنْ قال ذلك هو من نَقْصِ الفطرة بحيث لا يُدرِكُ الشعرَ وهو الكلامُ الموزون على طريقةٍ معروفةٍ من النثر الذي ليس هو على ذلك المِضمار، ولا شكَّ أنَّ بعضَهم كان يُدرك ذلك؛ إذ كان فيهم شعراءُ، ولكنَّهم تمالؤوا مع أولئك الناقصي الفطرة على قولهم: هو شاعر؛ جحداً لآياتِ الله بعد استيقانِها.

وقرأ زيد بن علي: «يُتَرَبَّصُ» بالياء مبنيًّا للمفعول «به ريبُ» مرفوع[٤].

و﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حوادث الدهر[٥]؛ فإنه لا يدوم على حال؛ قال الشاعر:

---

(١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٦.

(٢) وعلى هذا المعنى تكون الباءُ سببيةً كما قال السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ٧٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٩١، وما بين معترضتين من تفسير الثعلبي ٥/ ٥٨٣، والنكت والعيون ٥/ ٣٨٤.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٥ دون نسبة.

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٢٥، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٦٤، وأخرجه الطبري ٢١/ ٥٩٢ عن مجاهد.

تـرَبَّـصْ بـهـا ريـبَ الـمَـنـونِ لـعـلَّـهـا تُطَلَّقُ يـومـاً أو يـمـوتُ حـلـيـلُـهـا[١]

وقال آخر[٢]:

أمِـن الـمَـنُـونِ ورَيْـبِـهِ تـتـوجَّـعُ والـدَّهرُ ليس بِمُعتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ[٣]

﴿قُلْ تَرَبَّصُواْ﴾ هو أمر تهديدٍ ﴿مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هلاكَكم كما تتربَّصون هلاكي.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾ أي: بقولهم: كاهن وشاعر ومجنون، وهو قولٌ متناقض. وكانت قريشٌ تُدعى أهلَ الأحلام والنُّهى[٤].

وقيل لعمرو بن العاص: ما بالُ قومِكَ لم يؤمنوا وقد وصفَهم الله تعالى بالعقل؟ فقال: تلك عقولٌ كادَها الله، أي: لم يصحَبْها التوفيق[٥].

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ قيل: «أم» بمعنى الهمزة، أي: أتأمرُهم، وقدَّرها مجاهد بـ «بَلْ» والصحيح أنَّها تتقدَّر بـ «بَلْ» والهمزة[٦].

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: مجاوزون الحدَّ في العناد مع ظهور الحق لهم[٧].

وقرأ مجاهد: «بَلْ هم»[٨] مكان «أمْ هم»، وكونُ الأحلامِ آمرةً مجازاً، لما أدَّت إلى ذلك جُعِلَتْ آمرةً كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [هود: ٨٧].

وحكى الثعلبيُّ[٩] عن الخليل أنه قال: كلُّ ما في سورة «والطور» من «أم»

---

(١) البيت لفرَّاص بن عتبة الأزدي، أو لحمدان البرتي، وقد سلف عند تفسير الآية (٢٢٦) من سورة البقرة.

(٢) المثبت من (يه)، وفي (د٣): الآخر، وفي (أ) و(ع) والمطبوع: الهندي!

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي كما في ديوان الهُذليين ١/ ١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٥٨٣، والنكت والعيون ٥/ ٣٨٤.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٨٤، وزاد المسير ٨/ ٥٤-٥٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٢.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٥.

(٨) القراءات الشاذة ص١٤٦، والكلام من الكشاف ٤/ ٢٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٢.

(٩) في تفسيره ٥/ ٥٨٦، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز/ ١٩٢.

فاستفهام وليس بعطف.

﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾: اختلقه من قِبَل نفسِه[١]، كما قال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤].

وقال ابن عطية[٢]: ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ معناه: قال عن الغير أنَّه قاله، فهو عبارةٌ عن كذبٍ مخصوص. انتهى.

﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لكفرهم وعنادهم[٣]. ثمَّ عجَّزهم بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ أي: مماثلٍ للقرآن في نظمه ورَصْفه من البلاغة وصحة المعاني والإخبار بقصص الأمم السالفة والمُغيَّبات[٤].

والحكم إن كانوا صادقين في أنَّه تقوَّلَه فليتقوَّلوا هم مثلَه؛ إذ هو واحدٌ منهم، فإن كانوا صادقين فليكونوا مثلَه في التقوُّل.

وقرأ الجَحْدري وأبو السمَّال: «بحديثِ مثلِه» على الإضافة[٥]، أي: بحديثِ رجُلٍ مثلِ الرسول ﷺ في كونه أُمِّيًا لم يصحَبْ أهلَ العلم، ولا رحَلَ عن بلده، أو مثلِه في كونه واحداً منهم، فلا يُعْوِزُ أن يكون في العرب مثلُه فصاحةً فليأتِ بمثلِ ما أتى به، ولن يقْدِرَ على ذلك أبداً.

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي: من غير شيء حيٍّ كالجماد، فهم لا يُؤمَرون ولا يُنْهَون كما هي الجمادات عليه. قاله الطبري: وقيل: ﴿مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي: من غير عِلَّةٍ ولا لغايةِ عقابٍ وثواب، فهم لذلك لا يسمعون ولا يتشرَّعون، وهذا كما تقول: فعلتُ كذا وكذا من غير عِلَّة. أي: لغير عِلَّة[٦]. فـ «مَنْ» للسبب، وفي القول الأول لابتداء الغاية.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٥.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٢ ببعضه.

(٥) المحتسب ٢/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٢ عن الجحدري.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٢، وقول الطبري في تفسيره ٢١/ ٥٩٦.

وقال الزمخشري[١]: ﴿أَمْ خُلِقُوا﴾: أم أُحْدِثوا وقُدِّروا التقديرَ الذي عليه فطرتُهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: من غير مُقدِّر، أم هم الذين خلقوا أنفُسَهم حيث لا يعبدون الخالق ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي: إذا سُئِلوا: مَنْ خلقكم وخلقَ السماوات والأرض؟ قالوا: الله، وهم شاكُّون فيما يقولون «لا يوقنون».

﴿أَمْ خُلِقُوا﴾ من غير ربٍّ ولا خالقٍ، أي: أم أُحدِثوا وبرزوا للوجود من غير إلهٍ يُبْرِزُهم ويُنْشِئهم، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ لأنفسهم، فلا يعبدون الله، ولا يأتمِرون بأوامره، ولا ينتهون عن مناهيه. والقسمان باطلان، وهم يعترفون بذلك، فدلَّ على بطلانهم.

وقال ابن عطية[٢]: ثمَّ وقفهم على جهة التوبيخ على أنفسهم: أهم الذين خلقوا الأشياء فهم لذلك يتكبَّرون؟ ثمَّ خصَّص من تلك الأشياء السماوات والأرض؛ لعِظَمِها وشرفِها في المخلوقات، ثمَّ حكم عليهم بأنَّهم لا يوقنون ولا ينظرون نظراً يؤدِّيهم إلى اليقين.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ قال الزمخشري[٣]: خزائن الرزق حتى يَرزقوا النبوَّةَ من شاؤوا، أو: أعِنْدَهم خزائنُ عِلْمِه حتى يختاروا لها مَن اختيارُه حكمةٌ ومصلحةٌ؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يدبِّروا أمرَ الرُّبوبية ويَبْنوا الأمورَ على إرادتهم؟

وقال ابن عطية: أم عندهم الاستغناء عن الله تعالى في جميع الأمور؛ لأنَّ المالَ والصحَّةَ والقوَّةَ وغيرَ ذلك من الأشياء كلِّها من خزائن الله تعالى. وقال الزَّهراوي: وقيل: يريد بالخزائن العلم. وهذا قولٌ حسنٌ إذا تُؤُمِّلَ وبُسِط. وقال الرُّمَّاني: خزائنه تعالى: مقدوراتُه[٤]. انتهى.

(١) في الكشاف ٤/ ٢٥-٢٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٢، وما بعده منه.

و«المُسَيطر» قال ابن عباس: المسلَّط القاهر.

وقرأ الجمهور: «المصيطرون» بالصاد. وهشام وقُنْبُل، وحفص بخلافٍ عنه: بالسين، وهو الأصل، ومن أبدلَها صاداً فلأجل حرف الاستعلاء وهو الطاء. وأشَمَّ خلفٌ عن حمزة، وخلَّادٌ عنه ـ بخلافٍ عنه ـ الزايَ[١].

«أم لهم سُلَّمٌ» منصوب إلى السماء يستمعون فيه، أي: عليه أو منه؛ إذ حروف الجرِّ قد يسُدُّ بعضُها مسَدَّ بعض، وقدَّره الزمخشريُّ: صاعدين فيه، ومفعول «يستمعون» محذوف تقديره: الخبر بصحة ما يدَّعونه. وقدَّره الزمخشريُّ: ما يُوحى إلى الملائكة من علم الغيب حتى يعلَموا ما هو كائنٌ مِنْ تقدُّمِ هلاكِه على هلاكِهم، وظفرِهم في العاقبة دونَه كما يزعمون[٢].

﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بحجَّةٍ واضحةٍ بِصدقِ استماعِ مُستمعِهم[٣].

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإيمان بالله وتوحيده واتِّباع شرعه، فهم من ذلك المَغْرَم الثقيل اللَّازم مُثْقَلون، فاقتضى زهدُهم في اتِّباعك[٤].

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللَّوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه حتى يقولوا: لا نُبعَث، وإنْ بُعِثْنا لا نُعذَّب. قاله الزمخشري. وقال ابن عطية: ﴿أَمْ عِندَهُمُ﴾ علم الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: يُثْبتون ذلك للناس شرعاً، وذلك عبادةُ الأوثان وتسييبُ السوائب وغيرُ ذلك من سِيَرِهم. وقيل: المعنى: فهم يعلمون متى يموت محمد ﷺ الذي يتربصون به، ويكتبون بمعنى: يحكمون. وقال ابن عباس: يعني: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون[٥].

---

(١) ينظر السبعة ص١٠٥-١٠٦ و٣٦٣، والتيسير ص١٨ و٢٠٤.

(٢) الكلام من الكشاف ٤/ ٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦.

(٤) هذا الكلام وما بعده بنحوه من الكشاف ٤/ ٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٣.

(٥) ذكره الثعلبي ـ أيضاً ـ في تفسيره ٥/ ٥٨٦.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: بك وبشرعك وهو كيدهم به في دار الندوة ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: فَهُم، وأبرز الظاهر تنبيهاً على العلة، أو «الذين كفروا» عامٌّ فيندرجون فيه ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي الذين يعود عليهم وبالُ كيدِهم ويَحيق بهم مكرُهم، وذلك أنَّهم قتلوا يوم بدر، وسمَّى غلبتهم كيداً؛ إذ كانت عقوبة الكيد[١].

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يعصمهم ويدفع عنهم في صدر إهلاكهم، ثم نزَّه تعالى نفسه عمَّا يشركون به من الأصنام والأوثان.

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ كانت قريشٌ قد اقترحت على رسول الله ﷺ فيما اقترحت من قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: ٩٢] فأخبر تعالى أنهم لو رأوا ذلك عياناً حسب اقتراحهم لبلغ بهم عتوُّهم وجهلُهم أن يُغالِطوا أنفسَهم فيما عاينوه وقالوا: هو سحاب مركوم[٢]، تراكم بعضُه على بعضٍ يمطرنا وليس بكِسْفٍ ساقطٍ للعذاب[٣].

﴿فَذَرْهُمْ﴾ أمر موادعة منسوخ بآية السيف[٤].

وقرأ الجمهور: «حتى يُلاقوا». وأبو حَيْوة: «حتى يَلْقَوا» مضارع لَقِيَ[٥].

﴿يَوْمَهُمُ﴾ أي: يوم موتهم واحداً واحداً. و«الصعق»: العذاب، أو يوم بدر؛ لأنَّهم عُذِّبوا فيه، أو يوم القيامة. أقوالٌ ثالثها قول الجمهور؛ لأنَّ صَعْقَتَه تعمُّ جميع الخلائق[٦].

وقرأ الجمهور: «يَصْعِقون» بفتح الياء. وقرأ عاصم، وابن عامر، وزيد بن

---

(١) الكلام بنحوه من تفسير الثعلبي ٥/٥٨٦، والكشاف ٤/٢٦، والمحرر الوجيز ٥/١٩٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/١٩٣، وما قبله منه.

(٣) الكشاف ٤/٢٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/١٩٣.

(٥) وهي قراءة أبي جعفر من العشرة كما في النشر ٢/٣٧٠.

(٦) المحرر الوجيز ٥/١٩٤.

عليّ، وأهل مكة في قول شبل بن عبادة: [«يُصْعَقون» بضمِّ الياء. وقال أبو حاتم]: وفتحها أهل مكة كالجمهور في قول إسماعيل[١].

وقرأ السُّلمي بضم الياء وكسر العين[٢] من أصعق رباعياً.

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: لهؤلاء الظلمة ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دون يوم القيامة[٣]. وقبله وهو يوم بدر والفتح. قاله ابن عباس وغيره[٤]. وقال البراء بن عازب وابن عباس أيضاً: هو عذاب القبر[٥]. وقال الحسن وابن زيد: مصائبهم في الدنيا. وقال مجاهد: هو الجوع والقحط سبع سنين[٦].

﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن الحفظ والكلاءة، وجُمِعَ لأنه أُضيف إلى ضميرِ الجماعة وحين كان الضمير مفرداً أفرد العين، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[٧][طه: ٣٩].

وقرأ أبو السمال: «بأَعْيُنَّا» بنون واحدة مشدَّدة[٨].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ قال أبو الأحوص عوف بن مالك: هو التسبيح المعروف، وهو قول: سبحان الله، عند كل قيام[٩]. وقال عطاء: حين تقوم من كلِّ مجلس.

---

(١) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤، وما بين حاصرتين منه. وينظر السبعة ص٦١٣، والتيسير ص٢٠٤.

(٢) أي: «يُصْعِقون»، والذي نقله عنه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٤، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ أنه قرأها: «يَصْعِقون» بفتح الياء وكسر العين.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٦.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤، وما بعده منه.

(٥) أخرجه الطبري ٢١/ ٦٠٣ عن البراء ﷺ. وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٤٨، والطبري ٢١/ ٦٠٣ عن ابن عباس ﷺ.

(٦) أخرجهما الطبري ٢١/ ٦٠٤ بنحوهما.

(٧) الكشاف ٤/ ٢٦.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤، وذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٨٧. وأخرجه الطبري ٢١/ ٦٠٥-٦٠٦.

وهو قول ابن جبير ومجاهد[١]. وقال ابن عباس: حين تقوم من منامك[٢]. وقيل: هو صلاة التطوع[٣]. وقيل: الفريضة[٤]. وقال الضحاك: حين تقوم إلى الصلاة تقول: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، تبارك اسمُكَ، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك[٥]. وقال زيد بن أسلم: حين تقوم من نوم القائلة والتسبيح إذ ذاك هو صلاة الظهر[٦]. وقال ابن السائب: اذكر الله بلسانك حين تقوم من فراشك إلى أن تدخل في الصلاة[٧].

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ قيل: صلاة المغرب والعشاء ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ صلاة الصبح. وعن عمر وعليّ وأبي هريرة والحسن: أنَّها النوافل، وإدبار النجوم: ركعتا الفجر[٨].

وقرأ سالم بن أبي الجعد، والمنهال بن عمرو، ويعقوب: «وأدبار» بفتح الهمزة[٩]، بمعنى: وأعقاب النجوم.

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٨٧-٥٨٨، وزاد المسير ٨/ ٦٠، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ عن عطاء وحده.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ١٩١، وزاد المسير ٨/ ٦٠.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ ونسبه لابن زيد.

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ ونسبه للضحاك وابن زيد. وأخرجه الطبري ٢١/ ٦٠٦ عن الضحاك.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٣٨٧، وزاد المسير ٨/ ٦٠. وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٤١٧)، والطبري ٢١/ ٦٠٦، والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٨٣٨).

(٦) النكت والعيون ٥/ ٣٨٧، وزاد المسير ٨/ ٦٠.

(٧) تفسير الثعلبي ٥/ ٥٨٨، وزاد المسير ٨/ ٦٠.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤.

(٩) المحتسب ٢/ ٢٩٢ عن سالم، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٤ عن سالم ويعقوب. والمشهور عن يعقوب بكسر الهمزة كقراءة الجمهور.

مفردات سورة النجم

المِرَّة: القوَّة، من أمررت الحبلَ إذا أحكمْتَ فَتْلَه. وقال قطرب: تقول العرب لكل جَزْلِ الرأي حَصيفِ العقل: إنَّه لَذو مِرَّة[1]. قال:

وإنِّي لَذو مِرَّةٍ مُرَّةٍ ... إذا ركِبَتْ حالةٌ حالَها[2]

تدلَّى العِذْقُ تدلِّياً: امتدَّ من عُلوٍّ إلى جهة السفل. فيُستعمل في القرب من العُلوِّ. قاله الفرَّاء وابنُ الأعرابي[3]. قال أسامة الهُذَلي:

تدلَّى علينا وهو زَرْقُ حمامةٍ ... لهُ[4] طِحْلِبٌ في منتهى القيظِ هامِدُ

القابُ والقِيبُ والقادُ والقِيد: المقدار[5].

القوس: معروف، وهو آلةٌ لرمي السهام، وتختلف أشكاله.

السِّدْرة: شجرة النَّبْق[6].

الضِّيزى: الجائرة، مِن ضازه يضيزُه: إذا ضامَه[7]؛ قال الشاعر:

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٥-٦.

(٢) البيت لعبيد بن ماويَّة الطائي كما في شرح الحماسة للمرزوقي ٢/ ٦٠٥، وللتبريزي ٢/ ٧٨.

(٣) ذكره النووي في شرح صحيح مسلم ٣/ ١١ بواسطة الواحدي.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: إذا، والمثبت موافق لما في تهذيب اللغة ٤/ ١٧٣.

(٥) الفائق ٣/ ٢٣١.

(٦) الصحاح (سدر).

(٧) الكشاف ٤/ ٣١.

ضَـازَتْ بـنـو أسـدٍ بِـحُـكْـمِـهِـمُ   إذ يـجـعـلـونَ الـرَّأسَ كـالـذَّنَـبِ[١]

وأصلها «ضُوزى» على وزن فُعْلى، نحو حُبلى وأُنثى ورُبَّى، ففُعِل بها ما فُعل ببِيْض لتسلم الياء، ولا يوجد فِعْلى بكسر الفاء في الصفات. كذا قال سيبويه[٢].

وحكى ثعلب: مِشيةٌ حِيْكى[٣]، ورجل كِيْصَى[٤]. وحكى غيرُه: امرأةٌ عِزْهى[٥]، وامرأةٌ سِعْلى[٦]، والمعروف عِزْهاة وسِعْلاة[٧].

وقال الكسائي: يقال: ضازَ يضيزُ ضَيْزاً، وضازَ يضوزُ ضَوْزاً، وضأزَ يضْأَزُ ضَأْزاً[٨].

«اللَّمَم»: ما قلَّ وصغُرَ، ومنه: اللَّمم: المَسُّ من الجنونِ. وألَمَّ بالمكان: قَلَّ لُبْثُه فيه. وألَمَّ بالطعام: قَلَّ أكْلُهُ منه[٩].

وقال المبرِّد: أصل اللَّممِ: أن يُلِمَّ بالشيء من غير أن يركبه، يُقال: ألَمَّ بكذا: إذا قاربه ولم يُخالِطْه.

وقال الأزهري: العرب تستعمل الإلمامَ في المُقارَبة والدُّنوِّ، يقال: ألَمَّ يفعَلُ كذا، بمعنى: كاد يفعل[١٠]. قال جرير:

---

(١) البيت لامرىء القيس كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٧، والإتقان ١/ ٤١٠، وفيهما: يعدلون، بدل: يجعلون.
(٢) الكتاب ٤/ ٣٦٤ و٣٨٩.
(٣) مشية حِيْكَى: إذا كان فيها تبختُرٌ. ينظر اللسان (حيك).
(٤) رجل كِيْصَى: يأكل وحده وينزل وحده ولا يهمه غير نفسه. ينظر اللسان والقاموس (كيص).
(٥) امرأة عِزهى: هي التي أسنَّت ونفسُها تُنازعها إلى الصِّبا. القاموس (عزه).
(٦) سِعْلى ـ بالمدِّ والقصر ـ: الغُول، وقيل: ساحرة الجن، الصخَّابة البذية. اللسان (سعل).
(٧) الكلام في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ١٧.
(٩) الكشاف ٤/ ٣٢.
(١٠) تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٨.

بِنَفْسِي مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ[١]

وقال آخر:

لِقَاءُ أَخِلَّاءِ الصَّفَاءِ لِمَامُ[٢]

«الأجِنَّة» جمع جنين: وهو الولد في البطن، سُمِّي بذلك؛ لاستتاره، والاجتنان: الاستتار[٣].

«أكْدى»: أصله من الكُدْية، يُقال لمن حفرَ بئراً ثم وصل إلى حجر لا يتهيَّأ له فيها حفرٌ: قد أكدى، ثمَّ استعملَتْه العربُ لمن أعطى ولم يُتمِّم، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره. وقال الحُطيئة:

فأعطى قليلاً ثمَّ أكْدى عطاءَهُ ومن يَبْذُلِ المعروفَ في الناسِ يُحْمَدِ[٤]

وقال الكسائي وغيره: أكْدى الحافرُ وأجْبَلَ: إذا بلغ كُديةً أو جبلاً ولا يُمكِنُه أن يحفِرَ. وحفَرَ فأكدى: بلغَ إلى الصُّلب. ويقال: كَدِيَتْ أصابِعُه: إذا كَلَّتْ من الحفر. وكَدَى النَّبْتُ: قَلَّ رَيْعُه[٥]. وقال أبو زيد: أكدى الرجلُ: قلَّ خيرُه[٦].

«أقنى» قال الجوهري[٧]: قَنِيَ يَقْنَى قِنًى، كغَنِيَ يَغْنى غِنًى.

ويتعدَّى بتغيير الحركة فتقول: قَنَيتُ المالَ، أي: كَسَبْتُه، نحو شَتِرَتْ عينُ الرجل، وشَتَرَها الله، ثمَّ تَعدَّى بعد ذلك بالهمزة أو التضعيف، فتقول: أقناه الله مالاً، وقَنَّاه الله مالاً. وقال الشاعر:

---

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ١/ ٢٧٩.
(٢) لم أقف على قائله، وهو في الكشاف ٤/ ٣٢، وعجزه كما في شواهد الكشاف ٤/ ٥٤٠:
وكلُّ وصالِ الغانياتِ ذِمامُ.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٠.
(٤) لم أقف عليه في ديوانه.
(٥) الكلام بتمامه في تفسير القرطبي ٢٠/ ٥١-٥٢. وهو بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢.
(٦) الصحاح (كدى).
(٧) في الصحاح (قني).

كَمْ مِنْ غَنِيٍّ أصابَ الدَّهرُ ثَرْوَتَهُ ... ومِنْ فقيرٍ تَقَنَّى بعد إقلالِ[(١)]

أي: تَقَنَّى المالَ.

ويقال: أقناهُ الله: أرضاه، من القُنية. قال أبو زيد: تقول العرب لمن أعطى مئةً من المَعْزِ: أعطى القِنى. ومَنْ أعطى مئةً من الضَّأن: أعطى الغِنى. ومَنْ أعطى مئةً من الإبل أعطى المنى[(٢)].

«الشِّعْرَى»: هو الكوكب المضيء الذي يطلع بعد الجَوْزاء، وطلوعه في شدَّة الحر، ويُقال له: مِرْزَم الجوزاء، وهما الشِّعْرَيان؛ العَبور التي في الجوزاء، والشِّعْرَى الغُمَيصاء التي في الذِّراع، وتزعم العرب أنَّهما أختا سُهَيل[(٣)]. قال الزمخشريُّ: وتُسَمَّى كلبَ الجبَّار، وهما شِعْريان؛ الغُمَيصاء والعَبور[(٤)]، ومن كَذِبِ العرب أنَّ سُهيلاً والشِّعرى كانا زوجين، فانحدر سهيلٌ وصار يمانيًّا، فاتَّبعَتْه الشِّعْرى العَبور فعبرتِ المجرَّة فسُمِّيَتْ العَبور، وأقامت الغُمَيصاء فبكَتْ لفقد سُهيل حتى غُمِصَتْ عيناها فسُمِّيت الغُميصاء؛ لأنَّها أخفى من الأخرى[(٥)].

«أزِفَ»: قَرُبَ. قال كعب بن زهير:

بانَ الشَّبابُ وهذا الشَّيبُ قد أزِفا ... ولا أرى لشبابٍ بائنٍ خَلَفَا[(٦)]

وقال النابغة الذُّبياني:

أزِفَ التَّرحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا ... لمَّا تَزلْ برحالِنا وكأنْ قَدِ[(٧)]

---

(١) لم أقف على قائله، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ والكلام منه.

(٢) الصحاح (قني).

(٣) الصحاح (شعر)، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٨.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٤. والجبَّار: اسم للجوزاء. ينظر مجمع الأمثال ١/ ١٤٨.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨.

(٦) ديوان كعب بن زهير ص ٥٢، وفيه: أمسى، بدل: وهذا. و: ذاهب، بدل: بائن. وهو كذلك في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠ والكلام منه.

(٧) البيت في الصحاح (أزف)، والبيان والتبيين ٢/ ٢٨٠.

ويُروى: أفِدَ الترحُّلُ[١].

سَمَد: لَهى ولَعِب[٢]. قال الشاعر:

ألا أيُّها الإنسان إنَّك سامِدُ كأنَّكَ لا تفنى ولا أنتَ هالِكُ[٣]

وقال آخر:

قيلَ قُمْ فانظُرْ إليهمْ ثمَّ دَعْ عنكَ السُّمُودا[٤]

وقال أبو عبيدة: السُّمود: الغِناء بلغة حِمْيَر، يقولون: يا جارية اسمُدي لنا، أي: غنِّي لنا[٥].

* * *

سورة النجم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا
فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا
رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ
ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ

(١) وهي رواية الديوان ص ٣٨. و«أزِف» و«أفِدَ» كلاهما بمعنى.
(٢) الصحاح (سمد).
(٣) لم أقف على قائله.
(٤) البيت لهذيلة بنت بكر كما في معجم الطبراني الكبير (١٠٥٩٧)، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.
(٥) هكذا في النسخ، والذي في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩ الكلام الأول عن عكرمة، والثاني عن أبي عبيدة. والكلام بتمامه في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٧٨ عن عكرمة عن ابن عباس. وكذا أخرجه الطبري ٢٢/ ٩٧-٩٨.

ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ
إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ
﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية[١].

ومناسبتها لآخرِ ما قبلها ظاهرة؛ لأنَّه قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾ أي: اختلق القرآن، ونسبوه إلى الشعر، وقالوا: هو كاهن، هو مجنون، فأقسم تعالى أنَّه ﷺ ما ضلَّ، وأنَّ ما يأتي به هو وحيٌ من الله[٢].

وهي أول سورة أعلنَ رسولُ الله ﷺ بقراءتها في الحرم والمشركون يستمعون، وفيها سجدَ وسجدَ معه المؤمنون والمشركون والجِنُّ والإنسُ غير أبي لهب؛ فإنَّه رفعَ حَفْنةً من تراب إلى جبهته وقال: يكفي هذا.

وسببُ نزولها قولُ المشركين: إنَّ محمداً ﷺ يختلق القرآن.

وأقسم تعالى بالنجم، فقال ابن عباس ومجاهد والفراء[٣] والقاضي منذر بن سعيد: هو الجملة من القرآن إذا نزلَتْ، وقد نزل منجَّماً في عشرين سنة. وقال الحسن ومعمر بن المثنى[٤]: هو هنا اسمُ جنسٍ، والمراد: النجومُ إذا هوَتْ، أي: غربَتْ. قال الشاعر:

فباتَتْ تعُدُّ النَّجمَ في مُسْتَحيرةٍ   سريعٍ بأيدي الآكلينَ جُمودُها[٥]

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٥، والكلام الآتي منه.
(٣) في معاني القرآن له ٣/ ٩٤.
(٤) هو أبو عبيدة، وقوله في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٥.
(٥) البيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص ٩٢. قال الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٦٩ بعد أن أورد البيت: يصف قدراً كثيرة الدسم، ومعنى: تعدُ النجم، أي: من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة: القدر، فقال: يجمد على الأيدي الدسم من كثرته.

أي: تعُدُّ النجوم. وقال الحسن وأبو حمزة الثُّمالي: النجوم إذا انتثرَتْ في القيامة. وقال ابن عباس أيضاً: ﴿هَوَىٰ﴾: انقضَّ في أثر الشياطين. وهذا تساعده اللغة(١).

وقال الأخفش: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾: النبت إذا طلع، وهُوِيُّه: سقوطه على الأرض. وقال جعفر الصادق: هو النبيُّ ﷺ، وهُوِيُّه: نزوله ليلة المعراج(٢).

وقيل: النجم مُعيَّن؛ فقال مجاهد وسفيان: هو الثريا، وهُوِيُّها: سقوطها مع الفجر(٣). وهو عَلَمٌ عليها بالغَلَبة، ولا تقول العربُ النَّجمَ مُطلقاً إلَّا للثريَّا، ومنه قول العرب:

طَلَعَ النَّجمُ عِشاءً ... فابتغى الراعي كِساءً
طَلَعَ النَّجمُ غُدَيَّهْ ... فابتغى الراعي كُسَيّهْ(٤)

وقيل: الشِّعْرى، وإليها الإشارةُ بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] والكُهَّان والمنجِّمون يتكلَّمون على المُغيَّباتِ عند طلوعها. وقيل: الزُّهَرَة، وكانت تُعبَد(٥). وقيل: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾: هم الصحابة. وقيل: العلماء، مفردٌ أُريد به الجمع.

و«هَوى» في اللغة: خَرَقَ الهواءَ ومقصدُه السُّفل؛ إذ مصيرُه إليه وإن لم يقصِدْ إليه. وقال الشاعر:

هُوِيَّ الدَّلْوِ أسْلَمَها الرِّشاءُ(٦)

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٤، وقول أبي حمزة الثمالي أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٤.
(٢) ذكرهما الثعلبي في تفسيره ٦/ ٤.
(٣) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٥.
(٤) هكذا في النسخ وأدب الكتاب للصولي ص ٧٨. وفي تهذيب اللغة ١٠/ ٢٩٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/ ١٤٧٩، والمفردات للراغب (نجم)، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٦ والكلام منه: شُكَيَّهْ. والشُّكية تصغير الشَّكوة.
(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٣٨٩، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٦٣ عن السدي.
(٦) قائله زهير، وهو في شرح ديوانه ص ٦٧، وصدره: فشَجَّ بها الأماعِزَ وهي تهوي.

ومنه: هوى العُقاب[1].

﴿صَاحِبُكُمْ﴾ هو محمد رسول الله ﷺ، والخطاب لقريش، أي: هو مهتدٍ راشدٌ، وليس كما تزعمون من نسبتكم إيَّاه إلى الضلال والغيِّ ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي: عن هوى نفسه ورأيه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ من عند الله يُوحى إليه[2]. وقيل: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ أي: القرآن عن هوًى وشهوةٍ، كقوله: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٩] ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي الذي ينطق به، أو ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي القرآن[3].

﴿عَلَّمَهُ﴾ الضمير عائدٌ على الرسول ﷺ، فالمفعول الثاني محذوفٌ، أي: علَّمه الوحيَ، أو على القرآن، فالمفعول الأول محذوفٌ، أي: علَّمه الرسولَ ﷺ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ هو جبريل، وهو مناسبٌ للأوصاف التي بعده. وقاله ابن عباس وقتادة والربيع[4]. وقال الحسن: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾: هو الله تعالى. وهو بعيد.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: ذو قوَّةٍ، ومنه: «لا تحِلُّ الصدقةُ لغنيٍّ، ولا لذِي مِرَّةٍ سويٍّ»[5]. وقيل: ذو هيئة حسنة. وقيل: هو جسمٌ طويلٌ حسنٌ.

ولا يُناسِبُ هذان القولان إلَّا إذا كان شديدُ القوى هو جبريل عليه السلام، فاستوى الضمير لله في قول الحسن، وكذا ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ لله تعالى؛ على معنى

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/١٩٦.

(٢) الكشاف ٤/٢٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/١٩٦.

(٤) أخرجه الطبري ٢٢/٩ عن قتادة والربيع. والكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/١٩٦ مع تقديم وتأخير، وما بعده منه.

(٥) أخرجه أحمد (٦٥٣٠)، وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
وأخرجه أحمد (٨٩٠٨)، وابن ماجه (١٨٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد (١٦٥٩٤) من حديث رجل من بني هلال رضي الله عنه.
وأخرجه الترمذي (٦٥٣) من حديث حبشي بن جنادة رضي الله عنه.

العظَمة والقُدرة والسلطان. وعلى قول الجمهور ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ أي جبريل في الجوّ ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ إذْ رآه الرسول عليه الصلاة والسلام بحِراء قد سدَّ الأُفقَ له ستُّ مئة جناح[١]، وحينئذٍ دنا من محمدٍ حتى كان قاب قوسين، وكذلك هو المرئيُّ في النَّزْلة الأُخرى بستِّ مئة جناح عند السِّدرة. قاله الربيع والزجَّاج[٢].

وقال الطبريُّ[٣] والفرَّاء[٤]: المعنى: فاستوى جبريل، وقوله: ﴿وَهُوَ﴾ يعني محمداً ﷺ.

وفي هذا التأويل العطف على الضمير المرفوع من غير فصل، وهو مذهب الكوفيين، وقد يقال: الضمير في «استوى» للرسول وهو لجبريل. و«الأعلى»: لقِمَّة الرأس وما جرى معه. وقال الحسن وقتادة: هو أُفقُ مَشْرق الشمس[٥].

وقال الزمخشريُّ[٦]: ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾: فاستقام على صورة نفسِه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثَّل بها كُلَّما هبط بالوحي، وكان ينزل في صورة دِحْية[٧]، وذلك أنَّ الرسولَ ﷺ أحَبَّ أن يراه في صورته التي جُبِلَ عليها، فاستوى له بالأفق الأعلى وهو أفق الشمس، فملأ الأفق. وقيل: ما رآه أحدٌ من الأنبياء في صورته الحقيقية غير محمدٍ ﷺ مرَّةً في الأرض ومرَّةً في السماء. ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: فتعلَّق عليه في الهواء، وكان مقدارُ مسافة قُرْبه مثلَ قاب قوسين، فُحذِفَتْ هذه المضافات، كما قال أبو علي في قوله:

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧٤٨) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. وأخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديثه ـ أيضاً ـ بلفظ أنه ﷺ رأى جبريل له ستُّ مئة جناح.

(٢) في معاني القرآن له ٥/ ٧٠بنحوه.

(٣) في تفسيره ٢٢/ ١٢.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ٩٥.

(٥) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ١٣، والكلام بتمامه وبنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٦-١٩٧ مع تقديم وتأخير.

(٦) في الكشاف ٤/ ٢٨-٢٩.

(٧) هو دِحْية بن خليفة بن فروة الكلبي، صحابي مشهور، يُضرَب به المثلُ في حسن الصورة، وقد نزل دمشق، وسكن المِزَّة، وعاش إلى خلافة معاوية. الإصابة ٣/ ١٩١-١٩٢.

وقـد جَـعَـلَـتْـنـي مـن حَـزيـمـةَ إصـبـعـا[١]

أي: ذا مقدارِ مسافة إصبع أو أدنى على تقديركم، كقوله: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات:١٤٧].

﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ أي: إلى عبد الله، وإنْ لم يَجْرِ لاسمِه عزَّ وجل ذِكْرٌ؛ لأنَّه لا يُلْبِس، كقوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا﴾ [فاطر:٤٥] ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ تفخيمٌ للوحي الذي أوحي إليه قبلُ. انتهى.

وقال ابن عطية[٢]: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قال الجمهور: أي: جبريلُ إلى محمدٍ عليهما الصلاة والسلام عند حراء.

وقال ابن عباس وأنس في حديث الإسراء ما يقتضي أنَّ الدُّنُوَّ يستند إلى الله تعالى[٣]. وقيل: كان الدُّنُوُّ إلى جبريل. وقيل: إلى الرسول ﷺ، أي: دنا وحيُه وسلطانُه وقدرتُه.

والصحيح أنَّ جميع ما في هذه الآيات هو مع جبريل، بدليل قوله: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ﴾ فإنّه يقتضي نزلةً متقدمةً، وما رُويَ أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى ربَّه قبل ليلة

---

(١) هو عجز بيت صدره:

فـأدركَ إبـقـاءَ الـعـرادةِ ظَـلْـعُـهـا

ونُسب في المفضليات ص ٣٢، واللسان (حرم)، وخزانة الأدب ١/ ٣٨٨ للكلحبة هبيرة بن عبد منان العُرني. ونسبه ابن يعيش في شرح المفصل ٣/ ٣١ للأسود بن يعفر.
قوله: إبقاء، هو ما تبقيه الفرس من العَدْو، إذ من عتاق الخيل ما لا تعطي ما عندها من العَدْوِ، بل تبقي منه شيئاً إلى وقت الحاجة، يقال: فرس مبقية: إذا كانت تأتي بجريٍ عند انقطاع جريها وقت الحاجة. والعَرادة: اسم فرس كلحبة. وقوله: ظلعها، الظُّلوع في الإبل بمنزلة الغمز، أي: العرج اليسير. وحَزيمة: هو ابن طارق، كان رئيساً لبني تغلب. يقول: فاتني حزيمة وما بيني وبينه إلا قدر إصبع. ينظر الخزانة.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٧-١٩٨.

(٣) حديث الإسراء أخرجه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١٤، والطبراني في الكبير (١١٣٢٨) من حديث ابن عباس ﷺ.

الإسراء. و«دنا» أعمُّ من «تدلَّى»، فبيَّنَ هيئة الدُّنُوِّ كيف كانت. ﴿قَابَ﴾: قَدْر. قال قتادة وغيره: معناه: من طَرَف العُودِ إلى طرفه الآخر. وقال الحسن ومجاهد: من الوَتَر إلى العود في وسط القوس عند المقبض. وقال أبو رزين[(١)]: ليست بهذه القوس، ولكن قَدْرَ الذِّراعين. وعن ابن عباس أنَّ القوس هنا ذراعٌ تقاس به الأطوال. وذكر الثعلبيُّ[(٢)] أنَّه من لغة الحجاز. ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ أي: الله ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ أي: الرسول ﷺ. قاله ابن عباس. وقيل: ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ جبريل ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ إبهام على جهة التعظيم والتفخيم، والذي عُرِفَ من ذلك فرضُ الصلوات. وقال الحسن: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريل إلى عبدِ الله محمدٍ ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ كالأول في الإبهام. وقال ابن زيد: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أوحاه الله تعالى إلى جبريل عليه السلام.

وقال الزمخشريُّ[(٣)]: ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ أوحى إليه أنَّ الجنَّةَ مُحرَّمةٌ على الأنبياء حتى تدخُلَها، وعلى الأمم حتى تدخُلَها أمَّتُك ﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤادُ محمدٍ ﷺ ما رآه ببصره من صورة جبريل، أي: ما قال فؤادُه لما رآه: لم أعرفْكَ. يعني أنَّه رآه بعينه، وعَرَفه بقلبه، ولم يشكَّ في أنَّ ما رآه حقٌّ. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ما كَذَبَ» مخفَّفاً[(٤)]، على معنى: لم يُكذِّبْ قلبُ محمدٍ ﷺ الشيءَ الذي رآه، بل صدَّقه وتحقَّقَه نظراً. و«كذَبَ» يتعدى. وقال ابن عباس وأبو صالح: رأى محمدٌ ﷺ اللهَ تعالى بفؤاده[(٥)]. وقيل: ما رأى بعينه لم يُكذِّب

---

(١) تحرف في المحرر الوجيز ٥/١٩٨ إلى: أبو زيد. وقوله أخرجه الطبري ٢٢/١٦. وأبو رَزين: هو الأسدي، واسمه مسعود بن مالك، من رجال مسلم، روى عن علي وابن عباس وابن مسعود ﷺ، إلا أن شعبة ينكر أن يكون سمع من ابن مسعود. ينظر تهذيب الكمال ٢٧/٤٧٧.

(٢) في تفسيره ٦/٨.

(٣) في الكشاف ٤/٢٩.

(٤) ينظر السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص ٢٠٤.

(٥) أخرجه مسلم (١٧٦)، وأحمد (١٩٥٦)، والطبري ٢٢/ ٢٤ عن ابن عباس ﵄، وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١٠٦٢)، والطبري ٢٢/ ٢٤ عن أبي صالح.

ذلك قلبُه، بل صدَّقَه وتحقَّقَه. ويحتمل أن يكون التقدير: فيما رأى. وعن ابن عباس وعكرمة وكعب الأحبار أنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه بعينَي رأسه[١]. وأبَتْ ذلك عائشةُ رضي الله تعالى عنها وقالت: أنا سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآيات، فقال لي: «هو جبريلُ عليه السلام» فيها كلِّها[٢]. وقال الحسن: المعنى: ما رأى من مقدورات الله تعالى وملكوته. وسأل أبو ذَرٍّ رسولَ الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّكَ؟ فقال: «نورٌ أنَّى أراه»[٣]. وحديثُ عائشة قاطعٌ لكلِّ تأويلٍ في اللفظ؛ لأنَّ قولَ غيرِها إنَّما هو مُنتزَعٌ من ألفاظ القرآن، وليست نصًّا في الرؤية بالبصر، بل ولا بغيره[٤].

وقرأ أبو رجاء، وأبو جعفر، وقتادة، والجَحْدريُّ، وخالد بن إلياس، وهشام عن ابن عامر: «ما كذَّب» مشدَّداً[٥].

وقال كعب الأحبار: إنَّ الله قسمَ الرؤيةَ والكلام بين محمدٍ وموسى عليهما الصلاة والسلام، فكلَّم موسى مرَّتين، ورآه محمدٌ ﷺ مرَّتين. وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لقد قَفَّ[٦] شعري من سماع هذا، وقرأتْ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[٧] [الأنعام:١٠٣]، وذهبَتْ هي وابنُ مسعود وقتادة والجمهور إلى أنَّ المَرئيَّ مرَّتين هو جبريل؛ مرَّةً في الأرض، ومرَّةً عند سدرة المنتهى.

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢٢١)، والطبري ٢٢/ ٢٢، والآجري في الشريعة (١٠٣٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٩٠٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما. والطبري ٢٢/ ٢٢ عن عكرمة.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٣٢٣٥)، ومسلم (١٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٨)، وأحمد (٢١٣٩٢).

(٤) الكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨، وقراءة هشام عن ابن عامر في السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص٢٠٤.

(٦) في (أ) والمطبوع، والمحرر الوجيز ٥/ ١٩٨ والكلام منه: وقف. والمثبت من باقي النسخ ومن مصادر التخريج، و«قَفَّ» و«وقَفَ» كلاهما بمعنى.

(٧) أخرجه الترمذي (٣٢٧٨)، والطبري ٢٢/ ٣١-٣٢، والثعلبي في تفسيره ٦/ ١٠-١١.

وقرأ الجمهور: «أفتُمارونه» أي: أتُجادلونه على شيءٍ رآه ببصره وأبصرَه[١]. وعُدِّي بـ «على» لِما في الجدال من المغالبة، وجاء: «يرى» بصيغة المضارع وإن كانت الرؤيةُ قد مضَتْ، إشارةً إلى ما يُمكِنُ حدوثُه بعدُ[٢].

وقرأ عليٌّ، وعبدُ الله، وابنُ عباس، والجَحْدريُّ، ويعقوب، وابن سعدان، وحمزة، والكسائي بفتح التاء وسكون الميم[٣]، مضارع مَرَيتُ، أي: جَحَدْتُ، يقال: مَرَيْتُه حقَّه: إذا جَحَدْتَه، قال الشاعر:

لئِنْ هَجَرْتَ[٤] أخا صِدْقٍ ومَكرُمَةٍ   لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكا[٥]

وعُدِّي بـ «على» على معنى التضمين.

وكانت قريشٌ حينَ أخبرَهم ﷺ بأمرِه في الإسراء كذَّبوا واستخفُّوا حتى وصَفَ لهم بيتَ المقدس وأمْرَ عيرِهم وغيرَ ذلك ممَّا هو مستقصًى في حديث الإسراء[٦].

وقرأ عبد الله فيما حكى ابن خالويه[٧]، والشَّعبيُّ فيما ذكر شعبة بضم التاء وسكون الميم[٨] ومضارع أمرَيْتُ. قال أبو حاتم: وهو غلط.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ الضميرُ المنصوبُ عائدٌ على جبريل عليه السلام. قاله ابن مسعود وعائشة ومجاهد والربيع. ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ أي: مرَّةً أخرى[٩]، أي: نزل عليه جبريلُ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٨.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٩.
(٣) أي: «أفَتَمْرونه»، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٦١٤، والتيسير ص ٢٠٤. وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٣٧٩، وهي فيه عن خلف أيضاً. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٤) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: سخرت.
(٥) لم أقف على قائله، وذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩ ـ والكلام منه ـ ولم ينسبه.
(٦) وقد سلف في أول سورة الإسراء، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٧) في القراءات الشاذة ص ١٤٦.
(٨) أي: «أفَتُمْرونه»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩ والكلام منه، لكن وقع في مطبوعه: سعيد عن النخعي.
(٩) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

عليه السلام مرَّةً أخرى في صورةِ نفسِه فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج[١]، و«أُخرى» تقتضي نزلةً سابقةً وهي المفهومة من قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ وهو الهبوط والنزول من عُلوٍّ.

وقال ابن عباس وكعب الأحبار: الضمير عائدٌ على الله على ما سبق من قولهما أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى ربَّه مرَّتين[٢].

وانتصب «نزلةً» قال الزمخشريُّ[٣]: نَصْبَ الظَّرفِ الذي هو «مرَّةً»؛ لأنَّ الفَعْلَةَ اسمٌ للمرَّة من الفِعْل. وقال الحَوْفي وابنُ عطية[٤]: مصدر في موضع الحال. وقال أبو البقاء[٥]: مصدر، أي: مرَّةً أخرى، أو رؤيةً أخرى.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ قيل: هي شجرة نَبْقٍ في السماء السابعة ـ وقيل: في السماء السادسة، ثمرُها كقِلال هَجَر، وورقُها كآذانِ الفِيَلة[٦]، تنبعُ من أصلها الأنهار التي ذكرها الله تعالى في كتابه، يسير الراكب في ظِلِّها سبعين عاماً لا يقطعها[٧]. و«المنتهى»: موضع الانتهاء[٨]، لأنَّه ينتهي إليها عِلْمُ كلِّ عالم، ولا يعلم ما وراءها صُعُداً إلَّا الله تعالى عزَّ وجلَّ. أو ينتهي إليها كلُّ مَنْ مات على الإيمان من كلِّ جيل. أو ينتهي إليها ما نزل من أمر الله تعالى، ولا تتجاوزها ملائكةُ العلوِّ وما صعد من الأرض، ولا تتجاوزها ملائكةُ السُّفل[٩]. أو تنتهي

(١) الكشاف ٤/ ٢٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٣) في الكشاف ٤/ ٢٩.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.
(٥) في الإملاء ٢/ ٢٤٧.
(٦) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٢) عن أنس ﷺ مرفوعاً، دون قوله: في السماء السادسة، فهو من حديث ابن مسعود ﷺ، وقد أخرجه مسلم (١٧٣).
(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧-٣٨ من حديث أبي هريرة ﷺ أو غيره على الشك. والأنهار التي ذكر الله في كتابه هي التي في سورة محمد الآية (١٥).
(٨) إلى هنا الكلام من الكشاف ٤/ ٢٩.
(٩) الأقوال الثلاثة في المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩. والقول الأول أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٣٦)، =

إليها أرواح الشهداء. أو كأنَّها في مُنتهى الجنة وآخرِها[١]. أو ينتهي إليها الملائكة والأنبياء ويقِفون عندها. أو ينتهي إليها عِلمُ الأنبياء، ويعزُبُ علمُهم عمَّا وراءها. أو تنتهي إليها الأعمال. أو لانتهاء مَنْ رُفع إليها في الكرامة[٢]. أقوالٌ تسعة.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ أي: عند السِّدرةُ. قيل: ويحتمل عند النَّزلة[٣]. قال الحسن: هي الجنة التي وعدَها اللهُ المؤمنين. وقال ابن عباس ـ بخلافٍ عنه ـ وقتادة: هي جنَّةٌ تأوي إليها أرواح الشهداء، وليست بالتي وُعِدَ المتقون جنَّةِ النعيم[٤]. وقيل: جنَّةُ مأوى الملائكة[٥].

وقرأ علي، وأبو الدرداء، وأبو هريرة، وابن الزُّبير، وأنس، وزِرّ، ومحمد بن كعب، وقتادة: «جَنَّهُ» بهاء الضمير[٦]، وجَنَّ فعل ماض، والهاء ضمير النبيِّ ﷺ، أي: عندها ستَرَهُ إيواءُ الله تعالى وجميلُ صنعه به. وقيل: المعنى: ضمَّهُ المبيتُ والليل[٧]. وقيل: جَنَّه بظلاله ودخل فيه[٨]. وردَّتْ عائشةُ وصحابةٌ معها هذه القراءة وقالوا: أجَنَّ اللهُ مَنْ قرأها[٩]. وإذا كانت قراءةً قرأها أكابُر من أصحاب رسول الله ﷺ فليس لأحدٍ رَدُّها. وقيل: إنَّ عائشة رضي الله تعالى عنها

= والطبري ٢٢/ ٣٣ عن كعب الأحبار والقول الثاني أخرجه الطبري ـ أيضاً ـ ٢٢/ ٣٥ عن أبي هريرة ﷺ أو غيره ـ على الشك ـ مرفوعاً. وعن الربيع بن أنس قوله. والقول الثالث أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٠٩٩)، والطبري ٢٢/ ٣٤ عن الضحاك.

(١) القولان في الكشاف ٤/ ٢٩.

(٢) الأقوال الأربعة ذكرها القرطبي ٢٠/ ٢٦-٢٧ ونسب الأول لكعب الأحبار، والثاني لابن عباس ﷺ، والثالث للضحاك.

(٣) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

(٥) زاد المسير ٨/ ٦٩ عن ابن عباس ﷺ.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٦-١٤٧.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

(٨) الكشاف ٤/ ٢٩.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

أجازتها[١]، وقراءة الجمهور: «جنَّةُ المأوى» كقوله في آية أخرى: ﴿فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾[٢][السجدة: ١٩].

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه بإبهام الموصول وصِلَتِهِ تعظيمٌ وتكثيرٌ للغاشي الذي يغشاها، إذ ذاك أشياء لا يعلم وصْفَها إلَّا الله تعالى[٣]. وقيل: يغشاها الجَمُّ الغفيرُ من الملائكة يعبدون اللهَ عندها[٤]. وقيل: ما يغشى من قدرة الله تعالى وأنواع الصفات التي يخترعها لها[٥]. وقال ابن مسعود وأنس ومسروق ومجاهد وإبراهيم: ذلك جَرادٌ من ذهبٍ كان يغشاها[٦]. وقال مجاهد: ذلك تبدُّل أغصانها دُرًّا وياقوتاً[٧]. ورُوِيَ في الحديث «رأيتُ على كلِّ ورقةٍ من ورقِها ملَكاً قائماً يُسبِّحُ اللهَ تعالى»[٨]. وأيضاً «يغشاها رَفْرَفٌ من طيرٍ أخضر»[٩]. وأيضاً «تغشاها ألوانٌ لا أدري ما هي»[١٠]. وعن أبي هريرة: يغشاها نورُ

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩٩.

(٣) ينظر الكشاف ٤/ ٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤١ عنهم دون قول أنس بن مالك ﷺ. ورُوي عن ابن مسعود ﷺ مرفوعاً فيما أخرجه مسلم (١٧٣).
وأما قول أنس فأخرجه عنه ابن مردويه مرفوعاً كما في الدر المنثور ٦/ ١٢٦، وكذلك ذكره القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٢٩.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠. وأخرجه عنه بنحوه الطبري ٢٢/ ٤٢، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٢٧).

(٨) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٣، والواحدي في الوسيط ٤/ ١٩٨، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٤٢ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مرفوعاً. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦٠-١٦١: عبد الرحمن ضعيف، وهذا معضل.

(٩) ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٣، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٩. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١: لم أجده.

(١٠) هو قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر ﷺ.

الخلَّاق[١]. وعن الحسن: غشِيَها نورُ ربِّ العِزَّة فاستنارت[٢]. وعن ابن عباس: غشِيَها ربُّ العِزَّة[٣]. أي: أمْرُه، كما جاء في «صحيح مسلم» مرفوعاً: «فلمَّا غشِيَها من أمرِ الله ما غَشِي»[٤] ونظيرُ هذا الإبهام للتعظيم ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ [النجم: ٥٣-٥٤].

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ قال ابن عباس: ما جالَ هكذا ولا هكذا[٥]. وقال الزمخشري: أي: أثبتَ ما رآه إثباتاً مُتَيَقَّنًا صحيحاً من غير أن يزيغَ بصرُه عنه أو يتجاوزَه، أو ما عدلَ عن رؤية العجائب التي أُمِرَ برؤيتها ومُكِّنَ منها ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: وما جاوز ما أُمِرَ برؤيته[٦]. انتهى. وقال غيره: ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾: ولا تجاوز المرئيَّ إلى غيره، بل وقع عليه وقوعاً صحيحاً، وهذا تحقيقٌ للأمر ونفيٌ للرَّيب عنه[٧].

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قيل: «الكبرى» مفعول «رأى»[٨]، أي: رأى الآياتِ الكبرى والعظمى التي هي بعضُ آياتِ ربِّه، أي: حين رقى إلى السماء رأى عجائبَ الملكوت، وتلك بعضُ آيات الله[٩]. وقيل: «من آيات» هو في موضع المفعول، و«الكبرى» صفةٌ لـ«آيات ربِّه»[١٠]، ومِثْلُ هذا الجمع يُوصَفُ بوصف الواحدة، وحسَّنَ ذلك هنا كونُها فاصلةً كما في قوله: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣] عندَ مَنْ جعلَها صفةً لـ«آياتنا».

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣. وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣ عن أبي هريرة ﷺ أو عن غيره على الشك.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٨.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٢.

(٤) صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٤٤، والحاكم ٢/ ٤٦٩ وصححه، ووافقه الذهبي.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٠.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٨) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.

(٩) الكشاف ٤/ ٣٠.

(١٠) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.

وقال ابن عباس وابن مسعود: رأى رَفْرَفاً أخضرَ قد سدَّ الأفق[١]. وقال ابن زيد: رأى جبريلَ في الصورة التي هو بها في السماء.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ خطابٌ لقريش، ولمَّا قرَّرَ الرسالة أولاً وأتْبَعَه بما أتْبَعَه من ذكر عظمةِ الله وقدرتِهِ الباهرةِ بذكر التوحيد والمنع عن الإشراك بالله تعالى، وقفَهم على حقارةِ معبوداتهم وهي الأوثان، وأنَّها ليست لها قدرةٌ[٢].

و«اللَّات» صنمٌ كانت العرب تُعظِّمه. قال قتادة: كان بالطائف. وقال أبو عبيدة وغيره: كان في الكعبة. وقال ابن زيد: كان بنخلةَ عند سوق عكاظ. قال ابن عطية: وقول قتادة أرجح، ويؤيِّده قولُ الشاعر:

وفَرَّتْ ثَقيفُ إلى لاتِها ... بمُنْقَلَبِ الخائبِ الخاسرِ[٣]

انتهى. ويمكنُ الجمعُ بأنْ تكون أصناماً سُمِّيت باسم اللَّات فأُخبِرَ عن كلِّ صنمٍ بمكانه.

والتاء في «اللَّات» قيل: أصليةٌ لامُ الكلمة كالباء من باب[٤]، وألِفُه منقلبة فيما يظهر من ياءٍ؛ لأنَّ مادة «ل ي ت» موجودةٌ، فإن وُجِدَتْ مادةٌ من «ل وت» جاز أن تكون منقلبةً من واو. وقيل: التاء للتأنيث، ووزنُها «فَعَلَة» من لوى[٥]. قيل: لأنَّهم كانوا يَلْوُون عليها ويعكفون للعبادة، أو يلتوون عليها، أي: يطوفون، حُذِفَتْ لامُها.

وقرأ الجمهور: «اللَّات» خفيفةَ التاء. وابن عباس، ومجاهدٌ، ومنصور بن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٨)، وأحمد (٤٢٨٩) عن ابن مسعود ﷺ. وهو عنهما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠. وفيه ـ أيضاً ـ قول ابن زيد الآتي.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٣) البيت لضرار بن الخطاب الفهري كما في سيرة ابن هشام ١/ ٤٧، والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٣، والطبري ٢٢/ ٤٧. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.
(٥) الكشاف ٤/ ٣٠.

المُعْتَمِر، وأبو صالح، وطلحة، وأبو الجَوْزاء، ويعقوب، وابن كثير في روايةٍ بشَدِّها[١]. قال ابن عباس: كان هذا رجلاً بسوق عكاظ يَلُتُّ السَّمن والسَّويق عند صخرة[٢]. وقيل: كان ذلك الرجلُ من بَهْزٍ يَلُتُّ السَّويقَ للحاجِّ على حجر، فلمَّا مات عبدوا الحجر الذي كان عنده؛ إجلالاً لذلك الرجل، وسَمَّوه باسمه[٣]. وقيل: سُمِّي برجلٍ كان يلُتُّ عنده السمن بالزيت ويُطعمه الحاج. وعن مجاهد: كان رجلٌ يلُتُّ السَّويقَ بالطائف، وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثناً[٤]. وفي «التحرير» أنَّه كان صنماً تعظِّمه العرب. وقيل: حجر دَلْكِ اللَّات، وسمَّوه باسمه. وعن ابن جُبير: صخرةٌ بيضاء كانت العرب تعبدها وتُعظِّمها. وعن مجاهد: شُجيراتٌ تُعبَدُ ببلادها، انتقل أمرُها إلى صخرة[٥]. انتهى ملخَّصاً، وتلخَّص في اللَّاتِ أهو صنمٌ، أو حجرٌ يُلَتُّ عليه، أو صخرةٌ يُلَتُّ عندها، أو قبر اللَّات، أو شُجيراتٌ، ثمَّ صخرةٌ، أو اللَّاتُ نفسُه. أقوال.

والعُزَّى صنم. وقيل: سَمُرَةٌ كانت لغطفان، وأصلها تأنيثُ «الأعزّ» بعثَ إليها رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد فقطعها، وخرجَتْ منها شيطانةٌ ناشرةٌ شعرَها، داعيةٌ ويلَها، واضعةٌ يدَها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يا عُزَّ كُفرانَكِ لا سُبحانَكِ إنِّي رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ

---

(١) أي: «اللَّاتّ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن ابن عباس ومجاهد، والمحتسب ٢/ ٢٩٤ عن ابن عباس ومنصور وطلحة، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح. وقراءة يعقوب - وهي رواية رويس عنه - في النشر ٢/ ٣٧٩، والمشهور عن ابن كثير بتخفيف التاء كقراءة الجمهور.

(٢) أخرجه عنه البخاري (٤٨٥٩) بلفظ: كان اللاتُ رجلاً يَلُتُّ سَويقَ الحاجِّ. لتَّ السَّويق: بلَّه بالماء ونحوه. والسَّويق: ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير. اللسان (لتت) (سوق).
وأخرجه بنحوه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٤) القولان في الكشاف ٤/ ٣٠. وقول مجاهد أخرجه بنحوه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٧-٩٨، والطبري ٢٢/ ٤٧-٤٨.

(٥) القولان في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠-٢٠١. وأخرجهما الطبري ٢٢/ ٤٩.

ورجع فأخبرَ رسولَ الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «تلكَ العُزَّى ولَنْ تُعبَدَ أبداً»[(١)]. وقال أبو عبيدة: كانت العُزَّى ومناةُ بالكعبة[(٢)]. انتهى. ويدلُّ على هذا قول أبي سفيان في بعض الحروب للمسلمين: لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم[(٣)]. وقال ابن زيد كانت العُزَّى بالطائف. وقال قتادة: كانت بنخلة[(٤)]. ويمكن الجمعُ بأنه كان في كلِّ مكانٍ منها صنم يُسمَّى بالعُزَّى كما قلنا في اللَّات، فأخبرَ كلُّ واحدٍ عن ذلك الصنم المُسمَّى ومكانه.

«ومناة» قيل: صخرة كانت لهُذَيلٍ وخُزاعة. وعن ابن عباس: لثقيف[(٥)]. وقيل: بالمُشلَّل[(٦)] من قُديد بين مكة والمدينة، وكانت أعظمَ هذه الأوثان قدراً، وأكثرَها عائداً[(٧)]، وكانت الأوس والخزرج تُهِلُّ لها. وهذا اضطراب كثيرٌ في هذه الأوثان ومواضعها، والذي يظهر لنا أنَّها كانت ثلاثتَها في الكعبة؛ لأنَّ المخاطبَ بذلك في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ هم قريش.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٥، والكشاف ٤/ ٣٠. وأخرجه بنحوه الواقدي في المغازي ٣/ ٨٧٣-٨٧٤ ـ ومن طريقه الأزرقي في أخبار مكة (١٤٦) ـ عن سعيد بن عمرو الهذلي. وهو مرسل.
وأخرجه بنحوه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٩٨، وابن مردويه في تفسيره ـ فيما ذكر ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١ ـ من طريق محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ. محمد بن السائب متروك، وأبو صالح مجهول.
وأخرجه بنحوه ـ دون ذكر البيت ـ النسائي في الكبرى (١١٤٨٣)، وأبو يعلى (٩٠٢)، وأبو نعيم في الدلائل (٤٦٣) عن أبي الطفيل.
وأخرج البيت ابن أبي شيبة (٣٨٠٩٤)، والطبراني في الكبير (٣٨١١) عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي مرسلاً.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٣٦.
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٣٩)، وأحمد (١٨٥٩٣) ضمن حديث طويل عن البراء بن عازب ﷺ.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١. وأخرجهما الطبري ٢٢/ ٤٩-٥٠.
(٥) الكشاف ٤/ ٣٠.
(٦) المثبت من (يه)، وتصحف في باقي النسخ والمطبوع إلى: المشكك. والمُشلَّل: جبلٌ يُهبط منه إلى قُديد من ناحية البحر. معجم البلدان ٥/ ١٣٦.
(٧) المثبت من (د٣)، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١ والكلام منه: عابداً. وفي باقي النسخ والمطبوع: عدداً.

وقرأ الجمهور: «ومَنَاةَ» مقصوراً. فقيل: وزنُها فَعْلَة، سُمِّيت مَناة؛ لأنَّ دماء النسائك كانت تُمنى عندها، أي: تُراق[1].

وقرأ ابن كثير: «ومناءَةَ» بالمدِّ والهمز[2]. قيل: ووزنها مَفْعَلة، فالألف مُنقلبةٌ عن واو نحو: مقالة، والهمزة أصلٌ، مشتقَّةٌ من النَّوء، كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبرُّكاً بها، والقصر أشهر، قال جرير:

أزيدَ مَنَاةَ تُوعِدُ يا ابنَ تَيْمٍ تأمَّلْ أينَ تاهَ بكَ الوعيدُ[3]

وقال آخر في المدِّ والهمز:

ألا هَلْ أتى تَيْمَ بنَ عبدِ مَناءَةٍ على النَّأيِ فيما بينَنا ابنُ تميمِ[4]

و«اللَّات والعُزَّى ومناة» منصوبةٌ بقوله: «أفرأيتم»، وهي بمعنى: أخبرني، والمفعول الثاني الذي لها هو قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ على حدِّ ما تقرَّر في متعلَّق «أرأيت» إذا كانت بمعنى أخبرني. ولم يَعُدْ ضمير من جملة الاستفهام على اللَّات والعزى ومناة؛ لأنَّ قوله: «وله الأنثى» هو في معنى: وله هذه الإناث، فأغنى عن الضمير.

وكانوا يقولون في هذه الأصنام: هي بنات الله، فالمعنى: ألَكم النوع المُستحسنُ المحبوبُ الموجودُ فيكم؟ وله النوعُ المذمومُ بزعمكم وهو المستثقل[5]؟

وحسَّنَ إبرازَ الأنثى كونُه نصًّا في اعتقادهم أنَّهنَّ إناثٌ، وأنَّهنَّ بناتُ الله تعالى، وإن كان في لحاقِ تاء التأنيث في «اللَّات» وفي «مناة» وألف التأنيث في «العُزَّى» ما يُشعِرُ بالتأنيث، لكنَّه قد سمَّى المذكَّر بالمؤنَّث، فكان في قوله: «الأنثى» نصٌّ

(١) الكشاف ٤/ ٣٠.

(٢) السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٤، والكلام الآتي من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١بنحوه.

(٣) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ١/ ٣٣٢.

(٤) البيت لهَوْبَر الحارثي كما في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧، واللسان (منى)، وفيهما: الشَّنْء، بدل: النَّأي.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١.

على اعتقاد التأنيث فيها. وحسَّنَ ذلك أيضاً كونُه جاء فاصلةً؛ إذ لو أتى ضميراً فكان التركيب: ألكم الذَّكرُ وله هُنَّ، لم تقع فاصلة عندكم.

وقال الزجَّاج: وجهُ تلفيق هذه الآية مع ما قبلها، فيقول: أخبروني عن آلهتكم هل لها شيءٌ من القدرة والعظمة التي وُصِفَ بها ربُّ العِزَّة في الآي السالفة[١]. انتهى. فجعل المفعول الثاني لـ«أفرأيتم» جملة الاستفهام التي قدَّرها، وحُذِفَتْ لدلالة الكلام السابق عليها، وعلى تقديره يبقى قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ متعلِّقاً بما قبله من جهة المعنى لا من جهة الإعراب كما قلناه نحن، ولا يُعجِبني قولُ الزجَّاج: وجهُ تلفيقِ هذه الآية مع ما قبلها، ولو قال: وجهُ اتِّصال هذه، أو وجهُ انتظام هذه مع ما قبلَها، لكان الجيِّدَ في الأدب، وإن كان يعني هذا المعنى.

وقال ابن عطية: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ﴾ خطابٌ لقريش، وهي من رؤية العين؛ لأنَّه أحال على أجرامٍ مرئيَّة، ولو كانت «أرأيتَ» التي هي استفتاء لم تَتَعدَّ[٢]. انتهى.

ويعني بالأجرام اللَّات والعُزَّى ومناةَ، و«أرأيتَ» التي هي استفتاءٌ تقع على الأجرام، نحو: أرأيتَ زيداً ما صنع؟ وقوله: ولو كانت «أرأيتَ» استفتاءً ـ يعني الذي تقول النُّحاةُ فيه: إنَّها بمعنى «أخبرني» ـ لم تتعَدَّ، والتي هي بمعنى الاستفتاء تتعدَّى إلى اثنين؛ أحدهما منصوب، والآخر في الغالب جملة استفهامية، وقد تكرَّر لنا الكلامُ في ذلك وأوله في سورة الأنعام[٣]. ودلَّ كلامُ ابن عطية على أنَّه لم يُطالِعْ ما قاله الناس في «أرأيتَ» إذا كانت استفتاءً على اصطلاحه، وهي التي بمعنى: أخبرني.

والظاهر أنَّ «الثالثة الأخرى» صفتان لمَناة، وهما يفيدان التوكيد. قيل: ولمَّا كانت مناةُ هي أعظمَ هذه الأوثان أُكِّدَتْ بهذين الوصفين، كما تقول: رأيتُ فلاناً وفلاناً، ثم تذكر ثالثاً أجَلَّ منهما، فتقول: وفلاناً الآخر الذي من أمرِه وشأنِه.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٢ بنحوه، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٧١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠.

(٣) عند تفسير الآية (٤٠) منها.

ولفظة «آخر» و«أُخرى» يوصَفُ به الثالث من المعدودات، وذلك نَصٌّ في الآية، ومنه قول ربيعة بن مُكَدَّم:

ولـقَـدْ شـفَـعْـتُـهـمـا بـآخَـرَ ثـالـثٍ[١]

انتهى.

وقول ربيعة مخالفٌ للآية؛ لأنَّ ثالثاً جاء بعد آخَرَ، وعلى قول هذا القائل: إنَّ مناةَ هي أعظمُ هذه الأوثان، يكون التأكيد لأجل عِظَمِها، ألا ترى إلى قوله: ثم تذكر ثالثاً أجلَّ منهما؟

وقال الزمخشريُّ: «والأخرى» ذَمٌّ، وهي المتأخِّرةُ الوضيعةُ المقدار، كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ [الأعراف:٣٨] أي: وضعاؤُهم لرؤسائِهم وأشرافِهم. ويجوز أن تكون الأوَّليةُ والتقدُّمُ عندهم للَّات والعُزَّى[٢]. انتهى. ولفظ «آخر» ومؤنَّثه «أخرى» لم يُوضَعا للذَّمِّ ولا للمدح، إنَّما يدُلَّان على معنى غيرٍ، إلَّا أنَّ من شرطِهما أن يكونا من جنس ما قبلَهما، لو قلت: مررتُ برجلٍ وآخَرَ، لم يدلَّ إلَّا على معنى غير، لا على ذمٍّ ولا على مدح.

وقال أبو البقاء: و«الأخرى» توكيد؛ لأنَّ الثالثةَ لا تكون إلا أُخرى[٣]. انتهى.

وقيل: «الأُخرى» صفة لـ «العُزَّى» لأنَّها ثانيةُ اللَّات، والثانية يقال لها: الأخرى، وأُخِّرَتْ لموافقة رؤوس الآي. وقال الحسين[٤] بن الفضل: فيه تقديمٌ وتأخير، تقديره: والعُزَّى الأُخرى ومناةَ الثالثة[٥].

(١) عجزه كما في الأغاني ١٦/ ٦٧، وأمالي القالي ٢/ ٢٧٢، وزهر الأكم ١/ ١٠٤:

وأبـى الـفـرارَ لـيَ الـغـداةَ تـكَـرُّمـي

والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٠.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٧.

(٤) في النسخ والمطبوع: الحسن، والمثبت من المصادر.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ١٦، وزاد المسير ٨/ ٧٢-٧٣، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧.

وقال أبو عبد الله الرازي: «الأُخرى» صفةُ ذمٍّ، كأنَّه يقول: ومناة الثالثة الذليلة، وذلك لأنَّ الأُولى كان وثناً على صورة آدميٍّ، والعُزَّى صورةَ نبات، ومناةُ صورةَ صخرة، فالآدميُّ أشرفُ من النبات، والنباتُ أشرفُ من الجماد، فالجماد متأخِّر، ومَناةُ جمادٌ فهي في أُخريات المراتب[١].

والإشارة بـ «تلك» إلى قسمتهم وتقديرهم أنَّ لهم الذُّكرانَ ولله تعالى البنات، وكانوا يقولون: إن هذه الأصنام والملائكة بناتُ الله تعالى[٢].

قال ابن عباس وقتادة: «ضِيزى»: جائرة. وسفيان: منقوصة. وابن زيد: مخالفة. ومجاهد ومقاتل: عوجاء. والحسن: غير معتدلة. وابن سيرين: غير مستوية[٣]. وكلُّها أقوال متقاربة في المعنى.

وقرأ الجمهور: «ضِيزى» من غير همز، والظاهر أنَّه صفةٌ على وزن فُعْلى بضمِّ الفاء كُسِرَت لتصِحَّ الياء[٤]. ويجوز أن تكون مصدراً على وزن فِعْلى كذِكرى، ووُصف به[٥].

وقرأ ابن كثير: «ضِئْزى» بالهمز، فوُجِّه على أنَّه مصدرٌ كذكرى[٦].

وقرأ زيد بن علي: «ضَيْزى» بفتح الضاد وسكون الياء، ويُوجَّه على أنَّه مصدرٌ كدَعْوى، وُصِفَ به، أو وَصْفٌ كسَكْرى وناقةٍ خَزْمى[٧]. ويقال:

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٦.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٠-٣١.
(٣) هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٦/ ١٧، والأقوال الأربعة الأولى ـ دون ذكر مقاتل ـ في النكت والعيون ٥/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠١، وأخرجها الطبري ٢٢/ ٥٣-٥٤.
(٤) ينظر الكتاب لسيبويه ٤/ ٣٦٤ و٣٨٩، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣، وزاد المسير ٨/ ٧٣.
(٥) تفسير الرازي ٢٨/ ٢٩٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١، والقراءة في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٥.
(٧) أي: جُعِل في جانب منخرها الخِزامة: وهي حلقةٌ من شعر تُجعل في وتَرةِ أنفها يُشدُّ بها الزِّمام. تاج العروس (خزم).

«ضُؤْزَى» بالواو وبالهمز[١]. وتقدَّم في المفردات حكايةُ لغة الهمز عن الكسائي. وأنشد الأخفش:

فإنْ تنأَ عنها تَقْتَنِصْكَ وإنْ تَغِبْ فسهمُكَ مَضْؤوزٌ وأنفُكَ راغِمُ[٢]

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ تقدَّم تفسيرُ نظيرها في قصة هود في سورة الأعراف[٣].

وقرأ الجمهور: «إنْ يتَّبِعون» بياء الغيبة. وعبد الله، وابن عباس، وابن وَثَّاب، وطلحة، والأعمش، وعيسى بن عمر بتاء الخطاب[٤].

﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ميلُ النفس إلى أحدِ مُعتقَدَيْن من غير حجة ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: تميل إليه بلذَّة، وإنَّما تهوى أبداً ما هو غيرُ الأفضل؛ لأنَّها مجبولةٌ على حبِّ المَلاذِّ، وإنَّما يسوقها إلى حسن العاقبةِ العقلُ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ توبيخٌ لهم ـ والذي هم عليه باطل ـ واعتراضٌ بين الجملتين[٥]، أي: يفعلون هذه القبائح والهدى قد جاءهم، فكانوا أولى مَنْ يقبَلُه ويتركُ عبادة مَنْ لا تجدي عبادته.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ هو متَّصلٌ بقوله: ﴿وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ أي: بل للإنسان، والمراد به الجنس ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ أي: ما تعلَّقَتْ به أمانيه، أي: ليست الأشياء والشهوات تحصل بالأماني، بل الأمر لله، وقولكم: إنَّ آلهتكم تشفعُ وتُقرِّبُ زُلفى، ليس لكم ذلك.

---

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٧٣، وزاد المسير ٨/ ٧٣.

(٢) لم أقف على قائله، وهو في الصحاح (ضيز)، وتهذيب اللغة ١٢/ ٥٢، وتفسير الطبري ٢٢/ ٥٢، والنكت والعيون ٥/ ٣٩٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨. وفي الصحاح وتفسير القرطبي: فقسمُك، وفي التهذيب: فحظُّكَ، بدل: فسهمُكَ.

(٣) عند تفسير الآية (٧١) منها.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.

وقيل: أُمْنِيتُهم: قولهم: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. وقيل: قول الوليد بن المغيرة: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧]. وقيل: تمنِّي بعضِهم أن يكون النبيَّ.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ أي: هو مالِكهما، فيُعطي منهما من يشاء، ويمنع من يشاء، وليس لأحدٍ أن يبلغ منهما إلَّا ما شاء الله[1].

وقدَّم الآخرةَ في الذِّكر؛ لشرفها ولديمومتها، وأخَّرَ الأولى؛ لتأخُّرها في ذلك، ولكونها فاصلةً، فلم يُراعِ الترتيبَ الوجودي، كقوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [الليل: ١٣].

❀ ❀ ❀

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾.

و«كم» هي خبرية، ومعناها هنا: التكثير، وهي في موضع رفع بالابتداء والخبر «لا تغني»[2].

والغَناء: جلبُ النفع ودفعُ الضرِّ بحسب الأمر الذي يكون فيه الغنى. و«كم» لفظها مفرد، ومعناها جمع[3].

(١) الكشاف ٤/ ٣١.
(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.

وقرأ الجمهور: «شفاعتُهم» بإفرادِ الشفاعة وجَمْعِ الضمير. وزيد بن علي: «شفاعتُه» بإفرادِ الشفاعة والضمير. وابن مِقْسَم: «شفاعاتُهم» بجمعهما، وهو اختيار صاحب «الكامل» أبي القاسم الهُذَلي. وأُفردَتِ الشفاعةُ في قراءة الجمهور؛ لأنَّها مصدرٌ، ولأنَّهم لو شفعَ جميعُهم لواحدٍ لم تُغْنِ شفاعتُهم عنه شيئاً، فإذا كانت الملائكة المقرَّبون لا تغني شفاعتُهم إلَّا بعد إذن الله ورضاه ـ أي: يرضاه أهلاً للشفاعة ـ فكيف تشفع الأصنام لمن يعبدها؟[١].

ومعنى «تسمية الأنثى» كونُهم يقولون: إنَّهم بناتُ الله[٢].

و ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ هم العرب منكرو البعث[٣] ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ أي: ما يدركه العلم لا ينفع فيه الظنُّ، وإنَّما يُدرَك بالعلم والتيقُّن[٤]. قيل: ويحتمل أن يكون المراد بالحقِّ هنا هو الله تعالى، أي: الأوصاف الإلهية لا تُستخرَجُ بالظُّنون، ويدلُّ عليه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج:٦].

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ موادعة منسوخة بآية السيف[٥].

﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي لم تتعلَّق إرادتُه بغيرها، فليس له فِكْرٌ في سواها[٦] كالنَّضر بن الحارث والوليد بن المغيرة[٧].

والذِّكر هنا القرآن أو الإيمان أو الرسول ﷺ. أقوال[٨].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٣، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٨، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٠، والكشاف ٤/ ٣٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٢.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٢.
(٤) تفسير الرازي ٢٨/ ٣٠٧.
(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص٢٣٣.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣ بنحوه.
(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤١.
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ١٨.

﴿عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ هو سببُ الإعراض؛ لأنَّ مَنْ لا يُصغي إلى قول كيف يفهم معناه؟[١] فأُمِرَ ﷺ بالإعراض عمَّن هذه حالُه. ثُمَّ ذكر سبب التولِّي عن الذِّكر وهو حصر إرادته في الحياة الدنيا، فالتولِّي عن الذِّكر سببٌ للإعراض عنهم، وإيثارُ الدنيا سببٌ للتولِّي عن الذِّكر.

و«ذلك» إشارةٌ إلى تعلُّقهم بالدنيا وتحصيلها ﴿مَبْلَغُهُم﴾: غايتُهم ومنتهاهم من العلم، وهو ما تعلَّقت به علومُهم من مكاسب الدنيا، كالفلاحة والصنائع، كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[٢][الروم: ٧].

ولمَّا ذكرَ ما هم عليه أخبر تعالى بأنَّه عالمٌ بالضالِّ والمهتدي وهو مجازيهما. وقال الزمخشري[٣]: وقوله: ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ اعتراض. انتهى. وكأنَّه يقول: هو اعتراضٌ بين ﴿فَأَعْرِضْ﴾ وبين ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ ولا يظهر هذا الذي يقوله من الاعتراض.

وقيل: «ذلك» إشارةٌ إلى جَعْلِهم الملائكةَ بناتِ الله. وقال الفرَّاء[٤]: صغَّرَ رأيَهم، وسفَّهَ أحلامَهم، أي: غايةُ عقولهم ونهايةُ علومهم أن آثروا الدنيا على الآخرة.

وقيل: «ذلك» إشارةٌ إلى الظنِّ، أي: غايةُ ما يفعلون أن يأخذوا بالظنِّ[٥].

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ الآية في معرض التسلية، إذ كان من خُلُقِه عليه الصلاة والسلام الحرص على إيمانهم، وفي ذلك وعيدٌ للكفار ووعدٌ للمؤمنين[٦].

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أخبر أنَّ مَنْ في العالَم العُلْويِّ والعالَم السُّفليِّ ملكٌ له تعالى، يتصرَّف فيهما بما شاء.

---

(١) تفسير الرازي ٢٨/ ٣١١.

(٢) الكلام من تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣ بنحوه.

(٣) في الكشاف ٤/ ٣٢، وما قبله منه.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٠٠، وما قبله منه.

(٥) تفسير الرازي ٢٩/ ٢.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

واللامُ في «ليجزي» متعلِّقةٌ بما دلَّ عليه معنى الملك، أي: يُضِلُّ ويهدي «ليجزيَ»[١]. وقيل: بقوله «بمن ضَلَّ» و«بمن اهتدى»، واللَّامُ للصَّيرورة، والمعنى: إنَّ عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما عملوا، أي: بعقاب ما عملوا، والحسنى: الجَنة. وقيل: التقدير: بالأعمال الحسنى[٢].

وحين ذكر جزاءَ المسيء قال: «بما عملوا»، وحين ذكر جزاء المحسن أتى بالصفة التي تقتضي التفضُّلَ وتدلُّ على الكرم والزيادة للمحسن، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٣][العنكبوت:٧] والأحسن تأنيث «الحسنى».

وقرأ زيد بن علي: «لنجزيَ» «ونجزيَ» بالنون فيهما[٤].

وتقدَّم الكلامُ في الكبائر في قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ في سورة النساء [الآية:٣١].

والذُّنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر.

و«الفواحش» معطوف على «كبائر»[٥]: وهي ما فحُشَ من الكبائر؛ أفرَدَها بالذكر؛ لتدُلَّ على عِظَم مرتكبها.

وقال الزمخشريُّ: و«الكبائر»: الذنوب التي لا يسقط عقابُها إلَّا بالتوبة[٦]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ استثناء منقطع؛ لأنه لم يدخل تحت ما قبله وهو صغار الذنوب، أو صفة إلى كبائر الإثم غير اللَّمم، كقوله ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: غير الله

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣-٦٩٤ بنحوه.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٢ بنحوه.
(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٦ بنحوه.
(٤) ذكرها الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٢ من دون نسبة.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧٥.
(٦) الكشاف ٤/ ٣٢.

﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾[1] [الأنبياء:٢٢]. وقيل: يصحُّ أن يكون استثناء متصلاً[2]. وهذا يظهر عند تفسير اللَّمم ما هو.

وقد اختلفوا فيه اختلافاً؛ فقال الخُدريُّ: هو النَّظْرة والغَمْزة والقُبْلة، وقال السُّدِّيُّ: الخَطْرة من الذنب. وقال أبو هريرة وابن عباس والشَّعبي والكلبي: كلُّ ذنبٍ لم يذكُرِ اللهُ تعالى عليه حدًّا ولا عذاباً[3]. وقال ابن عباس أيضاً وابن زيد: ما أَلمُّوا به من الشرك والمعاصي في الجاهلية قبل الإسلام[4].

وعن ابن عباس وزيد بن ثابت وزيد بن أسلم وابنه: أنَّ سببَ الآية قولُ الكفار للمسلمين: قد كنتم بالأمس تعملون أعمالَنا. فنزلت، وهي مثل قوله: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَۚ﴾[5][النساء:٢٣]. وقيل: نزلت في نبهان التمَّار وحديثه مشهور[6]. وقال ابن عباس وغيره: الفَلْتَة والسَّقْطَة دون دوام ثمَّ يتوب منه. وقال الحسن: الزنا والسرقة والخمر ثمَّ لا يعود. وقال ابن المسيِّب: ما خطر على القلب. وقال نفطويه: ما ليس بمعتاد. وقال الرُّمَّاني: الهَمُّ بالذنب وحديث النفس دون أن يواقع. وقيل: نظرة الفجأة[7].

﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ حيث يُكفِّر الصغائر باجتناب الكبائر. وقال الزمخشري[8]: والكبائر بالتوبة. انتهى. وفيه نزعة الاعتزال.

(١) الكشاف ٤/ ٣٢ بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٣.

(٣) الأقوال الثلاثة في الكشاف ٢/ ٣٤، والقول الثالث عن الكلبي وحده.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٠-٦١ عن ابن زيد.

(٥) نقله ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤ عن الثعلبي، وهو في تفسيره ٦/ ١٩ دون ذكر الآية.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٠١ عن مقاتل بن سليمان، وهناك حديثه. وتنظر ترجمة نبهان التمار في الإصابة ١٠/ ١٤٠.

(٧) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤. وقول ابن المسيب في تفسير الثعلبي ٦/ ١٩.

(٨) في الكشاف ٤/ ٣٢، وما قبله منه.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ قيل: نزلت في قومٍ من اليهود عظَّموا أنفسهم، وإذا مات طفلٌ لهم قالوا: هذا صِدِّيقٌ عند الله. وقيل: في قومٍ من المؤمنين فخروا بأعمالهم. والظاهر أنَّه خطابٌ عامٌّ[١].

و«أعلَمُ» على بابها من التفضيل. وقال مكي[٢]: بمعنى: عالِمٌ بكم. ولا ضرورةَ إلى إخراجها عن أصلِ موضوعها، وكأنَّ مكِّيًّا راعى عمل «أعلَمُ» في الظرف الذي هو «إذْ أنشأكم»، وتعلَّق عليه علمُه به في ذلك الوقت، لا مشاركة لأحدٍ معه فيه، على أنَّه قد يتعلَّق علمُ مَنْ أطلعه الله من الملائكة عليه. وقيل: الناصب لـ «إذْ» محذوف تقديره: واذكروا إذ أنشأكُم من الأرض، والظاهر أنَّ المراد بـ «أنشأكم» أنشأَ أصلَكم وهو آدم.

ويجوز أن يُراد من فضلة الأغذية التي منشؤها من الأرض[٣].

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي: لا تنسبوها إلى زكاء الأعمال والطهارة عن المعاصي، ولا تُثنوا عليها واهضموها، فقد علمَ اللهُ منكم الزكيَّ والتقيَّ قبل إخراجكم من صلب آدم، وقبل إخراجكم من بطون أمهاتكم[٤].

وكثيراً ما ترى من المتصلِّحين إذا حدَّثوا يقولون: كان وِرْدُنا البارحةَ كذا، وفاتَنا من وِرْدِنا البارحةَ، أو فاتَنا وِرْدُنا، يوهمون الناسَ أنَّهم يقومون بالليل، وترى لبعضه في جبينه سواداً يُوهِم أنَّه من كثرة السجود، ولبعضهم احتضار النية حالةَ الإحرام، فيُحرِّك يديه مراراً، ويصعَقُ حتى ينزعجَ مَنْ بجانبه، وكأنَّه يخطف شيئاً بيديه وقتَ التحريكة الأخيرة، يُوهِم أنَّه يحافظ على تحقيق النيَّة. وبعضُهم يقول في حَلِفِه: وحَقِّ البيت الذي زُرْتُ، يُعْلِمُ أنَّه حاجٌّ، وإذا لاح له فَلْسٌ يَثِبُ عليه وثُوبَ الأسد على الفريسة، ولا يلحقه شيءٌ من الوسواس ولا من إحضار النية في أَخْذِه، وتراه يحبُّ الثناءَ عليه بالأوصاف الجميلة التي هو عارٍ منها.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٤. وينظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٢٢.

(٢) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦٩٣، وما قبله منه.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٢-٣٣.

وقيل: المعنى: لا يُزكّي بعضُكم بعضاً تزكيةَ السُّمعة أو المدح للدنيا، أو تزكيةً بالقطع، وأمَّا التزكية لإثبات الحقوق فهي جائزة للضرورة[١].

و«الجنين»: ما كان في البطن، فإذا خرج سُمِّيَ ولداً أو سَقْطاً.

وقوله: ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ﴾ تنبيهٌ على كمال العلم والقدرة، فإنَّ بطنَ الأمّ في غاية الظُّلمة، ومن عَلِمَ حالَه وهو مُجَنٌّ لا يخفى عليه حالُه وهو ظاهر[٢].

﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ قيل: الشرك. وقال علي: عمِلَ حسنةً وارعوى عن معصية[٣].

* * *

﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِۤ وَٱعۡبُدُواْ۩ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿أَفَرَءَيۡتَ﴾ الآية، قال مجاهد وابن زيد ومقاتل: نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد سمع قراءةَ رسول الله ﷺ وجلسَ إليه ووعظَه، فقرب من الإسلام، وطمِعَ فيه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ إنَّه عاتبَه رجلٌ من المشركين وقال له: أتتركُ مِلَّة آبائك؟ ارجعْ إلى دينك واثبُتْ عليه، وأنا أتحمَّلُ لك بكلِّ شيءٍ تخافه في الآخرة، لكِنْ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ١٠.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢١.

على أن تعطيَني كذا وكذا من المال. فوافقَه الوليد على ذلك، ورجعَ عمَّا هَمَّ به من الإسلام، وضلَّ ضلالاً بعيداً، وأعطى بعضَ ذلك المال لذلك الرجل، ثمَّ أمسكَ عنه وشَحَّ[١].

وقال الضحَّاك: هو النَّضْر بن الحارث، أعطى خمس قلائص لفقيرٍ من المهاجرين حتى ارتدَّ عن دينه، وضمن له أن يحملَ عنه مآثِمَ رجوعِه.

وقال السُّدِّي: نزلت في العاص بن وائل السَّهمي، كان ربما يوافق النبيَّ ﷺ في بعض الأمور.

وقال محمد بن كعب: في أبي جهل بن هشام، قال: واللهِ ما يأمرُ محمدٌ إلَّا بمكارم الأخلاق[٢].

ورُوي عن ابن عباس والسُّدِّي أنَّها نزلت في عثمان بن عفَّان رضي الله تعالى عنه كان يتصدَّق، فقال له أخوه من الرَّضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح نحواً من كلام القائل للوليد بن المغيرة الذي بدأنا به، وذكر القصة بتمامها الزمخشريُّ[٣] ولم يذكر في سبب النزول غيرَها. قال ابن عطية[٤]: وذلك كلُّه عندي باطل، وعثمان رضي الله عنه منزَّهٌ عن مثله. انتهى.

و«أفرأيت» هنا بمعنى «أخبِرْني»، ومفعولها الأول الموصول، والثاني الجملة الاستفهامية، وهي: أعنده علم الغيب؟

و«تولَّى» أي: أعرض عن الإسلام[٥]. وقال الزمخشري: «تولَّى»: ترك المركز

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥. وينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٧٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢١، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٢٣.
(٢) هذه الأقوال الثلاثة في زاد المسير ٨/ ٧٨. وقول السدي ومحمد بن كعب في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢.
(٣) في الكشاف ٤/ ٣٣، وذكرها ـ أيضاً ـ الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢١، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٢-٤٢٣.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.
(٥) تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٤، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٣.

يومَ أحد[١]. انتهى. لمَّا جعل الآية نزلت في عثمان رضي الله عنه فسَّر التولِّي بهذا، وإذا ذُكِرَ التولِّي غيرَ مقيَّدٍ في القرآن فأكثر استعماله أنَّه استعارةٌ عن عدم الدخول في الإيمان.

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ۝٣٤﴾ قال ابن عباس: أطاع قليلاً، ثمَّ عصى. وقال مجاهد: أعطى قليلاً من نفسه بالاستماع، ثمَّ أكدى بالانقطاع. وقال الضحَّاك: أعطى قليلاً من ماله، ثمَّ منع. وقال مقاتل: أعطى قليلاً من الخير بلسانه، ثم قطع[٢].

﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: أعلِمَ من الغيب أنَّ مَنْ تحمَّل ذنوبَ آخر فإنَّ المتحمَّلَ عنه ينتفع بذلك؟ فهو لهذا الذي عَلِمَه يرى الحقَّ وله فيه بصيرة؟ أم هو جاهل[٣]؟

وقال الزمخشري: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: فهو يعلم أنَّ ما قاله أخوه من احتمال أوزارِه حقٌّ[٤]. وقيل: يعلم حالَه في الآخرة[٥].

وقال الزجَّاج: يرى رفْعَ مأثمِه في الآخرة. وقيل: فهو يرى أنَّ ما سمِعَه من القرآن باطل. وقال الكلبي: أُنزِل عليه قرآنٌ فرأى ما صنعه حتمًا. وقيل: ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ أي: ألّا جزاء[٦].

واحتمل «يرى» أن تكون بصرية، أي: فهو يبصر ما خفي عن غيره ممَّا هو غيبٌ. واحتمل أن يكون بمعنى: يعلم، أي: فهو يعلم الغيب مِثْلَ الشهادة.

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ﴾ أي: بل ألم يُخْبَر بما في صحف موسى وهي التوراة ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ أي: وفَّى صحف إبراهيم التي أنزلت عليه، وخصَّ هذين النبيَّين

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٣.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٢-٤٠٣، وزاد المسير ٨/ ٧٨. وينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٧٢-٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٣.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠١، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٧٨.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٠٣ دون قول الزجاج.

عليهما أفضل الصلاة والسلام[١]؛ قيل: لأنَّه ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجلَ بأبيه وابنه وعمِّه وخاله، والزوجَ بامرأته، والعبدَ بسيِّده، فأوَّلُ مَنْ خالفَهم إبراهيم[٢]. ومن شريعة إبراهيم إلى شريعة موسى صلى الله عليهما كانوا لا يأخذون الرجل بجريرة غيره.

﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قرأ الجمهور: «وفَّى» بتشديد الفاء. وقرأ أبو أمامة الباهلي، وسعيد بن جُبير، وأبو مالك الغِفَاري، وابن السَّمَيفع، وزيد بن علي بتخفيفها[٣].

ولم يذكر مُتعلَّق «وفَّى» ليتناول كلَّ ما يصلح أن يكون متعلَّقاً له؛ كتبليغ الرسالة، والاستقلال بأعباء الرسالة، والصبر على ذبح ولده، وعلى فراق إسماعيل وأمه، وعلى نار نُمروذ، وقيامِه بأضيافه وخدمتِه إيَّاهم بنفسه، وكان يمشي كلَّ يومٍ فرسخاً يرتاد ضيفاً، فإن وافقه أكرمه، وإلَّا نوى الصوم. وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفَّى به. وعن عطاء بن السائب: عهِدَ أن لا يسأل مخلوقاً[٤]. وقال ابن عباس والربيع: وفَّى طاعة الله في أمر ذبح ابنه. وقال الحسن وقتادة: وفَّى بتبليغ الرسالة والمجاهدة في ذات الله. وقال عكرمة: وفَّى هذه العشر الآيات ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ فما بعدها. وقال ابن عباس أيضاً وقتادة: وفَّى ما افترض عليه من الطاعة على وجهها، وكملَتْ له شعب الإيمان والإسلام، فأعطاه الله براءته من النار. وقال ابن عباس أيضاً: وفَّى شرائع الإسلام ثلاثين سهماً[٥]، يعني عشرةً في «براءة» [الآية: ١١٢] ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ إلخ، وعشرة في ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ [المؤمنون: ١] وعشرة في الأحزاب [الآية: ٣٥] ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٦].

---

(١) الكلام من تفسير أبي الليث ٢/ ٢٩٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٣٣ عن الهُذيل بن شرحبيل.
(٣) المحتسب ٢/ ٢٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦ دون ذكر زيد بن علي، وهي كذلك في القراءات الشاذة ص ١٤٧ ولم يذكر أبا أمامة.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٣.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٥-٢٠٦.
(٦) الكشاف ٤/ ٣٣.

وقال أبو أمامة ورفعه إلى النبيِّ ﷺ: «وفَّى أربعَ صلواتٍ في كلِّ يوم»[(١)]. وقال أبو بكر الورَّاق: قامَ بشرط ما ادَّعى، وذلك أنَّ الله تعالى قال له: ﴿أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١] فطالبه بصحة دعواه، فابتلاه في ماله وولده ونفسه، فوجده وافياً[(٢)]. انتهى.

وللمفسِّرين أقوال غير هذه، وينبغي أن تكون هذه الأقوال أمثلةً لما وفَّى لا على سبيل التعيين.

و«أنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، وهي بدل ممَّا في قوله: ﴿بِمَا فِى صُحُفِ﴾، أو في موضع رفع، كأنَّ قائلاً قال: ما في صُحُفِهما؟ فقيل: «ألَّا تزرُ» أي: هو أنْ لا تَزِرُ[(٣)].

وتقدَّم شرح «لا تزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى»[(٤)].

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ الظاهر أنَّ الإنسان يشمل المؤمن والكافر، وأنَّ الحصر في السَّعي، فليس له سعيُ غيره.

وقال عكرمة: كان هذا الحُكمُ في قوم إبراهيم وموسى، وأمَّا هذه الأمَّة فلها سعيُ غيرِها، يدلُّ عليه حديث سعد بن عبادة: هل لأمِّي إنْ تطوَّعْتُ عنها؟ قال: «نعم»[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦. وأخرجه بنحوه الدوري في جزء فيه قراءات النبي ﷺ (١٠٩)، والطبري ٢٢/ ٧٨، والثعلبي في تفسيره ٦/ ١٧، وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو متروك. وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٩٧١) من طريق آخر، فيه أحمد بن أبي يحيى الحضرمي شيخ الطبراني، ليَّنه أبو سعيد بن يونس.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٣٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٨.

(٤) عند تفسير الآية (١٦٤) من سورة الأنعام.

(٥) أخرجه بنحوه البخاري (٢٧٥٦) من حديث ابن عباس ﷺ، أنَّ سعد بن عبادة توفِّيت أمُّه وهو غائبٌ عنها، فقال: يا رسول الله، إنَّ أمي توفِّيت وأنا غائبٌ عنها، أينفعها شيء إن تصدَّقتُ به عنها؟ قال: «نعم». والكلام من تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦.

وقال الربيع: الإنسان هنا الكافر، وأمَّا المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيرُه[١].

وسأل والي خراسان عبدُ الله بن طاهر الحسينَ بن الفضل عن هذه الآية مع قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١] فقال: ليس له بالعدل إلَّا ما سعى، وله بالفضل ما شاء الله. فقبَّلَ عبدُ الله رأسَ الحسين. وما رُويَ عن ابن عباس أنَّها منسوخة[٢] لا يصِحُّ؛ لأنَّه خبرٌ لم يتضمَّنْ تكليفاً، وعند الجمهور أنَّها مُحكَمة. قال ابن عطية[٣]: والتحرير عندي في هذه الآية أنَّ مِلاكَ المعنى هو اللام من قوله: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾، فإذا حقَّقْت الشيء الذي هو حَقُّ الإنسان أن يقول فيه: لي كذا، لم تجِدْه إلَّا سعيَه، وما ثمَّ بعدُ من رحمةٍ بشفاعةٍ، أو رعايةِ أبٍ صالحٍ وابنٍ صالحٍ، أو تضعيف حسناتٍ، أو تغمُّدٍ بفضلٍ ورحمةٍ، دون هذا كلِّه، فليس هو للإنسان، ولا يَسَعُه أن يقول: لي كذا وكذا، إلَّا على تجوُّز وإلحاقٍ بما هو حقيقة، واحتجَّ بهذه الآية مَنْ يرى أنَّه لا يعمل أحدٌ عن أحدٍ بعد موته ببَدَنٍ أو مال، وفرَّقَ بعضُ العلماء بين البدن والمال. انتهى[٤].

والسعيُ: التكسُّب.

و«يرى» مبني للمفعول، أي: سوف يراه حاضراً يوم القيامة.

وفي عرض الأعمال تشريفٌ للمحسن، وتوبيخٌ للمسيء.

والضمير المرفوع في «يُجزاه» عائدٌ على الإنسان، والمنصوبُ عائدٌ على السعي، والجزاء مصدر.

قال الزمخشري: ويجوز أن يكون الضميرُ للجزاء، ثمَّ فسَّره بقوله: «الجزاء الأوفى» أو أبدلَه عنه، كقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾[٥][الأنبياء:٣]. وقوله: ثمَّ فسَّره بقوله: الجزاء، وإذا كان تفسيراً للضَّمير المنصوب في «يُجزاه»

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦، وزاد المسير ٨/ ٨١.

(٢) ينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ٣٥-٣٦، وتفسير الطبري ٢٢/ ٨٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٦-٢٠٧ وما قبله منه.

(٤) لم ينتهِ كلامُ ابن عطية، فالكلام الآتي من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ بنحوه.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٣-٣٤.

فعلى ماذا انتصابُه؟ وأمَّا إذا كان بدلاً فهو من باب بدل الظاهر من المُضْمَر الذي يُفسِّره الظاهر، وهي مسألةُ خلافٍ، والصحيح المنع[١].

وقرأ الجمهور: «وأنَّ إلى ربِّكَ» وما بعدها من «وأنَّه» «وأنَّ» بفتح الهمزة؛ عطفاً على ما قبلها.

وقرأ أبو السمَّال بالكسر فيهنَّ.

وفي قوله: ﴿ٱلْأَوْفَىٰ﴾ وعيدٌ للكافر ووعد للمؤمن[٢].

ومنتهى الشيء: غايتُه وما يصلُ إليه، أي: إلى حساب ربِّك والحشرِ لأجله، كما قال: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:٢٨] أي: إلى جزائه وحسابه، أو إلى ثوابه من الجنة وعقابه من النار[٣]. وهذا التفسير المناسب لما قبله في الآية.

وعن أُبيٍّ، عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾: «لا فِكْرَةَ في الرَّبِّ»[٤].

وروى أنسٌ عنه ﷺ «إذا ذُكِرَ الربُّ فانتهوا»[٥].

---

(١) تعقَّبه السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ١٠٤-١٠٥ بقوله: العجب كيف يقول: فعلى ماذا ينتصب؟ فانتصابه من وجهين ـ وهو الظاهر البيِّن ـ أن يكون عطفَ بيان، وعطفُ البيان يصدُق عليه أنَّه مُفَسِّر، وهي عبارة سائغة شائعة. والثاني: أن ينتصب بإضمار أعني، وهي عبارةٌ سائغةٌ أيضاً يسمُّون مثل ذلك تفسيراً.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

(٣) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٣٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

(٤) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥، ومن طريقه البغوي في تفسيره ٤/ ٢٥٥. وأخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦) عن سفيان الثوري قوله.
وفي معناه أخرج البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: مَنْ خلقَ كذا؟ مَنْ خلقَ كذا؟ حتى يقول: مَنْ خلقَ ربَّك؟ فإذا بلغَه فليستعِذْ بالله».

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥، وابن عدي في الكامل ٤/ ١٣٠١، وفي إسناده سنان بن سعد ـ ويقال: سعد بن سنان ـ ضعَّفه أحمد والدارقطني والجوزجاني، وقال محمد بن سعد والنسائي: منكر الحديث. وقال أحمد: روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها، ما أعرف منها

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ الظاهر حقيقة الضحك والبكاء[١]. قال مجاهد: أضحك أهلَ الجنة، وأبكى أهلَ النار[٢]. وقيل: كنَى بالضحك عن السرور، وبالبكاء عن الحزن[٣]. وقيل: أضحك الأرضَ بالنبات، وأبكى السماءَ بالمطر[٤]. وقيل: أحيا بالإيمان، وأبكى بالكفر[٥].

وقال الزمخشري: ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾: خلقَ قوَّتي الضحك والبكاء[٦]. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال؛ إذ أفعالُ العباد من الضحكِ والبكاءِ وغيرِهما مخلوقةٌ للعبد عندهم لا لله تعالى؛ فلذلك قال: خلقَ قُوَّتي الضحك والبكاء.

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ المصطحِبَين من رجلٍ وامرأةٍ وغيرِهما من الحيوان[٧].

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: إذا تُدْفق، وهو المني، يُقال: أمنى الرجل ومَنَى. وقال الأخفش: ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: تُخلَق وتُقدَّر من مني الماني، أي: قدَّرَ المقدِّر[٨].

﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ أي: إعادة الأجسام إلى الحشر بعد البِلى[٩]. وجاء بلفظ «عليه» المشعرة بالتحتُّم لوجود الشيء.

= واحداً. ولم يوثِّقه سوى ابن معين وابن حبان والعجلي. ينظر تهذيب التهذيب ١/ ٦٩٣.
وأخرجه بنحوه إسحاق بن راهويه في مسنده (٣٩٥)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٣٥٠) من طريق عطاء الخراساني، عن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً. وإسناده منقطع؛ لأن عطاء لم يسمع من أبي هريرة.

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧، وزاد المسير ٨/ ٨٣.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٥، وزاد المسير ٨/ ٨٣ عن الضحاك.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧ ونقله عن الثعلبي، ولم أجده في تفسيره.
(٦) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.
(٨) الكشاف ٤/ ٣٤.
(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

لمَّا كانت هذه النشأةُ يُنكرها الكفارُ بُولِغَ بقوله: «عليه» بوجودها لا محالة، وكأنَّه تعالى أوجبَ ذلك على نفسه.

وتقدَّم الخلافُ في قراءة «النشأة» في سورة العنكبوت[١].

وقال الزمخشري: وقال: «عليه»؛ لأنَّها واجبةٌ عليه في الحكمة؛ ليُجازي على الإحسان والإساءة[٢]. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ أي: أكسَبَ القِنْية، يقال: قَنيتُ المالَ، أي: كسِبْتُه، وأقْنَيْتُه إيَّاه، أي: أكسَبْتُه إيَّاه[٣].

ولم يذكر متعلِّق «أغنى وأقنى»؛ لأنَّ المقصودَ نسبةُ هذين الفعلين له تعالى. وقد تكلَّم المفسِّرون على ذلك فقالوا اثني عشر قولاً، كقولهم: أغنى نفسَه، وأفقرَ خلقَه إليه[٤]. وكلُّ قولٍ منها لا دليلَ على تعيُّنه، فينبغي أن تُجعلَ أمثلة.

و﴿ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ التي عُبِدَت هي العَبور[٥]. قال السُّدِّي: كانت تعبدها حِمْيَر وخُزاعة. وقال غيره: أوَّلُ مَنْ عبَدَها أبو كَبْشة ـ أحدُ أجدادِ النبيِّ ﷺ من قِبَلِ أمَّهاته، وكان اسمُه عبد الشِّعْرى؛ ولذلك كان مشركو قريش يسمُّونه عليه السلام ابنَ أبي كبشة، ومن ذلك كلام أبي سفيان: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشة ـ ومن العرب من كان يُعَظِّمها ولا يعبدُها ويعتقدُ تأثيرَها في العالم[٦]. وأنَّها من الكواكب الناطقة يزعم

---

(١) عند تفسير الآية (٢٠) منها.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٧.

(٤) هو قول سليمان التيمي فيما أخرجه الطبري ٢٢/ ٨٤، وأبو الشيخ في العظمة (١٧٦)، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٠٥.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٤.

(٦) الكلام بتمامه من تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٢، وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٠٥ دون ما جاء بين معترضتين، فهو في النهاية لابن الأثير (كبش)، وقول أبي سفيان أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٢)، وأحمد (٢٣٧٠) في سياق حديث طويل عن ابن عباس ﵄. ومعناه: كثر وارتفع شأنه.

ذلك المنجِّمون ويتكلَّمون على المغيَّبات عند طلوعها، وهي تقطع السماءَ طولاً، والنجومُ كلُّها تقطعها عرضاً[١]. وقال مجاهد وابن زيد: هو مِرْزَم الجوزاء[٢].

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ جاء بين «أنَّ» وخبرِها لفظُ «هو»، وذلك في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ ففي الثلاثة الأُوَل لمَّا كان قد يَدَّعي ذلك بعضُ الناس كقول نمروذ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨] احتيجَ إلى تأكيدٍ في أنَّ ذلك إنَّما هو الله لا غيرُه، فهو الذي يُضحك ويُبكي، وهو المُميت المُحيي، والمُغني والمُقْني حقيقةً، وإنِ ادَّعى ذلك أحدٌ فلا حقيقةَ له، وأمَّا ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ فلأنَّها لمَّا عُبِدَتْ من دون الله تعالى نَصَّ على أنَّه تعالى هو ربُّها وموجِدُها. ولمَّا كان خَلْقُ الزَّوجين والإنشاءُ الآخر وإهلاكُ عاد ومَنْ ذكر لا يُمكِنُ أن يَدَّعي ذلك أحدٌ لم يُحتَجْ إلى تأكيدٍ ولا تنصيصٍ أنَّه تعالى هو فاعلُ ذلك.

وعادٌ الأولى: هم قوم هود، وعادٌ الأخرى: إرَم. وقيل: الأولى: القدماء؛ لأنَّهم أولُ الأمم هلاكاً بعد قوم نوح عليه السلام. وقيل: الأولى: المتقدِّمون في الدنيا الأشراف. قاله الزمخشريُّ[٣].

وقال ابن زيد والجمهور: لأنَّها في وجه الدَّهر وقديمِهِ، فهي أُولى بالإضافة إلى الأمم المتأخِّرة. وقال الطبري[٤]: وُصِفَتْ بالأُولى لأنَّ عاداً الآخرة قبيلةٌ كانت بمكة مع العماليق، وهو بنو لُقَيم بن هَزَّال. وقال المبرِّد: عاد الأخيرة: هي ثمود، والدليل عليه قول زهير:

كأحْمَرِ عادٍ ثمَّ تُرْضِعْ فتَفْطِمِ[٥]

(١) من قوله: وهي تقطع... إلى هنا في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٦.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨. وأخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٨٥-٨٦.
(٣) في الكشاف ٤/ ٣٤.
(٤) في تفسيره ٢٢/ ٨٧-٨٨، ونقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٨ والكلام منه.
(٥) ديوان زهير ص ٢٠، وصدره:
فتُنْتَجْ لكم غِلْمانَ أشأَمَ كُلُّهُمْ

ذكره الزَّهراوي. وقيل: عاد الأخيرة: الجبَّارون[١]. وقيل: قبل الأولى؛ لأنَّهم كانوا من قبل ثمود. وقيل: ثمود من قبل عاد. وقيل: عاد الأولى: هو عاد بن إرَم بن عَوْص بن سام بن نوحٍ، وعاد الثانية من ولد عاد الأولى[٢].

وقرأ الجمهور: «عاداً الأولى» بتنوين «عاداً»، وكَسْرِه لالتقائه ساكناً مع سكون لام «الأولى» وتحقيق الهمزة بعد اللام. وقرأ قومٌ كذلك غير أنَّهم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام وحذفوا الهمزة. وقرأ نافع وأبو عمرو بإدغام التنوين في اللام المنقول إليها حركة الهمزة المحذوفة. وعاب هذه القراءة المازني والمبرِّد، وقالت العرب في الابتداء بعد النقل: الَحْمَر ولَحْمر، فهذه القراءة جاءت على لَحْمر، فلا عيبَ فيها. وهمز قالون عين الأولى بدل الواو الساكنة، ولمَّا لم يكن بين الضمة والواو حائلٌ تخيَّلَ أنَّ الضمة على الواو فهمزها كما قال:

أَحَبُّ المُؤْقِدِينَ إِلَيَّ مُؤْسى[٣]

وكما قرأ بعضهم: «على سؤقه»[٤]. وهو توجيه شذوذ.

وفي حرف أُبيٍّ: «عادَ» غير مصروف، جعله اسمَ قبيلة، فمَنَعُه الصرف للتأنيث والعلمية، والدليل على التأنيث وصْفُه بالأُولى.

وقرأ الجمهور: «وثموداً» مصروفاً. وقرأه غيرَ مصروفٍ الحسنُ، وعاصمٌ، [وحمزة][٥]، وعِصْمة.

---

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/٢٠٨.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/٦٣.

(٣) قائله جرير، وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ١/٢٨٨، وعجزه:

وجَعْدَةُ لو أضاءَهُما الوقودُ

وسلف عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الفتح.

(٤) وهو قنبل عن ابن كثير كما في السبعة ص ٦٠٥، والتيسير ص ١٦٨. وسلفت في موضعها عند الآية (٤٤) من سورة الفتح. والكلام من المحرر الوجيز ٥/٢٠٨ وينظر السبعة ص٦١٥، والتيسير ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٥/٢٠٨، ونقلها عن المصنف الآلوسيُّ في روح =

﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ الظاهر أنَّ مُتعلّق «أبقى» يرجع إلى عادٍ وثمود معاً، أي: فما أبقى عليهم، أي: أخذهم بذنوبهم.

وقيل: ﴿فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ أي: فما أبقى منهم عيناً تَطْرِف. وقال ذلك الحجاج بن يوسف حين قيل له: إنَّ ثقيفاً من نسل ثمود، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾ وهؤلاء يقولون: بقِيَتْ منهم بقيَّة، والظاهر القول الأول؛ لأنَّ ثمود كان قد آمن منهم جماعةٌ بصالح عليه السلام، فما أهلَكَهم اللهُ مع الذين كفروا به(١).

﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ﴾ أي: من قبل عاد وثمود، وكانوا أولَ أمَّةٍ كذَّبَتْ من أهل الأرض، ونوحٌ عليه السلام أولُ الرسل(٢).

والظاهر أنَّ الضمير في «إنَّهم» عائدٌ على قوم نوح، وجَعْلُهم أظلَم وأطغى؛ لأنَّهم كانوا في غاية العتُوِّ والإيذاء لنوحٍ عليه السلام يضربونه حتى لا يكاد يتحرَّك، ولا يتأثَّرون لشيءٍ ممَّا يدعوهم إليه(٣).

وقال قتادة: دعاهم ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عاماً، كلَّما هَلَك قرنٌ نشأ قرنٌ، حتى كان الرجلُ يأخذ بيد ابنه يتمشَّى به إليه يحذِّره منه ويقول: يا بُنيَّ، إنَّ أبي مشى بي إلى هذا، وأنا مِثْلُك يومئذٍ، فإيَّاك أن تُصدِّقه(٤). فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية أبيه.

وقيل: الضمير في «إنَّهم» عائدٌ على مَنْ تقدَّم: عاد وثمود وقوم نوح، أي: كانوا أكفرَ من قريشٍ وأطغى، ففي ذلك تسليةٌ لرسول الله ﷺ.

و«هُم» يجوز أن يكون تأكيداً للضمير المنصوب. ويجوز أن يكون فصلاً؛ لأنَّه

= المعاني ٢٦/ ١٦٧. وقراءة عاصم وحمزة في السبعة ص ٦١٥، والتيسير ص ٢٠٥.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

(٢) الكلام في الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

(٣) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩، والكشاف ٤/ ٣٤.

(٤) أخرجه الطبري ٤/ ٨٩، وهو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨١. والكلام من تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٤، وما بعده منه بنحوه.

واقعٌ بين معرفةٍ وأفعل التفضيل، وحُذِفَ المفضولُ بعد الواقع خبراً لـ«كان»؛ لأنَّه جارٍ مجرى خبر المبتدأ، وحَذْفُه فصيحٌ فيه، فكذلك في خبر «كان».

و﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: هي مدائن قوم لوط بإجماع من المفسِّرين، وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّها انقلبت، ومنه الإفك؛ لأنَّه قَلْبُ الحقِّ كذباً، أفكَتْ فائتُفِكَتْ[1]. قيل: ويحتمل أن يُراد بالمؤتفكة: كلُّ ما انقلبَتْ مساكِنُه ودَثَرَتْ أماكِنُه[2].

﴿أَهْوَىٰ﴾ أي: خسَفَ بهم بعد رَفْعِها[3] إلى السماء، رفعَها جبريلُ عليه السلام، ثمَّ أهوى بها إلى الأرض. وقال المبرِّد: جعلَها تهوي.

وقرأ الحسن: «والمؤتفكات» جمعاً[4].

والظاهر أنَّ «أهوى» ناصبٌ لـ «المؤتفكة»، وأُخِّرَ العاملُ لكونه فاصلةً، ويجوز أن يكون و«المؤتفِكة» معطوفاً على ما قبله، و«أهوى» جملةٌ في موضع الحال تُوضح كيفية إهلاكهم، أي: وإهلاك المؤتفكة مُهوياً لها.

﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويلٌ للعذاب الذي حَلَّ بهم لمَّا قَلَبها جبريلُ عليه السلام أُتبِعَتْ حجارةً غشيَتْهم، واحتمل أن يكون التضعيف في «غشَّاها» للتعدية، فتكون «ما» مفعولة، والفاعل ضمير يعود على الله تعالى. واحتمل أن يكون فَعَّل المشدَّد بمعنى المجرَّد فيتعدَّى إلى واحدٍ، فيكون الفاعلُ «ما»، كقوله تعالى: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨].

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ الباء ظرفية، والخطاب للسامع. و«تتمارى»: تتشكَّك، وهو استفهام في معنى الإنكار، أي: آلاؤه ـ وهي النِّعم ـ لا يتشكَّك فيها سامع.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٤.
(٣) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: رفعهم. والتصويب من تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٦٤ والكلام بتمامه منه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

وقد سبق ذِكْرُ نِعَمٍ ونِقَمٍ وأُطلِقَ عليها كلِّها «آلاء»؛ لما في النِّقَم من الزَّجر والوعظ لمن اعتبر[١].

وقرأ يعقوب وابن مُحَيْصن: «ربِّك تَّمارى» بتاء واحدة مشدَّدة[٢].

وقال أبو مالك الغفاري: إنَّ قوله: ﴿أَلَّا تَزِرُ﴾ [الآية:٣٨] إلى قوله: ﴿تَتَمَارَىٰ﴾ هو في صحف إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام[٣].

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ قال قتادة ومحمد بن كعب وأبو جعفر: الإشارة إلى رسول الله ﷺ؛ افتتح أول السورة به واختتم آخِرَها به. وقيل: الإشارة إلى القرآن. وقال أبو مالك: إلى ما سلف من الأخبار عن الأمم[٤]. أي: هذا إنذار من الإنذارات السابقة[٥].

والنَّذير يكون مصدراً أو اسمَ فاعل[٦] وكلاهما من أنذر، ولا ينقاسان، بل القياس في المصدر إنذار، وفي اسم الفاعل مُنْذِر، والنُّذُر إمَّا جمعٌ للمصدر، أو جمعٌ لاسم الفاعل، فإن كان اسمَ فاعلٍ فوَصْفُ النُّذرِ بالأولى على معنى الجماعة.

ولـمَّا ذكر إهلاك مَنْ تقدَّم ذِكْرُه وذكر قوله: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ﴾ ذكر أنَّ الذي أنذَرَ قريبُ الوقوع، فقال: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ أي: قَرُبَتِ الموصوفة بالقُرب في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر:١] وهي القيامة ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: نفس كاشفة تكشف وقتها وتعلمه. قاله الطبري والزجَّاج. وقال منذر بن سعيد: هو من كشفِ الضرِّ ودفعِه، أي: ليس لها مَنْ يكشِفُ خَطْبَها وهَوْلَها. انتهى. ويجوز أن تكون الهاء في «كاشفة» للمبالغة. وقال الرُّمَّاني وجماعة: ويحتمل أن يكون مصدراً

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٣٥.
(٢) القراءة عن يعقوب في النشر ١/ ٣٠٠، وعن ابن محيصن في القراءات الشاذة ص ١٤٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩، وما بعده منه.
(٤) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.
(٥) الكشاف ٤/ ٣٥.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩.

كالعاقبة، و﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر:١٩]، أي: ليس لها كشفٌ من دون الله. وقيل: يحتمل أن يكون التقدير: حالٌ كاشفةٌ[١].

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ وهو القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ فتنكرون ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ مستهزئين ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ جزعاً من وعيده[٢].

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ قال مجاهد: معرضون. وقال عكرمة: لاهون. وقال قتادة: غافلون. وقال السُّدِّي: مستكبرون. وقال ابن عباس: ساهون. وقال المبرِّد: خامدون[٣]. وكانوا إذا سمعوا القرآن غَنَّوا تشاغلاً عنه[٤]. ورُوي أنَّه عليه الصلاة والسلام لم يُرَ ضاحكاً بعد نزولها[٥].

﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: صلُّوا له و﴿وَٱعْبُدُوا۟﴾ أي: أفردوه بالعبادة، ولا تعبدوا اللَّات والعُزَّى ومَناةَ والشِّعْرى وغيرَها من الأصنام.

وخرَّج البغويُّ[٦] بإسنادٍ متَّصلٍ إلى عبد الله قال: أوَّلُ سورةٍ أُنزِلَ فيها السجدة «النجم»، فسجد رسولُ الله ﷺ وسجدَ مَنْ خَلْفَه، إلَّا رجلاً رأيتُه أخذَ كفًّا من تراب فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قُتِلَ كافراً، والرجل أمية بن خلف.

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٠٩-٢١٠ مع تقديم وتأخير، وقول الطبري بنحوه في تفسيره ٢٢/ ٩٥-٩٦، وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ٧٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٥، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٦.

(٣) الأقوال في النكت والعيون ٥/ ٤٠٧ دون قول ابن عباس ﷺ وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩. وقول مجاهد في زاد المسير ٨/ ٨٦، وأخرجه الطبري ٢٢/ ٩٩.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٥، والبزار كما في كشف الأستار (٢٢٦٤)، والطبري ٢٢/ ٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٢٣ عن ابن عباس ﷺ.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٣٥. وأخرجه وكيع في الزهد (٣٦)، وابن أبي شيبة (٣٥٤٩٧)، وهناد في الزهد (٤٧٣)، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٠ عن صالح أبي الخليل مرفوعاً. وإسناده معضل.
وذكر ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦١ طريقاً آخر، فقال: ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٦) في تفسيره ٤/ ٢٥٦. قلت: وهو عند البخاري (٤٨٦٣)، ومسلم (٥٧٦)، وأحمد (٣٦٨٢).

ورُويَ أنَّ المشركين سجدوا مع رسول الله ﷺ[١].

وفي حرف أُبيٍّ وعبد الله: «تضحكون» بغير واو[٢].

وقرأ الحسن: «تُعْجِبون» «تُضْحِكون» بغير واوٍ وبضمِّ التاء وكسر الجيم والحاء.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ حضٌّ على البكاء عند سماع القرآن. والسجود هنا عند كثير من أهل العلم، منهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، ووردت به أحاديثُ صِحاح، وليس يراها مالكٌ هنا[٣]. وعن زيد بن ثابت أنَّه قرأ بها عند رسول الله ﷺ فلَمْ يسجد[٤]. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس ﵄.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.

(٣) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٢٣، والخبر عن عمر ﵁ أخرجه مالك في الموطأ ١/ ٢٠٦.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٧٢) و(١٠٧٣)، ومسلم (٥٧٧)، وأحمد (٢١٥٩١). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٠.

مفردات سورة القمر

الجَدَث: القبر، وتُبدَلُ ثاؤه فاءً، فيقال: جَدَف، كما أبدلوا في «ثَمّ» فقالوا: «فَمّ»[١].

انهمرَ الماء: نزلَ بقوَّةٍ غزيراً، قال الشاعر:

راحَ تَمريهِ الصَّبا ثمَّ انْتَحى فيهِ شُؤبوبُ جَنوبٍ مُنْهَمِرْ[٢]

الدُّسُر: المسامير التي تُشدُّ بها السفينة، واحِدُها دِسار، نحو كِتاب وكُتُب، ويقال: دَسرْتُ السفينة: إذا شددتُها بالمسامير[٣].

وقال الليث[٤] وصاحب «الصحاح»[٥]: «الدُّسُر»: خيوطٌ تُشَدُّ بها ألواحُ السفينة.

الصَّرصر: الشديدة الصوت، أو البرد. إمَّا من صرير الباب وهو تصويته، أو من الصِّرِّ الذي هو البرد[٦]. وهو بناء متأصِّل على وزن فَعْلَل عند الجمهور.

---

(١) الصحاح (جدف)، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. والبيت لامرىء القيس، وهو في ديوانه ص ١٤٥، قال شارحه: راح: يعني السحاب. وتَمْريه: تحركة وتديره. والصَّبا: أحمَدُ الرياح عند العرب، وأجلبُها للخير. والشُّؤبوب: دفعةُ المطر وشدَّتُه.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٥.

(٤) فيما نقل عنه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٨٣، وفيه: وقال الليث: الدِّسار: خيط من ليفٍ تُشَدُّ به ألواح السفينة.

(٥) مادة (دسر).

(٦) الصحاح (صرر).

العَجُز: مُؤخَّر الشيء[١].

المُنْقَعِر: المُنْقَلِع من أصله، قعرتُ الشجرةَ قعراً: قلَعْتُها من أصلها فانقعرَتْ. والبئرَ: نزلتُ حتى انتهيتُ إلى قعرها. والإناءَ: شربتُ ما فيه حتى انتهيتُ إلى قعره. وأقعَرْتُ البئرَ: جعلتُ لها قَعْراً[٢].

الأشَر: البَطَر. وقد أشِرَ ـ بالكسر ـ يأشَرُ أشراً، فهو أشِرٌ وآشِرٌ وأشْران، وقوم أشَارى مثل سَكران وسُكارى[٣].

سَقَر: علمٌ لجهنم مُشتَقٌّ من سَقَرَتْه النار ـ بالسين ـ وصَقَرتْه ـ بالصاد ـ إذا لوَّحَتْه[٤]. قال ذو الرُّمَّة:

إذا ذابتِ الشَّمسُ اتَّقى صَقَراتِها   بأفنانِ مَرْبوعِ الصَّريمةِ مُعْيِلِ[٥]

وامتنعت «سَقَر» من الصرف للعلمية والتأنيث[٦]، تنزَّلَتْ حركةُ وسطه تنزُّل الحرف الرابع في زينب.

* * *

سورة القمر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢

(١) الصحاح (عجز).
(٢) الصحاح (قعر).
(٣) الصحاح (أشر).
(٤) الصحاح (سقر) و(صقر).
(٥) ديوان ذي الرمَّة ٣/١٤٥٨. قال شارحه: وقوله: إذا ذابت الشمس، أي: كأنها سيلٌ من شدة الحر. والصَّقْرة: شدة وقع الشمس. مربوع: أصابها الربيع فاخضرَّت. والصَّريمة: قطعة من الرمل تنقطع فتنفرد. وأعيَلَتِ الشجرة: إذا خرج ورقُها.
(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٢.

وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية في قول الجمهور. وقيل: هي ممَّا نزل يوم بدر[١]. وقال مقاتل: مكية إلّا ثلاث آيات، أولها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ﴾ وآخرها ﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[٢] [الآية: ٤٦].

وسبب نزولها أنَّ مشركي قريش قالوا للرسول ﷺ: إن كنتَ صادقاً فشُقَّ لنا القمر فرقتين، ووعدوه بالإيمان إن فَعَل، وكانت ليلةَ بدر، فسأل ربَّه، فانشقَّ القمرُ، نصفٌ على الصَّفا ونصفٌ على قُعَيْقِعان[٣]. فقال أهل مكة: آيةٌ سماويةٌ لا يعمل فيها السحر، فقال أبو جهل: اصبروا حتى تأتينا أهلُ البوادي، فإنْ أَخبروا بانشقاقه فهو صحيح، وإلّا فقد سحَرَ محمدٌ أعيُنَنا. فجاؤوا فأخبروا بانشقاق القمر، فأعرض أبو جهل وقال: سحرٌ مُسْتمر[٤].

وعن ابن عباس: شُقَّ القمرُ باثنتين، شطرة على السُّويداء، وشطرة على

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١١.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٠٨.

(٣) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: قيقعان. والخبر أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (٢٠٩) عن ابن عباس ﷺ. وضعَّفه ابن حجر في فتح الباري ٧/ ١٨٣. وقُعَيْقِعان: جبل بمكة. معجم البلدان ٤/ ٣٧٩.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٧ بنحوه.

الخَنْدَمة[١]. وعنه: انشقَّ القمرُ بمكة مرَّتين. وعنه: انفلق فلقتين، فلقة ذهبت وفلقة بقيت[٢].

ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها ظاهرةٌ، قال: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ﴾ [النجم:٥٧] وقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[٣].

وممَّن عاين انشقاقَ القمر ابنُ مسعود وجُبير بن مُطْعِم، وأخبر به ابنُ عمر وأنسٌ وحذيفةُ وابنُ عباس[٤].

وحين أرى اللهُ الناسَ انشقاقَ القمر قال الرسول ﷺ: «اشهدوا»[٥] وقال المشركون إذ ذاك: سحَرَنا محمد[٦]. وقال بعضهم: سحر القمر[٧].

والأمَّة مُجمِعةٌ على خلاف مَنْ زعم أنَّ قولَه: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ معناه أنَّه ينشقُّ يوم القيامة، ويردُّه من الآية قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[٨] فلا يناسب هذا الكلام أن يأتيَ إلَّا بعد ظهور ما سألوهُ معيَّناً من انشقاق القمر.

---

(١) تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: الحديبية. والخبر أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٢. والخَنْدمة: جبل بمكة. معجم البلدان ٢/ ٣٩٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٥-٣٦.

(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٨.

(٤) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١١. وحديث ابن مسعود أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠)، وأحمد (٣٥٨٣). وحديث جبير بن مطعم أخرجه أحمد (١٦٧٥٠)، والترمذي (٣٢٨٩). وحديث ابن عمر أخرجه مسلم (٢٨٠١). وحديث أنس أخرجه البخاري (٣٦٣٧)، ومسلم (٢٨٠٢)، وأحمد (١٢٦٨٨). وحديث حذيفة أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٤٤)، والزجاج في معاني القرآن ٥/ ٨٤، والطبري ٢٢/ ١٠٧-١٠٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٠٦) و(٧٠٧). وحديث ابن عباس أخرجه البخاري (٣٦٣٨)، ومسلم (٢٨٠٣).

(٥) هو جزء من حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) هو جزء من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٢٣٦٣)، والحاكم ٢/ ٤٧١ عن ابن مسعود رضي الله عنه. والطبراني في المعجم الكبير (١١٦٤٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٨) الكشاف ٤/ ٣٦ بنحوه.

وقيل: سألوا آيةً في الجملة، فأراهم هذه الآية السماوية وهي من أعظم الآيات، وذلك التأثير في العالم العلوي.

وقرأ حذيفة: «وقد انشقَّ القمر»(١) أي: اقتربت وتقدَّم من آيات اقترابها انشقاقُ القمر، كما تقول: أقبل الأمير وقد جاء المُبشِّر بقدومه. وخطب حذيفةُ بالمدائن ثم قال: ألا إنَّ الساعةَ قد اقتربت، وإنَّ القمر قد انشقَّ على عهدِ نبيِّكم(٢).

ولا التفاتَ إلى قول الحسن: إنَّ المعنى: إذا جاءت الساعة انشقَّ القمر بعد النفخة الثانية(٣). ولا إلى قول مَنْ قال: إنَّ انشقاقَه عبارةٌ عن انشقاق الظُّلمة عند طلوعه في أثنائها، فالمعنى: ظهر الأمرُ، فإنَّ العرب تضرب القمر مثلاً فيما وضح، كما يُسمَّى الصبحُ فلَقاً عند انفلاق الظُّلمة عنه، وقد يُعبَّر عن الانفلاق بالانشقاق، قال النابغة(٤):

فلمَّا أدبروا ولهم دَوِيٌّ ... دعانا عندَ شَقِّ الصُّبحِ داعي

وهذه أقوال فاسدة، ولولا أنَّ المفسِّرين ذكروها لأضربتُ عن ذكرها صفحاً.

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ وقُرِىء: «وإن يُرَوا» مبنيًّا للمفعول، أي: من شأنهم وحالتهم أنَّهم متى ما رأوا ما يدلُّ على صدق الرسول ﷺ من الآيات الباهرة أعرضوا عن الإيمان به وبتلك الآية. وجاءت الجملة شرطيةً ليدُلَّ على أنَّهم في الاستقبال على مثل حالهم في الماضي.

﴿وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي: دائمٌ، ومنه قول الشاعر:

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٧.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٢٨٥)، وابن أبي شيبة (٣٥٩٤٤)، والزجاج في معاني القرآن ٥/ ٨٤، والطبري ٢٢/ ١٠٧-١٠٨، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٧٠٦) و(٧٠٧). والكلام بتمامه في الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) القول ذكره القرطبي ٢٠/ ٧٢.

(٤) هو الجعدي كما ذكر الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٠٩ والكلام منه. ولم أجده في ديوان النابغة.

ألا إنَّـمـا الـدنـيـا لـيـالٍ وأعـصُـرٌ وليـس عـلـى شـيءٍ قَـوِيـمٍ بـمُـسـتـمِـرّْ

أي: بدائم[١].

لمَّا رأوا الآياتِ متواليةً لا تنقطع قالوا ذلك[٢]. وقال أبو العالية والضحاك والأخفش: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: مشدودٌ مُوثَقٌ، من مرائر الحبل، أي: سِحْرٌ قد أُحكِم، ومنه قول الشاعر:

حتى استـمـرَّتْ عـلـى شَـزرٍ مَـريـرَتُـهُ صِـدْقُ الـعـزيـمـةِ لا رَتًّـا ولا ضَـرَعـا[٣]

وقال أنس ويمان وقتادة ومجاهد والكسائي والفرَّاء واختاره النحاس: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: مارٌّ ذاهبٌ زائلٌ عن قريب[٤]؛ علَّلوا بذلك أنفُسَهم.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: شديد المرارة، أي: مُسْتَبْشعٌ عندنا مُرٌّ، يقال: مَرَّ الشيءُ وأمَرَّ: إذا صارَ مُرًّا، وأمَرَّ غيرَه ومَرَّه يكون لازماً ومتعدياً[٥].

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ يشبه بعضُه بعضاً[٦]، أي: استمرَّتْ أفعالُه على هذا الوجه من التخيُّلات.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٠، والبيت لامرىء القيس، وهو في ديوانه ص ١٠٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) البيت للقيط بن زرارة، وهو في الكامل للمبرِّد ٢/ ٦٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٢ والكلام منه دون قول الأخفش، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣ و٧٤، وفيه: مُرُّ، بدل: صِدْقُ. وفي الكامل: لا قَحماً، بدل: لارتًّا. والقَحْمُ: الكبير المسن. والرَّتُّ: الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء. والضَّرَعُ: الصغيرُ السِّنِّ الضعيف. اللسان (قحم) و(رتت) و(ضرع). وقول الأخفش في النكت والعيون ٥/ ٤١٠.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٤ و٧٥ بنحوه. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٢، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٨ عن قتادة ومجاهد والكسائي والفراء. وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٠٤. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١١٣ عن مجاهد وقتادة.

(٥) الكشاف ٤/ ٣٦ بنحوه.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١٠. والكلام من تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٥.

وقيل: ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾: مارٌّ من الأرض إلى السماء[١]، أي: بلغَ من سحره أنَّه سحَرَ القمر.

﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ أي: بالآيات وبمن جاء بها، أي: قالوا: هذا سِحْرٌ مستمِر، سحَرَنا محمد.

﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ أي: شهواتِ أنفسِهم وما يَهْوَون[٢].

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ قرأ الجمهور: «مُستَقِرّ» بكسر القاف وضمِّ الراء، مبتدأ وخبر.

قال مقاتل: أي: له غايةٌ ينتهي إليها[٣]. وقال الكلبي: مستقرٌّ له حقيقةٌ، فما كان في الدنيا فسيظهر، وما كان في الآخرة فسيُعْرَف[٤]. وقال قتادة: معناه: أنَّ الخيرَ يستقِرُّ بأهل الخير، والشرَّ بأهل الشرّ[٥]. وقيل: يستقرُّ الحقُّ ظاهراً ثابتاً، والباطلُ زاهقاً ذاهباً[٦]. وقيل: وكلُّ أمرٍ من أمرِهم وأمْرِه يستقِرُّ على خِذلانٍ أو نُصرةٍ في الدنيا، وسعادةٍ أو شقاوةٍ في الآخرة[٧].

وقرأ شيبة: «مُستَقَرّ» بفتح القاف. ورُويَتْ عن نافعٍ. وقال أبو حاتم: لا وجهَ لفَتْحِ القاف[٨]. انتهى. وخُرِّجَتْ على حذف مضاف، أي: ذو استقرارٍ، وزمانَ استقرارٍ.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٠ عن مجاهد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٢٥٨.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٤١٠، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٧، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٨. وأخرجه الطبري ٢٢/ ١١٤-١١٥.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢.

(٧) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢ ولم يذكر القراءة عن شيبة، وهي عنه في تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٥، والمشهور عن نافع ـ بكسر القاف ـ كقراءة الجمهور.

وقرأ أبو جعفر وزيد بن علي: «مُسْتَقِرٍّ» بكسر القاف والراء معاً صفة لـ«أمرٍ»[١]. وخرَّجَه الزمخشريّ[٢] على أن يكون «وكلٌّ» عطفاً على الساعة، أي: اقتربتِ الساعةُ واقتربَ كلُّ أمرٍ مستقرٌ يستقِرُّ ويتبيَّنُ حالُه. وهذا بعيدٌ؛ لطول الفصل بجُمَلٍ ثلاث، وبعيدٌ أن يوجد مثلُ هذا التركيب في كلام العرب، نحو: أكلتُ خبزاً، وضربتُ خالداً، وإنْ يَجِيءْ زيدٌ أُكْرِمْه، ورحَلَ إلى بني فلان، ولحماً. فيكون «ولحماً» عطفاً على «خبزاً»، بل لا يوجَدُ مثلُه في كلام العرب.

وخرَّجه صاحبُ «اللوامح» على أنَّه خبرٌ لـ«كلٌّ» فهو مرفوعٌ في الأصل، لكنَّه جُرَّ للمجاورة، وهذا ليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ الخفْضَ على الجوار في غاية الشذوذ، ولأنَّه لم يُعهَدْ في خبر المبتدأ، إنَّما عُهِدَ في الصفة على اختلاف بين[٣] النُّحاة في وجوده، والأسهلُ أن يكون الخبرُ مُضمراً لدلالة المعنى عليه، والتقدير: وكلُّ أمرٍ مستقِرٌّ بالِغوه؛ لأنَّ قبلَه «وكذَّبوا واتَّبعوا أهواءَهم» أي: وكلُّ أمرٍ مستقرٌّ لهم في القدر من خيرٍ أو شرٍّ بالِغُه هم.

وقيل: الخبر «حكمةٌ بالغةٌ»، ويكون «ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مُزْدَجَر» اعتراضٌ بين المبتدأ وخبره.

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: من الأخبار الواردة في القرآن في إهلاك مَنْ كذَّبَ الأنبياء وما يؤولون إليه في الآخرة ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ أي: ازدجارٌ رادعٌ لهم عمَّا هم فيه، أو موضع ازدجارٍ وارتداع، أي: ذلك موضعُ ازدجارٍ أو مَظِنةٌ له[٤].

وقرىء: «مُزَّجَر» بإبدال تاء الافتعال زاياً وإدغام الزاي فيها.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٧ عن أبي جعفر، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

(٢) في الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) كلمة «بين» من (د٣) و(يه).

(٤) الكشاف ٤/ ٣٦ بنحوه.

وقرأ زيد بن علي: «مُزْجِر» اسم فاعل من أزْجَر، أي: صار ذا زَجْرٍ، كأعشب، أي: صار ذا عُشْبٍ[١].

وقرأ الجمهور: «حكمةٌ بالغةٌ» برفعهما.

وجَوَّزوا أن تكون «حكمةٌ» بدلاً من «مُزْدَجر»، أو من «ما»، أو خبرَ مبتدأٍ محذوف[٢]. وتقدَّم قولُ مَنْ جعلَه خبراً عن «كل» في قراءة من قرأ: «مستقرٍّ» بالجر.

وقرأ اليماني: «حكمةً بالغةً»، بالنصب فيهما، حالاً من «ما»، سواء كانت «ما» موصولةً أم موصوفةً تخصَّصت بالصفة[٣].

ووُصِفَتِ الحكمةُ بـ «بالغة»؛ لأنَّها تبلغُ غيرَها.

﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ مع هؤلاء الكفرة. ثمَّ سلَّى رسولَه ﷺ فقال: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرِضْ عنهم، فإنَّ الإنذار لا يُجدي فيهم. ثمَّ ذكر شيئاً من أحوال الآخرة وما يؤولون إليه إذ ذاك متعلِّقٌ باقتراب الساعة، فقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾[٤].

والناصب لـ «يومَ» «اذكُرْ» مضمرة. قاله الرُّمَّاني. أو «يخرجون». وقال الحسن: المعنى: فتولَّ عنهم إلى يوم[٥]. وهذا ضعيف من جهة اللَّفظ ومن جهة المعنى؛ أمَّا من جهة اللفظ فحذف إلى، وأمَّا من جهة المعنى فإنَّ تولِّيه عنهم ليس مُغَيًّا بـ «يومَ يدعُ الداع».

وجُوِّز أن يكون منصوباً بقوله: «فما تغني النُّذر» ويكون «فتوَلَّ عنهم» اعتراضاً. وأن يكون منصوباً بقوله: «يقول الكافرون»، ومنصوباً على إضمار «انتظر»،

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٦، ونقله عنه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٧٦.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٢، والقولان الثاني والثالث في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٦، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٩، والكشاف ٤/ ٣٦.
(٣) الكشاف ٤/ ٣٦ دون نسبة القراءة.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، وتفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، وهو دون قول الحسن في الكشاف ٤/ ٣٦.

ومنصوباً بقوله: «فتوَلَّ». وهذا ضعيف جدًّا. ومنصوباً بـ «مستَقِرّ» وهو بعيدٌ أيضاً.

وحُذِفَتِ الواوُ من «يَدْعُ» في الرسم إتباعاً للنُّطق، والياء من «الداع» تخفيفاً، أُجريَتْ «أل» مجرى ما عاقبها وهو التنوين، فكما تُحذف معه حُذفت معها[١].

والدَّاع: هو إسرافيل، أو جبرائيل، أو مَلَكٌ غيرُهما موكَّلٌ بذلك. أقوال[٢].

وقرأ الجمهور: «نُكُر» بضمِّ الكاف، وهو صفةٌ على فُعُل، وهو قليل في الصفات، ومنه: رجلٌ شُلُل، أي: خفيفٌ في الحاجة، وناقةٌ أُجُد، ومشيةٌ سُجُح، وروضةٌ أُنُف[٣].

وقرأ الحسن، وابن كثير، وشِبْل: بإسكان الكاف[٤]، كما قالوا: شُغْل وشُغُل، وعُسْر وعُسُر[٥].

وقرأ مجاهد، وأبو قِلابة، والجَحْدري، وزيد بن علي: «نُكِرَ» فعلاً ماضياً مبنيًّا للمفعول، أي: جُهِلَ فنُكِرَ[٦].

وقال الخليل: النُّكر: نعتٌ للأمر الشديد، والرجل الداهية[٧]، أي: تُنكِره النفوس؛ لأنَّها لم تعهَدْ مثلَه وهو يوم القيامة[٨]. وقال مالك بن عوف النَّصْري:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢ بنحوه.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٣. والقول بأنه إسرافيل مرويٌّ عن مقاتل كما في تفسير أبي الليث ٣/ ٢٩٨، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٨، ومجمع البيان ٢٧/ ٦٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢-١١٣. والناقةُ الأُجُد: القوية الموثَّقة الخَلْق. ومشيةٌ سُجُح، أي: سهلة. وروضة أُنُف، أي: لم يرعَها أحد، أو: لم تُوطأ. اللسان (أجد) و(سجح) و(أنف).

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١٢، ووقع في مطبوعه: بكسر الكاف. وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٦١٧، والتيسير ص ٢٠٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٧-٧٨. وينظر حجة القراءات لابن زنجلة ص ٦٨٨.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٨ دون نسبة القراءة لزيد بن علي.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٨) الكشاف ٤/ ٣٦.

اقْـدُمْ مَـحـاجِ إنَّـه يـومٌ نُـكُـرْ   مثلي على مِثْلِكَ يَحمي ويَكُرّ[١]

وقرأ قتادة، وأبو جعفر، والحسن، وشيبة، والأعرج، والجمهور: «خُشَّعاً» جمع تكسير[٢]. وابن عباس، وابن جُبير، ومجاهد، والجَحْدري، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «خاشعاً» بالإفراد[٣]. وقرأ أُبيٌّ وابن مسعود: «خاشعةً»[٤]. وجمع التكسير أكثر في كلام العرب. وقال الفرَّاء وأبو عبيدة: كلُّه جائز[٥]. انتهى.

ومِثال جمع التكسير قول الشاعر:

بـمُـطَّـرِدٍ لَـدْنٍ صِـحـاحٍ كُـعـوبُـهُ   وذي رَوْنَقٍ عَضْبٍ يقُدُّ القوانِسا[٦]

ومثال الإفراد قوله:

ورجـالٍ حَـسَـنٍ أوجُـهُـهُـمْ   مـن إيـادِ بـنِ نـزارِ بـنِ مَـعَـدّ[٧]

وقال آخر:

يرمي الفِجاجَ بهِ الرُّكبانُ مُعترِضاً   أعناقَ بُزَّلِها مُرْخَى لها الجُدُلُ[٨]

---

(١) البيت في معجم الشعراء ص ١٦١، والمحرر الوجيز ٥/ ١١٣، واللسان وتاج العروس (محج)، والمَحاج: اسم فرس معروفة من خيل العرب. وفي التاج: اسم خيل أبي جهل.

(٢) قراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٨٠. وتنظر قراءة الباقين في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٣) قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ٢٠٥. وتنظر قراءة الباقين في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٧.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤ عن الفراء وحده. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٥.

(٦) البيت لحُسَيل بن سُجيح، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٥٦٩، وللتبريزي ٢/ ٦٥، واللسان وتاج العروس (قنس). المراد بالمطَّرد هنا الرمح، والاطِّراد في الرمح: تقوُّمه وتوافق أنابيبه عند الهزّ، واللَّدْن: المسوَّى اللَّيِّن. والقَدُّ: القطع طُولاً. والقوانس: أعلى البَيض.

(٧) البيت لأبي دؤاد الإيادي، وهو في ديوانه ص ٣٠٥، وسيرة ابن هشام ١/ ٧٤، ورسالة الملائكة ص ١٥٣. وفي الديوان ورسالة الملائكة: وشبابٍ، بدل: ورجالٍ. وفي السيرة: وفُتُوّ.

(٨) البيت للقطامي كما في جمهرة أشعار العرب ٢/ ٨٠٧، والحماسة البصرية ٢/ ٣٦١. البُزَّل، جمع بازل: وهو البعير الذي انشقَّ نابُه. والجُدل، جمع جديل: وهو الزمام. اللسان (بزل) و(جدل).

وانتصب «خُشَّعاً» و«خاشعاً» و«خاشعةً» على الحال من ضمير «يخرجون»، والعامل فيه «يخرجون»؛ لأنَّه فِعْلٌ مُتَصَرِّف[١]. وفي هذا دليلٌ على بطلان مذهب الجَرْمي بأنَّه لا يجوز تقدُّم الحال على الفعل وإن كان مُتَصرِّفاً، وقد قالت العرب: شَتَّى تؤوبُ الحَلَبة[٢]، «فشتَّى» حالٌ، وقد تقدَّمت على عاملها وهو «تؤوب»؛ لأنَّه فِعْلٌ مُتَصرِّف. وقال الشاعر:

سريعاً يهونُ الصَّعبُ عند أُولِي النُّهى إذا برجاءٍ صادقٍ قابلوا البأسا[٣]

ف «سريعاً» حال، وقد تقدَّمت على عاملها وهو «يهون».

وقيل: هو حالٌ من الضمير المجرور في «عنهم» من قوله: «فتوَلَّ عنهم»[٤].

وقيل: هو مفعول بـ «يَدْعُ» أي: قوماً خُشَّعاً، أو فريقاً خُشَّعاً[٥]. وفيه بُعْدٌ، ومن أفرد «خاشعاً» وذكَّرَ فعلى تقدير: تخشَعُ أبصارُهم، ومن قرأ: «خاشعةً» وأنَّثَ، فعلى تقدير: تخشَعُ، ومن قرأ: «خُشَّعاً» جمع تكسير؛ فلأنَّ الجمع موافقٌ لما بعده وهو «أبصارُهم»، وموافقٌ للضمير الذي هو صاحب الحال في «يخرجون»، وهو نظير قولهم: مررتُ برجالٍ كرامٍ آباؤهم.

وقال الزمخشري: و«خُشَّعاً» على يَخْشَعْنَ أبصارُهم، وهي لغة من يقول: أكلوني البراغيثُ، وهم طيِّىء[٦]. انتهى. ولا يجري جمعُ التكسير مجرى جمع السلامة، فيكون على تلك اللغة النادرة القليلة، وقد نَصَّ سيبويه[٧] على أنَّ جمعَ التكسير أكثرُ في كلام العرب، فكيفَ يكونُ أكثرَ ويكون على تلك اللغة النادرة

(١) المحرر الوجيز ٥/٢١٣.
(٢) ذكره الميداني في مجمع الأمثال ١/٣٥٨ وقال: يُضرب في اختلاف الناس وتفرُّقهم في الأخلاق.
(٣) لم أقف على قائله.
(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/٦٩٨.
(٥) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/٢٤٩.
(٦) الكشاف ٤/٣٦.
(٧) الكتاب ٢/٤٢.

القليلة؟ وكذا قال الفرَّاء[١] حين ذكر الإفراد مُذَكَّراً ومؤنَّثاً وجمعَ التكسير، قال: لأنَّ الصِّفة متى تقدَّمت على الجماعة جازَ فيها جميعُ ذلك، والجمعُ موافقٌ للفظِها فكان أشبه. انتهى. وإنَّما يُخَرَّج على تلك اللغة إذا كان الجمعُ مجموعاً بالواو والنون، نحو: مررتُ بقومٍ كريمين آباؤهم. والزمخشريُّ قاس جمعَ التكسير على هذا الجمع السالم، وهو قياس فاسد يردُّه النقل عن العرب أنَّ جمع التكسير أجوَدُ من الإفراد كما ذكرناه عن سيبويه، وكما دلَّ عليه كلامُ الفرَّاء.

وجُوِّزَ أن يكون في «خُشَّعاً» ضميرٌ و«أبصارُهم» بدلٌ منه. وقرىء: «خُشَّعٌ أبصارُهم» وهي جملة في موضع الحال، و«خُشَّعٌ» خبرٌ مقدَّم[٢].

وخشوع الأبصار كنايةٌ عن الذِّلَّة، وهي في العيون أظهر منها في سائر الجوارح، وكذلك أفعال النفس من ذِلَّةٍ وعزَّةٍ وحياءٍ وصلفٍ وخوفٍ وغير ذلك[٣].

﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ جملة حالية أيضاً[٤]، شبَّههم بالجراد في الكثرة والتموُّج، ويقال: جاؤوا كالجراد في الجيش الكثير المتموِّج، ويقال: كالدَّبى[٥]. وجاء تشبيهُهم أيضاً بالفَراش المبثوث[٦]، وكلٌّ من الجراد والفراش في الخارجين يوم الحشر شَبَهٌ منهما. وقيل: يكونون أولاً كالفراش حين يموجون فَزِعين لا يهتدون أين يتوجَّهون؛ لأنَّ الفراشَ لا جهةَ له يقصدها، ثمَّ كالجراد المنتشر إذا توجَّهوا إلى المحشر والداعي، فهما تشبيهان باعتبار وقتين. قال معناه مكي بن أبي طالب[٧].

---

(١) بنحوه في معاني القرآن له ٣/ ٨٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٦.

(٣) الكلام من الكشاف ٤/ ٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٧، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٤٩.

(٥) تحرف في (ع) والمطبوع إلى: كالذباب. والدَّبى: الجراد قبل أن يطير. اللسان (دبي). والكلام من الكشاف ٤/ ٣٧.

(٦) كما في سورة القارعة الآية (٤).

(٧) في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٢٩٨، والمراد بقوله: قال معناه، يعني به إعراب الجملة حالاً. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣، وزاد المسير ٨/ ٩١.

﴿مُّهْطِعِينَ﴾ قال أبو عبيدة: مُسْرِعين، ومنه قوله:

بِدِجْلَةَ دارُهُمْ ولقد أراهُمْ بِدِجْلَةَ مُهطِعينَ إلى السَّماعِ[١]

زاد غيره: مادِّي أعناقِهم[٢]. وزاد غيره: مع هَزٍّ ورَهَقٍ ومدِّ بصرٍ نحو المَقْصِد، إمَّا لخوفٍ أو طمعٍ ونحوه[٣]. وقال قتادة: عامدين. وقال الضحاك: مُقبِلين. وقال عكرمة: فاتحين آذانَهم إلى الصوت. وقال ابن عباس: ناظرين[٤]. ومنه قول الشاعر:

تَعَبَّدني نِمْرُ بنُ سعدٍ وقد أرى ونِمْرُ بنُ سعدٍ لي مُطيعٌ ومُهْطِعُ[٥]

وقيل: خافضين ما بين أعينهم[٦]. وقال سفيان: شاخصة[٧] أبصارهم إلى السماء.

﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ لما يشاهدون من مَخايل هَوْله، وما يرتقبون من سوء مُنْقَلَبِهم فيه[٨].

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ فيه وعيدٌ لقريش وضَرْبُ مثلٍ لهم[٩].

ومفعول «كذَّبَتْ» محذوف، أي: كذَّبت الرُّسُلَ؛ فكذبوا نوحاً عليه السلام لمَّا كانوا مُكذِّبين بالرسل جاحدين للنبوَّة رأساً، كذَّبوا نوحاً؛ لأنَّه من جملة الرسل. ويجوز أن يكون المحذوفُ نوحاً أوَّلَ مجيئه إليهم، فكذَّبوه تكذيباً يعقبه تكذيبٌ،

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ، وهو في ديوانه ص ١١٠. والكلام من النكت والعيون ٥/ ٤١١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٤٠.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٤) النكت والعيون ٥/ ٢١١، وأخرج الطبري ٢٢/ ١١٩ قول قتادة وابن عباس.

(٥) لم أقف على قائله، وهو دون نسبة في الكشاف ٤/ ٣٧، واللسان (هطع)، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٨٠.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٤١١ ونسبه لتميم، وفيه: قابضين، بدل: خافضين.

(٧) في (أ) و(ع): خاشعة، والمثبت من (يه) و(د٣) وتفسير الطبري ٢٢/ ١١٩ فقد أخرجه عنه.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

(٩) الكلام من الكشاف ٤/ ٣٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٣.

كلَّما مضى منهم قرنٌ مُكذِّب تبِعَه قرنٌ مُكَذِّب[1].

وفي لفظ «عبدنا» تشريفٌ وخصوصيةٌ بالعبودية، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الأنفال: ٤١] ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾[2] [الإسراء: ١].

﴿وَقَالُواْ مَجْنُونٌ﴾ أي: هو مجنون، لمَّا رأوا الآيات الدالة على صدقه قالوا: هو مُصابُ الجن، لم يقنعوا[3] بتكذيبه حتى نسبوه إلى الجنون، أي: يقول ما لا يقبَلُهُ عاقل، وذلك مبالغةٌ في تكذيبهم.

﴿وَٱزْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ﴾ الظاهر أنَّ قوله: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ من إخبار الله تعالى، أي: انتهروه وزجروه بالسبِّ والنَّجْه[4] والتخويف. قاله ابن زيد، وقرأ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦].

قيل: والمعنى: إنَّهم فعلوا به ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم إلى الإيمان، وعدل إلى الدعاء عليهم[5].

وقال مجاهد: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ من تمام قولهم، أي: قالوا: وازْدُجِر، أي: استُطير جنوناً، أي: ازدجَرَتْه الجِنُّ وذهبَتْ بلُبِّه وتخبَّطَتْه[6].

وقرأ ابنُ أبي إسحاق، وعيسى، والأعمش، وزيد بن عليّ، ورُويَتْ عن عاصم: «إنِّي» بكسر الهمزة[7]، على إضمار القول على مذهب البصريين، أو على إجراء الدعاء مجرى القول على مذهب الكوفيين.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٧ بنحوه مع تقديم وتأخير.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٥ بنحوه.
(٣) تحرفت في (د٣) و(يه) إلى: ثم تتبعوا. والكلام من تفسير الرازي ٢٩/ ٣٥.
(٤) النَّجْه: استقبالك الرجل بما يكره. أو: هو أقبح الردِّ. اللسان (نجه). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٣-٢١٤.
(٥) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.
(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن ابن أبي إسحاق وعيسى، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٤ عنهما وعن عاصم، والمشهور عنه كقراءة الجمهور، يعني بفتح الهمزة.

وقرأ الجمهور بفتحها، أي: بأنِّي مغلوبٌ، أي: غلبَني قومي فلم يسمعوا منِّي، ويئِسْتُ من إجابتِهم لي[١].

﴿فَٱنتَصِرۡ﴾ أي: فانتقِمْ بعذابٍ تبعثُه عليهم، وإنَّما دعا عليهم بعدما يئس منهم وتفاقم أمرُهم، وكان الواحدُ من قومه يخنقه إلى أن يخِرَّ مغشيًّا عليه، وقد كان يقول: «اللهمَّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون»[٢].

ومتعلَّق «فانتصِرْ» محذوف. وقيل: التقدير: فانتصِرْ لي منهم بأن تُهلِكَهم. وقيل: فانتصِرْ لنفسك إذ كذَّبوا رسولك، فوقعتِ الإجابةُ، وللمتصوِّفة قولٌ في ﴿مَغۡلُوبٌ فَٱنتَصِرۡ﴾ حكاه ابن عطية يُوقَفُ عليه في «كتابه»[٣].

﴿فَفَتَحۡنَآ﴾ بيانٌ أنَّ الله تعالى انتصرَ منهم وانتقم. قيل: ومن العجب أنَّهم كانوا يطلبون المطر سنين، فأهلكهم الله تعالى بمطلوبهم[٤].

﴿أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ﴾ جعل الماءَ كأنَّه آلةٌ يُفتَحُ بها، كما تقول: فتحتُ البابَ بالمفتاح، وكأنَّ الماء جاءَ وفتح الأبواب، فجعل المقصود وهو الماء مقدَّماً في الوجود على فتح الباب المغلق. ويجوز أن تكون الباء للحال، أي: ملتبسةً بماءٍ مُنْهَمِر.

وقرأ ابن عامر، وأبو جعفر، والأعرج، ويعقوب: «ففَتَّحْنا» مشدَّداً[٥] والجمهور مخفَّفاً.

﴿أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا عند الجمهور مَجازٌ وتشبيه؛ لأنَّ المطرَ كَثُرَ كأنَّه نازلٌ من

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٧، وما بعده منه.

(٢) أخرج البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢)، وأحمد (٣٦١١) ـ واللفظ له ـ عن ابن مسعود ﷺ قال: لكأنِّي أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًّا ضربه قومُه، فهو يمسح عن وجهه الدم، ويقول: «ربِّ اغفِرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون».

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٤) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٧، وما بعده منه.

(٥) قراءة ابن عامر في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ١٠٢. وقراءة أبي جعفر ويعقوب في النشر ٢/ ٢٥٨. وقراءة الأعرج في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

أبواب، كما تقول: فُتِحَتْ أبوابُ القِرَب، وجَرَت مزاريب السماء[١]. وقال عليٌّ وتَبِعَه النقَّاش: يعني بالأبواب المَجَرَّة: وهي شَرَجُ السماء كشَرَج العَيْبَة[٢].

وذهب قومٌ إلى أنَّها حقيقة، فُتِحتْ في السماء أبوابٌ جرى منها الماء[٣]، ومِثلُه مرويٌّ عن ابن عباس قال: أبوابُ السماء فُتحَتْ من غير سحاب، لم تُقلِعْ أربعين يوماً[٤].

قال السُّدِّي: ﴿مُّنۡهَمِرٖ﴾ أي: كثير. قال الشاعر:

أَعَيْنَيَّ جُودَا بالدُّموعِ الهَوامِرِ ... على خيرِ بادٍ من مَعَدٍّ وحاضرِ[٥]

وقرأ الجمهور: «وفجَّرْنا» بتشديد الجيم. وعبد الله وأصحابُه، وأبو حَيْوة والمُفضَّل عن عاصم بالتخفيف[٦].

والمشهور أنَّ العينَ لفظٌ مشترك، والظاهر أنَّها حقيقةٌ في العين الباصرة، مجازٌ في غيرها، وهو في غير الماء مجازٌ مشهورٌ غالب[٧].

وانتصب «عيوناً» على التمييز[٨]، جُعِلَتِ الأرضُ كلُّها كأنَّها عيونٌ تتفجَّر، وهو أبلَغُ من: وفَجَّرْنا عيونَ الأرض[٩]. ومَنْ منع مجيء التمييز من المفعول أعربه حالاً

---

(١) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٦ بنحوه. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٢) القول عن عليٍّ ﷺ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٦٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٧٩٤). وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤١٢. وهو عن النقاش في المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. والشَّرَج: العروة. والعَيْبَة: وعاءٌ من أدم يكون فيها المتاع. اللسان (شرج) و(عيب).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤، وتفسير الرازي ٢٩/ ٣٦.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٨١، وهو في عرائس المجالس ص ٥٨ بنحوه.

(٥) لم أقف على قائله، والكلام من النكت والعيون ٥/ ٤١٢.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن المفضَّل عن عاصم، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ عن ابن مسعود وأصحابه وأبي حيوة عن عاصم.

(٧) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٧-٣٨.

(٨) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٨.

(٩) الكشاف ٤/ ٣٧.

ويكون حالاً مقدَّرة. وأعرَبَه بعضُهم مفعولاً ثانياً، كأنه ضمَّن و«فجَّرنا» صيَّرْنا بالتفجير الأرض عيوناً[١].

قيل: وفُجِّرتْ أربعين يوماً[٢].

وقرأ الجمهور: «فالتقى الماء» وهو اسم جنس، والمعنى: ماء السماء وماء الأرض. وقرأ عليٌّ، والحسن، ومحمد بن كعب، والجَحْدري: «الماءان». وقرأ الحسن أيضاً: «الماوان»[٣]. وقال الزمخشري: وقرأ الحسن: «ماوان» بقلب الهمزة واواً، كقولهم: عِلْباوان[٤]. انتهى. شبَّه الهمزةَ التي هي بدل من هاء في «الماء» بهمزة الإلحاق في عِلْباء. وعن الحسن أيضاً: «المايان» بقَلْبِ الهمزة ياءً، وفي كلتا القراءتين شذوذ.

﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ أي: على حالةٍ ورتبةٍ قد قُضيَتْ في الأزَل. وقيل: على مقادير قد رُتِّبَتْ وقت التقائه، فرُويَ أنَّ ماء الأرض كان على سبعة عشر ذراعاً، ونزل ماءُ السماء على تكملة أربعين ذراعاً[٥]. وقيل: كان ماءُ الأرض أكثر. وقيل: كانا متساويين، نزل من السماء قدر ما خرج من الأرض. وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ﴾ في اللوح أنَّه يكون، وهو هلاك قوم نوح عليه السلام بالطُّوفان[٦]. وهذا هو الراجح؛ لأنَّ كلَّ قصةٍ ذُكِرتْ بعد هذه القصة ذكرَ اللهُ هلاك مُكذِّبي الرسل فيها،

---

(١) وذكر السمين الحلبي في الدر المصون ١٠/ ١٣٢ وجهاً آخر بأنه منصوب على البدل من «الأرض». ثم قال: ويُضعف هذا خُلُوُّه من الضمير فإنه بدلُ بعضٍ من كلّ. ويُجاب عنه بأنه محذوف، أي: عيوناً منها، كقوله: ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ * ٱلنَّارِ﴾ [البروج: ٤-٥]، فالنار بدل اشتمالٍ، ولا ضميرَ، فهو مُقدَّر.

(٢) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. وقراءة «الماءان» في القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن محمد بن كعب والجحدري، وقراءة «الماوان» في الشاذة أيضاً.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٧-٣٨.

فيكون هذا كنايةً عن هلاك قوم نوح؛ ولذلك ذكر نجاة نوح بعدَها في قوله: ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾.

وقرأ أبو حَيْوة وابن مِقْسَم: «قُدِّر» بشدِّ الدال[(١)]. والجمهور بتخفيفها.

وذاتُ الألواح والدُّسُر: هي السفينة التي أنشأها نوحٌ عليه السلام، ويُفهَمُ من هذين الوصفين أنَّها السفينة، فهي صفةٌ تقوم مقام الموصوف وتنوب عنه، ونحوه:

قميصي مسرودةٌ من حديدِ[(٢)]

أي: درع، وهذا من فصيحِ الكلام وبديعِه، ولو جمعتَ بين الصِّفة والموصوف فيه لم يكن بالفصيح[(٣)].

والدُّسُر: المسامير. قاله الجمهور. وقال الحسن وابن عباس: مقاديم السفينة؛ لأنَّها تَدْسُر الماءَ، أي: تدفعه. والدَّسْرُ: الدَّفع. وقال مجاهد وغيره: نُطُق السفينة. وعنه أيضاً: عوارض السفينة. وعنه أيضاً: أضلاع السفينة[(٤)].

﴿تَجْرِي﴾ في ذلك الماء المتلقَّى بحفظٍ منَّا وكلاءة[(٥)]، بحيث نجا مَنْ كان فيها، وغَرِق غيرُهم.

وقال مقاتل بن سليمان: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾: بوحينا[(٦)]. وقيل: بأمرنا[(٧)]. وقيل:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤.

(٢) عجز بيت قائله المتنبي، وهو في ديوانه ٢/ ٤٤، وصدره: مفرشي صَهوةُ الحصانِ ولكن.

(٣) إلى هنا من الكشاف ٤/ ٣٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٤. والقول الأول أخرجه الطبري ٢٢/ ١٢٣-١٢٤ عن محمد بن كعب القرظي وقتادة وابن زيد وابن عباس ﷺ. وقولا مجاهد الأخيران أخرجهما الطبري ـ أيضاً ـ ٢٢/ ١٢٥-١٢٦.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٣.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٦.

(٧) نسبه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٣٦ لسفيان، وكذلك أخرجه الطبري ٢٢/ ١٢٦. ونسبه الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤١٣ للضحاك.

بأوليائنا[١]. يقال: مات عَينٌ من عيون الله تعالى، أي: وليٌّ من أوليائه[٢]. وقيل: بأعين الماء التي أنبعناها[٣]. وقيل: مَنْ حَفِظَها من الملائكة؛ سمَّاهم أعيناً[٤].

وقرأ زيد بن علي وأبو السمَّال: «بأعيُنَّا» بالإدغام[٥]. والجمهور بالفك.

﴿جَزَآءً﴾ أي: مُجازاةً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: لنوح عليه السلام؛ إذ كان نعمةً أهداها الله إلى قومه لأنْ يؤمنوا، فكفروا. المعنى: أنَّ حملَه في السفينة ومَنْ آمنَ معه كان جزاءً له على صبره على قومه المئين من السنين[٦].

و«مَنْ» كنايةٌ عن نوح. قيل: يعني بـ «مَنْ كُفِر»: لمَنْ جُحِدَتْ نبوَّته[٧]. وقال ابن عباس ومجاهد: «مَنْ» يُراد به الله تعالى، كأنَّه قال غضباً وانتصاراً لله تعالى، أي: انتصر لنفسه، فأغرق الكافرين، وأنجى المؤمنين[٨]. وهذان التأويلان في «مَنْ» على قراءة الجمهور «كُفِر» مبنيًّا للمفعول.

وقرأ مَسْلَمة بن مُحارِب بإسكان الفاء، خفَّفَ فُعِل[٩]، كما قال الشاعر:

لو عُصْرَ منهُ البانُ والمِسكُ انعَصَرْ[١٠]

يريد: لو عُصِرَ.

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤١٣.
(٢) ذكر نحوه القرطبي في تفسيره ٢٠/ ٨٣ بلفظ: وفي الخبر: مَرِضَ عينٌ من عيوننا فلم تَعُدْه. ولم أجده.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٣.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ عن أبي السمَّال.
(٦) الكلام من تفسير الطبري ٢٠/ ٨٤. والكشاف ٤/ ٣٨ بنحوه.
(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٤. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٧.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.
(٩) القراءات الشاذة ص ١٤٧. ومَسْلمة بن مُحارب: هو ابن دِثار، السَّدوسي، الكوفي. غاية النهاية ٢/ ٢٩٨.
(١٠) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ١٥٩. وسلف عند تفسير الآية (٦٤) من سورة المائدة.

وقرأ يزيد بن رومان، وقتادة، وعيسى: «كَفَرَ» مبنيًا للفاعل[١].

فـ «مَن» يُراد به قومُ نوح، أي: إنَّ ما نشأ من تفتيح أبواب السماء بالماء، وتفجُّر عيون الأرض، والتقاء الماءين من غرق قوم نوح عليه الصلاة والسلام، كان جزاءً لهم على كفرهم[٢].

و«كُفِر»خبر لـ «كان»، وفي ذلك دليلٌ على وقوع الماضي بغير «قد» خبراً لـ «كان»، وهو مذهب البصريين، وغيرُهم يقول: لا بُدَّ مِنْ «قد» ظاهرةً أو مُقدَّرةً، على أنَّه يجوز أنَّ «كان» هنا زائدة، أي: لمن كفر.

والضمير في «تركناها» عائدٌ على الفَعْلَة والقصة، وقال قتادة والنقَّاش وغيرُهما: عائدٌ على السفينة، وأنَّه تعالى أبقى خشبها حتى رآه بعضُ أوائل هذه الأمة. وقال قتادة: وكم من سفينةٍ بعدها صارت رماداً[٣].

وقرأ الجمهور: «مُدَّكِر» بإدغام الذال في الدال المُبدَلة من تاءِ الافتعال. وقتادة فيما نقل ابنُ عطية: بالذال، أدغمه بعد قلب الثاني إلى الأول.

وقال صاحب كتاب «اللوامح»: قتادة: «فهل من مُذَكِّر» فاعلٌ من التذكير، أي: مَنْ يُذَكِّر نفسَه أو غيرَه بما مضى من القصص. انتهى.

وقرئ: «مُذْتَكِر» على الأصل[٤].

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ تهويلٌ لما حَلَّ بقوم نوح من العذاب، وإعظامٌ له؛ إذ قد استأصل جميعَهم وقطع دابِرَهم، فلم يَنْسِلْ منهم أحدٌ، أي: كيف كان عاقبةُ إنذاري، والنُّذُر جمع نذير، وهو الإنذار، وفيه توقيف لقريش على ما حَلَّ بالمكذبين أمثالهم[٥].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٧ عن يزيد بن رومان وعيسى، والمحتسب ٢/ ٢٩٨ عن يزيد بن رومان وقتادة، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ عن ثلاثتهم.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٣٩ بنحوه.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.
(٤) الكشاف ٤/ ٣٨.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ ببعضه.

و«كان» إن كانت ناقصةً كانت «كيف» في موضع خبر «كان»، وإن كانت تامةً كانت في موضع نصبٍ على الحال، والاستفهامُ هنا لا يُراد به حقيقتُه، بل المعنى على التذكير بما حَلَّ بهم.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ أي: سهَّلْنا القرآن ﴿لِلذِّكْرِ﴾ أي: للادِّكار والاتِّعاظ لما تضمَّنَه من الوعظ والوعد والوعيد[١].

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ قال ابن زيد: من مُتَّعِظ. وقال قتادة: فهل من طالب خير. وقال محمد بن كعب: فهل من مُزْدَجرٍ عن المعاصي[٢].

وقيل: ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للحفظ، أي: سهَّلناه للحفظ؛ لما اشتمل عليه من حُسن النَّظم، وسلامةِ اللَّفظ، وعُرُوِّه عن الحَشْو، وشرف المعاني وصحَّتها، فله تعلُّقٌ بالقلوب[٣].

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي: من طالبٍ لحفظه ليُعانَ عليه، وتكون زواجرُه وعلومُه حاضرةً في النفس[٤].

وقال ابن جُبير: لم يُستَظْهَرْ شيءٌ من الكتب الإلهية غيرُ القرآن[٥].

وقيل: ﴿يَسَّرْنَا﴾: هيَّأنا ﴿الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ كقولهم: يسَّرَ ناقتَه للسفر: إذا رحَلَها. ويسَّر فرسَه للغزو: إذا أسرَجَه وألجمَه. قال الشاعر:

وقُمْتُ إليه باللِّجامِ مُيَسِّراً ... هنالِكَ يجزيني الذي كنتُ أصنعُ[٦]

❀ ❀ ❀

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٨.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٥١٣. وأخرج الطبري ٢٢/ ١٣٠-١٣١ قول ابن زيد وقتادة. ولفظ قول ابن زيد فيهما: متذكِّر، بدل: مُتَّعظ.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٥ بنحوه.

(٤) الكلام من الكشاف ٤/ ٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥.

(٥) الوسيط للواحدي ٤/ ٢٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٥، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦١.

(٦) البيت للأعرج عدي بن عمرو الطائي، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٥١. والكلام بتمامه في الكشاف ٤/ ٣٨.

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

تقدَّمت قصةُ عادٍ مطوَّلةً ومتوسِّطةً، وهنا ذكرها تعالى موجزةً كما ذكر قصة نوح عليه السلام موجزةً.

ولمَّا لم يكن لقوم نوحٍ عَلَمٌ، ذكَر «قوم» مضافاً إلى نوح، ولمَّا كانت عادٌ عَلَماً لقوم هود ذكر العَلَمَ؛ لأنَّه أبلَغُ في الذِّكر من التعريف بالإضافة[١].

وتكرَّر التهويل بالاستفهام قبلَ ذكرِ ما حَلَّ بهم وبعدَ ذِكره لغرابة ما عُذِّبوا به من الريح، وانفرادِهم بهذا النوع من العذاب، ولأنَّ الاختصارَ داعيةُ الاعتبار والتدبُّر[٢].

والصَّرْصَر: الباردة. قاله ابن عباس والضحاك وقتادة[٣]. وقيل: المُصوِّتة.

والجمهور على إضافة «يومِ» إلى «نحسٍ» وسكون الحاء.

وقرأ الحسن بتنوين «يومٍ» وكسر الحاء، جعلَه صفةً لليوم، كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾[٤][فصلت:١٦].

﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ قال قتادة: استمَرَّ بهم حتى بلَّغهم جهنم. وعن الحسن والضحَّاك:

(١) تفسير الرازي ٢٩/ ٤٣ بنحوه.
(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٤٤ بنحوه.
(٣) أخرجه عن قتادة عبدُ الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٥٨، وأخرجه عن ثلاثتهم الطبريُّ ٢٢/ ١٣٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٦.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والكشاف ٤/ ٣٩.

كان مُرًّا عليهم. ورُوي أنَّه كان يوم الأربعاء[١]. والذي يظهر أنَّه ليس يوماً معيَّناً، بل أُريد به الزمانُ والوقتُ، كأنَّه قيل: في وقتٍ نحسٍ. ويدلُّ على ذلك أنَّه قال في سورة فصلت [الآية:١٦]: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ وقال في الحاقة [الآية:٧]: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾، إلَّا أن يكون ابتداءُ الريح في يومِ الأربعاء، فعبَّر بوقت الابتداء وهو يوم الأربعاء، فيمكن.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ يجوز أن يكون صفةً للريح، وأن يكون حالاً منها؛ لأنَّها وُصِفَتْ فقَرُبَتْ من المعرفة. ويحتمل أن يكون «تنزع» مستأنَفاً، وجاء الظاهرُ مكان المُضمَر ليشمل ذكورَهم وإناثهم؛ إذ لو عاد بضمير المذكورين لتُوُهِّمَ أنَّه خاصٌّ بهم[٢]. أي: تقلعهم من أماكنهم[٣]. قال مجاهد: يُلقى الرجلُ على رأسه، فيتفَتَّتُ رأسُه وعنقُه ومايلي ذلك من بدنه[٤]. وقيل: كانوا يصطفُّون آخذي بعضهم بأيدي بعض، ويتدخَّلون في الشِّعاب، ويحفرون الحُفَرَ فيندسُّون فيها، فتنزعُهم وتدقُّ رقابَهم[٥]. والجملة التشبيهية حالٌ من «الناس»، وهي حالٌ مُقدَّرة[٦].

وقال الطبري: في الكلام حذفٌ، تقديره: فتتركُهم كأنَّهم أعجازُ نخلٍ، فالكاف في موضع نصبٍ بالمحذوف[٧]. شبَّههم بأعجاز النخل المُنْقَعِر، إذ تساقطوا على الأرض أمواتاً، وهم جُثَثٌ عظامٌ طِوالٌ، والأعجاز: الأصول بلا فروع قد انقلعَتْ من مغارسها. وقيل: كانت الريحُ تقطعُ رؤوسهم فتبقي أجساداً بلا رؤوس، فأشبهت أعجاز النخل التي انقلعَتْ من مَغْرِسها[٨].

(١) المحرر الوجيز ٥/٢١٦.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٩/٤٦.
(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٣٣، والكشاف ٤/٣٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/٢١٦.
(٥) الكشاف ٤/٣٩.
(٦) مشكل إعراب القرآن ٢/٦٩٩.
(٧) تفسير الطبري ٢٢/١٣٨. ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٤/٢٩١، والقرطبي ٢٠/٨٩.
(٨) الكشاف ٤/٣٩.

وقرأ أبو نَهيك: «أعْجُزُ»[١] على وزن أفْعُل، نحو: ضَبُع وأضْبُع.

و«النَّخلُ» اسمُ جنسٍ يُذكَّر ويؤنَّث[٢]، وإنَّما ذُكِّرَ هنا لمناسبة الفواصل، وأُنِّثَ في قوله: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ في الحاقة [الآية:٧]؛ لمناسبة الفواصل أيضاً.

وقرأ الجمهور: «أبشراً منَّا واحداً» بنصبِ «بشَراً» على الاشتغال، ونصبِ «واحداً» صفةً له[٣].

وقرأ أبو السمَّال فيما ذكر الهُذَلي في كتابه «الكامل»، وأبو عمر الدَّاني برفعهما، فـ«أبَشَرٌ» مبتدأ، و«واحدٌ» صفته، والخبر «نتَّبِعُه».

ونقل ابن خالويه[٤]، وصاحب «اللوامح»، وابن عطية[٥] رفْعَ «أبَشَرٌ» ونصبَ «واحداً» عن أبي السمَّال.

قال صاحب «اللوامح»: فأمَّا رفعُ «أبشَرٌ» فبإضمار الخبر، بتقدير: أبشَرٌ مِنَّا يُبعَثُ إلينا أو يُرسَلُ أو نحوهما. وأمَّا انتصاب «واحداً» فعلى الحال، إمَّا ممَّا قبلَه بتقدير: أبشَرٌ كائنٌ منَّا في الحال نوحِّده، وإمَّا ممَّا بعده بمعنى: نتَّبِعُه في توحُّدِه أو في حال انفرادِه.

وقال ابن عطية: ورَفْعُه إمَّا على إضمار فعل مبنيٍّ للمفعول، التقدير: أيُنَبَّأُ بشرٌ، وإمَّا على الابتداء، والخبر في قوله: «نتَّبِعُه»، و«واحداً» على هذه القراءة حالٌ، إمَّا من الضمير في «نتَّبِعُه»، وإمَّا من المُقدَّر مع «منَّا»، كأنَّه يقول: أبَشَرٌ كائنٌ مِنَّا واحداً. وفي هذا نظر، وقولُهم ذلك حسدٌ منهم، واستبعادٌ أن يكون نوعُ البشر يفضل بعضُه بعضاً هذا الفضل، فقالوا: أنكون جمعاً ونتَّبعُ واحداً، ولم يعلموا أنَّ الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء، ويُفيضُ نورَ الهدى على مَنْ رَضِيَه. انتهى.

وقال الزمخشري: فإنْ قلت: كيف أنكروا أن يتَّبعوا بشراً منهم واحداً؟ قلت:

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨.

(٢) تهذيب اللغة ٧/ ٦١٤. وتقدم مثله عند تفسير الآية (١٠) من سورة ق.

(٣) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠٠، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥٠.

(٤) في القراءات الشاذة ص ١٤٨.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/٢١٧.

قالوا: أبشراً؛ إنكاراً لأنْ يتَّبعوا مثلَهم في الجنسية، وطلبوا أن يكون من جنسٍ أعلى من جنس البشر وهم الملائكة، وقالوا: مِنَّا؛ لأنَّه إذا كان منهم كانت المماثلةُ أقوى، وقالوا: واحداً إنكاراً لأنْ تتَّبعَ الأمةُ رجلاً واحداً، وأرادوا واحداً من أفنائهم ليس بأشرفهم ولا أفضلهم، ويدلُّ عليه قولهم: ﴿أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: أَأُنزِلَ عليه الوحيُ من بيننا وفينا مَنْ هو أحقُّ منه بالاختيار للنبوة[١]؟! انتهى. وهو حسَنٌ، على أنَّ فيه تحميلَ اللفظ ما لا يحتمل.

﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتَّبَعْناه فنحنُ في ﴿ضَلَٰلٍ﴾ أي: بُعدٍ عن الصواب وحَيْرةٍ[٢]. وقال الضحَّاك: في تِيْهٍ[٣]. وقال وَهْب: بُعْدٍ عن الحق[٤].

﴿وَسُعُرٍ﴾ أي: عذاب. قاله ابن عباس[٥]. وعنه: وجنون، يقال: ناقةٌ مَسْعورة: إذا كانت تُفرِطُ في سيرها كأنَّها مجنونة[٦]. وقال الشاعر:

كأنَّ بها سُعْراً إذا العِيْسُ هَزَّها ذَميلٌ وإرْخاءٌ من السَّيرِ مُتْعِبِ[٧]

وقال قتادة: ﴿وَسُعُرٍ﴾: عناء[٨]. وقال ابن بحر: ﴿وَسُعُرٍ﴾ جمع سعير: وهو وَقود النار[٩]، أي: في خطر، كمن هو في النار. انتهى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩.
(٢) تفسير القرطبي ٢٢/ ١٣٩، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٨، والكشاف ٤/ ٣٩ بنحوه.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤١٥.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٩، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦٢. لكن وقعت فيها تفسيراً لقوله: «وسُعُر».
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦١.
(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٢١١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، وزاد المسير ٨/ ٩٦.
(٧) لم أقف على قائله، وهو بهذا اللفظ في الكشاف ٤/ ٣٩، وجاء في تفسير القرطبي ٢٠/ ٩١ بلفظ:
تَخالُ بها سُعْراً إذا السَّفْرُ هزَّها ذميلٌ وإيقاعٌ من السيرِ مُتْعِبِ
والذَّميل: ضربٌ من سير الإبل، قال أبو عبيد: فإذا ارتفع السير عن العَنَق قليلاً فهو التَّزيُّد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذَّميل، ثم الرسيم. الصحاح (ذمل).
(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٨، والنكت والعيون ٥/ ٤١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧. وأخرجه عبد الرازق في تفسيره ٢/ ٢٦٠-٢٦١، والطبري ٢٢/ ١٤٠.
(٩) النكت والعيون ٥/ ٤١٥.

ورُويَ أنَّه كان يقول لهم: إنْ لم تتَّبعوني كنتم في ضلالٍ عن الحقِّ وسُعُرٍ، أي: نيرانٍ، فعكسوا عليه فقالوا: إنِ اتَّبعناك كُنَّا إذاً كما تقول(١).

ثمَّ زادوا في الإنكار والاستبعاد فقالوا: ﴿أَءُلْقِىَ﴾ أي: أأُنزِلَ. قيل: وكأنَّه يتضمَّن العجَلَة في الفعل، والعرب تستعمل هذا الفعل، ومنه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥]. و«الذِّكر» هنا: الوحيُ والرسالةُ وما جاءهم به من الحكمة والموعظة. ثمَّ قالوا: ليس الأمرُ كما يزعم ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ أي: بَطِر، يُريد العلوَّ علينا، وأن يقتادنا، ويتملَّك طاعتنا(٢).

وقرأ قتادة وأبو قِلابة: «بل هو الكذَّابُ الأَشَرُّ» بلام التعريف فيهما وبفتح الشين وشدِّ الراء. وكذا «الأَشرُّ» الحرف الثاني(٣).

وقرأ الحرفَ الثاني مجاهدٌ فيما ذكر صاحب «اللوامح» وأبو قيس الأودي: «الأُشُرُ» بثلاث ضمَّات وتخفيف الراء. ويُقال: أَشِرٌ وأُشُرٌ، كحَذِر وحُذُر، فضمَّة الشين لغة، وضمُّ الهمزة تبَعٌ لضمَّة الشين.

وحكى الكسائي عن مجاهد ضَمَّ الشين(٤).

وقرأ أبو حَيْوة هذا الحرف الآخر: «الأَشَرُّ» أفعل تفضيل(٥). وإتمام «خير» و«شر» في أفعل التفضيل قليل.

وحكى ابنُ الأنباري أنَّ العرب تقول: هو أَخْيَرُ وهو أَشَرُّ(٦)، قال الراجز(٧):

بـلالُ خـيـرُ الـنَّـاسِ وابـنُ الأَخْـيَـرِ

---

(١) الكشاف ٤/ ٣٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٧، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ عن أبي قلابة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧، وهي عنه في القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٢٩٩.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢١٧.

(٦) الكشاف ٤/ ٣٩.

(٧) هو رؤبة بن العجاج كما سيأتي، وهو في المحتسب ٢/ ٢٩٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٤، والكلام منه، ولم نقف عليه في ديوانه.

وقال أبو حاتم: لا تكاد العربُ تتكلَّم بالأَخْيَر والأشَرِّ إلَّا في ضرورة الشعر، وأنشد قولَ رؤبة: بلال... البيت.

وقرأ علي والجمهور: «سيَعلمون» بياء الغَيْبة، وهو من إعلام الله تعالى لصالح عليه السلام. وابن عامر، وحمزة، وطلحة، وابن وثَّاب، والأعمش بتاء الخِطاب[1] أي: قل لهم يا صالح وعداً يراد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي يلي يوم خطابهم، فاحتمل أن يكون يومَ العذاب الحالِّ بهم في الدنيا، وأن يكون يومَ القيامة[2]. وقال الطِّرِمَّاح:

ألا عَلِّلاني قبلَ نَوْحِ النَّوائحِ وقبلَ اضْطرابِ النَّفْسِ بينَ الجوانحِ
وقبلَ غَدٍ يا لهفَ نفسي على غدٍ إذا راحَ أصحابي ولستُ برائحِ[3]

أرادَ وقت الموت، ولم يُرِدْ غداً بعينه.

وفي قوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ تهديدٌ ووعيدٌ ببيان انكشاف الأمر، والمعنى: أنَّهم هم الكذَّابون الأشِرون[4].

وأورد ذلك مورد الإبهام والاحتمال، وإن كانوا هم المعنيين، كقوله تعالى حكايةً عن قول نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود:٣٩] والمعنيُّ به قومُه، وكذا قول شعيب عليه السلام: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ [هود:٩٣]، وقول الشاعر:

فلئِنْ لقيتُكَ خالِيَيْنِ لتَعْلَمَنْ أيِّي وأيُّك فارسُ الأحزابِ[5]

وإنَّما عنى أنَّه فارسُ الأحزاب لا الذي خاطبه.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٧. وقراءة ابن عامر في السبعة ص ٦١٨، والتيسير ص ٢٠٦.

(٢) الكلام في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٠٠، والوسيط ٤/ ٢١١.

(٣) هكذا وقعت نسبتهما في النسخ والمطبوع: للطِّرِمَّاح، ولم أقف عليهما في ديوانه. ونسبهما المرزوقي في شرح ديوان الحماسة ٣/ ١٢٦٦، والبصري في الحماسة البصرية ١/ ٢٨١ لأبي الطَّمَحان القَيني، ونُسِبا في النسخ الخطية لتفسير القرطبي ٢٠/ ٩٤ - والكلام منه - لأبي الطماح. ونسبهما ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٣/ ٢٤٨ لهدبة العذري.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧١٩٦.

(٥) سلف عند تفسير الآية (٤١) من سورة آل عمران.

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي: ابتلاءً واختباراً، وآنس بذلك صالحاً، ولمَّا هدَّدهم بقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ وكانوا قد ادَّعَوا أنَّه كاذب، قالوا: ما الدليل على صدقك؟ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾ أي: مخرجوها من الهضبة التي سألوها ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: فانتظِرْهم وتبَصَّرْ ما هم فاعلون، واصطَبِرْ على أذاهم، ولا تعجَلْ حتى يأتيَ أمرُ الله[1].

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ﴾ أي: ماء البئر التي لهم ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين ثَمود وبين الناقة، غلَّبَ ثمود، فالضمير في «بينهم» لهم وللناقة، أي: لهم شِرْبُ يومٍ، وللناقة شِرْبُ يوم.

وقرأ الجمهور: «قِسْمةٌ» بكسر القاف. ومعاذ عن أبي عمرو بفتحها[2].

﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضورٌ لهم وللناقة[3].

وتقدَّمت قصة الناقة مستوفاةً[4]، فأغنى عن إعادتها.

وهنا محذوف، أي: فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فمَلُّوا ذلك، وعزموا على عقر الناقة.

﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قُدَار بن سالف ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ هو مطاوع عاطى، وكأنَّ هذه الفَعْلة تدافَعَها الناس وعاطاها بعضُهم بعضاً، فتعاطاها قُدَار وتناولَ العَقْرَ بيده[5].

ولمَّا كانوا راضينَ نسبَ إليهم ذلك في قوله: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الأعراف:٧٧]، وفي قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ [الشمس:١٤].

والصَّيحة التي أُرسِلَتْ عليهم يُروى أنَّ جبريل عليه السلام صاحَ في طَرَف

---

(١) الكلام من تفسير الثعلبي ٦/٣٩، وتفسير الطبري ٢٢/١٤١-١٤٢، والمحرر الوجيز ٥/٢١٨، والكشاف ٤/٣٩-٤٠، وما بعده منها أيضاً.

(٢) والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٣) الكشاف ٤/٤٠.

(٤) عند الآيتين (٧٣ و٧٧) من سورة الأعراف، والآيتين (٦٤ و٦٥) من سورة هود.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢١٨.

منازلهم فتفتَّتوا وهمدوا وصاروا ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: وهو ما تفتَّتَ وتهشَّم[١] من الشجر.

و«المُحْتَظِر»: الذي يعمل الحَظيرة، فإنَّه تتفتَّتُ منه حالةَ العمل وتتساقط أجزاءٌ ممَّا يعمل به، أو يكون «الهشيم» ما يبس من الحظيرة بطول الزمان تطؤه البهائمُ فيتهشَّم[٢].

وقرأ الجمهور بكسر الظاء. والحسن، وأبو حَيْوة، وأبو السمَّال، وأبو رجاء، وعمرو بن عُبيد بفتحها[٣]، وهو موضع الاحتظار[٤]. وقيل: هو مصدر، أي: كهشيم الاحتظار[٥]، وهو ما تفتَّت حالةَ الاحتظار. والحَظيرة تصنعها العرب وأهل البوادي للمواشي والسُّكنى من الأغصان والشجر المُورِق والقصب. والحَظْر: المنع. وعن ابن عباس وقتادة أنَّ المُحتَظِرَ هو المُحترِق. قال قتادة: كهشيم مُحَرَّق. وعن ابن جُبير: هو التراب الذي يسقط من الحائط البالي. وقيل: المُحتظَر ـ بفتح الظاء ـ: هو الهشيم نفسُه، فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته، كمسجد الجامع، على من تأوَّله كذلك[٦].

و«كان» هنا قيل: بمعنى: صارَ.

❁ ❁ ❁

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟

(١) تحرفت في (أ) والمطبوع إلى: وتهضم، والتصويب من المحرر الوجيز وباقي النسخ.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن الحسن وأبي رجاء، والمحتسب ٢/ ٢٩٩ عن الحسن.
(٤) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٩٨.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٨-٢١٩.

عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾.

تقدَّمت قصة لوط عليه السلام وقومه[1].

و«الحاصب» من الحَصْباء، وهو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ قيل: آله: ابنتاه[2].

و ﴿بِسَحَرٍ﴾ هو نكرة، فلذلك صُرِفَ[3].

وانتصب «نعمةً» على أنَّه مفعولٌ من أجله، أي: نجَّيناهم لإنعامنا عليهم[4]، أو على المصدر؛ لأنَّ المعنى: أنعمنا عليهم بالتنجية إنعاماً.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي﴾ أي: مثل ذلك الإنعام والتنجية ﴿نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ إنعامنا، وآمن وأطاع[5].

﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ أي: أخذَتَنا لهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا﴾ أي: تشكَّكوا وتعاطَوا ذلك ﴿بِالنُّذُرِ﴾ أي: بالإنذار، أو يكون جمع نذير[6].

---

(١) في الآيات (٨٠-٨٤) من سورة الأعراف، والآيات (٧٧-٨٣) من سورة هود، والآيات (١٦٠-١٧٥) من سورة الشعراء، والآيات (٥٤-٥٨) من سورة النمل.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٠.

(٣) الكشاف ٤/ ٤٠.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.

(٦) الكشاف ٤/ ٤٠.

﴿فَطَمَسْنَآ﴾ قال قتادة: الطَّمْس حقيقةٌ؛ جَرَّ جبريلُ عليه السلام جناحَه على أعينهم فاستوَتْ مع وجوههم. وقال أبو عبيدة: مطموسةً بجلدٍ كالوجه[(١)].

قيل: لمَّا صفقَهم جبريلُ عليه السلام بجناحه تركهم يتردَّدون لا يهتدون إلى الباب، حتى أخرجهم لوطٌ عليه السلام[(٢)].

وقال ابن عباس والضحاك: هذه استعارةٌ، وإنَّما حجبَ إدراكهم فدخلوا المنزل ولم يروا شيئاً، فجعل ذلك كالطَّمس[(٣)].

وقرأ الجمهور: «فطمسنا» بتخفيف الميم. وابن مِقْسَم بتشديدها[(٤)].

﴿فَذُوقُواْ﴾ أي: فقلتُ لهم على ألسنة الملائكة: ذوقوا[(٥)].

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾ أي: أولَ النهار وباكِرَه، كقوله: ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٦٠] و﴿مُّصْبِحِينَ﴾ [الحجر: ٦٦].

وقرأ الجمهور: «بكرةً» بالتنوين، أراد بُكْرةً من البُكَر، فصُرف[(٦)]. وقرأ زيد بن علي بغير تنوين[(٧)].

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي: لم يكشِفْه عنهم كاشف، بل اتَّصل بموتهم، ثمَّ بما بعد ذلك من عذاب القبر، ثمَّ عذاب جهنم[(٨)].

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توكيد وتوبيخ، ذلك عند الطمس، وهذا عند تصبيح العذاب[(٩)].

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٤١، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٤) أي: «فطمَّسْنا».
(٥) الكشاف ٤/ ٤٠، وما بعده منه.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩.
(٧) أي: «بُكْرةَ»، وهي في الكشاف ٤/ ٤٠.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢١٩، وما بعده منه.
(٩) الكشاف ٤/ ٤٠، وما بعده منه.

قيل: وفائدةُ تكرار هذا وتكرار ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ التجدُّدُ عند استماع كلِّ نبأ من أنباء الأولين؛ للاتِّعاظ واستئناف التيقُّظ إذا سمعوا الحثَّ على ذلك؛ لئلَّا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير كقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ عند كلِّ نعمةٍ عدَّها في سورة الرحمن [الآية: ١٣ وغيرها]، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ عند كلِّ آيةٍ أوردها في سورة والمرسلات [الآية: ١٥ وغيرها]، وكذلك تكرير القصص في أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرةً للقلوب مذكورةً في كلِّ أوان[(١)].

﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ﴾ هم موسى وهارون وغيرهما من الأنبياء؛ لأنَّهما عَرَضا عليهم ما أُنذِرَ به المرسلون، أو يكون جمع نذير المصدر بمعنى الإنذار ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ هي التسع، والتوكيد هنا كهو في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ [طه: ٥٦]. والظاهر أنَّ الضمير في «كذَّبوا» وفي «فأخذناهم» عائدٌ على آل فرعون. وقيل: هو عائدٌ على جميع مَنْ تقدَّم من الأمم ذِكْرُه، وتمَّ الكلامُ عند قوله: «النُّذُر».

﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يُغالَب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يُعجِزُه شيء[(٢)].

﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ خطابٌ لأهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ الإشارة إلى قوم نوح وهود وصالح ولوط وإلى فرعون، والمعنى: أهُمْ خيرٌ في القوَّة وآلاتِ الحروبِ والمكانةِ في الدنيا، أو أقَلُّ كفراً وعناداً فلأجل كونهم خيراً لا يُعاقَبون على الكفر بالله وتكذيب الرسول، وقفهم على توبيخهم، أي: ليس كفَّارُكم خيراً من أولئكم، بل هم مثلُهم أو شرٌّ منهم وقد علمتُم ما لحِقَ أولئك من الهلاكِ المستأصِل لمَّا كذَّبوا الرسل.

﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ أي: ألكُم في الكتب الإلهية براءةٌ من عذاب الله تعالى؟ قاله الضحاك وعكرمة وابن زيد[(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ بنحوه.

(٢) الكشاف ٤/ ٤١، وما بعده منه بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، وما بعده منه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي: واثقون بجماعتِنا، منتصرون بقوَّتنا، تقولون ذلك على سبيل الإعجاب بأنفسكم.

وقرأ الجمهور: «أم يقولون» بياء الغَيبة؛ التفاتاً، وكذا ما بعده للغائب.

وقرأ أبو حَيْوة، وموسى الأسواري، وأبو البَرَهْسَم بتاء الخطاب[1] للكفار، إتباعاً لما تقدَّم من خطابهم.

وقرؤوا: «ستَهْزِمُ الجمعَ» بفتح التاء وكسر الزاي وفتح العين، خطاباً للرسول ﷺ. وأبو حَيْوة أيضاً ويعقوب بالنون مفتوحةً وكسر الزاي وفتح العين[2]. والجمهور بالياء مبنيًّا للمفعول وضمِّ العين[3]. وعن أبي حَيْوة وابن أبي عبلة أيضاً بفتح الياء مبنيًّا للفاعل ونصب العين[4]، أي: سيَهْزِمُ اللهُ الجمعَ.

والجمهور: «ويُوَلُّون» بياء الغَيبة. وأبو حَيْوة، وداود بن أبي سالم عن أبي عمرو بتاء الخطاب[5].

والدُّبُر هنا اسم جنس[6]، وجاء في موضعٍ آخر: ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ [الحشر:١٢] وهو الأصل، وحسَّنَ اسمَ الجنس هنا كونُه فاصلة.

وقال الزمخشريُّ[7]: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ أي: الأدبار، كما قال:

كلوا في بعضِ بطنِكُمُ تعِفُّوا[8]

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن موسى الأسواري، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ عن أبي حيوة.
(٢) أي: «سنَهْزِم الجَمْعَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن يعقوب، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٠٠ عن أبي حيوة، وذكرها صاحب النشر ٢/ ٣٨٠ عن أبي حيوة، وقال: وجاءت عن زيد عن يعقوب. قلت: وهو خلاف المشهور عن يعقوب.
(٣) أي: «سَيُهْزَمُ الجمعُ».
(٤) هي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠ دون نسبة.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن داود بن أبي سالم وعن يعقوب. وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠، وزاد المسير ٨/ ١٠٠ دون نسبة. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٣.
(٧) في الكشاف ٤/ ٤١.
(٨) لا يُعرف قائله، وعجزه: فإنَّ زمانَكُمْ زمَنٌ خَميصُ. وسلف عند تفسير الآية (١٠) من سور النساء.

وقُرِئ: «الأدبار». انتهى. وليس مثل: بطنكم؛ لأنَّ مجيء «الدُّبُر» مفرداً ليس له مُحَسِّن، ولا مُحسِّن لإفراد «بطنكم»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ﴾ عِدَةٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ بهزيمة جمع قريش، والجمهور على أنها مكية، وتلاها رسولُ الله ﷺ مستشهداً بها. وقيل: نزلت يوم بدر(٢).

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ انتقل من تلك الأقوال إلى أمر الساعة التي عذابها أشدُّ عليهم من كل هزيمة وقتال ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ﴾ أي: أفظَعُ وأشَدُّ، والدَّاهية: الأمرُ المنكَر الذي لا يُهتدى لدفعه، وهي الرَّزِيَّة العُظمى تحُلُّ بالشخص ﴿وَأَمَرُّ﴾ من المرارة، استعارة لصعوبة الشيء على النفس(٣).

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ﴾ أي: في حَيْرةٍ وتخبُّطٍ في الدنيا ﴿وَسُعُرٖ﴾ أي: احتراقٍ في الآخرة؛ جُعِلوا فيه من حيثُ مصيرهم إليه. وقال ابن عباس: وخسران وجنون. والسُّعُر: الجنون(٤). وتقدَّم مثلُه في قصة صالح عليه السلام(٥).

﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ﴾: يُجَرُّون ﴿فِي ٱلنَّارِ﴾ وفي قراءة عبد الله: «إلى النار»(٦) ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ﴾ أي: مقولاً لهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾(٧).

وقرأ محبوب عن أبي عمرو: «مَسَّقَر» بإدغام السين في السين(٨). قال ابن مجاهد: إدغامه خطأ؛ لأنَّه مُشَدَّد(٩). انتهى. والظَّنُّ بأبي عمرو أنَّه لم يُدغِمْ حتى حذف إحدى السِّينين لاجتماع الأمثال، ثمَّ أدغم.

---

(١) العبارة في (أ) والمطبوع: ليس بحسن ولا يحسن لإفراد بطنكم.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٠.
(٣) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١، والكشاف ٤/ ٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٥) عند تفسير الآية (٢٤) من هذه السورة.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٨. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٧) القراءات الشاذة ص ١٤٨. وتحرفت في مطبوعه «مسَّقَر» إلى: «مستقرّ».
(٨) عبارة ابن مجاهد في السبعة ص ١١٦: إنَّه لم يكن يدغم هذا الجنس؛ لأنَّ فيه إدغاماً.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ قراءة الجمهور: «كلَّ شيء» بالنصب. وقرأ أبو السمَّال[١]- قال ابن عطية[٢]: وقومٌ من أهل السُّنَّة - بالرفع. قال أبو الفتح[٣]: هو الوجه في العربية، وقراءتنا بالنصب مع الجماعة. وقال قومٌ: إذا كان الفعلُ يُتوَهَّم فيه الوصفُ وأنَّ ما بعده يصلح للخبر، وكان المعنى على أن يكون الفعلُ هو الخبر، اختيرَ النَّصبُ في الاسم الأول حتى يتَّضح أنَّ الفعلَ ليس بوصف، ومنه هذا الموضع؛ لأنَّ في قراءة الرفع يُتخَيَّل أنَّ الفِعلَ وصفٌ، وأنَّ الخبر «بِقَدَر».

وقد تنازع أهل السُّنَّة والقدرية الاستدلالَ بهذه الآية؛ فأهلُ السُّنَّة يقولون: كلُّ شيءٍ فهو مخلوق لله تعالى بقدرِه، دليلُه قراءة النصب؛ لأنَّه لا يُفَسِّر في مثل هذا التركيب إلَّا ما يصِحُّ أن يكون خبراً لو رفع الأول على الابتداء. وقالت القدرية: القراءة برفع «كلّ» و«خلَقْناه» في موضع الصفة لـ «كُلّ» أي: إنَّ أمرَنا وشأنَنا كلُّ شيءٍ خلقناه فهو بقدر أو بمقدار، على حدِّ ما في هيئته وزمنه وغير ذلك[٤].

وقال الزمخشريُّ[٥]: «كلَّ شيءٍ» منصوب بفعلٍ مُضْمَرٍ يُفسِّره الظاهر. وقُرِىء: «كلُّ شيءٍ» بالرفع. والقَدْرُ والقَدَرُ: التقدير، وقُرِىء بهما، أي: خَلَقْنا كلَّ شيءٍ مُقدَّراً مُحكماً مُرتَّباً على حسب ما اقتضَتْه الحكمةُ، أو مُقَدَّراً مكتوباً في اللوح معلوماً قبل كونه، قد عَلِمْنا حالَه وزمانَه. انتهى.

قيل: والقَدَر فيه وجوهٌ؛ أحدها: أن يكون بمعنى: المقدار، أي: في ذاته وفي صفاته. والثاني: التقدير، قال تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات:٢٣]، وقال الشاعر:

---

(١) كما في القراءات الشاذة ص ١٤٨.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٣) في المحتسب ٢/ ٣٠٠.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.
(٥) في الكشاف ٤/ ٤١.

وما قـدَّرَ الـرحـمـنُ مـا هـو قـادِرُ[١]

أي: ما هو مقدور. والثالث: القَدَر الذي يُقال مع القضاء، يُقال: كان ذلك بقضاءِ الله وقدَره، والمعنى: أنَّ القضاءَ ما في العلم، والقدَرَ ما في الإرادة، فالمعنى في الآية: خلَقْناه بقدَرٍ، أي: بقدرةٍ مع إرادة[٢]. انتهى.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ أي: إلَّا كلمةٌ واحدة، وهي كُنْ[٣].

﴿كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ تشبيهٌ بأعْجَل ما يُحَسُّ، وفي أشياء أمر الله تعالى أوحى من ذلك[٤]. والمعنى: أنَّه إذا أراد تكوينَ شيءٍ لم يتأخَّر عن إرادته[٥].

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ أي: الفرق المتشايعة[٦] في مذهب ودين.

﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: فعلَتْه الأممُ المكذِّبة محفوظٌ عليها إلى يوم القيامة. قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وابن زيد. ومعنى ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾: في دواوين الحفظة. ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الأعمال ومن كلِّ ما هو كائن ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: مسطورٌ في اللوح، يقال: سطَرْتُ واستطَرْتُ بمعنى[٧].

وقرأ الأعمش، وعمران بن حُدَير، وعِصْمة عن أبي بكر عن عاصم بشدِّ راء «مُسْتَطَرٌّ»[٨].

---

(١) صدره:

كِلا ثَقَلَيْنا طامِعٌ بغنيمةٍ

وقائله إياس بن مالك بن عبد الله بن خيبري الطائي، كما في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٥٩٧، وللتبريزي ٢/ ٧٥، والحماسة البصرية ١/ ٦١، واللسان (قدر).

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ٧٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٤١-٤٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١.

(٥) الكشاف ٤/ ٤٢.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١: المتشابهة.

(٧) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢١-٢٢٢، والكشاف ٤/ ٤٢.

(٨) القراءات الشاذة ص ١٤٨ دون ذكر الأعمش. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

قال صاحب «اللوامح»: يجوز أن يكون من طَرَّ النباتُ والشاربُ: إذا ظهر ونبت، بمعنى: كلُّ شيءٍ ظاهرٌ في اللَّوح مُثبَتٌ فيه. ويجوز أن يكون من الاستطار، لكن شدَّد الرَّاء للوقف على لغة مَن يقول: جعفرّ ونفعلّ بالتشديد وقفاً. انتهى. ووزنه على التوجيه الأول: مُسْتَفْعَلْ، وعلى الثاني: مُفْتَعَلْ(١).

وقرأ الجمهور: «ونَهَر» على الإفراد والهاء مفتوحة. والأعرج، ومجاهد، وحُميد، وأبو السمَّال، والفياض بن غزوان بسكونها(٢)، والمراد به الجنس إن أُريد به الأنهار، أو يكون معنى «ونَهر»: وسَعةٍ في الأرزاق والمنازل، ومنه قول قيس بن الخطيم(٣):

مَلَكْتُ بها كفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها   يرى قائمٌ من دونها ما وراءَها

أي: أوسعتُ فتقَها.

وقرأ زهير الفُرْقُبي، والأعمش، وأبو نَهيك، وأبو مِجْلَز، واليماني بضمِّ النون والهاء(٤)، جمع نَهْر، كرَهْن ورُهُن، أو نَهَر كأسَد وأُسُد، وهو مناسب لجمع «جنَّات». وقيل: «نَهَر» جمع نهار، ولا ليل في الجنة. وهو بعيد.

---

(١) في النسخ والمطبوع: الأول: استفعل، وعلى الثاني: افتعل. والمثبت من الدر المصون ١٠/ ١٤٩، وروح المعاني ٢٦/ ٢٢٥.

(٢) أي: «ونَهْر»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن الأعرج. والكلام بتمامه في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢.

(٣) في ديوانه ص ٤٦.

(٤) أي: «نُهُر»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٨ عن أبي نهيك وأبي مجلز واليماني: وهو محمد بن السَّمَيفع، وفي المحتسب ٢/ ٣٠٠ عن زهير الفُرْقُبي، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢. وزهير الفُرْقُبي، هو ابن ميمون الكوفي، قارىء، نحوي، يعرف بالكسائي، له اختيار في القراءة، كان في زمن عاصم. والفُرْقُبي نسبةٌ إلى الثياب الفُرْقُبية، وهي ثياب بِيض من كتَّان. ويُقال: القُرْقبي ـ بقافين ـ نسبةٌ إلى موضع. ينظر تاج العروس (فرقب)، وغاية النهاية ١/ ٢٩٥.

﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ يجوز أن يكون ضِدَّ الكذب، أي: في المقعد الذي صُدِقوا في الخبر به، وأن يكون من قولك: رجُلُ صِدْقٍ، أي: خيرٍ وجودٍ وصلاحٍ[1].

وقرأ الجمهور: «في مَقْعَد» على الإفراد يراد به اسم الجنس. وعثمان البَتِّي: «في مقاعد» على الجمع[2].

و«عند» تدلُّ على قرب[3] المكانة من الله تعالى، والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢ بنحوه.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٢.

(٣) في (يه) و(د٣): تقريب. والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٤٢.

مفردات سورة الرحمن

«النَّجْم»: النبات الذي لا ساقَ له، من نَجَم، أي: ظهرَ وطلعَ[١].

«الأنام»: الحيوان[٢].

«العَصْف»: وَرَق الزَّرْع[٣].

«الرَّيْحان»: كلُّ مَشْمومٍ طيِّبِ الرِّيح من النبات[٤].

«المَرْجان»: الخَرَز الأحمر[٥]. وقيل: صغار الدُّرِّ، واللؤلؤ كباره[٦]. واللُّؤلؤ بناءٌ غريب، قيل: لا يُحفَظُ منه في كلام العرب أكثر من خمسة: اللُّؤلؤ، والجُؤْجُؤ، والدُّؤدُؤ، واليُؤيُؤ: طائر، والبُؤبُؤ[٧].

و«النُّفوذ»: الخروج من الشيء بسرعة[٨].

«الشُّواظ»: اللَّهب الخالص بغير دخان[٩]. وقال حسان:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن زيد والشعبي.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٠، والنكت والعيون ٥/ ٤٢٦، وزاد المسير ٨/ ١٠٨ عن مجاهد.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥ عن ابن زيد وقتادة.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٣ عن ابن مسعود رضي الله عنه. وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٣١.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٠٥-٢٠٦ عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والضحاك.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٨، وفيه: والبُؤْبُؤ: وهو الأصل.

(٨) الوسيط ٤/ ٢٢٢ بنحوه.

(٩) الوسيط ٤/ ٢٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧١. وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٩٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

هَجَوْتَكَ فاختَضَعْتَ لها بِذُلٍّ ... بقافيةٍ تأجَّجُ كالشُّواظِ[1]

وقال رُؤبة:

ونار حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّواظا[2]

وتُضَمُّ شينُه وتُكسَر.

«النُّحاس» قال الخليل[3]: النُّحاس: هو الدخان الذي لا لهبَ له[4]. وهو معروفٌ في كلام العرب. قال نابغةُ بني جَعْدة:

تُضيءُ كضَوءِ سِراجِ السَّليـ ... ـطِ لم يَجعَلِ اللهُ فيهِ نُحاسا[5]

وقال الكسائي: النُّحاس: هو النار الذي له ريحٌ شديدة. وقيل: الصُّفر المُذاب. وتُضَمُّ نونُه وتُكسَر.

الوَردة: الشديدة الحُمرة، يقال: فرسٌ وَرْدٌ، وحِجْرةٌ وردةٌ[6].

الدِّهان: الجلد الأحمر. أنشد القاضي منذر بن سعيد:

---

(١) هكذا جاء لفظ روايته في تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤١، وروايتُه في ديوان حسان ص ١٤٢ هكذا:

مُجَلَّلَةً تُعَمِّمُهُ شَناراً ... مُضَرَّمةً تأجَّجُ كالشُّواظِ

(٢) لم أقف عليه في ديوان رؤبة، وهو في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٤، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢٢١-٢٢٢، والصحاح (شوظ). ونسبه ابن دريد في جمهرة اللغة ٣/ ١٢٣ للعجاج، ولم أجده في ديوانه أيضاً.

(٣) في العين ٦/ ٢٧٨.

(٤) وهو قول ابن عباس ﷺ وسعيد بن جبير فيما أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٢٢٤، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١١٦. والكلام بتمامه في تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٣.

(٥) ديوان النابغة الجعدي ص ٨١، وهو في مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، وغريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٣٨، والشعر والشعراء ١/ ٢٩٦.
ونُسب في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١ للأعشى، ولم أجده في ديوانه. والسَّليط: الزيت، عند عامة العرب، وهو دهن السمسم، عند أهل اليمن. اللسان (سلط).

(٦) تفسير الرازي ٢٩/ ١١٧.

تَبِعْنَ الدِّهانَ الحُمْرَ كلَّ عشيَّةٍ بموسمِ بدرٍ أو بسوقِ عُكاظِ[١]

النَّاصيةُ: مُقَدَّم الرأس[٢].

«آن»: نهاية في الحَرِّ[٣].

«الأفنان» جمع فَنَن: وهو الغصن، أو جمع فَنّ: وهو النوع[٤]. قال الشاعر:

ومِنْ كلِّ أفنانِ اللَّذاذةِ والصِّبا لَهَوْتُ بهِ والعَيْشُ أخضَرُ ناضِرُ[٥]

وقال نابغة بني ذُبيان[٦]:

بُكاءَ حمامةٍ تدعو هَديلاً مُفَجَّعَةٍ على فَنَنٍ تُغَنِّي

«الجَنى»: ما يُقطف من الثمرة[٧]، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول، كالقبَض بمعنى مقبوض.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: قَصَرْنَ ألحاظهنَّ على أزواجهنَّ[٨]. قال الشاعر:

من القاصراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ من الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأثَّرا[٩]

«الطَّمْث»: دم الحيض ودم الافتضاض[١٠].

الياقوت: حجر معروف. وقيل: لا تؤثر فيه النار. قال الشاعر:

---

(١) لم أقف على قائله، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١-٢٣٢.

(٢) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٤٤.

(٣) تهذيب اللغة ١٥/ ٥٥٦.

(٤) تهذيب اللغة ١٥/ ٤٦٥.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ٤٩ من دون نسبة.

(٦) في ديوانه ص ١٢٢.

(٧) الصحاح (جني).

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٣، والكشاف ٤/ ٤٩.

(٩) البيت لامرىء القيس، وهو في ديوانه ص ٦٨. وسلف عند تفسير الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.

(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٤.

وطالَما أُصْليَ الياقوتُ جَمْرَ غَضًى ثمَّ انطفى الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ[١]

الادْهِمام: السَّواد[٢].

النَّضحُ: فوران الماء[٣].

«المَقْصورة»: المحبوسة، ويقال: قصيرة ومقصورة، أي: مُخَدَّرة[٤]. وقال كُثَيِّر:

وأنتِ التي حَبَّبْتِ كلَّ قَصيرةٍ إليَّ ولم تشعُرْ بذاكَ القَصائِرُ

عَنَيْتُ قصيراتِ الحِجالِ ولم أُرِدْ قِصارَ الخُطا شَرُّ النِّساءِ البَحاتِرُ[٥]

الخَيْمَة: معروفة، وهي بيت المُرْتَحِل من خشبٍ وثُمامٍ[٦] وسائرِ الحشيش، وإذا كان من شَعْرٍ فهو بيتٌ ولا يُقال له: خيمة، ويُجمَعُ على خيامٍ وخِيَم. قال جرير:

متى كانَ الخِيامُ بذي طُلوحٍ سُقيتِ الغَيْثَ أيَّتُها الخيامُ[٧]

الرَّفْرَف: ما تَدلَّى من الأسِرَّة من غالي الثياب[٨]. وقال الجوهري: ثيابٌ خضرٌ تُتَّخذ منها المحابس[٩]، الواحدة رَفْرَفَة، واشتقاقه من رَفَّ إذا ارتفع، ومنه: رَفْرَفة

---

(١) لم أقف على قائله، وأنشده الحريري في مقاماته ص ٥٤٦. الغضى: شجر خشبه أصلب الخشب، وفحمه أصلب الفحم. القاموس المحيط (غضى).

(٢) الصحاح (دهم).

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٦، والنكت والعيون ٥/ ٤٤١.

(٤) الصحاح (قصر).

(٥) ديوان كثير ص ١٤٩. والحِجال؛ جمع حَجَلة: وهي سترٌ يُضرب للعروس. والبحاتر: القصيرات المجتمعات الخَلْق. المعجم الوسيط (حجل) و(بحتر).

(٦) الثُّمام: نبتٌ معروف في البادية لا تجهده النَّعَم إلا في الجدوبة. اللسان (ثمم).

(٧) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ص ٢٧٨، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٦.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٦.

(٩) في (أ) و(ع) والمطبوع: المجالس.

الطائر؛ لتحريك جناحيه وارتفاعه في الهواء، وسُمِّي الطائرُ رَفْرافاً، ورَفْرَفَ جناحيه: حرَّكهما ليقعَ على الشيء[١]. ورفرفُ السحابِ: هَيْدَبُه.

العَبْقَري: منسوبٌ إلى عَبْقَر، تزعم العربُ أنَّه بلدُ الجِنِّ، فينسبون إليه كلَّ شيء عجيب[٢]. قال زهير:

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عبقريَّةٌ جَديرون يوماً أن ينالوا فيَسْتَعلُوا[٣]

وقال امرؤ القيس:

كأنَّ صليلَ المَرْوِ حين تُشِذُّهُ صليلُ زُيوفٍ يُنْتَقَدْنَ بعَبْقَرا[٤]

وقال ذو الرُّمَّة:

حتَّى كأنَّ رياضَ القُفِّ أَلْبَسَها مِنْ وَشْيِ عَبْقَرَ تَجْليلٌ وتَنْجيدُ[٥]

وقال الخليل: العبقري: كلُّ جليلٍ نفيسٍ من الرجال والنساء وغيرهم[٦].

الجَلال: العَظَمة، قال الشاعر:

خبرٌ ما جاءنا مُصْمَئِلٌّ جَلَّ حتَّى دَقَّ فيه الأجَلُّ[٧]

* * *

---

(١) الصحاح (رفف).

(٢) الكشاف ٤/ ٥٠، وما قبله منه.

(٣) شرح ديوان زهير ص ١٠٣. قال شارحه: جديرون: خليقون. ويستعلوا: يظفروا ويَعْلُوا.

(٤) ديوان امرىء القيس ص ٦٤، وفيه: تُطيره، بدل: تُشِذُّه، وكلاهما بمعنى. والصليل: الصوت. والمرو: الحجارة.

(٥) ديوان ذي الرمة ٢/ ١٣٦٦. قال شارحه: القُفّ: ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً في ارتفاعه. والتنجيد: التزيين. فشبَّه الزهر بوشي عبقر.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٠، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧٨.

(٧) اختُلف في نسبته، فنسبه الجاحظ في الحيوان ٣/ ٦٨ لتأبَّط شرًّا، وقال: إن كان قاله. ونُسب في العقد الفريد ٣/ ٢٩٨ لابن أخت تأبَّط شرًّا. وفي منتهى الطلب ٦/ ٤١٨ للشنفرى. وفي جمهرة اللغة ٣/ ٢٧٣ للشنفرى أو لخلف بن الأحمر. وفي شرح ديوان =

سورة الرحمن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ
وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا
تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن
مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى
ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ
وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ
﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

التفسير هذه السورة مكية في قول الجمهور، ومدنية في قول ابن مسعود. وعن ابن عباس القولان، وعنه سوى آية هي مدنية، وهي ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [٢٩].

وسبب نزولها فيما قال مقاتل: أنَّه لمَّا نزل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ الآية [الفرقان: ٦٠] قالوا: ما نعرِفُ الرحمن، فنزلت ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾(١).

وقيل: لمَّا قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ أكذَبَهم الله تعالى وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾(٢).

= الحماسة للمرزوقي ٣/ ٨٢٧-٨٢٨ لتأبط شرًّا أو لخلف بن الأحمر، وصحَّح نسبته لخلف. وفي محاسن الجزيرة ٣/ ٩٠ لأبي حفص الهوزني. والمُصْمَئِلُّ: الشديد. اللسان (صمل).

(١) زاد المسير ٨/ ١٠٥.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٦.

وقيل: مدنية، نزلت إذْ أبى سهيل بن عمرو وغيرُه أن يكتب في الصُّلح: بسم الله الرحمن الرحيم[١].

ومناسبة هذه السورة لِما قبلها أنَّه لمَّا ذكر مقرَّ المجرمين ﴿فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ ومقرَّ المتقين ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾ ذكر شيئاً من آثار المُلْك وآثار القدرة، ثمَّ ذكر مقرَّ الفريقين على جهة الإسهاب؛ إذ كان في آخر السورة ذكَره على جهة الاختصار والإيجاز، ولمَّا ذكر قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ فأبرز هاتين الصفتين بصورة التنكير، فكأنَّه قيل: مَنِ المتَّصف بذلك؟ فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ فذكر ما نشأ عن صفة الرحمة وهو تعليم القرآن الذي هو شفاءٌ للقلوب.

والظاهر أنَّ «الرحمن» مرفوعٌ على الابتداء، و«علَّمَ القرآن» خبره[٢]. وقيل: «الرحمن» آية بمُضمَرٍ، أي: اللهُ الرحمنُ، أو: الرحمنُ ربُّنا، وذلك آية، و«علَّمَ القرآن» استئناف إخبار[٣].

ولمَّا عدَّد نِعَمَه تعالى بدأ من نِعَمِه بما هو أعلى رتبها وهو تعليم القرآن، إذ هو عمادُ الدين ونجاةُ مَن استمسك به، ولمَّا ذكرَ تعليمَ القرآن ولم يذكر المُعلَّم ذكرَه بعدُ في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾، ليُعْلِمَ أنَّه هو المقصودُ بالتعليم، ولمَّا كان خَلْقُه من أجل الدينِ وتعليمِه القرآن كان كالسبب في خلقه، فقُدِّم على خلقِه، ثمَّ ذكر تعالى الوصفَ الذي يتميَّز به الإنسانُ من المنطقِ المُفصِح عن الضمير، والذي به يمكن قبولُ التعليم وهو البيان، ألا ترى أنَّ الأخرسَ لا يُمكِنُ أنْ يتعلَّم شيئاً ممَّا يُدْرَك بالنُّطق.

و«علَّم» متعدِّية إلى اثنين، حُذِف أولهما؛ لدلالة المعنى عليه، وهو جبريل، أو محمد عليهما الصلاة والسلام، أو الإنسان. أقوال. وتوهَّم أبو عبد الله الرازي[٤]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٣.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥١.
(٣) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥١.
(٤) في تفسيره ٢٩/ ٨٤، وما قبله منه بنحوه، وما بين حاصرتين الآتي منه أيضاً.

أنَّ المحذوف هو المفعول الثاني، قال: إنْ قيلَ: لِمَ تُرِكَ المفعولُ الثاني؟ وأجاب بأنَّ النِّعمة في [تعميم] التعليم لا في تعليم شخصٍ دون شخصٍ، كما يُقال: فلانٌ يُطعِمُ الطعامَ، إشارةً إلى كرمه، لا يُبيِّنُ مَنْ يُطعِمُه. انتهى.

والمفعول الأول هو الذي كان فاعلاً قبل النقل بالتضعيف أو الهمزة في عَلَّمَ وأطعَمَ، وأبعَدَ مَنْ ذهب إلى أنَّ معنى ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ جعَلَه علامةً وآيةً يُعتَبرُ بها، وهذه جُملٌ مترادفةٌ أخبارٌ كلُّها عن «الرحمن»، جُعِلَتْ مستقلَّةً لم تُعطَفْ؛ إذ هي تعدادٌ لنِعَمِه تعالى، كما تقول: زيدٌ أحسَنَ إليك، خوَّلَكَ، أشارَ بذِكْرِك.

و﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ اسم الجنس. وقال قتادة: الإنسان: آدم عليه السلام. وقال ابن كَيْسان: محمد ﷺ.

وقال ابن زيد والجمهور: البيان: المنطق والفهم والإبانة، وهو الذي فَضَّلَ الإنسانَ من سائر الحيوان. وقال قتادة: هو بيان الحلال والحرام والشرائع، وهذا جزءٌ من البيان العام[(١)]. وقال محمد بن كعب: ما يقول وما يُقال له. وقال الضحَّاك: الخير والشر. وقال ابن جُريج: الهدى. وقال يمان: الكتابة[(٢)]. ومن قال: ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ آدمُ، فالبيان أسماءُ كلِّ شيء، أو التكلُّم بلغات كثيرة أفضَلُها العربية[(٣)]، أو الكلام بعد أن خلقَه، أو علم الدنيا والآخرة، أو الاسمُ الأعظم الذي علمَ به كلّ شيء. أقوالٌ آخِرُها منسوبٌ لجعفر الصادق[(٤)].

ولمَّا ذكر تعالى ما أنعمَ به على الإنسان من تعليمه البيان، ذكرَ ما امتنَّ به من وجودِ الشمس والقمر وما فيهما من المنافع العظيمة للإنسان؛ إذ هما يجريان على حساب معلومٍ وتقديرٍ سويٍّ في بروجهما ومنازلهما[(٥)].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٣.
(٢) زاد المسير ٨/ ١٠٦.
(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٦٦.
(٤) مجمع البيان ٢٧/ ٨٥.
(٥) الكشاف ٤/ ٤٣ بنحوه مع تقديم وتأخير.

والحُسْبان مصدرٌ كالغفران، وهو بمعنى الحساب. قاله قتادة. وقال الضحاك وأبو عبيدة: جمع حساب، كشِهاب وشُهْبان. قال ابن عباس وأبو مالك وقتادة: لهما في طلوعِهما وغروبِهما وقَطْعِهما البروجَ وغيرِ ذلك حسباناتٌ شتَّى. وقال ابن زيد: لولا اللَّيلُ والنهارُ لم يَدْرِ أحدٌ كيف يحسب شيئاً يريد من مقادير الزمان. وقال مجاهد: الحُسبان: الفَلَكُ المُستدير، شبَّهه بحُسبان الرَّحى: وهو العود المستدير الذي باستدارته تستدير المطحنة[١].

وارتفع «الشمسُ» على الابتداء، وخبرُه «بحُسبان»، فإمَّا على حذف، أي: جَرْيُ الشمسِ والقمرِ كائنٌ بحُسْبان. وقيل: الخبر محذوف، أي: يجريان بحُسْبان[٢]. و«بحُسْبان» مُتعلِّقٌ بـ «يجريان»[٣]. وعلى قول مجاهد تكون الباءُ في «بِحُسْبان» ظرفية؛ لأنَّ الحُسْبان عنده الفَلَك.

ولمَّا ذكر تعالى ما أنعمَ به من منفعة الشمس والقمر وكان ذلك من الآثار العُلْوِيَّة، ذكرَ في مقابلتِهما من الآثار السُّفْلِيَّة النجمَ والشجرَ؛ إذ كانا رزقاً للإنسان، وأخبر أنَّهما جاريان على ما أراد الله بهما من تسخيرهما وكينونتِهما على ما اقتضَتْه حكمتُه تعالى. ولمَّا ذكرَ ما به حياةُ الأرواح من تعليم القرآن، ذَكرَ ما به حياةُ الأشباح من النبات الذي له ساق، وكان تقديمُ النَّجم وهو ما لا ساق له؛ لأنَّه أصل القوت، والذي له ساقٌ ثمرُهُ يُتَفَكَّهُ به غالباً.

والظاهر أنَّ النَّجم هو الذي شرحناه، ويدلُّ عليه اقترانُه بالشجر. وقال مجاهد وقتادة والحسن: النَّجم: اسم الجنس من نجوم السماء.

وسجودُهما، قال مجاهد والحسن: ذلك في النَّجم بالغروبِ ونحوِه، وفي الشجر بالظِّلِّ واستدارتِه. وقال مجاهد أيضاً: والسجودُ تجوُّزٌ، وهو عبارةٌ عن الخضوع والتذلُّل[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٤٨. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٢. وأخرج الطبري ٢٢/ ١٧٢ قول مجاهد.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٣، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠٤.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥١.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤.

والجُمَلُ الأُوَلُ فيها ضميرٌ يربطها بالمبتدأ، وأمَّا في هاتين الجملتين فاكتفي بالوصل المعنوي عن الوصل اللَّفظي؛ إذ معلومٌ أنَّ الحُسْبانَ هو حُسْبانُه، وأنَّ السُّجودَ له لا لغيره، فكأنَّه قيل: بِحُسبانه ويسجدانِ له. ولمَّا أُورِدَتْ هذه الجملُ مورد تعديد النِّعم رُدَّ الكلامُ إلى العطفِ في وصلِ ما يناسِبُ وصلُه، والتناسبُ الذي بين هاتين الجملتين ظاهرٌ؛ لأنَّ الشمسَ والقمرَ عُلْوِيَّان، والنَّجمَ والشجرَ سُفْلِيَّان[١].

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ أي: خلقَها مرفوعةً، حيثُ جعلَها مصدرَ قضاياه، ومسكنَ ملائكتِه الذين ينزلون بالوحي على أنبيائه، ونبَّه بذلك على عِظَمِ شأنِه وملكِه.

وقرأ الجمهور: «والسماءَ» بالنصب على الاشتغال، رُوعيَ مُشاكلةَ الجملة التي تليه وهي «يسجدان». وقرأ أبو السمَّال: «والسماءُ» بالرفع، راعى مشاكلَة الجملة الابتدائية[٢].

وقرأ الجمهور: «ووَضَعَ الميزانَ» فعلاً ماضياً، ناصباً «الميزان»، أي: أقرَّه وأثبتَه[٣]. وقرأ إبراهيم: «ووَضْعِ» بإسكان الضاد، «الميزانِ» بالخفض[٤].

والظاهر أنَّه كلُّ ما تُوزَنُ به الأشياء وتُعرف مقاديرُها وإن اختلفت أشكال الآلات. قال معناه ابن عباس والحسن وقتادة، جعله تعالى حاكماً بالتسوية في الأخذ والإعطاء. وقال مجاهد والطبري والأكثرون: «الميزان»: العدل، وتكون الآلاتُ من بعض ما يندرج في العدل، بدأ أولاً بالعلم، فذكر ما فيه أشرفُ أنواع العلوم وهو القرآن، ثمَّ ذكر ما به التعديل في الأمور وهو الميزان، كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] ليعلموا الكتاب ويفعلوا ما يأمرهم به الكتاب[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٤ بنحوه مع تقديم وتأخير. وما بعده منه أيضاً.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٤٨، والمحتسب ٢/ ٣٠٢، والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٨. والعبارة في (أ) والمطبوع: وقرأ إبراهيم: «وضعِ الميزانِ» بالخفض وإسكان الضاد.

(٥) الكلام من الكشاف ٤/ ٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٤، وتفسير الرازي ٢٩/ ٩٠. وقول الطبري في تفسيره ٢٢/ ١٧٧.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ أي: لئلَّا تَطْغَوا، فـ «تَطْغَوا» منصوب بـ «أنْ»[١]، وقال الزمخشري: أو هي «أنْ» المُفسِّرة. وقال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «أنْ» مُفسِّرة، فيكون «تَطْغَوا» جزماً بالنهي. انتهى.

ولا يجوز ما قالاه من أنَّ «أنْ» مُفسِّرةٌ؛ لأنَّه فاتَ أحدُ شرطيها وهو أن يكون ما قبلها جملةً فيها معنى القول، «ووضعَ الميزانَ» جملةٌ ليس فيها معنى القول.

والطغيان في الميزان: هو أن يكون بالتعمُّد، وأمَّا ما لا يُقدَر عليه من التحرير بالميزان، فمعفوٌّ عنه[٢].

ولمَّا كانت التسويةُ مطلوبةً جِدًّا أمرَ الله تعالى فقال: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾.

وقرأ الجمهور: «ولا تُخْسِروا» من أخسر، أي: أفسد، ونقص، كقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين:٣] أي: يُنقِصون. وبلال بن أبي بُرْدة وزيد بن علي: «تَخْسِر» بفتح التاء[٣]، يقال: خَسَرَ يَخْسِر، وأخسَرَ يُخْسِر، بمعنى واحد، كجَبَرَ وأجْبَرَ. وحكى ابن جنِّي[٤] وصاحب «اللوامح» عن بلال فتح التاء والسين مضارع خَسِر بكسر السين[٥]. وخرَّجها الزمخشريُّ[٦] على أن يكون التقدير: في الميزان، فحذف الجار ونصب. ولا يُحتاج إلى هذا التخريج، ألا ترى أنَّ خَسِرَ جاء مُتعدِّياً، كقوله تعالى: ﴿خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام:١٢] و﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج:١١]. وقُرِئَ أيضاً: «تَخْسُروا» بفتح التاء وضمِّ السين[٧]. لمَّا منع من الزيادة وهي الطغيان نهى عن الخسران الذي هو نقصان، وكرَّر لفظ «الميزان»؛ تشديداً للتوصية به، وتقويةً للأمر باستعماله والحثِّ عليه.

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٩، والمحتسب ٢/ ٣٠٣ عن بلال وحده هكذا بالإفراد، وعنه ـ أيضاً ـ في الشاذة بالجمع «تَخْسِروا». والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥.

(٤) في المحتسب ٢/ ٣٠٣.

(٥) أي: «تَخْسَروا».

(٦) في الكشاف ٤/ ٤٤.

(٧) الكشاف ٤/ ٤٤، وما بعده منه أيضاً بنحوه.

ولمَّا ذكر السماء ذكر مقابلتها، فقال: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ أي: خفضها مَدْحُوَّةً على الماء ليُنتَفعَ بها.

وقرأ الجمهور: «والأرضَ» بالنصب. وأبو السمَّال بالرفع[(١)].

والأنام؛ قال ابن عباس: بنو آدم فقط. وقال أيضاً هو وقَتادة وابنُ زيد والشَّعبي: الحيوان كله. وقال الحسن: الثَّقلان الجِنُّ والإنس[(٢)].

﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ﴾ ضروب مما يُتفكَّه به[(٣)].

وبدأ بقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ إذ هو من باب الابتداء بالأدنى والترقِّي إلى الأعلى، ونكَّرَ لفظَها؛ لأنَّ الانتفاعَ بها دون الانتفاع بما يُذكَرُ بعدها، ثمَّ ثنَّى بالنخل فذكر الأصلَ ولم يذكر ثمرتَها وهو الثمر، لكثرة الانتفاع بها من ليفٍ وسَعَفٍ[(٤)] وجريدٍ وجذوعٍ وجُمَّارٍ[(٥)] وثمَرٍ، ثمَّ أتى ثالثاً بالحَبِّ الذي هو قوام عيش الإنسان في أكثر الأقاليم، وهو البُرُّ والشعيرُ وكلُّ ما له سُنبلٌ وأوراقٌ متشعِّبةٌ على ساقه، ووصَفَه بقوله: ﴿ذُو ٱلْعَصْفِ﴾ تنبيهاً على إنعامه عليهم بما يقوتهم به من الحبِّ ويقوتُ بهائمهم من ورقه الذي هو التبن، وبدأ بالفاكهة وختم بالمشموم وبينهما النخل والحَبُّ ليحصل ما به يتفكَّه، وما به يتقوَّت، وما به تقع اللَّذاذة من الرائحة الطيبة، وذكر النخلَ باسمها والفاكهةَ دون شجرها؛ لعِظَمِ المنفعة بالنخل من جهاتٍ متعدِّدة، وشجرةُ الفاكهة بالنسبة إلى ثمرتها حقيرةٌ، فنصَّ على ما يَعظُم به الانتفاعُ من شجرة النخل ومن الفاكهةِ دون شجرتها[(٦)].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٤٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥. والقولان الثاني والثالث أخرجهما الطبري عنهم ٢٢/ ١٨٠ دون قول الشعبي.

(٣) الكشاف ٤/ ٤٤.

(٤) السَّعَف: ورقُ النخلة، والجريد أغصانُها. اللسان (سعف).

(٥) الجُمَّار: شحم النخل، واحدته جُمَّارة. اللسان (جمر).

(٦) تفسير الرازي ٢٩/ ٩٣-٩٤ بنحوه مع تقديم وتأخير. وينظر بعض الكلام في الكشاف ٤/ ٤٤-٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥.

وقرأ الجمهور: «والحَبُّ ذو العصفِ والرَّيحانُ» برفع الثلاثة، عطفاً على المرفوع قبلَه. وابنُ عامر، وأبو حَيْوة، وابنُ أبي عبلة بنصب الثلاثة[١]، أي: وخلَقَ الحبَّ[٢].

والعَصْفُ: التِّبْن الذي تأكلُه الدوابُّ، أو أوراق النبات الذي له ساقٌ، الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة، أو ورق ما يؤكل فحسب. أقوال.

والرَّيحانُ: ما يُشمُّ، أو الورق[٣]، أو الذي يضع بزره في الأرض. أقوال.

وجَوَّزوا أن يكون «والريحان» حالة الرفع وحالة النصب على حذف مضاف، أي: وذو الرَّيحان، أو: وذا الرَّيحان، حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه[٤].

وحمزة والكسائي والأصمعي عن أبي عمرو: «والرَّيحانِ» بالجر[٥]، والمعنى: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾ الذي هو عَلفُ البهائم «والرَّيْحانِ» الذي هو مَطْعَمُ الناس[٦].

ويبعد دخولُ المشموم في قراءة الجرِّ، و«رَيحان» من ذواتِ الواو، وأجاز أبو علي أن يكون اسماً ووُضِعَ موضع المصدر، وأن يكون مصدراً على وزن فَعْلان كاللَّيان، وأُبدِلَتِ الواوُ ياءً كما أبدلوا الياءَ واواً في أشاوى، أو مصدراً شاذًّا في المعتَلِّ كما شَذَّ كَينونة وبَينونة، فأصله رَيْوَحان قُلِبَتِ الواوُ ياءً وأُدغِمَتْ في الياء، فصار رَيِّحان، ثمَّ حُذِفت عينُ الكلمة كما قالوا: ميِّت وهيِّن[٧].

---

(١) القراءة عن ابن عامر في السبعة ص ٦١٩، والتيسير ص ٢٠٦. وعن أبي حيوة في تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٥.
(٣) في (يه) و(د٣): الورد، والكلام في تفسير الرازي ٢٩/ ٩٤ بنحوه.
(٤) الكشاف ٤/ ٤٥.
(٥) القراءة عن حمزة والكسائي في السبعة ص ٦١٩، والتيسير ص ٢٠٦، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٦) الكشاف ٤/ ٤٥.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٥-٢٢٦. وينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٤٦.

ولمَّا عدَّد تعالى نِعَمَه خاطب الثقلين بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: إنَّ نِعَمَه كثيرةٌ لا تُحصى، فبأيِّها تُكذِّبان، أي: مَنْ هذه نِعَمُه لا يمكن أن يُكذَّبَ بها.

وكأنَّ هذا الخطاب للثَّقلين؛ لأنَّهما داخلان في الأنام على أصحِّ الأقوال، ولقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:١٤] ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ﴾ [الرحمن:١٥]، ولقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن:٣١]. وقد أبعَدَ مَنْ ذهب إلى أنَّه خطابٌ للذّكر والأنثى من بني آدم، وأبعَدُ مِنْ هذا قولُ مَنْ قال: إنَّه خطابٌ على حدِّ قوله: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ [ق:٢٤]، ويا حرَسيُّ اضرِبا عُنُقَه[١]. يعني أنَّه خطابٌ للواحد بصورة الاثنين[٢].

وقرئ: «فبأيٍّ» منوَّناً في جميع السورة[٣]، كأنَّه حذف منه المضافَ إليه وأبدلَ منه «آلاء ربّكما» بدلَ معرفةٍ من نكرة. و«آلاء» تقدَّم في «الأعراف»[٤] أنَّها النِّعم، واحدها: إلًى وألًى وإِلْيٌ وأَلْيٌ[٥].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ لمَّا ذكر العالَمَ الأكبَرَ من السماء والأرض وما أوجدَ فيها من النِّعم ذكَر مبدأ مَنْ خُلِقَتْ له هذه النِّعم.

والإنسان: هو آدم. وهو قول الجمهور. وقيل: الجنس، وساغ ذلك، لأنَّ أباهم مخلوقٌ من الصَّلصال[٦]. وإذا أُريد بالإنسان آدم فقد جاءت غاياتٌ له مختلفة، وذلك بتنقُّل أصله، فكان أولاً تراباً، ثمَّ طيناً، ثمَّ حمأً مسنوناً، ثمَّ صلصالاً، فناسب أن ينسب خلقه لكلٍّ واحدٍ منها[٧].

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦، والكشاف ٤/ ٢٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٢-١٢٣.
(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠٤.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٤٩، ونُسبت لأبي الدينار الأعرابي.
(٤) عند تفسير الآية (٦٩) منها.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٢.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦.
(٧) الكشاف ٥/ ٤٥ بنحوه.

والجانّ: هو أبو الجن، وهو إبليس. قاله الحسن[١]. وقال مجاهد: هو أبو الجن، وليس بإبليس[٢]. وقيل: الجانّ: اسم جنسٍ[٣].

والمارج: ما اختلط من أصفرَ وأحمرَ وأخضرَ[٤]، أو اللَّهب[٥]، أو الخالص[٦]، أو الحُمرةُ في طرف النار[٧]، أو المختلط بسواد[٨]، أو المضطرِب بلا دخان[٩]. أقوال.

و«مِنْ» الأولى لابتداء الغاية، والثانية في «مِنْ نار» للتبعيض. وقيل: للبيان.

والتَّكرار في هذه الفواصل للتأكيد والتنبيه والتحريك، وهي موجودةٌ في مواضعَ من القرآن، وذهب قومٌ منهم ابن قتيبة إلى أنَّ هذا التَّكرار إنَّما هو لاختلاف النِّعَم، فكرَّر التوقيف في كلِّ واحدٍ منها[١٠].

وقرأ الجمهور: «رَبُّ» «ورَبُّ» بالرفع، أي: هو رَبُّ[١١].

وأبو حَيْوة وابن أبي عبلة بالخفض[١٢]، بدلاً من «ربِّكما».

(١) زاد المسير ٤/ ٣٩٩، ومجمع البيان ٢٧/ ٩٠، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٦.
(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٢٩.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦.
(٤) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٩٦ عن مجاهد. وهو عنه في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٢، والنكت والعيون ٥/ ٤٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٢٦٨، وزاد المسير ٨/ ١١٠.
(٥) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٩٥ عن ابن عباس ﷺ. وهو عنه في النكت والعيون ٥/ ٤٢٨. وأخرجه الطبري أيضاً ٢٢/ ١٩٧ عن ابن زيد وقتادة. وهو في زاد المسير ٨/ ١١٠ عن مقاتل وابن قتيبة. وهو في تفسير غريب القرآن ص ٤٣٧.
(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ١٩٥ عن ابن عباس ﷺ. وهو في تفسير البغوي ٤/ ٢٦٨.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧٢١٩.
(٨) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٩٩، والكشاف ٤/ ٤٥.
(٩) النكت والعيون ٥/ ٤٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦ بنحوه.
(١٠) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٦.
(١١) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥١.
(١٢) زاد المسير ٨/ ١١٢ عن أبي رجاء وابن أبي عبلة. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٦، والكشاف ٤/ ٤٥.

وثنّى المضاف إليه؛ لأنَّهما مَشْرِقا الصيف والشتاء ومغرباهما. قاله مجاهد[١]. وقيل: مشرِقا الشمس والقمر ومغرباهما[٢]. وعن ابن عباس: للشمس مشرقٌ في الصيف مُصْعِدٌ، ومَشرِقٌ في الشتاء مُنحَدِر تنتقل فيهما مُصْعِدة ومُنْحَدِرة. انتهى. فالمشرقان والمغربان للشمس. وقيل: المَشْرِقان: مطلِعُ الفجر ومطلِعُ الشمس، والمغربان: مغرِبُ الشَّفق ومغرِبُ الشمس[٣].

ولسهل التُّسْتري كلامٌ في «المشرِقَين» و«المغرِبَين» شبيهٌ بكلام الباطنية المحرِّفين مدلولَ كلامِ الله، ضرَبْنا عن ذِكْرِه صفحاً، وكذلك ما وقفنا عليه من كلام الغُلاة الذين يُنسَبونَ للصوفية؛ لأنَّا لا نستحِلُّ نقلَ شيءٍ منه.

وقد أُولِعَ صاحبُ كتاب «التحرير والتحبير» فحشد ما قالَه هؤلاء الغُلاة في كلِّ آيةٍ آية، ويُسمِّي ذلك الحقائق وأرباب القلوب، وما ادَّعَوا فهمَه في القرآن فغَلَوا فيه لم يفهمه عربيٌّ قطُّ، ولا أراده الله تعالى بتلك الألفاظ، نعوذ بالله من ذلك.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ تقدَّم الكلامُ على ذلك في الفرقان[٤]. قال ابن عطية: وذكر الثعلبيُّ في ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ ألغازاً وأقوالاً باطنةً لا يُلتفَتُ إلى شيء منها[٥]. انتهى.

والظاهر التقاؤهما، أي: يتجاوران فلا فصلَ بين الماءَين في رؤية العين[٦]. وقيل: يلتقيان في كلِّ سنةٍ مرَّة. وقيل: مُعَدَّان للالتقاء، فحقُّهما أن يلتقيا لولا البرزخ بينهما[٧].

﴿بَرْزَخٌ﴾ أي: حاجزٌ من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾: لا يتجاوزان حَدَّيهما،

---

(١) أخرجه عنه الطبري ٢٢/١٩٨، وهو في المحرر الوجيز ٥/٢٢٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/٩٩، وتفسير أبي الليث ٣/٣٠٦، والنكت والعيون ٥/٤٢٩، والمحرر الوجيز ٥/٢٢٧.

(٣) النكت والعيون ٥/٤٢٩ بنحوه، وقول سهل الآتي منه أيضاً.

(٤) عند تفسير الآية (٥٣) منها.

(٥) المحرر الوجيز ٥/٢٢٧، وكلام الثعلبي في تفسيره ٦/٥٣-٥٤.

(٦) الكشاف ٤/٤٥.

(٧) المحرر الوجيز ٥/٢٢٧.

ولا يبغي أحدُهما على الآخر بالممازجة[١].

وقيل: البَرْزَخُ: أجرامُ الأرض. قاله قتادة. وقيل: ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي: على الناس والعمران، وعلى هذا والذي قبله يكون من البغي. وقيل: هو من بغى، أي: طلب، فالمعنى: لا يبغيان حالاً غيرَ الحال التي خُلِقا عليها وسُخِّرا لها. وقيل: ماء الأنهار لا يختلط بالماء المِلْح، بل هو بذاته باقٍ فيه. قال ابن عطية[٢]: والعَيان لا يقتضيه. انتهى. يعني: أنَّه يُشاهَد الماءُ العذبُ يختلط بالمِلْح فيبقى كلُّه مِلْحاً. وقد يقال: إنَّه بالاختلاط صغُرَت جدًّا أجرام[٣] العَذْب حتى لا تَظهر، فإذا ذاق الإنسانُ من المِلْح المنبَثِّ فيه تلكَ الأجزاءُ الدقيقة لم يُحِسَّ إلَّا الملوحة، والمعقول يشهد بذلك؛ لأنَّ تداخُلَ الأجسامِ غيرُ مُمكِنٍ، لكن التفرُّقَ والالتقاءَ مُمكِن. وأنشد القاضي منذر بن سعيد البلُّوطي:

ومـمزوجـة الأمْواهِ لا الـعَـذْبُ غـالـبٌ ... على المِلْحِ طِيباً لا ولا المِلْحُ يَعْذُبُ[٤]

وقرأ الجمهور: «يَخْرُجُ» مبنيًّا للفاعل. ونافع، وأبو عمرو، وأهل المدينة مبنيًّا للمفعول[٥]. والجُعْفيُّ عن أبي عمرو بالياء مضمومةً وكسرِ الراء[٦]، أي: اللهُ. وعنه وعن أبي عمرو، وعن ابن مِقْسَم بالنون[٧]. و«اللؤلؤ» و«المرجان» نُصِبَ في هاتين القراءتين.

والظاهرُ في «منهما» أنَّ ذلك يخرج من المِلْح والعَذْب. وقال بذلك قوم، حكاه الأخفش، ورَدَّ الناسُ هذا القول؛ قالوا: والحِسُّ يُخالِفُه؛ إذ لا يخرج إلَّا من الملح، وعابوا قول الشاعر:

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٥.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٧-٢٢٨، وما قبله منه.
(٣) في (أ) والمطبوع: تتغير أجرام.
(٤) البيت في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٧.
(٥) السبعة ص ٦١٩، والتيسير ص ٢٠٦، والنشر ٢/ ٣٨٠. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٨. وفي مطبوع السبعة: بضمِّ الياء وفتح الراء!
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٨. والمشهور عن أبي عمرو: «يُخْرَجُ» بضم الياء وفتح الراء.
(٧) أي: «نُخْرِجُ»، وهي في تفسير الرازي ٢٧/ ١٠١ دون نسبة.

فَجاءَ بِها ما شِئْتَ مِن لَطَمِيَّةٍ على وَجْهِها ماءُ الفراتِ يموجُ[١]

وقال الجمهور: إنَّما يخرج من الأُجاج في المواضع التي تقع فيها الأنهارُ والمياهُ العَذْبَةُ، فناسب إسنادُ ذلك إليهما، وهذا مشهور عند الغوَّاصين. وقال ابن عباس وعكرمة: تكون هذه الأشياء في البحر بنزول المطر؛ لأنَّ الصَّدَفَ وغيرَها تفتح أفواهَها للمطر؛ فلذلك قال: «منهما». وقال أبو عبيدة: إنَّما يخرج من الملح، لكنه قال: «منهما» تجوُّزاً. وقال الرُّمَّاني: العَذْبُ فيهما كاللَّقاح للملح، فهو كما يقال: الولد يخرج من الذكر والأنثى. وقال ابن عطية[٢] وتبعَ الزجَّاج[٣]: من حيث هما نوع واحد، فخروج هذه الأشياء إنَّما هي منهما، وإن كانت تختَصُّ عند التفصيلِ المبالَغ بأحدِهما، كما قال: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٥-١٦] وإنَّما هو في إحداهنَّ، وهي الدنيا إلى الأرض.

وقال الزمخشري[٤] نحواً من قول ابن عطية؛ قال: فإنْ قلت: لِمَ قال: «منهما»، وإنَّما يخرجان من المِلْح؟ قلت: لمَّا التقَيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يُقال: يخرجان منهما، كما يُقال: يخرجان من البحر، ولا يخرجان من جميع البحر، ولكن من بعضه، وتقول: خرجتُ من البلد، وإنَّما خرجتَ من محلَّةٍ من مَحالِّه، بل من دارٍ واحدةٍ من دُورِه. وقيل: لا يخرجان إلَّا من مُلتقى المِلْح والعَذْب. انتهى.

---

(١) هكذا ورد لفظ البيت في المحرر الوجيز ٥/٢٢٨، وهو لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في أشعار الهذليين ١/١٣٤، والزاهر ٢/٣٦١، والشعر والشعراء ص ٦٥٧، وتأويل مشكل القرآن ص٢٢٢، واللسان وتاج العروس (فرت) و(لطم)، وروايته في أشعار الهذليين: تدومُ البحارُ فوقها وتموجُ. وروايته عند الباقين: يدوم الفراتُ فوقها ويموجُ. قال صاحب اللسان (لطم): إنما عنى دُرَّةً. وقوله: ما شئتَ من لطميَّةٍ، في موضع الحال.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/٢٢٨ وما قبله منه.

(٣) في معاني القرآن له ٥/١٠٠.

(٤) في الكشاف ٤/٤٥.

وقال أبو علي الفارسي: هذا من باب حذف المضاف[١]، والتقدير: يخرج من أحدهما، كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي: من إحدى القريتين[٢]. وقيل: هما بحران يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان[٣].

وقال أبو عبد الله الرازي[٤]: كلام الله تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس، ومَنْ عَلِمَ أنَّ اللُّؤلؤَ لا يخرج من الماء العذب؟ وهَبْ أنَّ الغوَّاصين ما أخرجوه إلَّا من المالح، ولكن: لِمَ قلتُم: إنَّ الصَّدفَ لا يخرج بأمر الله من الماء العذب إلى الماء الملح؟ وكيف يمكن الجزم به والأمور الأرضية الظاهرة خَفِيَتْ عن التجار الذين قطعوا المفاوِزَ، وداروا البلاد، فكيف لا يخفى أمرُ ما في قعر البحر عليهم؟

و«اللؤلؤ» قال ابن عباس والضحاك وقتادة: كبار الجوهر، و«المرجان» صغاره. وعن ابن عباس أيضاً وعليٍّ ومُرَّة الهَمْداني عكسُ هذا[٥]. وقال عبد الله[٦] وأبو مالك: «المرجان»: الحجر الأحمر[٧]. وقال الزجَّاج: حجرٌ شديد البياض. وحكى القاضي أبو يعلى أنَّه ضَرْبٌ من اللؤلؤ كالقضبان، والمرجان: اسمٌ أعجميٌّ مُعَرَّب. قال ابن دريد: لم أسمع فيه بفعل مُتَصرِّف[٨]. وقال الأعشى:

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٤٧، ونقله عنه الواحدي في الوسيط ٤/ ٢٢٠، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١١٣.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٠٥.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٠، والكلام بتمامه منه.

(٤) في تفسيره ٢٩/ ١٠١.

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٢/ ٢٠٥-٢٠٧ والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٨، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٠.

(٦) في النسخ والمطبوع: أبو عبد الله، والصواب: عبد الله: وهو ابن مسعود ﷺ، وقوله أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٣، والطبري ٦/ ٢٠٧، والطبراني في المعجم الكبير (٩٠٥٨)، وهو عنه في النكت والعيون ٥/ ٤٣١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٠.

(٧) في جميع المصادر: الخرز الأحمر. وقول أبي مالك في تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٠ أيضاً.

(٨) زاد المسير ٨/ ١١٣. وقول ابن دريد في الجمهرة ٣/ ٣٢٤.

مِنْ كلِّ مرجانةٍ في البحر أحرَزَها   تيَّارُها ووقاها طينَها الصَّدَفُ[١]

قيل: أراد اللؤلؤة الكبيرة.

وقرأ طلحة: «اللُّؤلِؤُ» بكسر اللام الثالثة، وهي لغة. وعنه[٢]: «اللُّؤلي» بقَلْبِ الهمزة المتطرفة ياءً ساكنة بعد كسرةِ ما قبلَها، وهي لغة. قاله أبو الفضل الرازي.

﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾ خَصَّ تعالى الجواري بأنَّها له وهو تعالى له ملك السماوات والأرض وما فيهنَّ؛ لأنَّهم لمَّا كانوا منشئيها أسندها تعالى إليه؛ إذ كان تمامُ منفعتِها إنَّما هو منه تعالى، فهو في الحقيقة مالِكُها. والجواري: السُّفُن[٣].

وقرأ عبد الله، والحسن، وعبد الوارث عن أبي عمرو بضمِّ الراء[٤]، كما قالوا في شاكٍ: شاكُ.

وقرأ الجمهور «المُنْشَآت» بفتح الشين اسم مفعول، أي: أنشأها اللهُ أو الناسُ[٥]، أو المرفوعاتُ الشُّرُع[٦]. وقال مجاهد: ماله شراعٌ من المنشآت، وما لم يُرْفَع له شراعٌ فليس من المنشآت[٧]. والشِّراع: القِلْع[٨].

والأعمش، وحمزة، وزيد بن علي، وطلحة، وأبو بكر بخلافٍ عنه بكسر الشين[٩]، أي: الرافعات الشُّرُع، أو اللاتي يُنشِئْنَ الأمواج بجَرْيهنَّ[١٠]، أو التي تُنشِىء السَّير[١١] إقبالاً وإدباراً.

(١) ديوان الأعشى ص ٣٦١، وفيه وفي النكت والعيون ٥/ ٤٣٠: أخرجها، بدل: أحرزها.
(٢) تصحفت في المطبوع والنسخ سوى (د٣) إلى: وعبد.
(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ١٠٢ بنحوه.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٩. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩.
(٦) الكشاف ٤/ ٤٦.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩. وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢١٠-٢١١.
(٨) الصحاح (قلع).
(٩) أي: «المُنْشِآت»، وهي عن حمزة وأبي بكر في السبعة ص ٦٢٠، والتيسير ص ٢٠٦.
(١٠) الكشاف ٤/ ٤٦.

وشدَّد الشينَ ابنُ أبي عبلة[١]. والحسن: «المُنْشاة» وحَّدَ الصِّفة، ودلَّ على الجمع الموصوف، كقوله: ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة:٢٥]، وقلبَ الهمزة ألفاً على حدِّ قوله:

إنَّ السِّباعَ لَتَهْدا في مرابِضِها[٢]

يريد: لتهدأ، التاء لتأنيث الصفة، كُتِبَتْ تاءً على لفظها في الوصل.

﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ أي: كالجبال والآكام، وهذا يدلُّ على كِبَرِ السُّفن حيث شبَّهها بالجبال، وإن كانت المنشآت تُطْلَق على السفينة الكبيرة والصغيرة، وعبَّر بـ «من» في قوله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ تغليباً لمن يعقل، والضمير في «عليها» قيل: عائدٌ على الأرض وإن لم يَجْرِ لها ذكرٌ؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[٣][ص:٣٢]. انتهى. وقد تقدم ذكر الأرض في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ فعاد الضميرُ عليها، وإن كان بَعُدَ لفظُها.

والفَناء عبارةٌ عن إعدام جميع الموجودات من حيوان وغيره. والوجه يُعبَّر به عن حقيقة الشيء، والجارحة منتفيةٌ عن الله تعالى، ونحوه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، وتقول صعاليك مكة: أينَ وجهٌ عربيٌّ كريمٌ يجود عليَّ؟

---

(١) في المطبوع والنسخ سوى (يه): السفر. والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩ والكلام منه، والوسيط ٤/ ٢٢٠.

(٢) أي: «المُنَشَّآت».

(٣) صدر بيت عجزه: والناسُ ليس بهادٍ شرُّهم أبدا، وهو لإبراهيم بن هَرْمة، وهو في ديوانه ص ٩٧، والخصائص ٣/ ١٥٢، وضرائر الشعر ص ٢٢٩، واللسان (هدأ)، وفي جميعها: عن فرائسها، بدل: في مرابضها.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩ بنحوه.

وقرأ الجمهور: «ذو» بالواو، صفةً للوجه. وأُبيٌّ وعبد الله: «ذي» بالياء، صفةً للربِّ[١].

والظاهر أنَّ الخطاب في قوله: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ للرسول، وفيه تشريف عظيم له ﷺ. وقيل: الخطاب لكلِّ سامع[٢].

ومعنى «ذو الجلال»: الذي يُجِلُّه الموحِّدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم، أو الذي يُتعَجَّبُ من جلاله، أو الذي عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده[٣].

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: حوائجهم، وهو ما يتعلَّق بمن في السماوات من أمر الدين، وما استُعبِدوا به، ومن في الأرض من أمر دينهم ودنياهم. وقال أبو صالح: ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الرحمة ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ المغفرة والرزق[٤]. وقال ابن جُريج: الملائكةُ الرزقَ لأهل الأرض والمغفرة، وأهل الأرض يسألونهما جميعاً[٥].

والظاهر أنَّ قوله: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ﴾ استئنافُ إخبارٍ. وقيل: حالٌ من الوجه، والعامل فيه «يبقى»، أي: هو دائمٌ في هذه الحال[٦]. انتهى. وفيه بُعْدٌ، ومَنْ لا يسأل فحاله تقتضي السؤال، فيصحُّ إسناد السؤال إلى الجميع باعتبار القدر المشترك وهو الافتقار إليه تعالى.

﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي: كلَّ ساعةٍ ولحظةٍ، وذكر اليوم؛ لأنَّ الساعات واللحظات في ضمنه.

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩، والكشاف ٤/ ٤٦ بنحوه، وما بعده منهما ومن إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٠٨.
(٢) ينظر تفسير الرازي ٢٩/ ١٠٦.
(٣) الكشاف ٤/ ٤٦.
(٤) الوسيط للواحدي ٤/ ١٢١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧٢٢٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٤٣ لعبد بن حميد وابن المنذر.
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٤٣ لابن المنذر.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩.

﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال ابن عباس: في شأنٍ يُمضيه من الخلق والرزق والإحياء والإماتة[١].

وقال عبيد بن عمير: يُجيب داعياً، ويفكُّ عانياً، ويتوب على قوم، ويغفر لقوم[٢].

وقال سُويد بن غَفَلة: يَعتِقُ رقاباً، ويُعطي رغاباً، ويُقحِمُ عتاباً[٣].

وقال ابن عُيينة: الدهر عند الله يومان؛ أحدهما: اليوم الذي هو مدة الدنيا، فشأنه فيه الأمرُ والنهيُ والإماتةُ والإحياء، والثاني: الذي هو يوم القيامة، فشأنُه فيه الجزاء والحساب.

وعن مقاتل: نزلت في اليهود، قالوا: إنَّ الله لا يقضي يوم السبت شيئاً[٤].

وقال الحسين بن الفضل وقد سأله عبد الله بن طاهر عن قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقد صحَّ أنَّ القلَم جَفَّ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة فقال: شؤونٌ يُبديها لا شؤونٌ يبتديها[٥].

وقال ابن بحر: هو في يوم الدنيا في الابتلاء، وفي يوم القيامة في الجزاء[٦].

وانتصب «كلَّ يوم» على الظرف، والعامل فيه العامل في قوله: «في شأن»، وهو مستقِرٌّ المحذوف، نحو: يومَ الجمعة زيدٌ قائم.

* * *

(١) أخرجه عنه بنحوه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٣-٢٦٤، والطبري ٢٢/ ٢١٥، والطبراني في الكبير (١٠٦٠٥) و(١٢٥١١)، والحاكم ٢/ ٤٧٤ و٥١٩، والثعلبي في تفسيره ٦/ ٥٦، والواحدي في الوسيط ٤/ ٢٢٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٣، وابن أبي شيبة (٣٦١٤٦)، والطبري ٢٢/ ٢١٣ و٢١٤، والبيهقي في الشعب (١١٠٣). وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦، والنكت والعيون ٥/ ٤٣٣.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦، والنكت والعيون ٥/ ٤٣٣. ويقحم: يحتقر ويزدري. معجم متن اللغة ٤/ ٥٠٢.

(٤) القولان في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٦، وتفسير البغوي ٤/ ٢٤٠، والكشاف ٤/ ٤٦.

(٥) الكشاف ٤/ ٤٦-٤٧، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٥-١٣٦.

(٦) النكت والعيون ٥/ ٥٣٢.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَٰصِى وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

لمَّا ذكر تعالى ما أنعم به من تعليم العلم وخَلْقِ الإنسان، والسماءَ والأرضَ وما أودع فيهما، وفناءَ ما على الأرض، ذكر ما يتعلَّق بأحوال الآخرة والجزاء، فقال: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ أي: ننظر في أموركم يوم القيامة، لا أنَّه تعالى كان له شُغْلٌ فهو يفرُغُ منه. وجرى هذا على كلام العرب في أنَّ المعنى: سنقصد حسابكم[1]، فهو استعارةٌ، من قول الرجل لمن يتهدَّده: سأفرُغُ لك، أي: سأتجرَّد للإيقاع بك من كلِّ ما يشغلني عنه، حتى لا يكون لي شغلٌ سواه. والمراد: التوفُّر على الانتقام منه[2]. قال ابن عطية[3]: ويحتمل أن يكون التوعُّد بعذاب في الدنيا، والأول أبْيَن. انتهى. يعني أن يكون ذلك يوم القيامة.

وقال الزمخشري[4]: ويجوز أن يُراد: ستنتهي الدنيا وتبلغ آخِرَها، وينتهي إذ ذاك شؤون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلَّا شأنٌ واحدٌ، وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المَثَل. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢٩-٢٣٠ بعضه.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٧.
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠.
(٤) في الكشاف ٤/ ٤٧.

والذي عليه أئمة اللغة أنَّ «فرَغَ» تُستعمَلُ عند انقضاء الشغل الذي كان الإنسان مشتغِلاً به؛ فلذلك احتيج قولُه: «سنفرغ» إلى التأويل، على أنَّه قد قيل: إنَّ «فرَغ» يكون بمعنى قصدَ واهْتَمَّ، واستُدِلَّ على ذلك بما أنشده ابنُ الأنباري لجرير:

ألانَ وقد فَرَغْتُ إلى نُميرٍ فهذا حينَ كنتُ لهم عَذابا[١]

أي: قصدتُ. وأنشد النَّحاس:

فَرَغْتُ إلى العبدِ المُقيَّدِ في الحِجْلِ[٢]

وفي الحديث: «فَرَغَ ربُّكَ من أربع»[٣]. وفيه: «لأتفرغَنَّ إليك يا خبيب»[٤] يخاطب به رسول الله ﷺ أزبَّ العقبة[٥] يوم بيعتِها، أي: لأقصِدَنَّ إبطالَ أمرك. نُقِلَ هذا عن الخليل والكسائي والفرَّاء[٦].

وقرأ الجمهور: «سَنَفْرُغُ» بنون العظمة وضمِّ الراء، من فرَغَ بفتح الراء، وهي لغة الحجاز. وحمزة، والكسائي، وأبو حَيْوة، وزيد بن علي بياء الغَيْبة[٧]. وقتادة والأعرج بالنون وفتح الراء[٨] مضارع فَرِغَ بكسرها، وهي تميمية. وأبو السمَّال

(١) لم أقف عليه في ديوان جرير، ونُسب له أيضاً في الحجة لأبي علي الفارسي ٤/ ٢٥٦ و٦/ ٢٤٩، والنكت والعيون ٥/ ٤٣٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٦ والكلام منه.

(٢) هذا عجز بيت صدره: ولمَّا اتَّقى القينُ العراقي باسْتِهِ. وهو لجرير كما في شرح ديوانه ٢/ ٩٥٢، وفيه: القين، بدل: العبد. قال شارحه: القَيْن العراقي: هو البعيث.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٨/ ٤٠٣ من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً بلفظ: «فرغَ اللهُ من أربع: الخَلْق، والخُلُق، والرزق، والأجل».

(٤) أخرجه أحمد (١٥٧٩٨)، والفاكهي في أخبار مكة (٢٥٤٢)، والطبراني في المعجم الكبير ١٩/ (١٧٥) من حديث كعب بن مالك ﷺ.

(٥) أزبُّ العقبة: اسم شيطان كان بالعقبة. النهاية (أزب).

(٦) في معاني القرآن له ٣/ ١١٦. وينظر تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٧.

(٧) أي: «سَيَفْرُغُ»، وهي عن حمزة والكسائي في السبعة ص ٦٢٠، والتيسير ص ٢٠٦.

(٨) أي: «سَنَفْرَغُ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠ عنهما، وفي المحتسب ٢/ ٣٠٤ عن قتادة وحده.

وعيسى بكسر النون وفتح الراء[١]. قال أبو حاتم: هي لغة سُفلى مُضَر[٢]. والأعمش وأبو حَيْوة بخلاف عنهما وابن أبي عبلة والزعفراني بضم الياء وفتح الراء[٣] مبنياً للمفعول. وعيسى أيضاً بفتح النون وكسر الراء[٤]. والأعرج أيضاً بفتح الياء والراء[٥]، وهي رواية يونس والجُعْفي وعبد الوارث عن أبي عمرو[٦].

والثَّقَلان: الإنس والجِنّ، سُمِّيا بذلك؛ لكونهما ثقيلين على وجه الأرض، أو لكونهما مُثقَلَين بالذنوب، أو لِثِقَل الإنس، وسُمِّي الجِنُّ ثَقَلاً لمجاورةِ الإنس[٧].

والثَّقَل: الأمر العظيم. وفي الحديث: «إنِّي تاركٌ فيكم الثَّقلَين: كتابَ الله وعِترتي»[٨] سُمِّيا بذلك؛ لعِظَمهما وشرفهما.

---

(١) أي: «سَنِفْرَغُ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٤٩ عنهما، وفي المحتسب ٢/ ٣٠٤ عن عيسى وحده.

(٢) هذا القول نقله ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠ عن أبي حاتم بعد قراءة عيسى الأخرى الآتية: «سَنَفْرِغُ».

(٣) أي: «سَيُفْرَغُ»، وهي في المحتسب ٢/ ٣٠٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٧ عن الأعمش، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠ عن الأعمش وأبي حيوة، وزاد المسير ٨/ ١١٥ عن ابن أبي عبلة.

(٤) أي: «سَنَفْرِغُ»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٧.

(٦) ذكر ابن مجاهد في السبعة ص ٦٢٠، وكذلك القرطبي ٢٠/ ١٣٧ رواية الجُعفي عن أبي عمرو: «سَيَفْرَغُ»، لكن المشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٧) الكلام من تفسير الثعلبي ٦/ ٥٨، والكشاف ٤/ ٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠، وتفسير الرازي ٢٩/ ١١٢.

(٨) هكذا أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠ ـ والكلام منه ـ بهذا اللفظ، ولم أجده كذلك.

وأخرجه ـ ضمن حديث طويل ـ مسلم (٢٤٠٨)، وأحمد (١٩٢٨٥) عن زيد بن أرقم ﷺ مرفوعاً بلفظ: «وأنا تارك فيكم ثقلين، أولُهما كتاب الله، فيه الهدى والنور...» ثم قال: «وأهلُ بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي».

وأخرجه أحمد (١١١٠٤) عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعاً بلفظ: «إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض». وتنظر هناك بقية طرقه وشواهده وألفاظه.

والظاهر أنَّ قوله: ﴿يَٰمَعۡشَرَ﴾ الآية، من خطاب الله إيَّاهم يوم القيامة يوم التناد. وقيل: يقال لهم ذلك. قال الضحاك: يفِرُّون في أقطار الأرض لِما يرون من الهول، فيجدون الملائكة قد أحاطت بالأرض، فيرجعون من حيث جاؤوا، فحينئذٍ يقال لهم ذلك. وقيل: هو خطاب في الدنيا، والمعنى: إن استطعتم الفرار من الموت. وقال ابن عباس: إن استطعتم بأذهانكم وفِكْرِكم أن تنفذوا فتعلموا علم أقطار - أي: جهات - السماوات والأرض[1].

قال الزمخشري[2]: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ كالترجمة لقوله: ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ ﴿إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن سمائي وأرضي فافعلوا، ثمَّ قال: لا تقدرون على النفوذ إلا بسلطان، يعني: بقوَّةٍ وقهرٍ وغَلَبةٍ، وأنَّى لكم ذلك؟! ونحوُه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢]. انتهى.

﴿فَٱنفُذُواْ﴾ أمر تعجيز. وقال قتادة: السلطان هنا الملك، وليس لهم ملك[3]. وقال الضحَّاك أيضاً: بينما الناس في أسواقهم انفتحت السماء، ونزلت الملائكة، فتهرب الجِنُّ والإنس، فتُحْدِق بهم الملائكة[4].

وقرأ زيد بن علي: «إن استطعتما» على خطاب تثنية الثَّقلَين، ومراعاة الجنِّ والإنس. والجمهور على خطاب الجماعة «إن استطعتم»؛ لأنَّ كلًّا منهما تحتَه أفرادٌ كثيرة، كقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩].

﴿يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٌ﴾ قال ابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم ساقَهم شُواظٌ إلى المحشر[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠.
(٢) في الكشاف ٤/ ٤٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠.
(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٣٩، وهو بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١٠.
(٥) الكشاف ٤/ ٤٧.

والشُّواظ: لهب النار[١]. وقال مجاهد: اللَّهب الأخضر[٢] المنقطع. وقال الضحَّاك: الدخان الذي يخرج من اللَّهب[٣].

وقرأ الجمهور: «شُواظٌ» بضمِّ الشين. وعيسى، وابن كثير، وشِبْل بكسرها[٤].

والجمهور: «نحاسٌ» بالرفع. وابن أبي إسحاق، والنَّخَعي، وابن كثير، وأبو عمرو بالجر[٥]. والكلبي، وطلحة، ومجاهد بكسر نون «نحاس» والسين[٦].

وقرأ ابن جُنْدُب[٧]: «ونَحْسٌ» كما تقول: يومٌ نَحْسٌ. وقرأ عبد الرحمن بن أبي بَكْرة وابنُ أبي إسحاق أيضاً: «ونَحُسُّ»[٨] مضارعاً، وماضيه: حَسَّه، أي: قتله، أي: ونَحُسُّ بالعذاب. وعن ابن أبي إسحاق أيضاً: «ونحس» بالحركات الثلاث في الحاء على التخيير[٩]. وحنظلة بن نعمان: «ونَحْسٍ» بفتح النون وكسر السين[١٠]. والحسن وإسماعيل: «ونُحُسٍ» بضمَّتين والكسر[١١].

(١) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٢٢ عن ابن عباس ﷺ. وهو كذلك في النكت والعيون ٥/ ٤٣٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠، وزاد المسير ٨/ ١١٦.
(٢) تحرفت في النسخ والمطبوع - وتابعه على ذلك الآلوسي في روح المعاني ٢٦/ ٢٢٦ - إلى: الأحمر، والمثبت من المصادر؛ فقد أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٢٣. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧١.
(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٢٣. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١، وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٦٢١، والتيسير ص ٢٠٦.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص ٦٢١، والتيسير ص٢٠٦.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٤٩ عن مجاهد والكلبي، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١١ عن مجاهد، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣١ عن مجاهد وطلحة.
(٧) تحرف في المطبوع والنسخ سوى (د٣) إلى: ابن جبير، وابن جندب: اسمه مسلم، وقراءته في الشاذة ص ١٤٩، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣١.
(٨) المحتسب ٢/ ٣٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣١ عن ابن أبي بكرة.
(٩) ينظر القراءات الشاذة ص ١٤٩.
(١٠) القراءات الشاذة ص ١٤٩، ووقعت تسميته فيه: حنظلة بن يعمر، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٢، ووقعت تسميته فيه: حنظلة بن مرة بن النعمان الأنصاري.
(١١) القراءات الشاذة ص ١٤٩ عن إسماعيل، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٢ عن الحسن.

وقرأ زيد بن علي: «نُرسل» بالنون «عليكما شُواظاً» بالنصب «من نارٍ ونحاساً» بالنصب عطفاً على «شُواظاً»[١].

قال ابن عباس وابن جُبير: النحاس: الدخان. وعن ابن عباس أيضاً ومجاهد: هو الصُّفْر المعروف[٢]. والمعنى: تعجيزُ الجنّ والإنس، أي: أنتما بحالِ مَنْ يُرسَلُ عليه هذا، فلا يَقدِرُ على الامتناع ممَّا يُرسَلُ عليه[٣].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ جواب «إذا» محذوف، أي: فما أعظمَ الهول! وانشقاقُها: انفطارُها يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: محمرَّةً كالوردة. قال ابن عباس وأبو صالح: هي من لون الفرس الوَرْدِ، فأُنِّثَ؛ لكون السماء مؤنثة. وقال قتادة: هي اليوم زرقاء[٤]، ويومئذٍ تغلب عليها الحُمرة كلون الوَرْد، وهي النُّوَّار المعروف. قال الزجاج. ويريد: كلون الورد[٥]. وقال الشاعر:

فلو كنتُ وَرْداً لونُهُ لَعشِقْتَني ولكِنَّ ربّي شانَني بسَوادِيا[٦]

وقال أبو الجوزاء: وردة صفراء، وقال: أما سمعتَ العرب تسمِّي الخيلَ الوَرْد. قال الفرَّاء: أرادَ لونَ الفرس الوَرْد، يكون في الربيع إلى الصُّفرة، وفي الشتاء إلى الحُمرة، وفي اشتداد البرد إلى الغبرة، فشبَّه تلوُّنَ السماء بتلوُّن الوَرْدِ من الخيل، وهذا قول الكلبي[٧].

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٧ من دون نسبة.

(٢) أخرجهما عنهم الطبري ٢٢/ ٢٢٤-٢٢٥. وهما في تفسير الثعلبي ٦/ ٥٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١، وما بعده منه.

(٤) في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣١٢، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢٢٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ٦٠، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣١: خضراء.

(٥) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١، وكلام الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ١٠١.

(٦) البيت لسُحيم عبد بني الحسحاس، وهو في ديوانه ص ٢٦، وسِرِّ صناعة الإعراب ١/ ٢٠٣، والنكت والعيون ٥/ ٤٣٦، وتاج العروس واللسان (عسق)، وروايتهما: لَعَسِقتني. قال صاحب اللسان: إنما قلب الشين سيناً لسواده وضعف عبارته عن الشين.

(٧) النكت والعيون ٥/ ٤٣٦، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١١٧.

﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ قال ابن عباس: الأديم الأحمر[١]. ومنه قول الأعشى:

وأجردَ مِنْ كرامِ الخيلِ طِرْفٍ كأنَّ على شواكِلِهِ دِهانا[٢]

وقال الحسن: كالدهان المختلفة؛ لأنَّها تتلوَّن ألواناً[٣]. وقال الضحَّاك: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: خالصة[٤]، جمع دُهْن، كقُرْط وقِراط. وقيل: تصير حمراءَ من حرارة جهنم، ومِثلَ الدُّهنِ؛ لذوبها ودورانها[٥]. وقيل: شُبِّهت بالدُّهن في لمعانها[٦].

وقال الزمخشري[٧]: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: كدُهن الزيت، كما قال: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف:٢٩]: وهو دُرْدِيُّ الزيت، وهو جمع دهن، أو اسم ما يُدْهَن به كالحِزام والإدام؛ قال الشاعر:

كأنَّهما مزادَتا مُتَعجِّلٍ فَرِيَّانِ لمَّا سُلِّقا بدِهانِ[٨]

وقرأ عبيد بن عمير: «وردةٌ» بالرفع، بمعنى: فحصلَتْ سماءٌ وردةٌ، وهو من الكلام الذي يُسمَّى التجريد، كقوله:

فلئِنْ بَقِيتُ لأرحَلَنَّ بغزوةٍ نحوَ المغانمِ أو يموتَ كريمُ[٩]

انتهى.

«فيومئذ» التنوين فيه للعِوَض من الجملة المحذوفة، والتقدير: فيومَ إذِ انشقَّتِ

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٣٦، وزاد المسير ٨/ ١١٨.
(٢) ديوان الأعشى ص ٢٣٧، واللسان (دهن).
(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٤ بنحوه.
(٤) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٢٨، وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٣٦.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٤.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣١.
(٧) في الكشاف ٤/ ٤٨.
(٨) البيت لامرىء القيس، وهو في ديوانه ص ٨٨.
(٩) البيت لقتادة بن مسلمة، وهو في معاهد التنصيص ٣/ ١٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٧٧٠.

السماءُ. والناصب لـ «يومئذ» «لا يُسأَلُ»، ودلَّ هذا على انتفاء السؤال، و﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] وغيره من الآيات على وقوع السؤال.

فقال عكرمة وقتادة: هي مواطن يُسأل في بعضها. وقال ابن عباس: حيثُ ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير، وحيث نفى فهو استخبارٌ محضٌ عن الذنب، والله تعالى أعلم بكلِّ شيء[١]. وقال قتادة أيضاً: قد كانت مسألةٌ، ثمَّ خُتِمَ على الأفواه، وتكلَّمتِ الأيدي والأرجل بما كانوا يعملون[٢]. وقال أبو العالية وقتادة: لا يُسأَلُ غيرُ المجرم عن ذنب المجرم[٣].

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: «ولا جَأن» بالهمز[٤] فراراً من التقاء الساكنين، وإن كان التقاؤُهما على حدِّه.

وقرأ حماد بن أبي سليمان: «بسيمائهم»[٥]. والجمهور: «بسيماهم».

وسيما المجرمين: سوادُ الوجوه، وزُرقة العيون. قاله الحسن. ويجوز أن يكون غير هذا من التشويهات كالعمى والبُكم والصَّمم[٦].

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ قال ابن عباس: يُؤخَذُ بناصيته وقدميه، فيوطَأُ ويُجمَعُ كالحطب ويُلقى كذلك في النار[٧]. وقال الضحاك: يُجمَعُ بينهما في سلسلة من وراء ظهره[٨]. وقيل: تسحبهم الملائكة، تارةً تأخذ بالنواصي، وتارةً بالأقدام. وقيل: بعضهم سحباً بالنَّاصية، وبعضهم سَحْباً بالقدم[٩].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٨؛ وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٢٣٠.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٦١، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧٢، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٤٥-١٤٦ عن أبي العالية.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٤٩-١٥٠ عن عمرو بن عبيد وحده، والمحتسب ٢/ ٣٠٥ عنهما.
(٥) في القراءات الشاذة ص ١٤٩ عنه: «بِسيمياهم».
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢. وقول الحسن أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٥ والطبري ٢٢/ ٢٣١. وهو في زاد المسير ٨/ ١١٨.
(٧) أخرجه البيهقي في البعث والنشور (٥٩١)، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢.
(٨) أخرجه هناد في الزهد (٢٦٨)، وهو في الكشاف ٤/ ٤٨.
(٩) ينظر الكشاف ٤/ ٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢.

و«يؤخَذُ» مُتَعَدٍّ إلى مفعول بنفسه، وحُذِفَ هذا الفاعل والمفعول، وأُقيم الجار والمجرور مقامَ الفاعل مُضمَّناً معنى ما يُعدَّى بالباء، أي: فيُسحبُ بالنواصي والأقدام، و«أل» فيهما على مذهب الكوفيين عِوَضٌ من الضمير، أي: بنواصيهم وأقدامهم. وعلى مذهب البصريين: الضمير محذوف، أي: بالنواصي والأقدام منهم.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ﴾ أي: يقال لهم ذلك على طريق التوبيخ والتقريع ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾ أي: يتردَّدون بين نارها وبين ما غلى فيها من مائع عذابها. وقال قتادة: الحميم يغلي منذ خلقَ الله جهنم[1].

و«آنٍ» أي: مُنتهي الحَرِّ والنُّضجِ، فيعاقب بينهم وبين تصلية النار وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم. وقيل: يُغمَسون في وادٍ في جهنم يجتمع فيه صديدُ أهل النار فتنخلع أوصالُهم، ثمَّ يُخْرَجون منه وقد أحدثَ اللهُ لهم خلقاً جديداً[2].

وقرأ علي والسُّلَمي: «يُطافون»[3]. والأعمش، وطلحة، وابن مِقْسَم: «يُطوِّفون» بضم الياء وفتح الطاء وكسر الواو مشدَّدة[4]. وقرئ: «يَطَّوفون» أي: يتطوَّفون. والجمهور: «يطوفون» مضارع طاف[5].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٨، والقول الثالث ذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٦١ ونسبه لكعب الأحبار.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢.
(٤) هي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢ عن طلحة.
(٥) الكشاف ٤/ ٤٨.

جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ
﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ
ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن الزبير: نزلت في أبي بكر(١).

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ مصدر، فاحتمل أن يكون مضافاً إلى الفاعل، أي: قيام ربِّه عليه، وهو مرويٌّ عن مجاهد، قال: من قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾(٢) [الرعد: ٣٣] أي: حافظٌ مهيمنٌ، فالعبد يراقب ذلك، فلا يجسر على المعصية. وقيل: الإضافة تكون بأدنى ملابسة، فالمعنى أنَّه يخاف مقامَه الذي يقف فيه العبادُ للحساب، من قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] وفي هذه الإضافة تنبيهٌ على صعوبة الموقف. وقيل: «مقام» مُقحم، والمعنى: ولمن خاف ربَّه، كما تقول: أخاف جانِبَ فلان، يعني فلاناً(٣).

والظاهر أنَّ لكلِّ فردٍ فردٍ من الخائفين ﴿جَنَّتَانِ﴾ قيل: إحداهما منزله، والأخرى لأزواجه وخدمه(٤). وقال مقاتل: جنة عدن، وجنة نعيم(٥). وقيل: منزلان ينتقل من أحدهما إلى الآخر؛ لتتوفَّرَ دواعي لذَّته، وتظهرَ ثمارُ كرامته.

وقيل: هما للخائفين، والخطاب للثَّقَلَين، فجنةٌ للخائف الجِنِّي، وجنةٌ للخائف

(١) في النكت والعيون ٥/ ٤٣٧، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٠ عن عطاء وابن شوذب.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٣. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٦١-٦٢.
(٣) الكشاف ٤/ ٤٨-٤٩.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٤٣٨، ونسبه في مجمع البيان ٢٧/ ١٠١ للجبَّائي.
(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٢، والنكت والعيون ٥/ ٤٣٨، والوسيط ٤/ ٢٢٥.

الإنسي[(١)]. وقال أبو موسى الأشعري: جنةٌ من ذهب للسابقين، وجنةٌ من فضة للتابعين[(٢)].

وقال الزمخشري: ويجوز أن يقال: جنَّةٌ لفعل الطاعات، وجنةٌ لترك المعاصي؛ لأنَّ التكليفَ دائرٌ عليهما. وأن يُقال: جنةٌ يُثاب بها، وأخرى: تُضَمُّ إليها على وجه التفضُّل؛ لقوله: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ١٠].

وخَصَّ الأفنان بالذِّكر ـ جمع فَنَن: وهي الغصون التي تتشعَّب عن فروع الشجر ـ لأنَّها التي تُورِق وتُثمِر، ومنها تمتدُّ الظِّلال، ومنها تُجنى الثمار. وقيل: الأفنان جمع فَنّ: وهي ألوان النِّعم وأنواعها[(٣)]. وهو قول ابن عباس والضحاك، والأول قال قريباً منه مجاهد وعكرمة[(٤)]، وهو أولى؛ لأنَّ أفعالاً في فَعَل أكثَرُ منه في فَعْل بسكون العين، وفَنّ يُجمع على فنون.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ قال ابن عباس: هما عينان مثل الدنيا أضعافاً مضاعفة[(٥)]. وقال: تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنة[(٦)]. وقال الحسن: تجريان بالماء الزُّلال إحداهما التسنيم، والأخرى السَّلسبيل[(٧)]. وقال عطية: إحداهما من ماء والأخرى من خمر[(٨)]. وقيل: تجريان في الأعالي

(١) الكشاف ٤/ ٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩٦٠)، والحاكم ٢/ ٤٧٤-٤٧٥، وأبو نعيم في صفة الجنة (١٤٢)، والبيهقي في البعث والنشور (٢٤٠) و(٢٤١). وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٦٢.

(٣) الكشاف ٤/ ٤٩.

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٢/ ٢٤٠.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٢، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥١.

(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٢، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٦، والكشاف ٤/ ٤٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢.

(٨) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٣، وزاد المسير ٨/ ١٢٠، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢. وعطية: هو ابن سعد العوفي، وتحرف في (أ) و(د٣) والمطبوع إلى: ابن عطية.

والأسافل[١]. [وقيل: تجريان] من جبل من مسك[٢].

﴿زَوۡجَانِ﴾ قال ابن عباس: ما في الدنيا من شجرةٍ حلوةٍ ولا مُرَّةٍ إلَّا وهي في الجنة حتى شجر الحنظل إلَّا أنَّه حلو[٣]. انتهى. ومعنى «زوجان»: رطب ويابس، لا يقصر هذا عن ذاك في الطِّيب واللَّذَّة[٤]. وقيل: صِنفان، صنفٌ معروف، وصنفٌ غريب[٥].

وجاء الفصلُ بين قوله: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ﴾ وبين قوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ﴾ بقوله: ﴿فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ﴾ والأفنان عليها الفواكه؛ لأنَّ الداخل إلى البستان يُقدِّم التفرُّجَ بلذَّة ما فيه، بالنظر إلى خضرة الشجر وجَرْيِ الأنهار، ثمَّ بعدُ يأخذ في اجتناء الثمار للأكل[٦].

وانتصب «متكئين» على الحال من قوله: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ﴾ وحمل جمعاً على معنى «مِنْ». وقيل: العامل محذوف، أي: يتنعَّمون متكئين[٧]. قال الزمخشري[٨]: أي: نُصِبَ على المدح.

والاتِّكاء من صفات المتنعِّم الدالَّة على صِحَّة الجسم وفراغ القلب[٩]. والمعنى: متَّكئين في منازلهم على فُرُش.

وقرأ الجمهور: «فُرُش» بضمَّتين. وأبو حَيْوة بسكون الراء[١٠]. وفي الحديث:

---

(١) الكشاف ٤/ ٤٩.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٣، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧٤، وزاد المسير ٨/ ١٢٠، والكشاف ٤/ ٤٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢، وما بين حاصرتين من المصادر.
(٣) تفسير البغوي ٤/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢.
(٤) زاد المسير ٨/ ١٢٠، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٢.
(٥) الكشاف ٤/ ٤٩.
(٦) تفسير الرازي ٢٩/ ١٢٥ بنحوه.
(٧) ينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٢٤٢، والكشاف ٤/ ٤٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٣.
(٨) في الكشاف ٤/ ٤٩.
(٩) تفسير الرازي ٢٩/ ١٢٧.
(١٠) أي: «فُرْشٍ»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٣.

قيل لرسول الله ﷺ: هذه البطائن من إستبرق، كيف الظَّواهر؟ قال: «هي من نورٍ يتلألأ»[(١)]. ولو صَحَّ هذا لم يَجُزْ أن يُفسَّر بغيره. وقيل: من سندس[(٢)]. وقال الحسن والفرَّاء: البطائن: هي الظهائر. ورُويَ عن قتادة. وقال الفراء: قد تكون البطانة الظِّهارة والظِّهارة البطانة؛ لأنَّ كلًّا منهما يكون وجهاً، والعرب تقول: هذا ظهر السماء، وهذا بطن السماء[(٣)].

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ قال ابن عباس: يجتنيه قائماً وقاعداً ومضطجعاً، لا يَرُدُّ يدَه بُعْدٌ ولا شوكٌ[(٤)].

وقرأ عيسى بفتح الجيم وكسر النون[(٥)]، كأنَّه أمال النون، وإن كانت الألفُ قد حُذِفَتْ في اللَّفظ كما أمال أبو عَمرو: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥].

وقرئ: «وجِنَى» بكسر الجيم[(٦)].

والضمير في «فيهنَّ» عائدٌ على الجنان الدالِّ عليهنَّ «جنَّتان»، إذ كلُّ فردٍ فردٍ له جنتان، فصَحَّ أنَّها جِنانٌ كثيرةٌ، وإن كان الجنَّتان أُريدَ بهما حقيقة التثنية، وأنَّ لكلِّ جنسٍ من الجنِّ والإنس جَنَّةً واحدة، فالضمير يعود على ما اشتملت عليه الجنة من المجالس والقصور والمنازل. وقيل: يعود على الفُرش، أي: فيهنَّ مُعدَّات للاستعمال[(٧)]. وهذا قولٌ حسنٌ قريبُ المأخذ.

(١) هكذا أورده بتمامه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٣ مرفوعاً. وأخرجه ـ دون قوله: «هي من نورٍ يتلألأ» ـ الطبري ٢٢/ ٢٤٣، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (١٥٨)، والحاكم ٢/ ٤٧٥، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٩) عن ابن مسعود ﷺ قوله. ووقع في النسخ والمطبوع سوى (د٣): الظهائر.
(٢) الكشاف ٤/ ٤٩.
(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٣. وقول قتادة في زاد المسير ٨/ ١٢١، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١١٨.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٥، والطبري ٢٢/ ٢٤٤. وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٣٩.
(٥) أي: «جَنِى».
(٦) القراءات الشاذة ص ١٥٠ عن محبوب.
(٧) المثبت من (يه) و(د٣)، وفي (أ) و(ع): للاستمتاع. وفي المطبوع: للاستماع. وينظر زاد المسير ٨/ ١٢٢، وتفسير الرازي ٢٩/ ١٢٨.

وقال الزمخشريُّ[(١)]: «فيهنَّ»: في هذه الآلاءِ المعدودةِ من الجنَّتين والعينين والفاكهة والجنى. انتهى. وفيه بُعْدٌ.

وقال الفرَّاء: كلُّ موضع من الجنة جنَّةٌ، فلذلك قال: «فيهنَّ».

والطَّرْف: أصله مصدر؛ فلذلك وحِّد[(٢)].

والظاهر أنَّهنَّ اللَّواتي يقصُرْنَ أعينهنَّ على أزواجهنَّ فلا ينظُرْنَ إلى غيرهم. قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزَّةِ ربي ما أرى في الجنة أحسنَ منك[(٣)].

وقيل: الطَّرْف: طَرْفُ غيرهنَّ، أي: قصَرْنَ عَيْنَي مَنْ ينظر إليهنَّ عن النظر إلى غيرهنَّ.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾ قال ابن عباس: لم يفْتَضَّهُنَّ قبل أزواجهنَّ. وقيل: لم يطأْهُنَّ على أيِّ وجهٍ كان الوَطءُ من افتضاض أو غيره. وهو قول عكرمة[(٤)].

والضمير في «قبلهم» عائدٌ على مَنْ عاد عليه الضمير في «مُتَّكئين»[(٥)].

وقرأ الجمهور بكسر ميم «يَطْمِثْهُنَّ» في الموضعين. وطلحة، وعيسى، وأصحاب عبد الله، وعليٌّ بالضم[(٦)]. وقرأ ناسٌ بضمِّ الأول وكسر الثاني. وناسٌ بالعكس. وناسٌ بالتخيير. والجَحْدَريُّ بفتح الميم فيهما[(٧)].

ونفيُ وطئِهِنَّ عن الإنس ظاهر، وأمَّا عن الجنِّ فقال مجاهد: والجِنُّ[(٨)] قد

(١) في الكشاف ٤/ ٤٩.
(٢) الصحاح (طرف).
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٦٤، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٧، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧٥. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٢٤٦.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٣-٢٣٤، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٥٥، وتفسير الطبري ٢٢/ ٢٤٧.
(٥) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥٢.
(٦) أي: «لم يَطْمُثْهُنَّ».
(٧) أي: «لم يَطْمَثْهُنَّ».
(٨) تصحفت في المطبوع والنسخ سوى (د٣) إلى: والحسن، وتابع على هذا التصحيف الآلوسي في روح المعاني ٢٦/ ٢٨٢. والمثبت موافقٌ لما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٤ والكلام منه.

تجامعُ نساءَ البشر مع أزواجهنَّ إذا لم يذكُرِ الزَّوجُ اللهَ تعالى، فنفى هنا جميعَ المجامعين. وقال ضمرة بن حبيب: الجِنُّ في الجنة لهم قاصراتُ الطَّرْف من الجِنِّ نوعِهم، فنفى الافتضاضَ عن البشريَّات والجنِّيات[١].

قال قتادة: كأنَّهنَّ على صفاء الياقوت وبياض المرجان[٢]. «لو أدخلتَ في الياقوت سِلْكاً ثمَّ نظرتَ إليه لرأيتَه من ورائه»[٣]. وفي «الترمذي»: «إنَّ المرأةَ من نساء الجنةَ ليُرى بياضُ ساقِها من وراء سبعين حُلَّةً حتى يُرى مُخُّها»[٤].

وقال ابنُ عطية[٥]: الياقوت والمرجان من الأشياء التي يُرتاح بحُسْنِها، فشبَّه بهما فيما يحسُن التشبيه به، فالياقوت في إملاسه وشفوفه، والمرجان في إملاسه وجمال منظره، وبهذا النَّحو من النَّظر سَمَّتِ العربُ النساءَ بذلك، كَدُرَّة بنت أبي لهب ومَرْجانة أمّ سعيد. انتهى.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب[٦]. وقيل: هل جزاءُ التوحيد إلَّا الجنة[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٤. والقولان أخرجهما الطبري ٢٢/ ٢٤٨. وتعقَّب الآلوسيُّ قول مجاهد بأنَّه غيرُ مُسلَّم به عند جميع العلماء.

(٢) في (أ) والمطبوع: وحمرة المرجان. والمثبت موافق لما في المصادر، وقد أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٥، والطبري ٢٢/ ٢٥١. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٦٤.

(٣) هذا ليس من كلام قتادة، وإنما هو تتمة الحديث المرفوع الآتي.

(٤) سنن الترمذي (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، وتتمَّتُه: «ذلك بأن الله يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝﴾، فأمَّا الياقوت فإنَّه حجرٌ لو أدخلتَ فيه سلكاً، ثم استصفيته، لأُريتَه من ورائه». والحديث أخرجه ـ أيضاً ـ هناد في الزهد (١١)، والطبري ٢٢/ ٢٤٩، وابن حبان (٧٣٩٦)، وأبو نعيم في صفة الجنة (٣٧٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٨٦).
ورُوي عنه موقوفاً فيما أخرجه هناد (١٠)، والترمذي (٢٥٣٤)، والطبري ٢٢/ ٢٤٩-٢٥٠، والطبراني في الكبير (٨٨٦٤).

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٤.

(٦) الكشاف ٤/ ٤٩.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٤. وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٦٥ عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً. وفي إسناده بشر بن الحسين الأصبهاني، وهو متروك. ينظر ميزان الاعتدال ١/ ٢٩٧.

وقرأ ابنُ أبي إسحاق: «إلا الحِسان» يعني بالحسان الحور العين[١].

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: من دون تَينِك الجنتين في المنزلة والقدر ﴿جَنَّتَانِ﴾ لأصحاب اليمين، والأُولَيان هما للسابقين. قاله ابن زيد والأكثرون. وقال الحسن: الأُوليان للسابقين، والأُخريان للتابعين. وقال ابن عباس: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ في القُربِ للمنعَّمين، والمؤخَّرَتا الذِّكرِ أفضلُ من الأُوليين، يدلُّ على ذلك أنَّه وصفَ عينَي هاتين بالنَّضْخ، وتَيْنِكَ بالجَرْي فقط، وهاتين بالدُّهْمة من شدة النِّعمة، وتَيْنِكَ بالأفنان، وكلُّ جنَّةٍ ذاتُ أفنان[٢].

ورجَّح الزمخشريُّ هذا القول، فقال: للمُقرَّبين جنتان من دونهم من أصحاب اليمين، ادهامَّتا من شدَّة الخُضرة[٣]. ورجَّحَ غيرُه القولَ الأول بذكر جَرْيِ العينين، والنَّضْخ دون الجَرْي، وبقوله: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ وفي المتأخِّرتين ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ﴾ وبالاتِّكاء على ما بطائِنُه من ديباجٍ وهو الفُرش، وفي المتأخِّرتين الاتِّكاء على الرَّفرف وهو كِسْرُ الخِباء، والفُرش المُعَدَّة للاتِّكاء أفضلُ. والعَبْقَريُّ: الوَشْيُ، والدِّيباجُ أعلى منه، والمُشبَّه بالياقوت والمرجان أفضَلُ في الوصف من ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾[٤].

والظاهر النَّضخ بالماء. وقال ابن جُبير: بالمسك والعنبر والكافور في دور أهل الجنة كما يَنْضَخُ رشُّ المطر. وعنه أيضاً: بأنواع الفواكه والماء[٥].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٤-٢٣٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٠.

(٤) ينظر المنهاج في شعب الإيمان للحليمي ١/ ٤٧٤-٤٧٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦١-١٦٢، إلا أنه نسب قولَ ابن جبير الأول لابن مسعود وابن عباس وأنس ﷺ، ولم أجد أحداً نسبه لابن جبير.
وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٤١ عن أنس، وفي الوسيط للواحدي ٤/ ٢٢٨ عن ابن عباس، وفي تفسير البغوي ٤/ ٢٧٦ عن ابن مسعود وأنس.
وأما قول ابن جُبير الثاني فأخرجه ابن أبي شيبة (٣٥١٩٠)، والطبري ٢٢/ ٢٥٩، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٧١). وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٤١.

﴿وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ عطف على «فاكهة»، فاقتضى العطفُ أن لا يندرجا في الفاكهة. قاله بعضهم. وقال يونس بن حبيب وغيرُه: كرَّرهما وهما من أفضل الفاكهة؛ تشريفاً لهما، وإشادةً بهما، كما قال تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[1] [البقرة:٩٨]. وقيل: لأنَّ النخلَ ثمرُه فاكهةٌ وطعام، والرُّمَّانَ فاكهةٌ ودواء، فلم يخلُصا للتفكُّه[2].

﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ﴾ جمع خَيْرة، وَصْفٌ بُني على «فَعْلة» من الخير، كما بَنوا من الشرِّ، فقالوا: شَرَّة. وقيل: مخفَّف من خَيِّرة[3]. وبه قرأ بكر بن حبيب، وأبو عثمان النَّهدي، وابن مِقْسَم، أي: بشدِّ الياء[4]. ورُوي عن أبي عَمرو بفتح الياء[5]، كأنه جمع خَيَرة جُمِعَ على فَعَلات[6].

وفسَّرَ الرسولُ ﷺ لأمِّ سلمة ذلك، فقال: «خَيِّراتُ الأخلاق، حِسانُ الوجوه»[7].

﴿حُورٌ مَّقۡصُورَٰتٌ﴾ أي: قُصِرْنَ في أماكنهنَّ[8]. والنساء تُمدَحُ بذلك؛ إذ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٠.

(٣) ينظر تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦٣.

(٤) أي: «خيِّراتٌ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٠ عن أبي عثمان النهدي، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٢٣٥ عن بكر بن حبيب.

(٥) أي: «خَيَرات»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٥. قال الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٢٠: ولو قرأ قارىء: الخَيَرات، أو: الخَيِّرات، كانتا صواباً. انتهى. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٦) العبارة تحرفت في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: كأنَّه جمع خائرة جُمِعَ على فَعْلة.

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٦٣، والطبراني في الكبير ٢٣/ (٨٧٠) وروايته مطولة. وفي إسناده سليمان بن أبي كريمة الشامي؛ ضعَّفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير. ميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٦.

قلت: وقد رُوي بإسناد صحيح عن قتادة قولَه فيما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٦، والطبري ٢٢/ ٢٦٢.

(٨) الكشاف ٤/ ٥٠.

ملازمتُهنَّ البيوت تدلُّ على صيانتهنَّ، كما قال [أبو][١] قيس بن الأَسْلَت:

وتكسَلُ عن جاراتِها[٢] فيَزُرْنَها وتَعتَلُّ عن إتيانهنَّ فتُعْذَرُ[٣]

قال الحسن: لسْنَ بطوَّافاتٍ في الطُّرُق. وخيام الجنة: بيوت اللؤلؤ. وقال عمر بن الخطاب: هي دُرٌّ مُجوَّف. ورواه عبد الله عن النبي ﷺ[٤].

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أصحاب الجنتين، ودلَّ عليهم ذِكْرُ الجنتين.

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ قال الزمخشري[٥]: نصب على الاختصاص.

﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ﴾ قال ابن عباس وغيره: فُضول المَحابيس والبُسُط[٦]. وقال ابن جُبير: رياض الجنة[٧]. من رفَّ النبتُ: تنَعَّم وحَسُن. وقال ابن عُيينة: الزَّرابيُّ. وقال الحسن وابن كَيْسان: المرافق[٨]. وقال الفرَّاء وابن قتيبة: المحابس[٩].

---

(١) ما بين حاصرتين من المصادر.

(٢) في (د٣) و(يه): جيرانها.

(٣) عجزه في (أ) و(ع) والمطبوع: وتغفلُ عن أبياتهنَّ فتُعذَرُ. وهو في العقد الفريد ٤/ ٢٢٦، ومعاهد التنصيص ٢/ ٢٧، وخزانة الأدب ٣/ ٤١٢، ورواية صدره عندهم:

ويُكرِمُها جاراتُها فيَزُرْنَها

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٦. وأخرج هذه الأقوال والحديثَ المرفوع الطبريُّ ٢٢/ ٢٦٧-٢٦٩ و٢٧٢. وحديث عبد الله بن مسعود ﷺ رُوي ـ أيضاً ـ عنه موقوفاً فيما أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧١)، وابن أبي شيبة (٣٥١٩٦)، والطبري ٢٢/ ٢٦٨.

(٥) في الكشاف ٤/ ٥٠، وما قبله منه.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٢٠٦)، والطبري ٢٢/ ٢٧٤ و٢٧٤-٢٧٥، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٨) عن ابن عباس ﷺ. والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٦. والمحابيس والمحابس، جمع محبس: وهو ثوب يُطرح على ظهر الفراش للنوم عليه. تاج العروس (حبس).

(٧) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٧٠ بزوائد نعيم بن حماد)، وابن أبي شيبة (٢٥٢٠٤)، وهناد في الزهد (٨١)، والطبري ٢٢/ ٢٧٣.

(٨) أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٧٦ عن الحسن.

(٩) زاد المسير ٨/ ١٢٧ عنهما. وقول ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٤٤٤.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ قال الحسن: بُسُطٌ حِسان فيها صور وغير ذلك يصنع بعَبْقَر. وقال ابن عباس: الزَّرابيّ. وقال مجاهد: الديباج الغليظ. وقال ابن زيد: الطَّنافِس[١]. قال الفرَّاء[٢]: الثِّخان منها.

وقرأ الجمهور: «على رَفْرَفٍ»، ووُصِفَ بالجمع؛ لأنَّه اسمُ جنسٍ، الواحدُ منها رَفْرَفة، واسم الجنس يجوز فيه أن يُفرَدَ نعتُه وأن يُجمع؛ كقوله: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠]، وحسَّنَ جَمْعَه هنا مقابلتُه لـ «حِسان» الذي هو فاصلة.

وقال صاحب «اللوامح»: وقرأ عثمان بن عفان، ونصر بن عاصم، والجَحْدَريُّ، ومالك بن دينار، وابن مُحَيْصِن، وزهير الفُرْقُبي، وغيرهم: «رفارِفَ» جمعٌ لا ينصرف «خُضْرٍ» بسكون الضاد و«عباقِرِيَّ» بكسر القاف وفتح الياء مشدَّدة[٣]. وعنهم أيضاً ضمُّ الضاد[٤]. وعنهم أيضاً فتح القاف[٥]. قال: فأمَّا منعُ الصَّرفِ من «عباقري» ـ وهي الثياب المنسوبة إلى عَبْقَر؛ وهو موضع تُجلَبُ منه الثياب على قديم الأيام[٦] ـ فإن لم يكن بمجاورتها، وإلَّا فلا يكون لمنع الصَّرْف من ياءَي النسب وجهٌ إلَّا في ضرورة الشعر. انتهى.

وقال ابن خالويه: «على رفارِفَ خُضْرٍ وعَباقِرِيَّ» النبيُّ ﷺ، والجَحْدريُّ، وابنُ مُحَيْصِن[٧]. وقد رُويَ عمَّن ذكرنا «على رفارِفَ خُضْرٍ وعباقِرِيٍّ» بالصرف، وكذلك رُوي عن مالك بن دينار. وقرأ أبو محمد المَرْوزيُّ وكان نحوياً: «على رفارفَ خُضَّار». يعني على وزن «فُعَّال».

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٦. وقول ابن عباس ﷺ أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٧٦، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٨) و(٣٤٧). وقول مجاهد أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٢٠٧)، وهناد (٨٣)، والطبري ٢٢/ ٢٧٧. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٧٧.

(٢) في معاني القرآن له ٣/ ١٢٠.

(٣) وذكرها عنهم ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٠٥.

(٤) أي: «خُضُرٍ».

(٥) أي: «وعباقَرِيَّ».

(٦) في (أ) و(ع) والمطبوع: الأزمان.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٥٠.

وقال صاحب «الكامل»: «رفارِف» جمع عن ابن مُصَرِّف، وابن مِقْسَم، وابن مُحَيْصِن. واختاره شِبْل، وأبو حَيْوة، والجَحْدري، والزعفراني، وهو الاختيار؛ لقوله: «خُضْرٍ». و«عباقِرِيَّ» بالجمع وبكسر القاف من غير تنوين ابنُ مِقْسَم وابن مُحَيْصِن، ورُوي عنهما التنوين.

وقال ابن عطية[١]: وقرأ زهير الفُرْقُبي: «رفارِفَ» بالجمع وترك الصرف. وأبو طعمة المدني وعاصم فيما رُوي عنه: «رفارفٍ» بالصرف. وعثمان كذلك: [«رفارفٍ» «وعباقرٍ»] بالجمع والصرف. وعنه: «عباقَرِيَّ» بفتح القاف والياء، على أنَّ اسم الموضع عباقَر بفتح القاف، والصحيح في اسم الموضع عَبْقَر. انتهى.

وقال الزمخشري[٢]: وروى أبو حاتم: «عَباقَرِيَّ» بفتح القاف ومنع الصرف، وهذا لا وجه لصحَّته. انتهى. وقد يُقال: لمَّا مُنِعَ الصَّرفُ «رفارفَ» شاكله في «عباقريَّ» كما قد يُنَوَّنُ ما لا ينصرف للمشاكلة يُمنَعُ من الصَّرف للمشاكلة.

وقرأ ابن هُرْمُز: «خُضُرٍ» بضمِّ الضاد[٣]. قال صاحب «اللوامح»: وهي لغة قليلة. انتهى. ومنه قول طرفة:

أيُّها الفتيانُ في مجلِسِنا جَرِّدوا منها وِرَاداً وشُقُرْ[٤]

وقال آخر:

وما انتميتُ إلى خُورٍ ولا كُشُفٍ ولا لِئامٍ غداةَ الرَّوعِ أوزاعِ[٥]

فشُقُر جمع أشقر، وكُشُف جمع أكشف.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٦، وما بين حاصرتين الآتي منه.

(٢) في الكشاف ٤/ ٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٧.

(٤) ديوان طرفة ص ٥٧، والمحتسب ١/ ١٦٢، والخصائص ٢/ ٣٣٥، وضرائر الشعر ص ١٩.

(٥) البيت لضرار بن الخطاب، وهو في ديوانه ص ٩٧، والسيرة النبوية ٢/ ١٤٥، وفيهما: أوراع ـ بالراء ـ بدل: أوزاع. والأوزاع: المتفرقون. والأوراع: الجبناء. والخُور: الضعفاء. والكُشُف؛ جمع أكشَف: وهو الذي لا ترسَ له في الحرب. اللسان (وزع) و(ورع) و(خور) و(كشف).

وقرأ الجمهور: «ذي الجلال» صفة لـ «ربِّك». وابنُ عامر وأهل الشام: «ذو»[١] صفة للاسم. وفي حرف عبد الله وأُبيٍّ: «ذي الجلال» كقراءتهما في الموضع الأول.

والمراد هنا بالاسم المُسمَّى. وقيل: اسمٌ مُقْحَمٌ كالوجه في ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧] ويدلُّ عليه إسناد «تبارَكَ» لغير الاسم في مواضع، كقوله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ﴾ [الفرقان:١٠]، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك:١]. وقد صحَّ الإسناد إلى الاسم؛ لأنَّه بمعنى العُلوِّ، فإذا علا الاسمُ فما ظنُّكَ بالمسمَّى.

ولمَّا ختم تعالى نِعَمَ الدنيا بقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧] ختم نِعَمَ الآخرة بقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾، وناسب هنالك ذكرُ البقاء والديمومة له تعالى؛ إذ ذُكِرَ فناءُ العالم، وناسَبَ هنا ذِكْرُ ما اشتُقَّ من البركة وهي النمو والزيادة؛ إذ جاء ذلك عقب ما امتنَّ به على المؤمنين، وما آتاهم في دار كرامته من الخير وزيادته وديمومته[٢].

و«يا ذا الجلال والإكرام» من الصفات التي جاء في الحديث أنْ يُدعى اللهُ بها، قال ﷺ: «أَلِظُّوا بـ: ياذا الجلال والإكرام»[٣].

---

(١) السبعة ص ٦٢١، والتيسير ص ٢٠٦. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٧.

(٢) تفسير الرازي ٢٩/ ١٣٧-١٣٨ بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٣) أخرجه أحمد (١٧٥٩٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٦٦٩) من حيث ربيعة بن عامر ﷺ. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٧. ومعنى «أَلِظُّوا»: الزموا ذلك.

مفردات سورة الواقعة

«رُجَّتِ الأرض»: زُلْزِلَتْ وحُرِّكَتْ تحريكاً شديداً بحيث تنهدم الأبنية وتخِرُّ الجبال[1].

«بُسَّتِ الجبالُ»: فُتِّتَتْ[2]. وقيل: سُيِّرَتْ، من قولهم: بَسَّ الغنمَ: ساقها[3].

ويقال: رَجَّتِ الأرضُ وَبَسَّتِ الجبال، لازِمَين[4].

«المَشْأمة» من الشُّؤم، أو من اليد الشُّؤمى وهي الشمال[5].

«الثُّلَّة»: الجماعة كثُرَتْ أو قَلَّتْ. وقال الزمخشري[6]: الأُمَّة من الناس الكثيرة. وقال الشاعر:

وجاءَتْ إليهم ثُلَّةٌ خِنْدِفيَّةٌ   بجيشٍ كتيَّارٍ من السَّيلِ مُزْبِدِ[7]

«المَوْضونة»: المنسوجة بتركيب بعض أجزائها على بعض كحِلَقِ الدِّرْع. قال الأعشى[8]:

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة. وأخرجه عنهم وعن السدي وأبي صالح الطبريُّ ٢٢/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٢.

(٤) وهي قراءة زيد بن علي كما سيأتي.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.

(٦) في الكشاف ٤/ ٥٢-٥٣.

(٧) لم أقف على قائله. و«خِنْدِفية» نسبة إلى خِنْدِف: وهي امرأة إلياس بن مضر، غلبَتْ على نسَب أولادها منه، واسمُها ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة. تهذيب اللغة ٧/ ٦٨١-٦٨٢.

(٨) في ديوانه ص ١٤٩. والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١.

ومِــنْ نَــسْــجِ داودَ مــوضــونــةً تــسيــرُ مـع الـحـيِّ عِـيـراً فـعِـيـرا

ومنه وَضينُ الناقة: وهو حِزامها؛ لأنَّه مَوْضون، أي: مفتول. قال الراجز:

إلـيـك تَـعْـدو قَـلِـقـاً وَضـيـنُـهـا
مـعـتـرِضـاً فـي بـطـنِـهـا جنـيـنُـهـا
مـخـالِـفـاً ديـنَ الـنَّـصـارى دِيـنُـهـا[1]

الإبريق: إفْعيل، من البَريق: وهو إناء للشرب له خرطوم، قيل: وأُذن، وهو من أواني الخمر عند العرب. قال الشاعر:

كـأنَّ إبـريـقَـهـم ظَـبـيٌ عـلـى شـرَفٍ مُـفَـدَّمٌ بِـسَـبَـا الـكَـتَّـانِ مـلـثـومُ[2]

وقال عدي بن زيد:

وتـداعـوا إلـى الـصَّـبـوح فـقـامَـتْ قَـيـنـةٌ فـي يـمـيـنـهـا إبـريـقُ[3]

---

(١) اختلف في قائل هذا الرجز، فنُسِبَ في طبقات ابن سعد ١/ ١٦٥ و٣٥٧ لكُرْز بن علقمة، ونُسِبَ في دلائل النبوة ٥/ ٣٩٠ لبشر بن معاوية، ونُسب في سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٤ لرجل من نجران.
وأخرجه ابن أبي شيبة (١٥٨٨٩) و(٢٦٥٦٤) من كلام عمر بن الخطاب ﷺ. وهو كذلك في العقد الفريد ٥/ ٣٣٣.
وأخرج الطبراني في الكبير (١٣٢٠١)، والأوسط (٩٢٥) من طريق أبي ربيع السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ أفاض من عرفات وهو يقول: . . . فذكر الرجز. قلت: أبو الربيع هذا متروك. قال الطبراني عقبه في الكبير: وَهِمَ عندي أبو الربيع السمان في رفع هذا الحديث؛ لأن المشهور في الرواية عن ابن عمر.

(٢) البيت لعلقمة بن عبدة الفحل كما في المفضليات ص ٤٠٢، والكامل ٢/ ٩٣٦، والخصائص ١/ ٨٠ و٢/ ٤٣٧، وتاج العروس (سأب) و(برق). وفي المفضليات: مرثوم، بدل: ملثوم. والمرثوم: الذي كُسِرَ أنفه. والملثوم: الذي ردَّ عمامته على أنفه. والمُفدَّم: الذي وُضِعَ على فمه خرقة. اللسان (رثم) و(لثم) و(فدم). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢ و٤/ ١١٣. قال صاحب رغبة الآمل ٦/ ١٦٢: وقوله: بسبا الكتَّان، أراد بسبائب الكتَّان، فحذف جزء الكلمة، والسبائب جمع سبيبة: وهي شقة بيضاء.

(٣) البيت في تاريخ دمشق ١٥/ ١٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، وخزانة الأدب ٩/ ٤٤٨.

صُدِعَ القومُ بالخمر: لَحِقَهم الصداعُ في رؤوسهم منها. وقيل: صُدِّعوا: فُرِّقوا[١].

«السِّدْر» تقدَّم الكلام عليه في سورة سبأ[٢].

«المَخْضود»: المقطوعُ شوكُه. قال أمية بن أبي الصَّلْت:

إنَّ الحدائقَ في الجنانِ ظَليلةٌ فيها الكواعبُ سِدْرُها مخضودُ[٣]

«الطَّلْحُ»: شجر الموز[٤]. وقيل: شجرٌ من العِضاه كثير الشَّوك[٥].

«المَسْكوب»: المَصْبوب[٦].

«العَروب»: المُتحبِّبة إلى زوجها[٧].

«التِّرْب»: اللِّدَة، وهو مَنْ يولد هو وآخرُ في وقتٍ واحد؛ سُمِّيا بذلك لمسِّهما التراب في وقت واحد[٨].

* * *

سورة الواقعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.
(٢) عند تفسير الآية (١٦) منها.
(٣) ديوان أمية ص ٥٩. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.
(٤) الكشاف ٤/ ٥٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٨٢. وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٥٤ عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة والحسن وعكرمة. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٣١١-٣١٢ عن علي وابن عباس ومجاهد وعطاء وقتادة وابن زيد.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.
(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٢٣٤، والكشاف ٤/ ٥٤.
(٧) الصحاح (عرب). ونسبه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ لابن عباس والحسن.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥ بنحوه.

مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكية[١]. ومناسبتُها لِما قبلها أنَّ ما قبلها تضمَّن العذابَ للمجرمين والنعيمَ للمؤمنين، وفاضلَ بين جنَّتي بعض المؤمنين وجنَّتي بعضٍ بقوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢] فانقسمَ العالمُ بذلك إلى كافرٍ، ومؤمنٍ مفضولٍ، ومؤمنٍ فاضل، وهكذا جاء ابتداءُ هذه السورة من كونهم أصحابَ ميمنة، وأصحابَ مشأمة، وسُبَّاقَ وهم المُقرَّبون وأصحابُ اليمين، والمكذِّبون المُختَتَمُ بهم آخر هذه السورة.

وقال ابن عباس: الواقعة: من أسماء القيامة، كـ ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ و﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ و﴿ٱلۡأٓزِفَةُ﴾، وهذه الأسماء تقتضي عِظَمَ شأنها[٢]. ومعنى «وقعت الواقعة» أي: وقعَتِ التي لا بُدَّ من وقوعها، كما تقول: حدَثَتِ الحادثة، وكانتِ الكائنة. ووقوعُ الأمرِ: نزولُه، يقال: وقعَ ما كنتُ أتوقَّعُه، أي: نزل ما كنتُ أترقَّبُ نزولَه[٣].

وقال الضحَّاك: الواقعة: الصَّيْحَة، وهي النَّفْخَة في الصُّور. وقيل: الواقعة: صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة[٤].

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٢، والكشاف ٤/ ٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.
(٣) الكشاف ٤/ ٥١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.

والعامل في «إذا» الفعلُ بعدَها على ما قرَّرناه في كتب النحو، فهو في موضع نصبٍ بـ «وقعَتْ» كسائر أسماء الشرط، ومن ذهب إلى أنَّ الجملة بعدها في موضع خفضٍ بإضافة «إذا» إليها، احتاج إلى تقدير عامل؛ إذ الظاهرُ أنَّه ليس ثَمَّ جوابٌ ملفوظٌ به يعمل بها. فقال الزمخشريُّ[(١)]: فإن قلت: بِمَ انتصب «إذا»؟ قلت: بـ «ليس» كقولك: يومَ الجمعة ليس لي شغلٌ، أو بمحذوف، يعني: إذا وقعت كان كَيْتَ وكَيْت، أو بإضمار «اذكُرْ» انتهى.

أمَّا نصبُها بـ «ليس» فلا يذهب نَحْويٌّ ولا مَنْ شدا شيئاً من صناعة الإعراب إلى مثل هذا؛ لأنَّ «ليس» في النفي كـ «ما»، و«ما» لا تعمل، فكذلك «ليس»، وذلك أنَّ «ليس» مسلوبةُ الدِّلالة على الحدث والزمان، والقولُ بأنَّها فعلٌ هو على سبيل المجاز؛ لأنَّ حَدَّ الفعل لا ينطبق عليها، والعامل في الظرف إنَّما هو ما يقع فيه من الحدث، فإذا قلت: يومَ الجمعة أقومُ، فالقيامُ واقعٌ في يوم الجمعة، و«ليس» لا حدَثَ لها، فكيف يكون لها عملٌ في الظرف؟ والمثال الذي شَبَّه به وهو: يوم الجمعة[(٢)] ليس لي شغلٌ، لا يدلُّ على أنَّ يومَ الجمعة منصوبٌ بـ «ليس»، بل هو منصوبٌ بالعامل في خبر «ليس» وهو الجار والمجرور، فهو من تقديمِ معمولِ الخبر على «ليس»، وتقديمُ ذلك مَبنيٌّ على جواز تقديم الخبر الذي لـ «ليس» عليها، وهو مختلَفٌ فيه، ولم يُسمَعْ من لسان العرب: قائماً ليس زيدٌ، و«ليس» إنَّما تدلُّ على نفي الحكم الخبريِّ عن المحكوم عليه فقط، فهي كـ «ما»، ولكنَّه لمَّا اتَّصلَتْ بها ضمائرُ الرفع جعلها ناسٌ فِعْلاً، وهي في الحقيقة حرفُ نفيٍ كـ «ما» النافية، ويظهر من تمثيل الزمخشري «إذا» بقوله: يومَ الجمعة، أنَّه سلبَها الدِّلالةَ على الشرط الذي هو غالبٌ فيها، ولو كانت شرطاً وكان الجوابُ الجملة المصدَّرة بـ «ليس» لزمَتِ الفاءُ، إلَّا إنْ حُذِفَتْ في شعر إنْ وردَ ذلك، فتقول: إذا أحسنَ إليك زيدٌ فلستَ تتركُ مكافأتَه. ولا يجوز «لستَ» بغير فاء، إلَّا إن اضْطرَّ إلى ذلك.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٥١.

(٢) في النسخ والمطبوع: القيامة، والصواب هو المثبت، بدليل ما سلف وسيرد.

وأمَّا تقديره: إذا وقعت كان كَيْتَ وكَيْت، فيدلُّ على أنَّ «إذا» عنده شرطية؛ ولذلك قدَّر لها جواباً عاملاً فيها.

وأمَّا قوله: بإضمار «اذكُرْ» فإنَّه سلبَها الظرفية، وجعلها مفعولاً بها منصوبة بـ «اذكُرْ».

و«كاذبة» ظاهرُه أنَّه اسمُ فاعل من «كذب» وهو صفة لمحذوف، فقدَّره الزمخشري: نفسٌ كاذبة، أي: لا يكون حين تقعُ نفسٌ تكذِبُ على الله، وتكذب في تكذيب الغيب؛ لأنَّ كلَّ نفسٍ حينئذٍ مؤمنةٌ صادقةٌ، وأكثرُ النفوس اليومَ كواذبُ مُكذِّباتٌ، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤]، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الشعراء: ٢٠١]، ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الحج: ٥٥].

واللَّام مثلُها في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤] إذ ليس لها نفسٌ تُكذِّبها وتقول لها: لم تكوني، كما لها اليومَ نفوسٌ كثيرةٌ يُكذِّبْنَها يقُلْنَ لها: لم تكوني[1]، أو هي من قولهم: كذبَتْ فلاناً نفسُه في الخطب العظيم إذا شجَّعَتْه على مباشرته وقالت له: إنَّك تُطيقُه وما فوقَه، فتَعَرَّضْ له ولا تُبالِ، على معنى: أنَّها وقعةٌ لا تُطاقُ شدَّةً وفظاعةً، وأنْ لا نفس حينئذٍ تُحدِّثُ صاحبَها بما تُحدِّثه به عند عظائم الأمور، وتُزيِّنُ له احتمالها وإطاقتها، لأنَّهم يومئذٍ أضعَفُ من ذلك وأذلُّ، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] والفراش مَثَلٌ في الضَّعف. انتهى. وهو تكثيرٌ وإسهابٌ.

وقدرَّه ابنُ عطية[2]: حالٌ كاذبة. قال: ويحتمل الكلام على هذا معنيين؛ أحدهما: كاذبة، أي: مكذوبٌ فيما أخبرَ به عنها، فسمَّاها كاذبة لهذا، كما تقول: هذه قصةٌ كاذبة، أي: مكذوبٌ فيها. والثاني: حالٌ كاذبة، أي: لا يمضي

(١) المثبت من (يه)، وفي «الكشاف» (والكلام منه): لن تكوني، وفي النسخ الأخرى: لم تكذبي، وكذا في الموضع السالف قبله في جميع النسخ، وهو خطأ.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٨.

وقوعُها، كما تقول: فلانٌ إذا حَمَلَ لم يكذِبْ. وقال قتادة والحسن: المعنى: ليس لها تكذيبٌ ولا ردٌّ ولا مثنوية، فـ «كاذبة» على هذا مصدر كالعاقبة والعافية وخائنة الأعين.

والجملة من قوله: «ليس لوقعتها كاذبة» على ما قدَّره الزمخشري من أنَّ «إذا» معمولةٌ لـ «ليس» تكون ابتداء السورة إلَّا إن اعتُقِدَ أنَّها جوابٌ لـ «إذا»، أو منصوبةٌ بـ «اذكُرْ» فلا يكون ابتداء كلام. وقال ابن عطية: في موضع الحال. والذي يظهر لي أنَّها جملةُ اعتراضٍ بين الشرط وجوابه.

وقرأ الجمهور: «خافضةٌ رافعةٌ» برفعهما على تقدير: هي. وزيد بن علي، والحسن، وعيسى، وأبو حَيْوة، وابن أبي عبلة، وابن مِقْسَم، والزَّعفراني، واليزيدي في اختياره بنصبهما[١]. قال ابن خالويه[٢]: قال الكسائي: لولا أنَّ اليزيدي سبقني إليه لقرأتُ به. ونصبهما على الحال.

قال ابن عطية[٣] بعد الحال التي هي «ليس لوقعتها كاذبة»: ولك أن تتابع الأحوال، كما لك أن تتابع أخبار المبتدأ، والقراءة الأولى أشهَرُ وأبدَعُ معنًى، وذلك أنَّ موقعَ الحال من الكلام موقع ما لو لم يذكر لاستغنيَ عنه، وموقعَ الجُمل التي يُجزَمُ الخبر بها موقع ما يتهمَّم به. انتهى.

وهذا الذي قاله سبقه إليه أبو الفضل الرازي؛ قال في كتاب «اللوامح»: وذو الحال «الواقعةُ»، والعاملُ «وقعت»، ويجوز أن يكون «ليس لوقعتِها كاذبة» حالاً أخرى من «الواقعة»، بتقدير: إذا وقعت صادقةً الواقعة، فهذه ثلاثة أحوال من ذي حال، وجازت أحوالٌ مختلفة عن واحد، كما جازت عنه نعوتٌ متضادَّةٌ وأخبارٌ كثيرةٌ عن مبتدأ واحد، وإذا جعلت هذه كلّها أحوالاً كان العامل في «إذا وقعت»

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٠٧ عن الحسن وعيسى وأبي حيوة واليزيدي، وكذلك في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ إلا أنه لم يذكر اليزيدي، وزاد المسير ٨/ ١٣١ إلا أنه لم يذكر عيسى، لكنه ذكر ابن أبي عبلة.

(٢) في القراءات الشاذة ص ١٥٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩.

محذوفاً يدلُّ عليه الفحوى، بتقدير: يحاسبون ونحوه. انتهى. وتَعدادُ الأحوال والأخبار فيه خلافٌ وتفصيلٌ ذُكِرَ في النَّحو، فليس ذلك ممَّا أجمعَ عليه النُّحاة.

قال الجمهور: القيامة[١]؛ بتفطُّر السماء والأرض والجبال انهدامُ هذه البنية، تُرفَعُ طائفةٌ من الأجرام وتُخفَضُ أخرى، فكأنَّها عبارةٌ عن شِدَّة الهول والاضطراب.

وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك: الصيحة؛ تخفض قوَّتَها لِتُسمِعَ الأدنى، وتَرْفَعُها لِتُسمِعَ الأقصى.

وقال قتادة وعثمان بن عبد الله بن سراقة: القيامة؛ تخفض أقواماً إلى النار، وترفع أقواماً إلى الجنة.

وأخذ الزمخشري هذه الأقوال على عادته وكساها بعضَ ألفاظٍ رائعةٍ فقال[٢]: ترفَعُ أقواماً وتضَعُ آخرين، إمَّا وصفاً لها بالشدة؛ لأنَّ الواقعاتِ العِظامَ كذلك، يرتفع فيها ناسٌ إلى مراتب ويتَّضِعُ ناسٌ، وإمَّا أنَّ الأشقياءَ يحطُّون إلى الدركات، والسُّعداءَ يحطُّون إلى الدرجات، وإمَّا أنَّها تُزلزلُ الأشياءَ وتزيلُها عن مَقارِّها لتخفضَ بعضاً وترفعَ بعضاً، حيث تسقط السماء كِسَفاً، وتنتثر الكواكبُ وتنكدرُ، وتسير الجبالُ فتمرُّ في الجوِّ مَرَّ السَّحاب. انتهى.

﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ قال ابن عباس: زُلْزِلَتْ وحُرِّكَتْ بعنف[٣]. وقال أيضاً هو وعكرمة ومجاهد: «بُسَّت»: فُتِّتَتْ. وقيل: سُيِّرَتْ.

وقرأ زيد بن علي: «رَجَّت» و«بَسَّت» مبنيًّا للفاعل.

و«إذا رُجَّت» بدل من «إذا وقعت»، وجواب الشرط عندي ملفوظٌ به وهو قوله: «فأصحاب الميمنة» والمعنى: إذا كان كذا وكذا فأصحاب الميمنة ما أسعَدَهم

---

(١) الأقوال التي سيذكرها المصنِّف الآن في معنى الخفض والرفع، انظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩.
(٢) في الكشاف ٤/ ٥١-٥٢.
(٣) في (أ) والمطبوع: بجذب، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩ والكلام منه.

وما أعظَمَ ما يُجازَون به! أي: إنَّ سعادتَهم وعِظَمَ رتبَتِهم عند الله تظهر في ذلك الوقت الشديد الصعب على العالم.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن ينتصب بـ «خافضة رافعة» أي: تخفض وترفع وقتَ رَجِّ الأرض وبَسِّ الجبال؛ لأنَّه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع، ويرتفع ما هو منخفض. انتهى. ولا يجوز أن ينتصب بهما معاً، بل بأحدهما؛ لأنَّه لا يجوز أن يجتمع مؤثِّران على أَثَرٍ واحد.

وقال ابن جنِّي[٢] وأبو الفضل الرازي: «إذا رُجَّت» في موضع رفع على أنَّه خبرٌ للمبتدأ الذي هو «إذا وقعت»، وليست واحدةٌ منهما شرطيةً، بل جُعلت بمعنى وقت، وما بعد «إذا» أحوالٌ ثلاثة، والمعنى: وقت وقوع الواقعة صادقةُ الوقوع، خافضةُ قوم رافعةُ آخرين وقتُ رَجِّ الأرض. وهكذا ادَّعى ابنُ مالك أنَّ «إذا» تكون مبتدأً، واستدلَّ بهذا، وقد ذكرنا في «شرح التسهيل»[٣] ما تبقى به «إذا» على مدلولها من الشرط.

وتقدَّم شرح «الهباء» في سورة الفرقان[٤].

﴿مُّنۢبَثًّا﴾: منتشراً.

وقرأ النَّخَعي: «مُنْبَتًّا» بالتاء بنقطتين بدل الثاء المثلَّثة قراءة الجمهور، أي: منقطعاً[٥].

﴿وَكُنتُمْ﴾ خطاب للعالم[٦] ﴿أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾: أصنافاً ثلاثة[٧]. وهذه رُتَبُ الناس

---

(١) في الكشاف ٤/ ٥٢.

(٢) في المحتسب ٢/ ٣٠٧-٣٠٨ بنحوه.

(٣) انظر تسهيل الفوائد لابن مالك ص٩٤.

(٤) عند تفسير الآية (٢٣) منها.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٠.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.

(٧) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٤٦.

يوم القيامة؛ فأصحاب الميمنة قال الحسن والربيع: هم الميامين على أنفسهم[(١)]. وقيل: الذين يؤتَون صحائفهم بأيمانهم. وقيل: أصحاب المنزلة السنيَّة، كما تقول: هو منِّي باليمين[(٢)]. وقيل: المأخوذ بهم ذات اليمين[(٣)]. أو ميمنة آدم المذكورة في حديث الإسراء في الأسْوِدة[(٤)]. وأصحاب المشأمة: هم مَنْ قابلَ أصحابَ الميمنة في هذه الأقوال.

فـ «أصحابُ» مبتدأ، و«ما» مبتدأٌ ثانٍ استفهام في معنى التعظيم، و«أصحاب الميمنة» خبرٌ عن «ما»، وما بعدها خبرٌ عن «أصحاب»[(٥)]. وربط الجملة هنا بالمبتدأ تكرار المبتدأ بلفظه، وأكثر ما يكون ذلك في موضع التهويل والتعظيم، و«ما» تعجُّبٌ من حال الفريقين في السعادة والشقاوة، والمعنى: أيُّ شيءٍ هم[(٦)].

و«السابقون السابقون» جَوَّزوا أن يكون مبتدأً وخبراً، نحو قولهم: أنتَ أنت، وقوله:

أنا أبو النَّجم وشعري شعري[(٧)]

أي: الذين انتهوا في السَّبْق إلى الطاعات، وبرعوا فيها، وعُرِفَتْ حالُهم، وأن يكون «السابقون» تأكيداً لفظياً والخبر فيما بعد ذلك، وأن يكون «السابقون» مبتدأً والخبر فيما بعده، وتقف على قوله: «والسابقون»، وأن يكون متعلَّق السَّبق الأول مخالفاً للسَّبق الثاني، أي: والسابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنة، فعلى هذا

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٢) الكشاف ٤/ ٥٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٧٤.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠. وحديث الأسودة أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) عن أبي ذر ﷺ.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٦) ينظر الكشاف ٤/ ٥٢.
(٧) ديوان أبي النجم العجلي ص ٩٩. وسلف عند تفسير الآية (٦٧) من سورة المائدة. وينظر تفسير الرازي ٢٩/ ١٤٥.

جوَّزوا أن يكون «السابقون» خبراً لقوله: «والسابقون»، وأن يكون صفةً والخبر فيما بعده، والوجه القول الأول.

قال ابن عطية: ومذهب سيبويه أنَّه ـ يعني «السابقون» ـ خبر الابتداء، يعني خبر «والسابقون»، وهذا كما تقول [العرب]: الناسُ الناس، وأنتَ أنت، وهذا على تفخيم الأمر وتعظيمه[١]. انتهى. ويرجِّح هذا القول أنَّه ذكر أصحابَ الميمنة متعجِّباً منهم في سعادتهم، وأصحابَ المشأمة متعجِّباً منهم في شقاوتهم، فناسب أن يُذكَرَ السابقون مُثبَّتاً حالُهم مُعظَّماً، وذلك بالإخبار أنَّهم نهايةٌ في العظمة والسعادة.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ عمومٌ في السَّبق إلى أعمال الطاعات وإلى ترك المعاصي، وقال عثمان بن أبي سَوْدة: هم السابقون إلى المساجد. وقال ابن سيرين: هم الذين صَلَّوا القبلتين. وقال كعب: هم أهل القرآن. وفي الحديث: سُئِلَ عن السابقين، فقال: «هم الذين إذا أُعطُوا الحقَّ قَبِلوه، وإذا سُئِلوه بذلوه، وحكموا للناس بحكمهم لأنفسهم»[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى السابقين المقرَّبين الذين علَتْ منازلُهم، وقرُبَتْ درجاتُهم في الجنة من العَرْش[٣].

وقرأ الجمهور: «في جَنَّات» جمعاً. وطلحة: «في جَنَّة» مفرداً[٤].

وقسَّم السابقين المقرَّبين إلى ثُلَّةٍ من الأولين وقليلٍ من الآخرين. وقال الحسن: «السابقون» من الأمم و«السابقون» من هذه الأمة. وقالت عائشة: الفرقتان في كلِّ أمة نبيٍّ، في صدرها ثُلَّة، وفي آخرها قليل. وقيل: هما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كانوا في صدر الدنيا أكثر، وفي آخرها أقلّ. وفي الحديث: «الفرقتان في

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠، وما بين حاصرتين منه. وينظر الكتاب ٢/ ١٥٧-١٥٨.
(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٧٩) من حديث عائشة ﵂. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٢.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠.

أمتي، فسابقٌ في أول الأمة ثُلَّة، وسابقٌ سائرها إلى يوم القيامة قليل»[١]. وارتفع «ثُلَّةٌ» على إضمار «هم».

وقرأ الجمهور: «على سُرُرٍ» بضمِّ الراء. وزيد بن علي وأبو السمَّال بفتحها[٢]، وهي لغةٌ لبعض تميم وكلب، يفتحون عين فُعُل جمع فَعيل المُضعَّف نحو سرير. وتقدَّم ذلك في ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ﴾[٣].

﴿مَّوۡضُونَةٖ﴾ قال ابن عباس: مرمولة بالذهب. وقال عكرمة: مُشبَّكة بالدرِّ والياقوت[٤]. ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا﴾: أي: على السُّرر، و«مُتَّكئين» حال من الضمير المُستكِنّ في «على سُرُرٍ متقابلين» ينظر بعضُهم إلى بعض، وُصِفوا بِحُسْن العشرة، وتهذيب الأخلاق، وصفاء بواطنهم ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا﴾ [الحجر: ٤٧].

﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ وُصِفوا بالخُلد ـ وإن كان مَنْ في الجنة مُخلَّداً ـ ليدلَّ على أنَّهم يبقَون دائماً في سنِّ الولدان لا يكبرون ولا يتحوَّلون عن شكل الوصافة[٥]. وقال مجاهد: لا يموتون. قال الفرَّاء: مُقَرَّطون بالخَلَدات: وهي ضربٌ من الأقراط[٦].

﴿وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ﴾ قال ابن عباس: من خمر سائلة جارية مَعينة[٧].

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا﴾ قال الأكثرون: لا يلحقُ رؤوسَهم الصُّداعُ الذي يلحق من خمر الدنيا.

(١) لم أجد من أخرجه، وقد ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، والكلام بتمامه منه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٠ عن أبي السمال وحده.
(٣) الآية (٤٤) منها.
(٤) أخرجهما الطبري ٢٢/ ٢٩٢ و٢٩٤. وهما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١، وزاد المسير ٨/ ١٣٥.
(٥) الكشاف ٤/ ٥٣ بنحوه، وما قبله منه أيضاً.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤١. وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/ ٢٩٥، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٢٣.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، وما بعده منه.

وقرأتُ على أستاذنا العلَّامة أبي جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى قولَ علقمة في صفة الخمر:

تشفي الصُّداعَ ولا يُؤذيكَ صالِبُها ... ولا يخالِطُها في الرأس تَدْويمُ[1]

فقال: هذه صفة خمر[2] الجنة. وقيل: لا يُفرَّقون عنها، بمعنى: لا تُقطَعُ عنهم لذَّتُهم بسببٍ من الأسباب كما تَفرَّقَ أهلُ خمرِ الدنيا بأنواعٍ من التفريق، كما جاء: فتَصدَّع السحابُ عن المدينة[3]، أي: فتفرَّق.

وقرأ مجاهد: «لا يَصَّدَّعون» بفتح الياء وشدِّ الصاد، أصله: يتصدَّعون، أدغم التاء في الصاد، أي: لا يتفرَّقون، كقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾[4] [الروم: ٤٣]. والجمهور بضم الياء وخِفَّة الصاد.

والجمهور بجرِّ «وفاكهةٍ ولحمٍ»، وزيد بن علي برفعهما، أي: ولهم.

والجمهور: «ولا يُنْزَفون» مبنيًّا للمفعول[5]. قال مجاهد وقتادة و[ابن] جُبير والضحاك: لا تذهب عقولُهم سُكْراً. وابنُ أبي إسحاق بفتح الياء وكسر الزاي، نَزَفَ البئرَ: استقى[6] ماءَها، فالمعنى: لا تفرَغُ خمرُهم. وابن أبي إسحاق أيضاً، وعبد الله، والسُّلمي، والجَحْدري، والأعمش، وطلحة، وعيسى بضمِّ الياء وكسر الزاي، أي: لا يفنى لهم شرابٌ.

﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾: يأخذون خيرَه وأفضلَه ﴿مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: يتَمَنَّون[7].

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) في (أ) والمطبوع: أهل.

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٩٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ. وأخرجه مسلم (٨٩٧) بنحوه مطولاً. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.

(٤) الكشاف ٤/ ٥٤.

(٥) هي قراءة غير الكوفيين من السبعة. ينظر السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ٢٠٧.

(٦) في (د٣) و(ع) والمطبوع: استفرغ، والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢، والكلام وما بين حاصرتين السالف منه.

(٧) الكشاف ٤/ ٥٤.

وقرأ الجمهور: «وحُورٌ عِينٌ» برفعهما، وخُرِّجَ على أن يكون معطوفاً على «ولدانٌ»، أو على الضمير المستكِنِّ في «مُتَّكئين»، أو على مبتدإٍ محذوف هو وخبره تقديره: لهم هذا كلُّه وحورٌ عِينٌ، أو على حذف خبرٍ فقط، أي: ولهم حورٌ، أو فيهما حورٌ.

وقرأ السُّلميُّ، والحسن، وعمرو بن عُبيد، وأبو جعفر، وشيبة، والأعمش، وطلحة، والمُفضَّل وأبان وعِصْمة عن عاصم، وحمزة، والكسائي بجرِّهما[(١)]. والنَّخَعيُّ: «وحِيرٍ عينٍ» بقلب الواو ياءً وجَرِّهما[(٢)]. والجرُّ عَطْفٌ على المجرور، أي: يطوف عليهم وِلدانٌ بكذا وكذا وحورٍ عين. وقيل: هو على معنى: ويُنعَّمون بهذا كلِّه وبحورٍ عين. وقال الزمخشريُّ[(٣)]: عطفاً على «جنَّاتِ النعيم»، كأنَّه قال: هم في جناتٍ وفاكهةٍ ولحمٍ وحورٍ. انتهى. وهذا فيه بُعْدٌ وتفكيكُ كلامٍ مرتبِطٍ بعضُه ببعضٍ، وهو فهم أعجميّ.

وقرأ أُبيٌّ وعبد الله: «وحُوراً عِيناً» بنصبهما[(٤)]؛ قالوا: على معنى: ويُعطَون هذا كُلَّه وحُوراً عِيناً.

وقرأ قتادة: «وحُورُ عِينٍ» بالرفع مضافاً إلى «عِينٍ»، وابن مِقْسَم بالنصب مضافاً إلى «عِينٍ»[(٥)]. وعكرمة: «وحَوْراءَ عَيناءَ» على التوحيد اسم جنس وبفتح الهمزة فيهما، فاحتمل أن يكون مجروراً عطفاً على المجرور السابق، واحتمل أن يكون منصوباً كقراءة أُبيٍّ وعبد الله: «وحُوراً عِيناً».

ووُصِفَ اللؤلؤُ بالمكنون؛ لأنَّه أصفى وأبعَدُ من التغيُّر، وفي الحديث: «صفاؤهنَّ كصفاء الدُّرِّ الذي لا تمسُّه الأيدي»[(٦)]. وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ

---

(١) السبعة ص ٦٢٢، والتيسير ص ٢٠٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.
(٣) في الكشاف ٤/ ٥٤.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩.
(٥) أي: «وحُورَ عِينٍ».
(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/ ٣٠٤، والطبراني في المعجم الأوسط (٣١٤١) من حديث أمِّ

مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات:٤٩]. وقال الشاعر يصف امرأةً بالصَّونِ وعدمِ الابتذال، فشبَّهها بالدرَّة المكنونة في صَدَفتها، فقال:

قـامَـتْ تـراءى بيـن سَـجْـفَـي كِـلَّـةٍ كـالـشَّـمـسِ يـومَ طُـلـوعِـهـا بـالأسْـعُـدِ
أو دُرَّةٍ صَـدَفِـيَّـةٍ غـوَّاصُـهـا بَـهِـجٌ مـتـى يَـرَهـا يُـهِـلَّ ويَـسـجُـدِ[1]

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ رُوِيَ أنَّ المنازِلَ والقسمَ في الجنة على قَدرِ الأعمال، ونفسُ دخول الجنة هو برحمة الله تعالى وفضله لا بعمل عامل، وفيه النصُّ الصحيح الصريح: «لا يدخل أحدٌ الجنةَ بعمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدني بفضلٍ منه ورحمة»[2].

﴿لَغْوًا﴾ سقَطُ القولِ وفُحْشُه ﴿وَلَا تَأْثِيمًا﴾: ما يُؤثِمُ أحداً.

والظاهر أنَّ «إلَّا قيلاً سلاماً سلاماً» استثناء منقطع؛ لأنَّه لم يندرج في اللَّغو ولا التأثيم، ويبعُدُ قولُ من قال: استثناء متصل. و«سلاماً» قال الزجَّاج: هو مصدر نصبَه «قيلاً» أي: يقول بعضهم لبعض: سلاماً سلاماً. وقيل: نُصِبَ بفعل محذوف، وهو معمول «قيلاً» أي: قيلاً: اسلموا سلاماً. وقيل: «سلاماً» بدل من «قيلاً». وقيل: نعت لـ«قِيلاً» بالمصدر، كأنَّه قيل: إلَّا قيلاً سالماً من هذه العيوب[3].

﴿فِى سِدْرٍ﴾ في الجنة شجرٌ على خلقته، له ثمرٌ كقِلال هَجَر، طيِّب الطعم والرِّيح[4].

= سلمة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٤١٧: في إسناده سليمان بن أبي كريمة، وهو ضعيف. قلت: والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

(١) البيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص ٤٠، وسلف الثاني في تفسير مفردات الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦)، وأحمد (٩٨٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ. والكلام وما بعده من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣ دون قوله: وقيل: «سلاماً» بدل من «قيلاً» فهو في الكشاف ٤/ ٥٤. وقول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ١١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٣.

﴿مَّخْضُودٍ﴾: عارٍ من الشوك. وقال مجاهد: المخضود: المُوْقَر الذي تُثني أغصانَه كثرةُ حَمْلِه، من خَضَد الغُصْنَ: إذا ثناه[١].

وقرأ الجمهور: «وطلحٍ» بالحاء. وعليٌّ، وجعفر بن محمد، وعبد الله بالعين، قرأها عليٌّ على المنبر[٢].

وقال عليٌّ وابن عباس وعطاء ومجاهد: الطلح: الموز. وقال الحسن: ليس بالموز، ولكنَّه شجرٌ ظِلُّه باردٌ رطب[٣]. وقيل: شجر أم غَيْلان؛ وله نوَّارٌ كثيرٌ طيِّب الرائحة. وقال السُّدِّي: شجرٌ يشبه طلح الدنيا، ولكن له ثمرٌ أحلى من العسل. والمنضود: الذي نُضِدَ من أسفله إلى أعلاه، فليست له ساقٌ تظهر[٤].

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ لا يتقلَّص، بل منبسط لا ينسخه شيء.

قال مجاهد: هذا الظِّلُّ من سِدْرِها وطلحِها[٥].

﴿وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ قال سفيان وغيره: جارٍ في غير أخاديد. وقيل: مُنساب لا يُتعب فيه بسانية[٦] ولا رشاء.

﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ أي: هي دائمة لا تنقطع في بعض الأوقات كفاكهة الدنيا، ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ أي: لا يُمنَعُ من تناولها بوجهٍ ولا يُحظر عليها كالتي في الدنيا[٧].

وقُرِئ: «وفاكهةٌ كثيرةٌ» برفعهما، أي: وهناك فاكهةٌ.

وفُرُشٌ جمع فِراش. وقرأ الجمهور بضمِّ الراء. وأبو حَيْوة بسكونها[٨].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٤.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٣) أخرجها عنهم الطبري ٢٢/ ٣١١-٣١٢. وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٤) الكشاف ٤/ ٥٤، وما بعده منه.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤، وما بعده منه.
(٦) في (د٣) والمطبوع: بساقية.
(٧) الكشاف ٤/ ٥٤، وما بعده منه.
(٨) القراءات الشاذة ص ١٥١.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضِدَتْ حتى ارتفعت، أو رُفِعتْ على الأسِرَّة[١].

والظاهر أنَّ الفراش هو ما يُفترَشُ للجلوس عليه والنوم. وقال أبو عبيدة[٢] وغيره[٣]: المراد بالفُرش النساء؛ لأنَّ المرأةَ يُكنى عنها بالفراش. ورفعُهُنَّ في الأقدار والمنازل[٤].

والضمير في «أنشأناهُنَّ» عائدٌ على الفُرش في قول أبي عبيدة؛ إذ هُنَّ النساء عنده، وعلى ما دلَّ عليه الفُرش إذا كان المراد بالفرش ظاهرُ ما يدلُّ عليه من الملابس التي تُفرَشُ ويُضطجَعُ عليها، أي: ابتدأنا خلقَهُنَّ ابتداءً جديداً من غير ولادة[٥]. والظاهر أنَّ الإنشاءَ هو الاختراع الذي لم يُسبَقُ بخلقٍ، ويكون ذلك مخصوصاً بالحور اللَّاتي لَسْنَ من نسل آدم. ويحتمل أن يُريد إنشاءَ الإعادة، فيكون ذلك لبنات آدم.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ قيل: دائمي البَكارة كلَّما وُطِئْنَ وُجِدْنَ أبكاراً. والعَروب؛ قال ابن عباس: المتحبِّبة إلى زوجها. وقاله الحسن، وعبَّر ابنُ عباس أيضاً عنهنَّ بالعواشق، ومنه قول لبيد:

وفي الخدورِ عَروبٌ غيرُ فاحشةٍ ... ريَّا الرَّوادفِ يَعْشى دونَها البَصرُ[٦]

وقال ابن زيد: العَروب: المُحسِّنة للكلام[٧].

وقرأ حمزة وناسٌ منهم: شجاع وعباس والأصمعي عن أبي عمرو، وناسٌ منهم: خارجة وكَرْدَم وأبو خُلَيد عن نافع، وناسٌ منهم: أبو بكر وحمَّاد وأبان عن

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٤.
(٢) فيما نقل عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٣) الزمخشري في الكشاف ٤/ ٥٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٤١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٤.
(٥) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٢، والكشاف ٤/ ٥٤.
(٦) شرح ديوان لبيد ص ٦١، وفيه: الحُدوج، بدل: الخدور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.
(٧) في المحرر الوجيز: الحسنة الكلام.

عاصم: «عُرْباً» بسكون الراء، وهي لغة تميم. وباقي السبعة بضمِّها[١].

﴿أَتْرَابًا﴾ في الشكل والقدِّ.

وأبعَدَ مَنْ ذهبَ إلى أنَّ الضميرَ في «أنشأناهُنَّ» عائدٌ على الحور العين المذكورة قبل؛ لأنَّ تلك قصةٌ قد انقطعت وهي قصة السابقين، وهذه قصة أصحاب اليمين[٢].

واللَّام في «أصحاب» مُتعلِّقة بـ «أنشأناهُنَّ»[٣].

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾﴾ أي: من الأمم الماضية ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ أي: من أمّة محمد ﷺ[٤].

ولا تنافي بين قوله: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وقوله قبل: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾؛ لأنَّ قولَه: ﴿مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ هو في السابقين، وقولَه: ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ هو في أصحاب اليمين[٥].

* * *

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟
يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ
وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن
شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَم

(١) ينظر السبعة ص ٦٢٢، والتيسير ص ٢٠٧، والحجة لأبي علي ٦/ ٢٥٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.
(٣) الكشاف ٤/ ٥٥.
(٤) تفسير الطبري ٢٢/ ٢٩١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ١٨٤.
(٥) الكشاف ٤/ ٥٥.

نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ
وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا
لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ
نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾
ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ
بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ
عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ
مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوۡلَآ
إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾
فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾
فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ
ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

المفردات «اليَحْموم»: الأسود البهيم[١].

«الحِنْث» قال الخطَّابي: هو في كلام العرب: العِدْل الثقيل، شبَّه الإثمَ به[٢].

«الهِيم» جمع أَهْيَم وهَيْماء. والهُيام: داءٌ مُعطِشٌ يصيب الإبل فتشربُ حتى تموت أو تَسْقَم سقماً شديداً. قال:

فأصبَحْتُ كالهَيْماءِ لا الماءُ مُبْرِدٌ صَداها ولا يقضي عليها هُيَامُها[٣]

والهِيم جمع هَيام: وهو الرمل، بفتح الهاء، وهو المشهور. وقال ثعلب:

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣ بنحوه.
(٢) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.
(٣) البيت لذي الرمة، وهو في ديوانه ٢/ ١٠٠٠، وفيه: مبرىء، بدل: مبرد. والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧، والكشاف ٥/ ٥٦.

بضمِّها. قال: هو الرمل الذي لا يتماسك. فبالفتح كسحاب وسُحُب، ثمَّ خُفِّفَ وفُعِلَ به ما فُعِلَ بجمع «أبيض»[1] من قلب ضمَّته كسرة، لتصحَّ الياءُ. وبالضمِّ يكون قد جُمِعَ على فُعُل كقُراد وقُرُد، ثمَّ سُكِّنَتْ ضمَّةُ الراء فصار فُعْلاً، ثمَّ فُعِلَ به ما فُعِلَ بـ «بِيض».

أمنى الرجل النُّطفةَ ومناها: قذفَها من إحليله.

المُزْن: السحاب؛ قال الشاعر:

ونحنُ كماءِ المُزْنِ ما في نصابِنا كَهَامٌ ولا فينا يُعَدُّ بخيلُ[2]

واحدته مُزْنة، فهو اسم جنس، قال الشاعر:

فلا مُزْنَةٌ ودَقَتْ وَدْقَها ولا أرضَ أبقَلَ إبقالَها[3]

أوريتُ النَّارَ من الزِّناد: قدَحْتُها. وورى الزَّندُ نفسَه. والزِّنادُ من حجرين أو من حجر وحديدة ومن شجر، لا سيَّما في الشجر الرَّخو كالمَرْخ والعَفَار والكَلْح[4]. والعرب تقدحُ بعودين تحكُّ أحدَهما بالآخر ويُسَمُّون الأعلى الزَّند والأسفلَ الزَّنْدة، شبَّهوهما بالفحل والطَّروقة[5].

أقوى الرجل: دخلَ في الأرض القَواء: وهي القَفْر، كـ «أصحَرَ»: دخلَ في الصحراء. وأقوى: مَنْ أقامَ أياماً لم يأكل شيئاً. وأقْوَتِ الدارُ: صارَتْ قَفْراء. قال الشاعر:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ[6]

---

(١) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: أهيم، والتصويب من الكشاف، وروح المعاني ٢٦/ ٣٤٩.

(٢) البيت للسموأل بن عاديا اليهودي، وهو في ديوانه ص ٦٩. النِّصاب: الأصل. ورجلٌ كَهام وكهيم: ثقيلٌ مُسِنٌّ دثورٌ لا غناء عنده. اللسان (نصب) و(كهم).

(٣) البيت لعامر بن جوين الطائي. وسلف عند تفسير الآية (٤٣) من سورة النور.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩.

(٥) الكشاف ٥/ ٥٧-٥٨.

(٦) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣٠، والخزانة ١١/ ٣٢. قال صاحبها: العلياء: =

أدْهَنَ: لايَنَ وهاوَدَ فيما لا يجمل عند المُدْهَن. وقال الشاعر:

الحَزْمُ والقُوَّةُ خيرٌ من الـ ... إدْهانِ والفَهَّةِ والهاعِ[1]

«الحُلْقوم»: مَجْرى الطعام[2].

«الرَّوح»: الاستراحة[3].

«الرَّيحان» تقدَّم في سورة الرحمن[4].

* * *

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟
يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ
وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن
شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾
هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ
نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ
﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا
لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ

= كلُّ مكان مشرف. والسَّند: ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. وأقْوَتْ: خلَتْ من السكان وأقفرت.

(١) البيت لأبي قيس بن الأسلت، وهو في أمالي القالي ص ٢١٥، والمفضليات ص ٢٨٥. وفيهما: والفَكَّة، بدل: والفَهَّة. يقال: في فلان فَكَّة، أي: استرخاء في رأيه. والفَهَّة: مثل السَّقْطة والجهلة ونحوها. ورجلٌ هاعٌ لاعٌ: جبان ضعيف جزوع. اللسان (فكك) و(فهه) و(هوع).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢.

(٤) عند تفسير الآية (١٢) منها.

نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

التفسير لمَّا ذكر حالَ السابقين وأتبعَهم بأصحاب الميمنة ذكر حالَ أصحاب المشأمة، فقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ وتقدَّم إعرابُ نظير هذه الجملة، وفي هذا الاستفهام تعظيمُ مصابهم[١].

﴿فِى سَمُومٍ﴾ في أشدِّ حرٍّ ﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماءٍ شديدِ السخونة ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وأبو مالك وابن زيد والجمهور: دخان[٢]. وقال ابن عباس أيضاً: هو سرادق النار المحيط بأهلها يرتفع من كلِّ ناحية حتى يُظِلَّهم. وقال ابن كيسان: اليَحموم: من أسماء جهنم[٣]. وقال ابن زيد أيضاً وابنُ بريدة: هو جبلٌ في النار أسوَدُ يفزَعُ أهلُ النار إلى ذُراه فيجدونه أشدَّ شيء وأمرَّ.

﴿لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ صفتان للظلِّ نُفِيَتا؛ سُمِّي ظِلًّا وإن كان ليس كالظِّلال، ونُفيَ عنه بَرْدُ الظلِّ ونفعُه لمن يأوي إليه. «ولا كريم» تتميمٌ لنفي صفة المدح فيه، وتمحيقٌ لما يتوهَّم في الظلِّ من الاسترواح إليه عند شدَّة الحرِّ، أو نفيٌ لكرامة مَنْ يَستروِحُ إليه، ونسب إليه مجازاً، والمراد هم، أي: يستظِلُّون إليه وهم مهانون. وقد يحتمل المجلس الرديء لنيل الكرامة[٤].

وبُدِئ أولاً بالوصف الأصلي الذي هو الظلُّ وهو كونُه من يَحموم، فهو بعض اليَحموم، ثم نُفيَ عنه الوصفُ الذي يُبغى له الظلُّ وهو كونُه لا بارداً ولا كريماً. وقد يجوز أن يكون «لا باردٍ ولا كريمٍ» صفةً لـ«يَحموم»، ويلزم منه أن يكون الظِلُّ موصوفاً بذلك.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٥.

(٢) أخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ٣٣٤-٣٣٧. وأخرجه عن ابن عباس ﵄ الحاكم ٢/ ٤٧٦. وعن مجاهد عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧٢، وهنَّاد في الزهد (٢٣٨).

(٣) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.

(٤) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.

وقرأ الجمهور: «لا باردٍ ولا كريمٍ» بجرِّهما. وابنُ أبي عبلة برفعهما، أي: لا هو باردٌ ولا كريمٌ على حدِّ قوله:

فـأبِـيـتُ لا حَـرِجٌ ولا مـحـرومُ[1]

أي: لا أنا حَرِجٌ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا ﴿مُتْرَفِينَ﴾[2] فيه ذَمُّ التَّرف والتَّنعُّم في الدنيا، والتَّرف طريقٌ إلى البطالة، وترك التفكُّر في العاقبة ﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ﴾ أي: يُداوِمون ويواظِبون ﴿عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3] قال قتادة والضحاك وابن زيد: الشرك، وهو الظاهر[4]. وقيل: ما تضمَّنه قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الآية [النحل:٣٨] من التكذيب بالبعث[5]. ويُبعِدُه ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ﴾ فإنَّه معطوفٌ على ما قبله، والعطف يقتضي التغاير، فالحنث العظيم: الشرك.

وقولهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ إنكارٌ للبعث. وأبعد الشَّعبيُّ في أنَّ هذا الحنث هو اليمين الغَموس[6].

﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ تقدَّم الكلام عليه في ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾[7].

وكرَّر الزمخشريُّ هنا وهمَه، فقال: فإن قلتَ: كيف حَسُنَ العطفُ على المُضمَر في «لمبعوثون» من غير تأكيد بـ «نَحْنُ»؟ قلت: حَسُنَ للفاصل الذي هو الهمزة كما حَسُنَ في قوله: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] لفصل «لا» المؤكِّدة للنفي[8]. انتهى.

---

(١) عجز بيت صدره: ولقد أكونُ من الفتاةِ بمنزلٍ، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ٨٤، وسلف.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٨٦.
(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ١٧٠-١٧١ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦. وأخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٠.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٣.
(٦) قول الشعبي في النكت والعيون ٥/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦.
(٧) عند تفسير الآيتين (١٦) و(١٧) منها.
(٨) الكشاف ٤/ ٥٥.

وردَدْنا عليه ذلك[١]، وقد رجع هناك إلى مذهب الجماعة في أنَّهم لا يُقَدِّرون بين همزة الاستفهام وحرف العطف فِعْلاً في نحو: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ [غافر: ٨٢، ومحمد: ١٠] ولا اسماً في نحو: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الصافات: ١٧، والواقعة: ٤٨] بلِ الواوُ والفاءُ لعطف ما بعدَهما على ما قبلهما، والهمزة في التقدير متأخرةٌ عن حرف العطف، لكنَّه لمَّا كان الاستفهام له صدر الكلام قُدِّمَتْ.

ولمَّا ذكر تعالى استفهامهم عن البعث على طريق الاستبعاد والإنكار أمرَ نبيَّه ﷺ أن يُخبرَهم ببعثِ العالم أوَّلِهم وآخِرِهم للحساب، وبما يصل إليه المكذِّبون للبعث من العذاب.

والميقات: ما وُقِّتَ به الشيءُ، أي: حُدَّ، أي: إلى ما وُقِّتَتْ به الدنيا من يومٍ معلوم، والإضافة بمعنى «من»، كخاتمِ حديد[٢].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ خطابٌ لكفار قريش ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى، المكذِّبون للبعث، وخطابٌ أيضاً لمن جرى مجراهم في ذلك.

﴿لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ «من» الأولى لابتداء الغاية أو للتبعيض، والثانية إن كان «من زقوم» بدلاً فـ «من» تحتمل الوجهين، وإن لم تكن بدلاً فهي لبيان الجنس، أي: من شجرٍ الذي هو زقُّوم[٣].

وقرأ الجمهور: «من شجر». وعبد الله: «من شجرةٍ»[٤].

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾ الضمير في «منها» عائدٌ على «شجر»[٥] إذ هو اسم جنس يؤنَّث ويذكَّر، وعلى قراءة عبد الله فهو واضح.

---

(١) المثبت من (د٣)، وتحرفت في باقي النسخ إلى: هناك.

(٢) الكشاف ٤/ ٥٥، وما بعده منه.

(٣) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٢٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ﴾ قال الزمخشري[١]: ذُكِّرَ على لفظ الشجر، كما أُنِّثَ على المعنى في «منها» قال: ومن قرأ: «من شجرة من زقوم» فقد جعلَ الضميرين للشجرة، وإنَّما ذَكَّرَ الثاني على تأويل الزقُّوم؛ لأنَّهُ يُفسِّرها وهي في معناه.

وقال ابن عطية[٢]: والضمير في «عليه» عائدٌ على المأكول أو على الأكل. انتهى. فلم يجعله عائداً على شجر.

وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة: «شُرْبَ» بضمِّ الشين[٣]، وهو مصدر. وقيل: اسمٌ لما يُشْرَب. ومجاهد وأبو عثمان النَّهدي بكسرها[٤]، وهو بمعنى المشروب اسمٌ لا مصدر، كالطِّحْن والرِّعْي. والأعرج، وابن المسيّب، وشعيب بن الحَبْحاب، ومالك بن دينار، وابن جُرَيج، وباقي السبعة بفتحها، وهو مصدره المَقِيس[٥].

و«الهِيم» قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك: جمع أهْيَم؛ وهو الجَمَل الذي أصابه الهُيام، وقد فسَّرناه في المفردات. وقيل: جمع هَيْماء. وقيل: جمع هائم وهائمة ـ وجَمْعُ فاعل على فُعْل شاذٌّ، كباذل وبُذْل، وعائذ وعُوْذ ـ والهائم أيضاً من الهُيام، ألا ترى أنَّ الجملَ إذا أصابه ذلك هامَ على وجهه وذهب. وقال ابن عباس وسفيان: الهِيم: الرِّمال التي لا تَرْوى من الماء[٦].

وتقدَّم الخلاف في مُفرده أهو الهَيام بفتح الهاء أم بالضم. والمعنى: أنَّه يُسلَّطُ عليهم من الجوع ما يضطرُّهم إلى أكل الزقُّوم الذي كالمُهل، فإذا ملؤوا منه البطون سُلِّط عليهم من العطش ما يضطرُّهم إلى شُرب الحميم الذي يُقطِّع أمعاءهم، فيشربونه شُرْبَ الهِيم. قاله الزمخشري[٧]. وقال أيضاً: فإن قلتَ: كيف صَحَّ عطفُ

(١) في الكشاف ٤/ ٥٥-٥٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.
(٣) السبعة ص ٦٢٣، والتيسير ص ٢٠٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧ عن مجاهد.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧. وينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٢٦٠.
(٦) الكلام ـ دون ما بين معترضتين ـ من المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.
(٧) في الكشاف ٤/ ٥٦.

الشاربين على الشاربين وهُما لِذوات متَّفِقة وصفتان متَّفِقتان فكان عطفاً للشيء على نفسه؟ قلت: ليستا بمتَّفِقتين من حيث إنَّ كونَهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الأمعاء أمرٌ عجيبٌ، وشُرْبُهم له على ذلك كما تشربُ الهِيمُ الماءَ أمرٌ عجيبٌ أيضاً، فكانتا صفتين مختلفتين. انتهى.

والفاءُ تقتضي التعقيبَ في الشُّربَين، وأنهم أولاً لمَّا عطشوا شربوا من الحميم؛ ظنًّا أنَّه يُسَكِّنُ عطشَهم، فازدادَ العطشُ بحرارة الحميم، فشربوا بعده شُرْباً لا يقع به رِيٌّ أبداً، وهو مِثْلُ شُرْبِ الهِيم، فهما شُرْبان من الحميم لا شُرْبٌ واحد، اختلفَتْ صِفتاه فعُطِفَ والمقصودُ الصِّفةُ، والمشروبُ منه في «فشاربون شُرْبَ الهيم» محذوفٌ لفهم المعنى، تقديره: فشارِبون منه شُرْب الهِيم.

وقرأ الجمهور: «نُزُلهم» بضمِّ الزاي. وقرأ ابن مُحَيْصِن، وخارجة عن نافع، ونُعيم ومحبوب وأبو زيد وهارون وعصمة وعباس كلُّهم عن أبي عمرو بالسكون[1]؛ وهو أول ما يأكله الضيف[2].

وفيه تهكُّمٌ بالكفار، وقال الشاعر:

وكُنَّا إذا الجبارُ بالجيشِ ضافَنا جعَلْنا القَنا والمُرْهَفاتِ له نُزْلا[3]

﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم الجزاء.

﴿نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ حضٌّ على التصديق، أشار إلى النشأة الأولى وهي خلقهم. ثم قال: ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالإعادة، وتُقِرُّون بها كما أقررتُم بالنشأة الأولى ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، و﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ بالخلق، وذلك

---

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١ من رواية هارون وعباس عن أبي عمرو. وذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٢٣ من رواية عباس عن أبي عمرو، وذكر أن رواية الباقين عنه «نُزُلهم» بضمِّ الزاي. قلت: والمشهور ـ أيضاً ـ عن نافع ـ بالضم ـ كقراءة الجمهور.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٣) البيت لأبي الشعر الضبِّي كما في الكشاف ٤/ ٥٦ والكلام منه.

أنَّهم لمَّا اتَّخذوا من دون الله آلهة جعلوا كأنَّهم كانوا غير مُقِرِّين بالخلق، فحضُّوا على التصديق به[١].

ثمَّ حضَّ على التصديق على وجه تقريعهم بسياق الحُجَجِ الموجبة للتصديق، وكأنَّ كافراً قال: ولم أُصَدِّق؟ فقيل له: أفرأيتَ كذا ممَّا الإنسانُ مفطورٌ على الإقرار به فقال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ وهو المني الذي يخرج من الإنسان؛ إذ ليس له في خلقه عملٌ ولا إرادةٌ ولا قدرة[٢].

وقال الزمخشري[٣]: ﴿تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾: تُقدِّرونه وتُصوِّرونه. انتهى. فحمل الخلقَ على التقدير والتصوير لا على الإنشاء.

ويجوز في «أأنتم» أن يكون مبتدأً، وخبرُه «تخلقونه»، والأَولى أن يكون فاعلاً بفعلٍ محذوف، كأنَّه قال: أتخلقونه؟ فلمَّا حُذِفَ الفعلُ انفصلَ الضميرُ.

وجاء «أفرأيتُم» هنا مُصرَّحاً بمفعولها الأول؛ ومجيء جملة الاستفهام في موضع المفعول الثاني على ما هو المقرَّرُ فيها إذا كانت بمعنى: أخبِرْني.

وجاء بعد «أم» جملة، فقيل: «أم» منقطعة، وليست المعادِلة للهمزة، وذلك في أربعة مواضع هنا؛ ليكون ذلك على استفهامين، فجواب الأول «لا»، وجواب الثاني «نعم»، فتُقدَّر «أم» على هذا: بل أنحن الخالقون؟ فجوابه «نعم».

وقال قوم من النُّحاة: «أم» هنا معادلة للهمزة، وكأنَّ ما جاء من الخبر بعد «نحن» جيء به على سبيل التوكيد؛ إذ لو قال: أم نحن، لوقع الاكتفاءُ به دون ذكر الخبر، ونظير ذلك جواب من قال: مَنْ في الدار؟ زيدٌ في الدار، أو زيدٌ فيها، ولو اقتُصِرَ في الجواب على «زيد» لاكتُفِيَ به.

وقرأ الجمهور: «ما تُمنون» بضمِّ التاء. وابن عباس، وأبو السمَّال بفتحها[٤].

---

(١) الكشاف ٤/ ٥٦ بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٧.

(٣) في الكشاف ٤/ ٥٦.

(٤) أي: تَمنون، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨ عنهما، وفي القراءات الشاذة ص ١٥١، والكشاف ٤/ ٥٦ عن أبي السمَّال.

والجمهور: «قَدَّرْنا» بشَدِّ الدال. وابن كثير يُخِفُّها[١]، أي: قضينا وأثبتنا، أو رتَّبنا في التقدُّم والتأخُّر، فليس موتُ العالَم دفعةً واحدةً، بل بترتيبٍ لا يتعدَّى.

ويقال: سبَقْتَه على الشيء: أعجَزْتَه عنه، وغلَبْتَه عليه، ولم تُمكِّنْه منه. والمعنى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نحن قادرون على ذلك، لا تغلبوننا عليه إنْ أَرَدْنا ذلك[٢].

وقال الطبري[٣]: المعنى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ أي: نموِّتُ طائفةً، ونُبدلُها بطائفة، هكذا قرناً بعد قرن. انتهى. فـ «على أن نُبَدِّلُ» متعلِّقٌ بقوله: «نحن قَدَّرنا»، وعلى القول الأول مُتعلِّقٌ بـ «مسبوقين» أي: لا نُسْبَقُ على أن نُبَدِّل أمثالكم[٤]. و«أمثالكم» جمع مِثْل[٥].

﴿وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصفات، أي: نحن قادرون على أن نعدمكم وننشىء أمثالكم وعلى تغيير أوصافكم ممَّا لا يُحيط به فِكْرُكم. وقال الحسن: من كونِكم قردةً وخنازيرَ، قال ذلك لأنَّ الآيةَ تنحو إلى الوعيد[٦].

ويجوز أن يكون «أمثالكم» جمع مَثَل بمعنى الصفة، أي: نحن قادرون على أن نُغيِّرَ صفاتِكم التي أنتم عليها خَلْقاً وخُلُقاً، ونُنشِئكم في صفاتٍ لا تعلمونها[٧].

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: علِمْتُم أنَّه هو الذي أنشأكم أولاً إنساناً إنساناً. وقيل: نشأة آدم، وأنَّه خُلِقَ من طين، ولا يُنكِرها أحدٌ من ولده.

---

(١) أي: «قَدَرْنا»، وهي في السبعة ص ٦٢٣، والتيسير ص ٢٠٧. والكلام من المحرر الوجيز ٥/٢٤٨.
(٢) الكشاف ٤/٥٦.
(٣) فيما نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٢٤٨.
(٤) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/١١٤.
(٥) الكشاف ٤/٥٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/٢٤٨.
(٧) الكشاف ٤/٥٦ بنحوه.

﴿فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حَضٌّ على التذكير المؤدِّي إلى الإيمان والإقرار بالنشأة الآخرة[(١)].

وقرأ الجمهور: «تذَّكَّرون» بشدِّ الذال[(٢)]. وطلحة يُخِفُّها وضم الكاف[(٣)]. قالوا: وهذه الآية دالَّةٌ على استعمال القياس والحضِّ عليه. انتهى. ولا تدلُّ إلَّا على قياس الأَوْلى[(٤)] لا على جميع أنواع القياس.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ﴾ ما تُثيرون له الأرض وتَبْذُرونه فيه[(٥)] ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ﴾ أي: زرعاً يتمُّ وينبت حتى يُنتفَعَ به.

والحُطَام: اليابس المتفتِّت الذي لم يكن له حبٌّ يُنتفع به[(٦)].

﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: تعَجَّبون. وقال عكرمة: تَلاومون. وقال الحسن: تنَدَّمون. وقال ابن زيد: تتفجَّعون. وهذا كلُّه تفسيرٌ باللازم، ومعنى «تفكَّهون»: تطرحون الفُكاهة عن أنفسكم وهي المَسَرَّة، ورَجُلٌ فَكِهٌ: مُنْبَسِطُ النَّفس غيرُ مكترثٍ بشيء، وتفكَّه من أخوات تحَرَّج وتحَوَّبَ[(٧)].

وقرأ الجمهور: «فظَلْتُم» بفتح الظاء ولام واحدة. وأبو حَيْوة وأبو بكر في رواية العَتَكي عنه بكسرها، كما قالوا: مَِسْتُ بفتح الميم وكسْرِها. وحكاها الثوري عن ابن مسعود وجاءت عن الأعمش[(٨)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨ بنحوه، وما بعده منه أيضاً.
(٢) وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وخلف: «تذَكَّرون» بتخفيف الذال. ينظر التيسير ص١٠٨، والنشر ٢/ ٢٦٦.
(٣) أي: «تَذْكُرون»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨.
(٤) وهو ما يكون ثبوت الحكم فيه في الفرع أولى منه في الأصل. شرح جمع الجوامع ١/ ٩٦.
(٥) المثبت من (د٣) و(به)، وفي (أ) والمطبوع: ما تُذرونه في الأرض وتبذرونه. وفي (ع): تزرعونه، بدل: تثيرون له. والكلام بنحوه في الكشاف ٤/ ٥٦-٥٧.
(٦) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١١٤، والنكت والعيون ٥/ ٤٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٨.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩. والأقوال أخرجها الطبري ٢٢/ ٣٤٩-٣٥٠.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩ دون نسبة القراءة للعتكي عن أبي بكر فهي في تفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٢. وهي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٠ عن ابن مسعود. قلت: والقراءتان الآتيتان من المحرر الوجيز أيضاً. وقوله: مَِسْتُ، بالفتح والكسر، هو من: مَسِسْتُ. انظر: تفسير الطبري ١٦/ ١٥٤.

وقرأ عبد الله والجَحْدري: «فظَلِلْتُم» على الأصل بكسر اللام. وقرأ الجحدري أيضاً بفتحها[(١)]، والمشهور «ظَلِلْت» بالكسر.

وقرأ الجمهور: «تفَكَّهون». وأبو حزام بالنون بدل الهاء[(٢)]. قال ابن خالويه[(٣)]: تفكَّه: تعجَّبَ. وتفَكَّنَ: تندَّمَ.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ قبله محذوف، أي: يقولون[(٤)].

وقرأ الجمهور: «إنَّا». والأعمش، والجَحْدري، وأبو بكر: «أئنَّا» بهمزتين.

﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ أي: مُعذَّبون، من الغَرام: وهو أشَدُّ العذاب. قال:

إنْ يُعَذِّبْ يكُنْ غراماً وإن يُعْـ ـطِ جزيلاً فإنَّهُ لا يُبالي[(٥)]

أو: لَمُحمَّلون الغُرْمَ في النفقة إذ ذهب زَرْعُنا[(٦)]، غَرِمَ الرجلُ وأغرمتُه.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: مَجْدودون، لاحَظَّ لنا في الخير[(٧)].

﴿ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ هذا الوصف يغني عن وصفه بالعذاب، ألا ترى مقابِلَه وهو الأُجاج؟

ودخلَتِ اللام في «لَجعلناه حطاماً»، وسقطَتْ في قوله: «جعلناه أُجاجاً»، وكلاهما فصيح، وطوَّلَ الزمخشريُّ في مُسَوِّغ ذلك، ومُلخَّصُه أنَّ الحرف إذا كان في مكان وعُرِفَ واشتُهِرَ في ذلك المكان، جاز حذفُه؛ لشُهرة أمره، فإنَّ اللَّام عَلَمٌ لارتباط الجملة الثانية بالأولى، فجاز حذفُه استغناءً بمعرفة السامع،

---

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١.
(٢) أي: «تَفَكَّنون».
(٣) في القراءات الشاذة ص ١٥١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩، وما بعده منه.
(٥) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٥٩. وسلف عند تفسير الآية (٦٥) من سورة الفرقان.
(٦) في (أ) والمطبوع: عنا. وفي (د٣) غير واضحة. والمثبت موافق لما في المحرر الوجيز.
(٧) الكشاف ٤/ ٥٧.

وذكر في كلامه أنَّ الثاني امتنع لامتناع الأول[١]، وليس كما ذكر، إنَّما هذا قول ضعفاء المُعْرِبين، والذي ذكره سيبويه أنَّها حرفٌ لِما كان سيقع لوقوع الأول، ويُفسِدُ قولَ أولئك الضعفاء قولُهم: لو كان إنساناً لكان حيواناً، فالحيوانية لا تمتنع لامتناع الإنسانية. ثمَّ قال: ويجوز أن يُقال: إنَّ هذه اللَّامَ مفيدةٌ معنى التوكيد لا محالة، وأُدخِلَتْ في آية المطعوم دون آية المشروب للدِّلالة على أنَّ أمرَ المطعوم مُقَدَّمٌ على أمر المشروب، وأنَّ الوعيدَ بفقدِه أشدُّ وأصعبُ من قِبَلِ أنَّ المشروبَ إنَّما يُحتاج إليه تبعاً للمطعوم؛ ولهذا قُدِّمَتْ آيةُ المطعوم على آية المشروب.

والظاهر أنَّ شجرَتَها المرادُ منه الشجرُ الذي يُقدَحُ منه النار. وقيل: المرادُ بالشجرة نفسُ النار، كأنَّه يقول: نوعُها أو جنسُها، فاستعار الشجرة لذلك. وهذا قولٌ مُتكلَّف[٢].

﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي: لنار جهنم ﴿وَمَتَـٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي: النازلين الأرضَ القَواء وهي القَفْر[٣]. وقيل: للمسافرين. وهو قريبٌ مما قبله، وقول ابن زيد: الجائعين، ضعيفٌ جدًّا[٤].

وقدَّم من فوائد النار ما هو أَهَمُّ وآكَدُ من تذكيرها بنار جهنم، ثمَّ أتبعه بفائدتها في الدنيا، وهذه الأربعة التي ذكرها الله تعالى ووقَفَهم عليها من أمر خلقِهم وما به قَوامُ عيشِهم من المطعوم والمشروب، والنار من أعظم الدَّلائل على البعث، وفيها انتقالٌ من شيءٍ إلى شيء، وإحداثُ شيءٍ من شيء؛ ولذلك أَمَرَ في آخرها بتنزيهه تعالى عمَّا يقول الكافرون، ووصف تعالى نفسَه بالعظيم؛ إذ مَنْ هذه أفعالُه تدلُّ على عظمته وكبريائه وانفرادِه بالخلق والإنشاء[٥].

---

(١) في الكتاب ٤/ ٢٢٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠. وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٥٨.

(٥) ينظر تفسير الرازي ٢٩/ ١٨٤-١٨٥.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ
٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا
ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ
حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ
٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ
٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ
ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ٩٢ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ٩٣ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥
فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾.

قرأ الجمهور: «فلا أقسم»، فقيل: «لا» زائدةٌ مؤكِّدةٌ، مثلُها في قوله: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الحديد:٢٩] والمعنى: فأُقْسِمُ. وقيل: المنفيُّ محذوفٌ، أي: فلا صِحَّة لما يقول الكفار، ثمَّ ابتدأ: أُقسِمُ. قاله سعيد بن جُبير وبعضُ النُّحاة.

ولا يجوز؛ لأنَّ في ذلك حذفُ اسمِ «لا» وخَبرِها، وليس جواباً لسائلٍ سأل فيحتمل ذلك نحو قوله: لا، لمن قال: هل من رجلٍ في الدار؟ وقيل: توكيدُ مبالغةٍ ما، وهي كاستفتاح كلامٍ شبهه في القَسَم «ألا» في شائع الكلامِ، القَسَمِ وغيرِه، ومنه:

فلا وأبـي أعـدائِـهـا لا أخـونُـهـا[1]

والأولى عندي أنَّها لامٌ أُشبِعَتْ فتحتُها فتولَّدَتْ منها ألفٌ، كقوله:

أعـوذُ بـاللهِ مـن الـعَـقْـرابِ[2]

وهذا وإن كان قليلاً فقد جاء نظيرُه في قوله: «فاجعل أفئيدةً من الناس» [إبراهيم:٣٧] بياء بعد الهمزة، وذلك في قراءة هشام[3]، فالمعنى: فلأقسم، كقراءة

(١) لم أقف على قائله، وصدره كما في أمالي القالي ١/ ٧١، والروض الأنف ٤/ ٥٧: فإنْ تَكُ ليلى استَودَعَتْني أمانةً. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠.

(٢) لم أقف على قائل هذا الرجز، وبعده: الشائلاتِ عُقَدَ الأذنابِ، وسلف عند تفسير الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٣) وهي إحدى الروايتين عنه كما في التيسير ص ١٣٥، والنشر ٢/ ٢٩٩.

الحسن وعيسى[١]. وخرَّجَ قراءةَ الحسن أبو الفتح على تقدير مبتدأ محذوف، أي: فلأنا أُقسم، وتبعه على ذلك الزمخشري[٢]، وإنَّما ذهبا إلى ذلك؛ لأنَّه فعلُ حالٍ، وفي القَسَم عليه خلافٌ، فالذي اختاره ابنُ عصفور وغيرُه أنَّ فعلَ الحالِ لا يجوز أن يُقسَمَ عليه، فاحتاجوا إلى أن يُصوِّروا المضارع خبراً لمبتدأٍ محذوف، فتصير الجملةُ اسميةً فيُقْسَم عليها. وذهبَ بعضُ النَّحْويين إلى جواز القسَم على فعل الحال، وهذا الذي أختاره، فتقول: واللهِ ليخرجُ زيدٌ، وعليه قولُ الشاعر:

لئِنْ تَكُ قد ضاقَتْ عليكم بيوتُكُم لَيعلَمُ ربِّي أنَّ بيتيَ واسِعُ[٣]

وقال الزمخشري[٤] في قراءة الحسن: ولا يصِحُّ أن تكون اللامُ لامَ قسَم لأمرين؛ أحدهما: أنَّ حقَّها أن تُقرَنَ بها النون المؤكِّدة، والإخلال بها ضعيفٌ قبيح. والثاني: أنَّ «لأفعلنَّ» في جواب القسم للاستقبال، وفِعْلُ القسم يجب أن يكون للحال. انتهى.

أمَّا الأمر الأول ففيه خلاف، فالذي قاله قولُ البصريين، وأمَّا الكوفيون فيختارون ذلك، ولكن يجيزون تعاقُبَهما، فيُجيزون: لأضرِبَنَّ زيداً، وأضرِبَنَّ عَمْراً. وأمَّا الثاني فصحيح، لكنَّه هو الذي رجح عندنا أن تكون اللَّامُ في «لأُقسِمُ» لامَ القسَم، و«أُقْسِمُ» فِعْلُ حالٍ، والقسم قد يكون جواباً للقسم كما قال تعالى: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة:١٠٧] فاللَّام في «وليحلِفُنَّ» جواب قسَم، وهو قسَمٌ، لكنَّه لمَّا لم يكن حَلِفُهم حالاً بل مستقبلاً لزمَتِ النونُ، وهي مُخلِّصةٌ المضارع للاستقبال.

وقرأ الجمهور: «بمَواقِع» جمعاً. وعمر، وعبد الله، وابن عباس، وأهل

(١) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٢/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠.
(٢) في الكشاف ٤/ ٥٨.
(٣) صدره من (يه) وحدها، وهو للكُميت بن معروف الأسدي كما في معاني القرآن للفراء ٢/ ١٣١، وخزانة الأدب ١٠/ ٦٨.
(٤) في الكشاف ٤/ ٥٨.

المدينة، وحمزة، والكسائي: «بموقع» مفرداً مُراداً به الجمع[١].

قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم: هي نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله ﷺ[٢]. ويؤيِّد هذا القول قولُه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ﴾ فعاد الضمير على ما يُفْهَم من قوله: ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: نجوم القرآن. وقيل: النجوم: الكواكب. ومواقعها؛ قال مجاهد وأبو عبيدة: عند طلوعها وغروبها[٣]. وقال قتادة: مواقعها: مواضعها من السماء. وقال الحسن: مواقعها عند الانكدار يوم القيامة[٤]. وقيل: عند الانقضاض إثر العفاري. ومَنْ تأوَّلَ النجوم على أنَّها الكواكب جعل الضميرَ في «إنَّه» يفسِّره سياقُ الكلام كقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سِرٌّ في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن، وقد أعظمَ ذلك تعالى فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾، والجملة المقسَمُ عليها قولُه: «إنه لقرآن كريم»، وفصَلَ بين القَسَم وجوابِه، فالظاهر أنَّه اعتراضٌ بينهما، وفيه اعتراضٌ بين الصفة والموصوف بقوله: «لو تعلمون»[٥].

وقال ابن عطية[٦]: «وإنَّه لقسم» تأكيدٌ للأمر وتنبيهٌ من المُقْسَم به، وليس هذا باعتراض بين الكلامين، بل هذا معنى قصد التهمُّم به، وإنَّما الاعتراض قولُه: «لو تعلمون». انتهى.

و«كريم» وصْفُ مدحٍ ينفي عنه ما لا يليق به[٧].

(١) ينظر السبعة ص ٦٢٤، والتيسير ص ٢٠٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٠-٢٥١. والكلام الآتي منه.
(٢) أخرجه عنهم الطبري ٢٢/ ٣٥٩-٣٦٠.
(٣) قول مجاهد أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦١، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٥٢.
(٤) أخرجهما عنهما الطبري ٢٢/ ٣٦١ بنحوه.
(٥) الكشاف ٤/ ٥٨-٥٩ بنحوه.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١.
(٧) تفسير الرازي ٢٩/ ١٩١ بنحوه.

وقال الزمخشري[١]: «كريم» حَسَنٌ مَرْضِيٌّ في جنسه من الكتب، أو نَفَّاعٌ جَمُّ المنافع، أو كريمٌ على الله تعالى.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾ أي: مَصُون. قال ابن عباس ومجاهد: الكتاب الذي في السماء. وقال عكرمة: التوراة والإنجيل، كأنَّه قال: ذُكِرَ في كتابٍ مكنونٍ كَرَمُه وشرَفُه، فالمعنى على هذا الاستشهاد بالكتب المنزلة. وقيل: ﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ﴾ أي: في مصاحفَ للمسلمين مصونةٍ من التبديل والتغيير. ولم تكن إذ ذاك مصاحف، فهو إخبار بغيب[٢].

والظاهر أنَّ قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ وصفٌ لـ«قرآن كريم»، فالمُطَهَّرون: هم الملائكة، وقيل: «لا يمَسُّه» صفةٌ لـ «كتاب مكنون»، فإن كان الكتاب هو الذي في السماء فالمُطَهَّرون هم الملائكة أيضاً، أي: لا يطَّلع عليه مَنْ سواهم، وكذا على قول عكرمة: هم الملائكة. وإن أُريد بـ «كتاب مكنون» الصُّحُف، فالمعنى أنَّه لا ينبغي أن يمسَّه إلَّا مَنْ هو على طهارة من الناس، وإذا كان المُطَهَّرون هم الملائكة فـ «لا يَمسُّه» نفيٌ، ويُؤيِّد النَّفي «ما يمَسُّه» على قراءة عبد الله[٣]، وإذا عنى بهم: المُطَهَّرون من الكفر والجنابة، فاحتمل أن يكون نفياً محضاً، ويكونُ حكمُه أنَّه لا يمَسُّه إلَّا المُطَهَّرون، وإن كان يمَسُّه غيرُ المُطَهَّر كما جاء: «لا يُعضَدُ شجَرُها»[٤] أي: الحكم هذا، وإن كان قد يقع العَضْدُ. واحتمل أن يكون نفياً أُريدَ به النهيُ، فالضمَّةُ في السين إعرابٌ. واحتمل أن يكون نهياً، فلو فكَّ ظهر الجزم، ولكنَّه لمَّا أُدغِمَ كان مجزوماً في التقدير، والضمَّة فيه

(١) في الكشاف ٤/٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥١. وقول ابن عباس ﷺ أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٢.

(٣) قراءة ابن مسعود في تفسير الطبري ٢٢/٣٦٦، وأحكام القرآن ٤/١٧٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٣٥٥) (٤٤٨)، وأحمد (٧٢٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ. والبخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣) (٤٤٥)، وأحمد (٢٢٤٩) من حديث ابن عباس ﷺ. والبخاري (١٠٤)، ومسلم (١٣٥٤)، وأحمد (١٦٣٧٣) من حديث أبي شريح العدوي ﷺ.

لأجل ضمة الهاء، كما جاء في الحديث: «إنَّا لم نَرُدُّه عليكَ إلَّا أنَّا حُرُم»[١]، وهو مجزوم، ولم يَحْفَظ سيبويه[٢] في نحو هذا من المجزوم المُدْغَم المتَّصل بالهاءِ ضميرِ المُذَكَّر إلَّا الضَّمَّ.

قال ابن عطية[٣]: والقولُ بأنَّ «لا يمَسُّه» نهيٌ، قولٌ فيه ضَعْفٌ، وذلك أنَّه إذا كان خبراً فهو في موضع الصفة، وقولُه بعد ذلك: «تنزيلٌ» صفةٌ، فإذا جعلناه نهياً جاء معناه أجنبياً مُعترِضاً بين الصفات، وذلك لا يَحْسُنُ في وصف الكلام فتدبَّرْه، وفي حرف ابن مسعود: «ما يمَسُّه»، وهذا يُقَوِّي ما رجَّحْتُه من الخبر الذي معناه: حَقُّه وقَدْرُه أن لا يَمَسَّه إلَّا طاهر. انتهى.

ولا يتعيَّنُ أن يكون «تنزيلٌ» صفةً، بل يجوز أن يكون خبرَ مبتدإٍ محذوف، فيَحْسُن إذ ذاك أن يكون «لا يمَسُّه» نهياً. وذكروا هنا حكم مَسِّ المصحف، وذلك مذكورٌ في الفقه، وليس في الآية دليلٌ على منع ذلك.

وقرأ الجمهور: «المُطَهَّرون» اسم مفعول من طَهَّر مشدَّداً. وعيسى كذلك مخفَّفاً[٤]، من أطْهَر، ورُوِيَتْ عن نافع وأبي عمرو[٥].

وقرأ سلمان الفارسي: «المُطَهِّرون» بخفِّ الطاء وشدِّ الهاء وكسرِها، اسم فاعل من طَهَّرَ، أي: المُطَهِّرين أنفسَهم. وعنه أيضاً: «المُطَّهِّرون» بشدِّهما[٦]، أصله: المُتَطَهِّرون، فأدغم التاء في الطاء، ورُويت عن الحسن وعبد الله بن عونٍ[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٧٣)، ومسلم (١١٩٣)، وأحمد (١٦٤٣) من حديث الصعب بن جثَّامة ﷺ. وقوله: نردُّه، بضمّ الدال، وهو الشاهدُ فيه، ورُوِيَ بفتح الدال. وينظر «فتح الباري» ٤/ ٣٣.

(٢) ينظر الكتاب ٢/ ٢٦٥.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٤) أي: «المُطْهَرون».

(٥) ذكرها عنهما ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١. والمشهور عنهما كقراءة الجمهور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٦) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١.

(٧) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

وقُرِئ: «المُتَطهِّرون»[١].

وقرئ: «تنزيلاً» بالنصب، أي: نزل تنزيلاً[٢].

والإشارة في ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ للقرآن، و«أنتم» خطابٌ للكفار ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ قال ابن عباس: مُهاوِدون فيما لا يحِلُّ. وقال أيضاً: مُكذِّبون[٣].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ أي: شُكْرَ ما رزقكم الله من إنزال القرآن عليكم تكذيبَكم به، أي: تضعون مكان الشكر التكذيب[٤]. ومن هذا المعنى قول الراجز:

وكانَ شُكْرُ القوم عندَ المِنَنِ
كَيَّ الصحيحاتِ وفَقْءَ الأعْيُنِ[٥]

وقرأ عليٌّ وابن عباس: «وتجعلونَ شُكْرَكُم»[٦] وذلك على سبيل التفسير؛ لمخالفته السواد.

وحكى الهيثم بن عدي أنَّ مِنْ لغة أَزْد شَنوءة: ما رزقَ فلانٌ فلاناً، بمعنى: ما شكَره[٧].

قيل: نزلت في الأنواءِ ونسبةِ السُّقيا إليها، والرزق: المطر، فالمعنى: ما يرزقكم الله من الغيث[٨].

---

(١) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥١ عن أبان بن تغلب.
(٢) الكشاف ٤/ ٥٩.
(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٦٨. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٥٣. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٩٧. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤٤.
(٥) الرجز في جمهرة الأمثال ١/ ٣١٤، والبيان والتبيين ٣/ ٩٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وخزانة الأدب ٢/ ٤٦٢ من دون نسبة.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحتسب ٢/ ٣١٠.
(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٣٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.
(٨) الكشاف ٤/ ٥٩ وينظر تمام العبارة عنده.

وقال ابن عطية[١]: أجمع المفسِّرون على أنَّ الآية توبيخٌ للقائلين في المطر: هذا بِنَوْءِ كذا وكذا، وهذا بنَوْء الأسد، وهذا بنَوْء الجوزاء، وغير ذلك.

وقرأ الجمهور: «تُكَذِّبون» من التكذيب. وعليٌّ، والمُفَضَّل عن عاصم [بالتخفيف] من الكذب[٢]، فالمعنى من التكذيب: أنه ليس من عند الله، أي: القرآن أو المطر حيث ينسبون ذلك إلى النجوم، ومن الكذب قولُهم في القرآن: سحرٌ وافتراءٌ، وفي المطر من الأنواء[٣].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾ قال الزمخشريُّ: ترتيب الآية: فلولا ترجِعُونَها إذا بلغتِ الحلقومَ إن كنتم غيرَ مَدِينين، فـ «لولا» الثانية مكرَّرة للتوكيد، والضمير في «ترجعونها» للنفس.

وقال ابن عطية[٤]: توقيفٌ على موضع عجزٍ يقتضي النظر فيه أنَّ اللهَ مالكُ كلِّ شيء، و﴿وَأَنتُمْ﴾ إشارة إلى جميع البشر ﴿حِينَئِذٍ﴾ حين إذ بلَغَتِ الحلقوم ﴿تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى المُنازع في الموت.

وقرأ عيسى: «حينِئِذٍ» بكسر النون[٥] إتباعاً لحركة الهمزة في «إذ».

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم والقدرة ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من البصيرة بالقلب. أو ﴿أَقْرَبُ﴾ أي: ملائكتُنا ورسلُنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من البصر بالعين[٦].

ثمَّ عاد التوقيف والتقدير ثانيةً بلفظ التحضيض.

والمَدِين: المملوك، قال الأخطل:

رَبَتْ ورَبا في حجْرِها ابنُ مَدينةٍ

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣ وما بين حاصرتين منه. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٩.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣، وما بعده منه.

قيل: ابنُ مملوكة يصِف عبداً ابنَ أمةٍ، وآخِرُ البيت:

تــراهُ عــلــى مِــسْــحــاتِــهِ يَــتَــرَكَّــلُ[١]

والمعنى: فلولا ترجِعون النَّفسَ البالغةَ إلى الحلقوم إن كنتم غيرَ مملوكين وغيرَ مقهورين[٢].

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في تعطيلكم وكفركم بالمُحيي المُميت المُبدئ المُعيد؛ إذ كانوا فيما ذهبوا إليه من أنَّ القرآن سحرٌ وافتراءٌ، وأنَّ ما نزل من المطر هو بِنَوء كذا، تعطيلٌ للصانع وتعجيزٌ له[٣].

وقال ابن عطية[٤]: وقوله: «ترجعونها» سَدَّ مَسَدَّ الأجوبة والبياناتِ التي تقتضيها التَّحضيضات، و«إذا» من قوله: «فلولا إذا» و«إن» المتكرِّرة، وحمَلَ بعضُ القول بعضاً إيجازاً واقتضاباً[٥]. انتهى.

ونقول: «إذا» ليست شرطية فتسدُّ «ترجعونها» مَسَدَّ جوابها، بل هي ظرفٌ غيرُ شرطٍ معمولٍ لـ «تَرْجِعونها» المحذوف بعد «فلولا» لدلالة «تَرْجِعونها» في التحضيض الثاني عليه، فجاء التحضيض الأول مُقيَّداً بوقت بلوغ الحلقوم، وجاء التحضيض الثاني مُعلَّقاً على انتفاء مربوبيتهم وهم لا يقدرون على رجوعها؛ إذ مربوبيتُهم موجودةٌ، فهم مقهورون لا قُدرةَ لهم[٦].

---

(١) ديوان الأخطل ص ٥، وفيه: تظلُّ، بدل: تراه. تركَّلَ مِسْحاتَه: إذا ضربَها برجله لتدخل في الأرض. والمِسْحاة: ما يُسحى به الطين، أي: يُقشر ويُجرف. القاموس المحيط (ركل) و(سحى).

(٢) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٥٩ بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٣-٢٥٤.

(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: واقتصاراً.

(٦) قال صاحب الدر المصون ١٠/ ٢٣٠: وهو أحد الأقوال التي نقلها أبو البقاء. قلت: قال في الإملاء ٢/ ٢٥٤: «ترجعونها» جواب «لولا» وأغنى ذلك عن جواب الثانية. وقيل عكس ذلك. وقيل: «لولا» الثانية تكرير.

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المتوفَّى ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم السابقون[(١)].

وقرأ الجمهور: «فَرَوْحٌ» بفتح الراء. وعائشة عن النبيِّ ﷺ، وابنُ عباس، والحسن، وقتادة، ونوح القارئ، والضحَّاك، والأشهب، وشعيب بن الحَبْحاب، وسليمان التَّيمي، والربيع بن خُثَيم، ومحمد بن علي، وأبو عمران الجَوْني، والكلبي، وفيَّاض، وعُبيد، وعبد الوارث عن أبي عمرو، ويعقوب بن حسان، وزيد ورُوَيس عنه بضمِّها[(٢)].

قال الحسن: الرَّوح: الرحمة؛ لأنَّها كالحياة للمرحوم[(٣)]. وقال أيضاً: رُوحُه تخرج في رَيحان[(٤)]، وقيل: الرّوح: البقاء، أي: فهذان له معاً، وهو الخلود مع الرزق[(٥)].

وقال مجاهد: الرَّيحان: الرزق[(٦)]. وقال الضحَّاك: الاستراحة[(٧)]. وقال أبو العالية وقتادة والحسن أيضاً: الرَّيحان: هذا الشجر المعروف في الدنيا، يلقى المُقَرَّبُ ريحاناً من الجنة. وقال الخليل: هو طرف كلِّ بقلة طيبة فيها أوائل النَّور. وقال ﷺ في الحسن والحسين ﷺ: «هما رَيْحانتاي من الدنيا»[(٨)]. وقال

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠، والكشاف ٤/ ٥٩.

(٢) تنظر القراءة في القراءات الشاذة ص ١٥٢، والمحتسب ٢/ ٣١٠، والكشاف ٤/ ٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وزاد المسير ٨/ ١٥٦-١٥٧، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٣١. وقراءة عائشة ﷺ عن النبي ﷺ أخرجها أحمد (٢٤٣٥٢)، وأبو داود (٣٩٩١)، والترمذي (٢٩٣٨)، والنسائي في الكبرى (١١٥٠٢). وقراءة رويس عن يعقوب في النشر ٢/ ٣٨٣. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠، والكشاف ٤/ ٦٠.

(٤) أخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٣٧٨. وهو في النكت والعيون ٥/ ٤٦٧.

(٥) الكشاف ٤/ ٦٠.

(٦) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٧. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وتفسير البغوي ٤/ ٢٣٣.

(٧) أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٧٨-٣٧٩. وهو في تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٥٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٠٠.

(٨) أخرجه البخاري (٣٧٥٣)، وأحمد (٥٥٦٨) من حديث ابن عمر ﷺ.

ابن عطية[١]: الرَّيحان ممَّا تنبسط إليه النفوس.

«فرَوْحٌ، فسلامٌ، فنُزُلٌ» الفاء جواب «أمَّا»، تقدَّم «أمَّا» وهي في تقدير الشرط، و«إنْ كان من المُقَرَّبين» و«إنْ كان من أصحاب اليمين» و«إنْ كان من المُكَذِّبين الضالِّين» شرطٌ، وإذا اجتمع شرطان كان الجوابُ للسابق منهما، وجواب الثاني محذوف، ولذلك كان فِعْلُ الشرط ماضي اللَّفظِ، أو مصحوباً بـ «لم»، وأغنى عنه جواب «أمَّا». هذا مذهب سيبويه[٢]، وذهب أبو عليٍّ الفارسيُّ إلى أنَّ الفاءَ جوابُ «إنْ»، وجوابُ «أمَّا» محذوف، وله قولٌ موافقٌ لمذهب سيبويه، وذهب الأخفش إلى أنَّ الفاءَ جوابٌ لـ«أمَّا» والشرطِ معاً، وقد أبطَلْنا هذين المذهبين في كتابنا المسمَّى بـ «التذييل والتكميل في شرح التسهيل».

والخطاب في «لكَ» للرسول ﷺ، أي: لا ترى فيهم يا محمد إلَّا السلامةَ من العذاب، ثمَّ لكلِّ معتبرٍ من أمَّته ﷺ. قيل: لمن يخاطبه من أصحاب اليمين. فقال الطبري: المعنى: فسلامٌ لك أنت من أصحاب اليمين. وقال قومٌ: المعنى: فيُقال له: مُسَلَّم لكَ أنَّك من أصحاب اليمين[٣]. وقيل: فسلامٌ لكَ يا صاحب اليمين من إخوانك أصحابِ اليمين، أي: يُسلِّمون عليك، كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾[٤] [الواقعة: ٢٦].

والمكذِّبون الضالُّون: هم أصحاب المشأمة أصحاب الشمال[٥].

وقرأ الجمهور: «وتصليةٌ» رفعاً عطفاً على «فنزُلٌ». وأحمد بن موسى والمِنْقَري واللؤلؤي عن أبي عمرو بجرِّ التاء[٦]، عطفاً على «من حميم».

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤، وما قبله منه.
(٢) في الكتاب ٤/ ٢٣٥.
(٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٣١، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤. وقول الطبري في تفسيره ٢٢/ ٣٨١.
(٤) الكشاف ٤/ ٦٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤.
(٦) أي: «وتَصْليةٍ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٢ من رواية أحمد بن موسى عن أبي عمرو. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

ولمَّا انقضى الإخبار بتقسيم أحوالهم وما آلَ إليه كلُّ قسم منهم أكَّد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إنَّ هذا الخبرَ المذكورَ في هذه السورة هو ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ فقيل: هو من إضافة المترادفَين على سبيل المبالغة، كما تقول: هذا يقين اليقين، وصواب الصواب، بمعنى أنَّها نهايةٌ في ذلك، فهما بمعنًى واحد أُضيفَ على سبيل المبالغة. وقيل: هو من إضافة الموصوف إلى صفته، جعل الحقَّ مبايناً لليقين، أي الثابت المُتيقَّن[1].

ولمَّا تقدَّم ذِكْرُ الأقسام الثلاثة مُسْهَباً الكلامُ فيهم أمرَه تعالى بتنزيهه عمَّا لا يليق به من الصفات، ولمَّا أعاد التقسيم موجِزاً الكلامَ فيه أمره أيضاً بتنزيهه وتسبيحه والإقبال على عبادة ربِّه، والإعراض عن أقوال الكفَرة المنكرين للبعث والحساب والجزاء.

ويظهر أنَّ «سَبِّحْ» يتعدَّى تارةً بنفسه، كقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وتارةً بحرف الجر، كقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

و«العظيم»: يجوز أن يكون صفةً لاسْمٍ، ويجوز أن يكون صفةً لـ «ربِّك»[2].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٤ بنحوه، وما بعده كذلك منه بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٥.

سورة الحديد

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٦﴾.

قال النقَّاش وغيره: هذه السورة مدنية بإجماع من المفسرين. وقال غيره كالزمخشري[1]: هي مكية. وقال ابن عطية[2]: لا خلاف أنَّ فيها قرآناً مدنياً، لكن يُشبه صدرُها أن يكون مكِّيًا.

ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحةٌ؛ لأنَّه تعالى أمرَ بالتسبيح[3]، ثمَّ أخبر أنَّ التسبيحَ المأمورَ به قد فعلَه والتزمَه كلُّ مَنْ في السماوات والأرض، وأتى «سبَّحَ» بلفظ الماضي و«يُسبِّحُ» بلفظ المضارع، وكلُّه يدلُّ على الديمومة والاستمرار، وأنَّ ذلك ديدَنُ مَنْ في السماوات والأرض.

---

(١) في الكشاف ٤/ ٦١.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٦.

(٣) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٠٤.

والتسبيح هنا عند الأكثرين بمعنى التنزيه المعروف في قولهم: سبحان الله، فقيل: هو حقيقة في الجميع. وقيل: فيمن يمكن التسبيح منهم. وقيل: مجاز بمعنى أنَّ أثرَ الصَّنعةِ فيها يُنبِّه الرائي على التسبيح. وقيل: التسبيح هنا الصلاة، ففي الجماد بعيد، وفي الكافر سجودُ ظِلِّه صلاتُه، وفي المؤمن ذلك سائغ[١].

واللَّام في «لله» إمَّا أن تكون بمنزلة اللام في: نصحتُ لزيدٍ، يقال: نصحتُ زيداً، فجيء باللَّام لتقوية وصول الفعل إلى المفعول، وإمَّا أن تكون لامَ التعليل، أي: أحْدَثَ التسبيحَ لأجل الله، أي: لوجهه خالصاً[٢].

«يُحيي ويُميت» جملةٌ مستقِلَّةٌ لا موضعَ لها من الإعراب، كقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

لمَّا أخبر بأنَّه له الملك أخبر عن ذاته بهذين الوصفين العظيمين اللذين بهما تمام التصرُّف في الملك، وهو إيجاد ما شاء وإعدام ما شاء؛ ولذلك أعقب بالقدرة التي بها الإحياء والإماتة.

وجُوِّز أن يكون خبرَ مبتدأ، أي: هو يحيي ويميت، وأن يكون حالاً، وذو الحال الضمير في «له»، والعامل فيها العامل في الجار والمجرور[٣].

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ الذي ليس لوجوده بدايةٌ مفتَتحة ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ أي: الدائم الذي ليس له نهايةٌ منقضية[٤]. وقيل: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ الذي كان قبلَ كلِّ شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كلِّ شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة ونظر العقول في صفته ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لكونه غيرَ مُدْرَكٍ بالحواس[٥].

وقال أبو بكر الورَّاق: ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ بالأزلية ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بالأبدية[٦]. وقيل:

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٦ بنحوه.
(٢) الكشاف ٤/ ٦٠، وما بعده منه.
(٣) الكشاف ٤/ ٦١.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٧.
(٥) الكشاف ٤/ ٦١.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٧.

﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾: العالي على كلِّ شيء الغالبُ له، من ظَهَرَ عليه: إذا علاه وغلبَه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾: الذي بطَنَ كلَّ شيء، أي: عَلِمَ باطِنَه.

وقال الزمخشري: فإن قلتَ: فما معنى الواو؟ قلت: الواو الأولى معناها الدِّلالة على أنَّه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثانية على أنَّه الجامع بين الظهور والخفاء، وأمَّا الوسطى فعلى أنَّه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الأُخريين، فهو المستمرُّ الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهرٌ وباطنٌ، جامعٌ للظهور بالأدلة والخفاء فلا يُدْرَك بالحواس. وفي هذا حُجَّةٌ على مَنْ جَوَّزَ إدراكه في الآخرة بالحاسَّة[1]. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ من المطر والأمواتِ وغيرِ ذلك ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من النبات والمعادن وغيرها ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الملائكةِ والرحمةِ والعذابِ وغيرِه ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وصالح الأعمال وسَيِّئها ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: بالعلم والقدرة. قال الثوري: المعنى: عِلْمُه معكم[2].

وهذه آيةٌ أجمعتِ الأمَّةُ على هذا التأويل فيها، وأنَّها لا تُحمَلُ على ظاهرها من المعِيَّة بالذَّات، وهي حُجَّةٌ على من منع التأويل في غيرها ممَّا يجري مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها. وقال بعضُ العلماء فيمن يمتنع من تأويل ما لا يمكن حملُه على ظاهره ـ وقد تأوَّلَ هذه الآية، وتأوَّل: «الحجَرُ الأسودُ يمينُ الله في الأرض»[3]: لو اتَّسعَ عقلُه لتأوَّل غيرَ هذا ممَّا هو في معناه.

---

(١) الكشاف ٤/ ٦١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٧. وقول سفيان الثوري أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٠٨).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين (٢٩٣)، وابن عدي في الكامل ١/ ٥٠٢، والخطيب في تاريخ بغداد ٧/ ٣٣٩، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٤٤) من حديث جابر بن عبد الله ﵁. وفي إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي؛ قال ابن عدي والدارقطني: هو في عداد من يضع الحديث.

=

وقرأ الجمهور: «تُرْجَعُ» مبنيًّا للمفعول. والحسن، وابن أبي إسحاق، والأعرج مبنيًّا للفاعل(١).

و«الأمور» عامٌّ في جميع الموجودات أعراضُها وجواهرُها.

وتقدَّم شرحُ ما قبل هذا وما بعده(٢)، فأغنى عن إعادته.

* * *

﴿ءَامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُولَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١١﴾.

= وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/٢١٧ من طريق آخر عنه، وفيه أبو علي الأهوازي، وهو متهم بالوضع.
وله شاهد لا يُفرح به أخرجه الحاكم ١/٤٥٧، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ. وفي إسناده عبد الله بن المؤمَّل، وهو شبه المتروك، أحاديثه مناكير.
قلت: والصحيح أنه من قول عبد الله بن عباس ﷺ فيما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨٩١٩) و(٨٩٢٠)، والأزرقي في أخبار مكة (٣٩٣).

(١) المحرر الوجيز ٥/٢٥٨ وما بعده منه. قلت: والقراءة بالبناء للفاعل من القراءات المشهورة؛ قرأ بها ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف. ينظر السبعة ص ١٨١، والتيسير ص ٨٠، والنشر ٢/٢٠٨-٢٠٩.

(٢) ينظر الآية (١٨٩) من سورة آل عمران، والآيات (١٧) و(١٨) و(٤٠) و(١٢٠) من سورة المائدة، والآية (١١٦) من سورة التوبة، والآية (٤٢) من سورة النور، والآية (٢٧) من سورة الجاثية، والآية (١٤) من سورة الفتح.
وينظر الآية (٢٧) من سورة آل عمران، والآية (٦١) من سورة الحج، والآية (٢٩) من سورة لقمان، والآية (١٣) من سورة فاطر.

لمَّا ذكر تعالى تسبيحَ العالَم له، وما احتوى عليه من الملك والتصرُّف، وما وصفَ به نفسه من الصفات العُلا، وختمها بخفيَّات الصدور، أمَرَ تعالى عباده المؤمنين بالثبات على الإيمان، وإدامته، والنفقة في سبيل الله تعالى.

قال الضحَّاك: نزلت في غزوة تبوك[١].

﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: ليست لكم بالحقيقة، وإنَّما انتقلت إليكم من غيركم، وكما وصلت إليكم تتركونها لغيركم[٢]، وفيه تزهيدٌ فيما بيد الإنسان؛ إذ مصيره إلى غيره، وليس له منه إلَّا ما جاء في الحديث: «يقولُ ابنُ آدم: مالي مالي، وهل لكَ من مالِكَ إلَّا ما أكلْتَ فأفنيت، أو لبِسْتَ فأبليَت، أو تصدَّقْتَ فأمضيت؟». وقيل لأعرابيٍّ: لمن هذه الإبل؟ فقال: هي لله تعالى عندي[٣].

أو يكون المعنى أنَّه تعالى أنشأ هذه الأموال فمتَّعكم بها، وجعلكم خلفاء في التصرُّف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فأنفقوا منها في حقوق الله تعالى[٤].

ثمَّ ذكر تعالى ما للمؤمن المنفق من الأجر، ووصفه بالكرم ليُطوِّعه[٥] في أنواع الثواب. قيل: وفيه إشارةٌ إلى عثمان بن عفان حيث بذَلَ تلك النفقةَ العظيمةَ في جيش العُسرة.

ثمَّ قال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ وهو استفهام على سبيل التأنيب والإنكار[٦]، أي: كيف لا تثبتون على الإيمان، ودواعي ذلك موجودة، وذلك ما ركزه فيكم من دلائل العقل، وموجب ذلك من السمع في قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ لهذا الوصف

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨.

(٢) الكشاف ٤/ ٦١ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨، والحديث أخرجه مسلم (٢٩٥٨)، وأحمد (١٦٣٠٥) من حديث عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ.

(٤) الكشاف ٤/ ٦١.

(٥) أي: ليُشجِّعه. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨ بنحوه.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٢٤٥، وزاد المسير ٨/ ٢٦٢.

الجليل، وقد تقدَّم أَخْذُ الميثاق عليكم بالإيمان، فدواعي الإيمان موجودةٌ، وأسبابه حاصلةٌ، فلا مانعَ منه، ولا عُذْرَ في تركِه.

و«لا تؤمنون» حال، كما تقول: مالك لا تقوم؟ تُنكِرُ عليه انتفاءَ قيامه. «والرسولُ» الواو واو الحال، فالجملة حالٌ بعد حال، و«قد أخَذَ» حالٌ ثالثة[١]. وهذا الميثاق قيل: هو الذي أخذ عليهم حين الإخراج من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام. وقيل: ما نُصِبَ من الأدلة وركز في العقول من النظر فيها.

«إن كنتم مؤمنين» شرطٌ وجوابُه محذوف، أي: إن كنتم مؤمنين لموجبٍ ما فهذا هو الموجب لإيمانكم[٢]، أو إن كنتم ممَّن يؤمن فما لكم لا تؤمنون والحالةُ هذه وهي دعاء الرسول وأخذ الميثاق؟ وقال الطبري[٣]: إن كنتم مؤمنين في حال من الأحوال فالآن.

وقرأ الجمهور: «وقد أخَذَ» مبنيًّا للفاعل «ميثاقَكم». وأبو عمرو مبنيًّا للمفعول «ميثاقُكم» رفعاً[٤].

وقال ابن عطية[٥] في قوله ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: وإنما المعنى أنَّ قولَه: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يقتضي أن يُقدَّر بإثره: فأنتم في رتبٍ شريفة، وأقدارٍ رفيعة ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: إنْ دُمْتُم على ما بدأتُم به.

ولمَّا ذكرَ توطئةَ ما يوجب الإيمان وذكرَ دعاءَ الرسول إيَّاهم للإيمان، ذكر أنَّه تعالى هو المُنزل على رسوله ﷺ ما دعا به إلى الإيمان، وذلك الآيات البينات المعجزات.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ﴾ ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، أي: الله تعالى، إذ هو المخبَرُ

---

(١) الكشاف ٤/ ٦١-٦٢ بنحوه.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٢ باختصار.

(٣) فيما نقل عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨، وهو في تفسيره ٢٢/ ٣٩٠ بنحوه.

(٤) السبعة ص ٦٢٥، والتيسير ص ٢٠٨.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٨.

عنه، أو الرسول ﷺ، لأنَّه أقرب[١].

وقُرئ في السبعة: «ينزل» مضارعاً، فبعضٌ ثَقَّلَ وبعضٌ خفَّف، وقراءة الحسن بالوجهين. وزيد بن علي والأعمش: «أنزَلَ» ماضياً[٢].

ووصفَ تعالى نفسَه بالرأفة والرحمة تأنيساً لهم.

ولمَّا كان قد أمرهم بالإيمان والإنفاق ثمَّ ذكر تأنيبَهم على ترك الإيمان مع حصول مُوجِبه، أنَّبهم على ترك الإنفاق في سبيل الله مع قيام الداعي لذلك، وهو أنَّهم يموتون فيخلفونه، ونبَّه على هذا الموجِب بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهذا من أبلغ البعث على الإنفاق[٣].

و«أن لا تنفقوا» تقديرُه: في أن لا تنفقوا، فموضعه جَرٌّ أو نصبٌ على الخلاف، و«أن» ليست زائدة، بل مصدرية. وقال الأخفش في قوله: «وما لنا أن لا نقاتل» إنَّها زائدةٌ عاملة، تقديره عنده: وما لنا لا نقاتل؛ فلذلك على مذهبه في تلك هنا تكون «أن» وتقديره: وما لكم لا تنفقون، وقد رُدَّ مذهَبُه في كتب النَّحو.

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ قيل: نزلَتْ في أبي بكرٍ رضي الله تعالى عنه؛ إذ كان أوَّلَ مَنْ أسلم وهاجرَ وأنفقَ رضي الله تعالى عنه[٤]، وكذا مَنْ تابعه في السَّبْق في ذلك؛ ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾.

وقيل: نزلت بسبب أنَّ ناساً من الصحابة أنفقوا نفقاتٍ جليلةً، حتى قيل: إنَّ هؤلاء أعظمُ أجراً من كلِّ مَنْ أنفق. وهذه الجملة تضمَّنَتْ تَبايُنَ ما بين المنفِقين[٥].

وقرأ الجمهور: «مِنْ قبلِ الفتح». وزيد بن علي: «قَبْلَ» بغير «مِن».

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٢ بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٩. وينظر السبعة ص٦٢٥، والتيسير ص٢٠٨.

(٣) الكشاف ٤/ ٦ بيعضه.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٦-١٠٧، والوسيط ٤/ ٢٤٥-٢٤٦، وأسباب النزول ص ٤٣١، والكشاف ٤/ ٦٣.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٩ بنحوه.

والفتح: فتح مكة، وهو المشهور، وقول قتادة وزيد بن أسلم ومجاهد. وقال أبو سعيد الخدري والشَّعبي: هو فتح الحديبية. وقد تقدَّم في سورة الفتح كونُه فتحاً، ورفَعَه أبو سعيد إلى النبيِّ ﷺ: «إنَّ أفضلَ ما بين الهجرتين فتحُ الحديبية»[١].

والظاهر أنَّ «مَنْ» فاعل «لا يستوي»، وحُذِفَ مقابِلُه وهو: من أنفق من بعد الفتح وقاتل؛ لوضوح المعنى.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي: الذين أنفقوا قبل الفتح وقبل انتشارِ الإسلام وفشوِّه واستيلاءِ المسلمين على أمِّ القرى، وهم السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار الذين جاء في حقِّهم قولُه ﷺ: «لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِهم ولا نَصيفَه»[٢].

وأبعَدَ مَنْ ذهب إلى أنَّ الفاعل بـ«لا يستوي» ضميرٌ يعود على الإنفاق، أي: لا يستوي هو مع الإنفاق، أي: جنسه؛ إذ منه ما هو قبل الفتح وبعده.

و«مَنْ أنفقَ» مبتدأ، و«أولئك» مبتدأ، خبرُه ما بعدَه، والجملة في موضع خبر «مَنْ». وهذا فيه تفكيكٌ للكلام وخروجٌ عن الظاهر لغير موجب، وحذْفُ المعطوف لدلالة المقابل كثيرٌ فاشٍ لا سيما المعطوف الذي يقتضيه وضع الفعل وهو «يستوي».

وقرأ الجمهور: «وكُلًّا» بالنصب وهو المفعول الأول لـ«وَعَدَ». وقرأ ابن عامر وعبد الوارث من طريق المادَرَائي: «وكُلٌّ» بالرفع[٣].

---

(١) هكذا ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٥٩ بهذا اللفظ مرفوعاً، ولم أجده كذلك، فقد أخرجه الطبري ٢٢/ ٣٩٣ و٣٩٤ من كلام عامر الشعبي، وبلفظ: «فصل» بدل «أفضل».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) تعليقاً، ومسلم (٢٥٤١)، وأحمد (١١٠٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. والكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٦٢، وما بعده منه أيضاً.

(٣) ينظر السبعة ص ٦٢٥، والتيسير ص ٢٠٨. والمادَرَائي: هو علي بن إسحاق بن البَخْتري، البصري، إمام، محدث، حجة، توفي سنة (٣٣٤هـ). السير ١٥/ ٣٣٤.

والظاهر أنه مبتدأ والجملة بعده في موضع الخبر، وقد أجاز ذلك الفرَّاء وهشام، وورد في السبعة، فوجبَ قبولُه، وإن كان غيرُهما من النُّحاة قد خَصَّ حذف الضمير الذي حُذِفَ من مثل «وَعَدَ» بالضرورة. وقال الشاعر:

وخالدٌ تحمَدُ ساداتُنا بالحقِّ لا تحمَدُ بالباطلِ[١]

يريد: تحمدُه ساداتُنا. وفَرَّ بعضُهم من جَعْلِ «وَعَدَ» خبراً، فقال: «كلٌّ» خبر مبتدأ تقديره: وأولئك كلٌّ، و«وَعَدَ» صفة، وحذف الضمير المنصوب من الجملة الواقعة صفة أكثر من حذفه منها إذا كانت خبراً، نحو قوله:

وما أدري أغَيَّرَهُمْ تَناءٍ وطولُ العهدِ أم مالٌ أصابوا[٢]

يريد: أصابوه. فأصابوه صفة لـ «ال» وقد حُذِفَ الضميرُ العائدُ على الموصوف.

والحسنى: تأنيث الأحسن[٣]. وفسَّره مجاهد وقتادة بالجنة[٤]. والوعد يتضمَّن ذلك في الآخرة والنصر والغنيمة في الدنيا ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيه وعدٌ ووعيد.

وتقدَّم الكلام على مثل قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ إعراباً وقراءةً وتفسيراً في سورة البقرة[٥].

وقال ابن عطية هنا[٦]: الرفع يعني في «يضاعِفُه» على العطف، أو على القطع والاستئناف. وقرأ عاصم: «فيضاعِفَه» بالنصب بالفاء[٧] على جواب الاستفهام،

---

(١) نسبه ابن عصفور في المقرَّب ١/ ٨٤ للأسود بن يعفر، وقد سلف عند تفسير الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٢) البيت للحارث بن حِلِّزة، وقد سلف عند تفسير الآية (٤٨) من سورة البقرة.

(٣) تهذيب اللغة ٤/ ٣١٧.

(٤) أخرجه عنهما الطبري ٢٢/ ٣٩٦. وأخرجه عن قتادة عبدُ الرزاق في تفسيره ١٥/ ٢٩٤، وابن خزيمة في التوحيد ص ١٢١. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٠.

(٥) عند تفسير الآية (٢٤٥) منها.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٠.

(٧) ينظر السبعة ص٦٢٥، والتيسير ص٨١.

وفي ذلك قلق. قال أبو علي ـ يعني الفارسي ـ: لأنَّ السؤال لم يقَعْ على القرض، وإنَّما وقع السؤال عن فاعل القرض، وإنَّما تنصب الفاءُ فِعْلاً مردوداً على فعلٍ مستفْهَمٍ عنه، لكن هذه الفرقة ـ يعني من القُرَّاء ـ حملت ذلك على المعنى، كأنَّ قولَهُ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بمنزلة أن لو قال: أيُقْرِضُ اللهَ أحدٌ فيُضاعِفَه؟ انتهى.

وهذا الذي ذهبَ إليه أبو علي من أنَّه إنَّما تنصِبُ الفاءُ فِعْلاً مردوداً على فعلٍ مُستَفْهَمٍ عنه ليس بصحيح، بل يجوز إذا كان الاستفهام بأدواته الاسمية، نحو: من يدعوني فأستجيبَ له؟ وأينَ بيتُكَ فأزورَك؟ ومتى تسيرُ فأُرافِقَك؟ وكيف تكونُ فأصْحَبَك؟ فالاستفهام هنا واقعٌ عن ذات الداعي وعن ظرف المكان وظرف الزمان والحال، لا عن الفعل. وحكى ابنُ كَيْسان عن العرب: أينَ ذهَبَ زيدٌ فنتبَعَه؟ وكذلك: كم مالُكَ فنَعْرِفَه؟ ومَنْ أبوك فنُكْرِمَه؟ بالنصب بعد الفاء. وقراءةُ «فيُضاعِفَه» بالنصب قراءةٌ متواترة، والفعل وقع صلة لـ «الذي» و«الذي» صفةٌ لـ«ذا» و«ذا» خبرٌ لـ «من»، وإذا جاز النصب في نحو هذا فجوازه في المُثُل السابقة أحرى، مع أنَّ سماع ابنِ كَيْسان ذلك محكيًّا عن العرب يُؤيِّد ذلك.

والظاهر أن قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ هو زيادة على التضعيف المترتب على القرض، أي: وله مع التضعيف أجر كريم.

❊ ❊ ❊

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

العاملُ في «يومَ» ما عمل في «لهم»، التقدير: ومستقرٌّ له أجرٌ كريمٌ يومَ ترى،

أو اذكُرْ يومَ ترى؛ إعظاماً لذلك اليوم[(١)].

والرؤية هنا رؤية عين، والنورُ حقيقةٌ. وهو قول الجمهور، ورُوي في ذلك عن ابن عباس وغيرِه آثارٌ، وأنَّ كُلَّ مُظهرٍ للإيمان له نورٌ فيُطْفَأ نورُ المنافق، ويبقى نورُ المؤمن، وهم متفاوتون في النور، فمنهم مَنْ يُضيء نورُه كما بين مكة وصنعاء[(٢)]، ومَنْ نُورُه كالنَّخلةِ السَّحوق، ومَنْ يُضيء له ما قَرُبَ من قدميه[(٣)]، ومَنْ يهِمُّ بالانطفاء مرَّةً ويَبينُ مرَّةً[(٤)]، وذلك على قدر الأعمال.

وقال الضحَّاك: «النور» استعارةٌ عن الهدى والرضوان الذي هم فيه[(٥)].

والظاهر أنَّ النورَ يتقدَّم لهم بين أيديهم، ويكون أيضاً بأيمانِهم، فيظهر أنَّهما نُوران؛ نورٌ ساعٍ بين أيديهم، ونورٌ بأيمانِهم، فذلك يضيء الجهة التي يؤمُّونها، وهذا يضيء ما حواليهم من الجهات.

وقال الجمهور: النور أصلُه بأيمانهم، والذي بين أيديهم هو الضوء المنبسط من ذلك النور[(٦)]. وقيل: الباء بمعنى «عن» أي: عن أيمانهم، والمعنى: في جميع جهاتهم، وعبَّر عن ذلك بالأيمان تشريفاً لها.

وقال الزمخشري[(٧)]: وإنَّما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾؛ لأنَّ السُّعداء يُؤتَون

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦١، والكشاف ٤/ ٦٣. وذكر صاحب الدر المصون ١٠/ ٢٤١ وجهين آخرين نقلهما عن أبي البقاء العكبري، الأول: أنَّ العامل فيه «يسعى»، أي: يسعى نورُ المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم، هذا أصله. والثاني: أنَّ العامل فيه «فيضاعِفَه». قلت: وهما في الإملاء ٢/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧٥، والطبري ٢٢/ ٣٩٧-٣٩٨ عن قتادة، عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٣) هو جزء من حديث قتادة السابق.

(٤) أخرجه بنحوه ابن أبي شيبة (٣٥٧٠٠)، والطبري ٢٢/ ٣٩٨، والحاكم ٢/ ٤٧٨ عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله.

(٥) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦١.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦١. وما بعده منه أيضاً.

(٧) في الكشاف ٤/ ٦٣.

صحائفَ أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أنَّ الأشقياء يُؤتَونها من شمائلهم ووراء ظهورهم.

وقرأ الجمهور: «وبأيمانهم» جمع يمين. وسهل بن شعيب النَّهْمي وأبو حَيْوة بكسر الهمزة[١]، وعُطِفَ هذا المصدرُ على الظرف؛ لأنَّ الظرف متعلِّقٌ بمحذوف، أي: كائناً بين أيديهم وكائناً بسبب إيمانهم.

«بُشْراكم اليومَ جنَّاتٍ» جملة معمولةٌ لقولٍ محذوفٍ، أي: تقول لهم الملائكة الذين يتلقَّونهم: جَنَّاتٍ، أي: دخولُ جنَّاتٍ.

قال ابن عطية: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ إلى آخر الآية، مخاطبةٌ لمحمدٍ ﷺ. انتهى. يعني ـ والله أعلم ـ أنَّه تعالى افتتح الآية بقوله: ﴿يَوْمَ تَرَى﴾، فظاهره الخطاب للرسول عليه السلام، ثمَّ خاطبه خطاب الجمع تعظيماً له عليه السلام، و«خالدين» منصوبٌ على الحال، والعامل فيه المضاف المحذوف؛ إذ تقدير الكلام: بُشراكم اليومَ دخولكم جنَّات، و«دخولكم» هو خبر «بُشراكم»، حذف الفاعل المضاف إليه المصدر، وأُضيف المصدر إلى «جنَّات»، ثمَّ حُذف وهو مُراد، فعمِلَ في الحال، ولا يجوز أن يكون العاملُ «بُشراكم»؛ لأنَّه مصدرٌ قد أخبر عنه قبل أخذ ما يُقدَّر معمولاً له[٢]، ولا مخاطبةَ هنا، بل هذا من باب الالتفات من ضمير الخطاب في «بُشراكم» إلى ضمير الغَيبة في «خالدين»، ولو جرى على الخطاب لكان التركيبُ: خالداً أنتم فيها، والالتفاتُ من فنون البيان.

«يومَ يقولُ» بدل من «يوم ترى». وقيل: معمولٌ لـ «اذكُرْ» قال ابن عطية[٣]: ويظهر لي أنَّ العاملَ فيه «ذلك هو الفوز العظيم»، ومجيء معنى الفوز أفخَمُ، كأنَّه يقول: إنَّ المؤمنين يفوزون بالرحمة يومَ يعتري المنافقين كذا وكذا؛ لأنَّ ظهورَ المرء يومَ خُمولِ عَدُوِّه ومُضادِّه أبدَعُ وأفخَمُ. انتهى.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٢، والمحتسب ٢/ ٣١١، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٦١ والكلام منه.
(٢) من قوله: يعني ـ والله أعلم ـ إلى هنا من (يه).
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦١. وما قبله منه.

فظاهرُ كلامِه وتقديره أنَّ «يومَ» منصوبٌ بالفوز، وهو لا يجوز؛ لأنَّه مصدرٌ قد وُصِفَ قبلَ أخْذِ مُتعلَّقاته، فلا يجوز إعمالُه، فلو أُعمِلَ وَصْفُه وهو «العظيم» لجاز، أي: الفوزُ الذي عَظُمَ، أي: قَدْرُه يومَ يقول.

﴿انظُرُونَا﴾ أي: انتظرونا؛ لأنَّهم لمَّا سبقوكم إلى المرور على الصراط وقد طَفِئَتْ أنوارُهم قالوا ذلك[1]. قال الزمخشريُّ: ﴿انظُرُونَا﴾: انتظرونا؛ لأنَّهم يُسرَعُ بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركابٍ تَذِفُّ[2] بهم، وهؤلاء مشاةٌ. أو انظُروا إلينا؛ لأنَّهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيؤون به. انتهى. فجعلَ «انظرونا» بمعنى: انظروا إلينا، ولا يتعدَّى النظرُ هذا في لسان العرب إلَّا بـ «إلى» لا بنفسه، وإنَّما وُجِدَ متعدِّياً بنفسه في الشعر.

وقرأ زيد بن علي، وابن وَثَّاب، والأعمش، وطلحة، وحمزة: «أنظِرونا»[3] من أنظر رُباعيًّا، أي: أخِّرونا، أي: اجعلونا في آخركم ولا تسبقونا بحيث تفوتوننا ولا نلحقُ بكم.

﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ أي: نُصِبْ منه حتى نستضيء[4]، ويُقال: اقتبسَ الرجلُ واستقْبَسَ: أخذ من نارٍ[5] غيرِه قبَساً.

﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ القائلُ المؤمنون أو الملائكة، والظاهر أنَّ «وراءكم» معمولٌ لـ«ارْجِعوا». وقيل: لا محَلَّ له من الإعراب؛ لأنَّه بمعنى: ارجِعوا، كقولهم: وراءَك أوسَعُ لك، أي: ارجعْ تجِدْ مكاناً أوسَعَ لك، و«ارجِعوا» أمر توبيخٍ وطردٍ، أي: ارجعوا إلى الموقف حيث أعطينا الفوزَ فالتمسوه هناك، أو

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٠٩، والوسيط للواحدي ٤/ ٢٤٨ بنحوه.

(٢) بالذال المعجمة، أي: تُسرع، والكلام في الكشاف ٤/ ٦٣.

(٣) قراءة حمزة في السبعة ص ٦٢٥، والتيسير ص ٢٠٨. وقراءة الباقين سوى زيد بن علي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٢.

(٤) الكشاف ٤/ ٦٣ بنحوه.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٢: من نور، والكلام منه.

ارجِعوا إلى الدنيا والتمسوا نوراً[1]، أي: بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو تنَحَّوا عنَّا فالتمسوا نوراً غيرَ هذا، فلا سبيلَ لكم إلى الاقتباس منه، وقد علموا أنْ لا نورَ وراءَهم، وإنَّما هو إقناطٌ لهم[2].

﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾أي: بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾: بحاجز، قال ابن زيد: هو الأعراف. وقيل: حاجزٌ غيرُه[3].

وقرأ الجمهور: «فضُرِبَ» مبنيًّا للمفعول. وزيد بن علي وعبيد بن عمير مبنيًّا للفاعل[4]، أي الله.

ويبعُدُ قولُ مَنْ قال: إنَّ هذا السُّور هو الجدار الشرقي من مسجد بيت المقدس، وهو مرويٌّ عن عُبادة بن الصامت، وابن عباس، وعبد الله بن عمر، وكعب الأحبار[5]، ولعلَّه لا يصِحُّ ذلك عنهم، والسُّورُ: هو الحاجز الدائر على المدينة للحفظ من عدوٍّ.

والظاهر في «باطنُه» أن يعود الضمير منه على الباب لقُرْبه. وقيل: على السور. و«باطنُه»: الشِّقُّ الذي لأهل الجنة، و«ظاهِرُه»: ما يُدانيه ﴿مِن قِبَلِهِ﴾من جهته العذاب.

«ينادونَهم» استئنافُ إخبار، أي: ينادي المنافقون المؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾أي: في الظاهر ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾أي: كنتم معنا في الظاهر ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ﴾أي: عرَّضْتُم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾للفتنة بنفاقكم ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾أي: بإيمانكم حتى وافيتم على الكفر، أو تربَّصتُم بالمؤمنين الدوائر. قاله قتادة. ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: شكَكْتُم في أمر الدين ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾وهي الأطماع مثل قولهم: سيَهْلِكُ محمدٌ هذا العام، ستهزِمُه

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٢، وقول ابن زيد أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٠٢.
(٣) الكشاف ٤/ ٦٣ عن زيد بن علي.
(٤) ذكرها عنهم ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٢.
(٥) الكشاف ٤/ ٦٣ بنحوه.

قبيلتُه قريش، ستأخذُه الأحزاب إلى غير ذلك، أو طول الآمال في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾وهو الموت على النفاق.

والغَرور: الشيطان بإجماع[١]. وقرأ سماك بن حرب: «الغُرور» وتقدَّم ذلك[٢].

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٌ﴾أيُّها المنافقون. والناصب لـ «اليوم» الفعلُ المنفيُّ بـ «لا»، وفيه حجَّةٌ على مَنْ منع ذلك[٣].

﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾في الحديث: «إنَّ الله تعالى يُقرِّر الكافر فيقول له: أرأيتَكَ لو كان لكَ أضعافُ الدنيا أكنتَ تفتدي بجميع ذلك من عذاب النار؟ فيقول: نعم يا رب. فيقول الله تبارك وتعالى: قد سألتُكَ ما هو أيسرُ من ذلك وأنتَ في ظهرِ أبيك آدم أن لا تُشرِكَ بي، فأبَيْتَ إلَّا الشِّرك»[٤].

وقرأ الجمهور: «لا يُؤخَذُ» بالياء. وأبو جعفر، والحسن، وابن أبي إسحاق، والأعرج، وابن عامر، وهارون عن أبي عمرو بالتاء، لتأنيث الفدية[٥].

﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾قيل: أولى بكم. وهذا تفسيرُ معنى، وكانت مولاهم من حيثُ إنَّها تضمُّهم وتباشرهم، وهي تكون لكم مكان المولى، ونحوُه قوله:

تحيَّةُ بينِهم ضَرْبٌ وَجيعُ[٦]

وقال الزمخشري[٧]: ويجوز أن يُراد: هي ناصِرُكم، أي: لا ناصِرَ لكم غيرُها،

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٣.
(٢) عند تفسير الآية (٣٣) من سورة لقمان، والآية (٥) من سورة فاطر.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٣.
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥)، وأحمد (١٣٢٨٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٥) قراءة ابن عامر في السبعة ص ٦٢٦، والتيسير ص ٢٠٦. وقراءة أبي جعفر ـ وهي قراءة يعقوب أيضاً ـ في النشر ٢/ ٣٨٤. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٣.
(٦) عجز بيت قائله عمرو بن معديكرب، وسلف بتمامه عند تفسير الآية (٢٠٥) من سورة البقرة. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٣-٢٦٤.
(٧) في الكشاف ٤/ ٦٤.

والمرادُ نفيُ الناصر على البتات، ونحوُه قولهم: أُصيبَ فلانٌ بكذا فاستنصَرَ الجزَعَ، ومنه قوله تعالى: ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف:٢٩] وقيل: تتولَّاكم كما تولَّيتُم في الدنيا أعمالَ أهل النار.

* * *

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

عن عبد الله: مَلَّتِ الصَّحابةُ ملَّةً، فنزلت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾. وعن ابن عباس: عُوتبوا بعد ثلاث عشرة سنة. وقيل: كثُرَ المزاحُ في بعض شباب الصحابة، فنزلت[١].

وقرأ الجمهور: «ألم». والحسن وأبو السمال: «ألَمَّا»[٢].

والجمهور: «يَأْنِ» مضارع «أنى»: حان. والحسن: «يَئِنْ» مضارع «آنَ»: حان أيضاً[٣]. والمعنى: قَرُبَ وقتُ الشيء.

﴿أَن تَخْشَعَ﴾: تطمئِنَّ وتُخبِتَ، وهو من عمل القلب، ويظهر في الجوارح، وفي الحديث: «أوَّلُ ما يُرْفَعُ من الناس الخشوع»[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٢، والمحتسب ٢/ ٣١٢ عن الحسن وحده.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤، وما بعده منه. والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧١٨٣)، وفي مسند الشاميين (٢٦٣٧) من حديث شداد بن أوس ﷺ.

=

﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: لأجلِ ذِكْرِ الله، كقوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] قيل: أو لتذكير الله إيَّاهم.

وقرأ الجمهور: «وما نَزَّلَ» مشدَّداً. ونافع وحفص مخفَّفاً[١]. والجَحْدَريُّ، وأبو جعفر، والأعمش، وأبو عمرو في رواية يونس وعباس عنه مبنيًّا للمفعول مُشدَّداً[٢]. وعبد الله: «أَنْزَلَ» بهمزة النقل مبنيًّا للفاعل[٣].

والجمهور: «ولا يكونوا» بياء الغيبة، عطفاً على «أن تخشع». وأبو بحريَّة، وأبو حَيْوة، وابن أبي عبلة، وإسماعيل عن أبي جعفر، وعن شيبة، ويعقوب، وحمزة في روايةٍ عن سُلَيم عنه: «ولا تكونوا»[٤] على سبيل الالتفات إمَّا نهياً وإمَّا عطفاً على «أن تخشع».

﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ﴾ وهم معاصرو موسى عليه السلام من بني إسرائيل، حُذِّر المؤمنون أن يكونوا مثلَهم في قساوة القلوب؛ إذ كانوا إذا سمعوا التوراة رقُّوا وخشعوا ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: انتظار الفتح أو انتظار القيامة. وقيل: أمد الحياة[٥].

وقرأ الجمهور: «الأمد» مخفَّفَ الدال، وهي الغاية من الزمان. وابن كثير في رواية بشدِّها[٦]، وهو الزمان بعينه الأطول.

= وأخرجه بنحوه أحمد (٢٣٩٩٠)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٣٣٧-٣٣٩)، والنسائي في الكبرى (٥٨٧٨)، وابن حبان (٤٥٧٢)، والحاكم ١/ ٩٨-٩٩.

(١) السبعة ص ٦٢٦، والتيسير ص ٢٠٨.

(٢) ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٢٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤ من رواية عباس عن أبي عمرو، وابن خالويه في الشاذة ص ١٥٢ من رواية يونس عن أبي عمرو. وذكرها ابن عطية أيضاً عن الجحدري. والمشهور عن أبي جعفر وأبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٢.

(٤) هي عن يعقوب من رواية رويس عنه في النشر ٢/ ٣٨٤. وينظر المحرر الوجيز ٥ ٢٦٤. والمشهور عن أبي جعفر وشيبة وحمزة كقراءة الجمهور.

(٥) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤، والكشاف ٤/ ٦٤.

(٦) أي: «الأَمَدُّ»، والمشهور عن ابن كثير كقراءة الجمهور.

﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: صَلُبت بحيث لا تنفعل للخير والطاعة(١).

﴿يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يظهر أنَّه تمثيلٌ لتليين القلوب بعد قسوتها، ولتأثير ذِكر الله فيها، كما يؤثِّر الغيثُ في الأرض فتعودُ بعد إجدابها مُخصبةً، كذلك تعود القلوبُ النافرة مقبلةً يظهر فيها أثر الطاعات والخشوع(٢).

وقرأ الجمهور: «المُصَّدِّقين والمُصَّدِّقات» بشدِّ صاديهما. وابن كثير، وأبو بكر، والمُفضَّل، وأبان، وأبو عمرو في رواية هارون بخفِّهما(٣). وأُبيٌّ بتاءٍ قبل الصاد فيهما(٤). فهذه وقراءة الجمهور من الصدقة، والخفّ من التصديق؛ صَدَّقوا رسول الله ﷺ فيما بلَّغَ عن الله تعالى.

قال الزمخشري(٥): فإن قلت: علامَ عطفَ قولَه: «وأقرضوا»؟ قلت: على معنى الفعل في «المصَّدِّقين»؛ لأنَّ اللام بمعنى «الذين»، واسم الفاعل بمعنى «اصدَّقوا» كأنَّه قيل: إنَّ الذين اصَّدَّقوا وأقرضوا. انتهى.

واتَّبع في ذلك أبا علي الفارسي(٦)، ولا يصِحُّ أن يكون معطوفاً على «المُصَّدِّقين»؛ لأنَّ المعطوف على الصلة صلة، وقد فصلَ بينهما بمعطوف، وهو قوله: «والمُصَّدِّقات»، ولا يصحُّ أيضاً أن يكون معطوفاً على صلة «أل» في «المُصَّدِّقات»؛ لاختلاف الضمائر؛ إذ ضميرُ «المتصَدِّقات» مؤنَّث، وضميرُ «وأقرضوا» مُذكَّر، فيتخرَّج هنا على حذف الموصول؛ لدلالة ما قبلَه عليه؛ لأنَّه قيل: والذين أقرضوا، فيكون مثل قول الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤.

(٢) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٤، والكشاف ٤/ ٦٤ بنحوه.

(٣) قراءة ابن كثير وأبي بكر في السبعة ص ٦٢٦، والتيسير ص ٢٠٨. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٢.

(٥) في الكشاف ٤/ ٦٤.

(٦) في الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٧٥.

فمَنْ يهجو رسولَ الله مِنْكُمْ ويمدَحُهُ وينصُرُهُ سواءُ[١]

يريد: ومَنْ يمدحُه.

و«صِدِّيق» من أبنية المبالغة؛ قال الزجَّاج: ولا يكون فيما أحفظ إلَّا من ثلاثي. وقيل: يجيء من غير الثلاثي كـ «مِسِّيك» وليس بشيء؛ لأنَّه يُقال: مَسَكَ وأمسَكَ، فمِسِّيك من مَسَك[٢].

و«الشهداء» الظاهر أنَّه مبتدأ خبرُه ما بعدَه، فيقف على «الصِّدِّيقون»، وإنْ شئتَ فهو من عطف الجُمل. وهذا قول ابن عباس ومسروق والضحَّاك أنَّ الكلام تامٌّ في قوله: «الصِّدِّيقون»، واختلف هؤلاء، فبعضٌ قال: الشُّهداء: هم الأنبياء يشهدون للمؤمنين بالصِّدِّيقية؛ لقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ الآية [النساء: ٤١] وبعضٌ قال: هم الشهداء في سبيل الله تعالى، استأنف الخبر عنهم، فكأنَّه جعلهم صنفاً مذكوراً وحدَه؛ لعِظَمِ أجرهم.

وقال ابن مسعود ومجاهد وجماعة: «والشُّهداء» معطوفٌ على «الصِّدِّيقون» والكلام متَّصلٌ، يعنون من عطف المفرادت، فبعضٌ قال: جعلَ اللهُ كلَّ مؤمنٍ صِدِّيقاً وشهيداً. قاله مجاهد. وفي الحديث من رواية البراء: «مؤمنو أمتي شهداء»[٣]. وإنَّما ذكر الشهداء السبعة، تشريفاً لهم؛ لأنَّهم في أعلى رتب الشهادة كما خصَّ المقتول في سبيل الله من السبعة بتشريف تفرَّد به.

وبعضٌ قال: وصَفَهم بالصِّدِّيقية والشهادة من قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

«لهم أجرهم» خبرٌ عن «الشهداء» فقط، أو عمَّن جمع بين الوصفين على اختلاف القولين. والظاهر في «نورِهم» أنَّه حقيقة. وقال مجاهد وغيره: عبارة عن الهدى والكرامة والبشرى.

---

(١) البيت لحسان بن ثابت، وهو في شرح ديوانه ص ٦٤. وسلف عند تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٥، وما بعده منه بنحوه مع تقديم وتأخير.

(٣) أخرجه الطبري ٢٢/ ٤١٤-٤١٥.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ أخبر تعالى بغالبِ أمرِها من اشتمالها على أشياء لا تدوم ولا تُجدي، وأمَّا ما كان من الطاعات وضروريٌّ ما يقوم به الأود فليس مندرجاً في هذه الآية. ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ كحالة المُترفين من الملوك ﴿وَزِينَةٌ﴾ تحسينٌ لما هو خارجٌ عن ذات الشيء[1].

«وتفاخُرٌ بينَكم» قراءة الجمهور بالتنوين ونصب «بينَكم». والسُّلمي بالإضافة[2].

﴿وَتَكَاثُرٌ﴾ بالعَدَد والعُدَد على عادة الجاهلية[3]. وهذه كلُّها مُحقَّراتٌ، بخلاف أمر الآخرة فإنَّها مشتملةٌ على أمورٍ حقيقيةٍ عِظام[4].

قال الزمخشري: وشبَّه تعالى حالَ الدنيا وسرعةَ تقضِّيها مع قِلَّة جدواها بنباتٍ أنبَتَه الغيثُ فاستوى واكتهل، وأُعجِبَ به الكفارُ الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهةَ، فهاجَ واصفَرَّ وصارَ حطاماً؛ عقوبةً لهم على جحودهم، كما فعلَ بأصحاب الجنة وصاحب الجنَّتين[5]. انتهى.

وقال ابن عطية[6]: «كمَثَلٍ» في موضع رفع صفةٍ لما تقدَّم، وصورةُ هذا المثال: أنَّ الإنسان ينشأ في حجر مملكة فما دون ذلك، فيشِبُّ ويَقْوَى ويكسب المالَ والولد، ويغشاه الناسُ، ثمَّ يأخذ بعد ذلك في انحطاط، فيشيب[7] ويضعف ويسقم، وتصيبُه النوائب في ماله وذُرِّيَّته، ويموتُ ويضمحِلُّ أمرُه، وتصيرُ أموالُه لغيره، وتُغيَّرُ رسومُه، فأمْرُه مِثْلُ مطرٍ أصاب أرضاً فنبت عن ذلك الغيث نباتٌ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٦ بنحوه.
(٢) أي: «وتفاخُرُ بينِكُم»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٢.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٦ بنحوه.
(٤) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٣٢-٢٣٣.
(٥) الكشاف ٤/ ٢٦٥. وقصة أصحاب الجنة ذكرها الله تعالى في سورة القلم الآيات (١٧-٣٣)، وقصة صاحب الجنَّتين ذكرها الله سبحانه في سورة الكهف الآيات (٣٢-٤٣).
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٦-٢٦٧.
(٧) في النسخ: فيشف، والمثبت من المحرر الوجيز.

مُعجِبٌ أنيق، ثمَّ هاج، أي: يبس واصفَرَّ، ثم تحطَّم، ثمَّ تفرَّق بالرياح واضمحَلَّ. انتهى.

قيل: الكُفَّار: الزُّرَّاع، من كَفَر الحبَّ، أي: ستَره في الأرض، وخُصُّوا بالذِّكر لأنَّهم أهلُ البصر بالنبات والفِلاحة، فلا يُعجِبُهم إلَّا المُعجِبُ حقيقةً. وقيل: من الكفر بالله؛ لأنَّهم أشدُّ تعظيماً للدنيا وإعجاباً بمحاسنها[1].

و«حُطام» بناء مبالغة، كـ «عُجاب».

وقرئ: «مُصْفارًّا»[2].

ولمَّا ذكَر ما يؤول إليه أمرُ الدنيا من الفناء ذكر ما هو ثابتٌ دائمٌ من أمرِ الآخرة من العذاب الشديد، ومن رضاه الذي هو سبب النعيم.

❋ ❋ ❋

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

ولمَّا ذكر تعالى ما في الآخرة من المغفرة أمرَ بالمسابقة إليها، والمعنى: سابِقوا إلى سبب مغفرة وهو الإيمان وعمل الطاعات، وقد مثَّلَ بعضُهم المسابقةَ في أنواع؛ فقال عبد الله: كونوا في أوَّلِ صفٍّ في القتال. وقال أنس: اشهدوا تكبيرة

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٧ مع تقديم وتأخير، وما بعده منه.
(٢) الكشاف ٤/ ٦٥.

الإحرام مع الإمام. وقال علي: كُنْ أوَّلَ داخلِ المسجدَ وآخِرَ خارجٍ. واستُدِلَّ بهذا السَّبْق على أنَّ أولَ أوقات الصلوات أفضلُ[١]. وجاء لفظ «سابقوا» كأنَّهم في مضمارٍ يجرون إلى غايةٍ مُسابِقين إليها[٢].

﴿عَرْضُهَا﴾ أي: مساحتُها في السَّعة، كما قال: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] أو العرض خلاف الطُّول، فإذا وُصِفَ العرضُ بالبَسطة عُرِفَ أنَّ الطُّولَ أبسَطُ وأمَدُّ.

﴿أُعِدَّتْ﴾ يدلُّ على أنَّها مخلوقةٌ[٣]، وتكَرُّرُ ذلك في القرآن يُقَوِّي ذلك، والسُّنَّة ناصَّةٌ على ذلك، وذلك يرُدُّ على المعتزلة في قولهم: إنَّها الآن غيرُ مخلوقة وستُخْلَق.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾: عطاؤه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون[٤].

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ﴾ أيُّ مصيبةٍ، وذكَّر فِعْلَها وهو جائز التَّذكير والتأنيث، ومن التأنيث ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الحجر: ٥، والمؤمنون: ٤٣].

ولفظ «مصيبة» يدلُّ على الشرِّ؛ لأنَّ عُرْفَها ذلك. قال ابن عباس ما معناه: إنَّه أراد عُرْفَ المصيبة، وهو استعمالُها في الشرِّ، وخصَّها بالذِّكر لأنَّها أهَمُّ على البشر، والمصيبة في الأرض مثلُ القَحْط والزَّلزلة وعاهة الزرع، وفي الأنفُس الأسقام والموت. وقيل: المراد بالمصيبة الحوادث كلُّها من خيرٍ وشرٍّ[٥].

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾: هو اللوح المحفوظ، أي: مكتوبةٌ فيه[٦].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٧.
(٢) الكشاف ٤/ ٦٥، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٨.
(٤) الكشاف ٤/ ٦٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٨.
(٦) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٣٧.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ أي: نخلقها، برأ: خلق. والضمير في «نبرأها» الظاهرُ أنَّه يعود على المصيبة؛ لأنَّها هي المُحدَّثُ عنها، وذِكْرُ الأرض والأنفسِ هو على سبيل ذكرِ مَحلِّ المصيبة[1]. وقيل: يعود على الأرض. وقيل: على الأنفُس. قاله ابن عباس وقتادة وجماعة. وذكر المَهدويُّ جوازَ عَوْدِ الضمير على جميع ما ذُكِر. قال ابن عطية[2]: وهي كلُّها مَعانٍ صِحاح؛ لأنَّ الكتابَ السابقَ أزليٌّ قبل هذه كُلِّها. انتهى.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: تحصيل كلِّ ما ذُكِرَ ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ وتقديره ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ أي: سهل، وإن كان عسيراً على العباد.

ثمَّ بيَّن تعالى الحكمةَ في إعلامنا بذلك الذي فعله من تقدير ذلك وسَبْقِ قضائه به، فقال: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ﴾ أي: تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾؛ لأنَّ العبدَ إنْ أُعْلِمَ ذلك سَلَّم وعَلِمَ أنَّ ما فاتَه لم يكُنْ ليُصيبَه، وما أصابَه لم يكُنْ ليُخْطِئه؛ فلذلك لا يحزن على فائت؛ لأنَّه ليس بصَدَدِ أن يناله، ولا يفرح بآتٍ لأنَّه ليس بصَدَدِ أن يفوته، فهوَّن عليه أمرَ حوادث الدنيا بذلك؛ إذ قد وطَّنَ نفسَه على هذه العقيدة.

ويظهر أنَّ المرادَ بقوله: ﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ﴾ أن يلحق الحزنُ الشديدُ على ما فاتَ من الخير، فيحدُثُ عنه التسخُّط وعدمُ الرضا بالمقدور ﴿وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ أن يفرح الفرحَ المؤدِّيَ به إلى البطرِ المنهيِّ عنه في قوله تعالى: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦] فإنَّ الحزن قد ينشأ عنه السُّخطُ، والفرحَ قد ينشأ عنه البطرُ؛ ولذلك ختَمَ بقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ فالفرح بما نالَه من حطام الدنيا يلحقه في نفسه الخيلاء والافتخار والتكبر على الناس، فمِثْلُ هذا هو المنهيُّ عنه، وأمَّا الحزنُ على ما فات من طاعة الله والفرح بنعم الله والشكر عليها والتواضع فهو مندوب إليه.

---

(١) الكشاف ٤/ ٦٦ بنحوه.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٨، وما قبله منه.

وقال ابن عباس: ليس أحدٌ إلَّا يحزنُ ويفرحُ، ولكِنْ من أصابَتْه مصيبةٌ فجعلَها صبراً، ومن أصابَ خيراً جعلَها شكراً[١]. انتهى. يعني هو المحمود.

وقال الزمخشري[٢]: فإن قلتَ: فلا أحدَ يملك نفسَه عند مضرَّةٍ تنزل به ولا عند منفعةٍ ينالها أن لا يحزن ولا يفرح. قلت: المرادُ الحزنُ المخرجُ إلى ما يُذهِلُ صاحبَه عن الصبر والتسليم لأمر الله تعالى ورجاء ثواب الصابرين، والفرحُ المُطغي المُلهي عن الشكر، فأمَّا الحُزن الذي لا يكاد الإنسانُ يخلو منه مع الاستسلام والسُّرورِ بنعمة اللهِ والاعتدادِ بها مع الشكرِ فلا بأس به. انتهى.

وقرأ الجمهور: «بما آتاكم» أي: أعطاكم. وعبد الله: «أوتيتم» مبنيًّا للمفعول[٣]، أي: أُعطيتُم. وأبو عمرو: «أتاكم»[٤] أي: جاءكم.

«الذين يبخلون» أي: هم الذين يبخلون، أو يكون «الذين» مبتدأ محذوف الخبر على جهة الإبهام[٥]، تقديره: مذمومون أو موعودون بالعذاب، أو مستغنًى عنهم. أو على إضمار «أعني»، فهو في موضع نصب[٦]. أو في موضع نصب صفة لـ «كل مختال»؛ وإن كان نكرةً فهو مُخصَّصٌ نوعاً ما فيسوغ لذلك وصفُه بالمعرفة. قال ابن عطية[٧]: هذا مذهب الأخفش. انتهى.

عظُمَتِ الدنيا في أعينهم فبخلوا أن يُؤدُّوا منها حقوق الله تعالى، وما كفاهم ذلك حتى أمروا الناس بالبخل ورغَّبوهم في الإمساك.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٥٩٣٤)، والطبري ٢٢/ ٤٢١، والحاكم ٢/ ٤٧٩، والبيهقي في الشعب (٩٧٧١). والكلام بنحوه من تفسير الرازي ٢٩/ ٢٣٩.

(٢) في الكشاف ٤/ ٦٦.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٦٨.

(٤) السبعة ص ٦٢٦، والتيسير ص ٢٠٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٨-٢٦٩.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٦.

(٧) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.

والظاهر أنَّهم أمروا الناس حقيقةً. وقيل: كانوا قدوةً فيه، فكأنَّهم يأمرون به[١]. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عمَّا أمرَ الله به.

وقرأ الجمهور[٢]: «فإنَّ اللهَ هو». وقرأ نافع وابن عامر بإسقاط «هو» وكذا في مصاحف المدينة والشام، وكِلْتا القراءتين متواترة، فمَنْ أثبت «هو» فقال أبو علي الفارسي[٣]: يحسُن أن يكون فصلاً. قال: ولا يحسُن أن يكون ابتداءً؛ لأنَّ حذفَ الابتداء غيرُ سائغ. انتهى.

يعني أنَّه في القراءة الأخرى حذف، ولو كان مبتدأً لم يَجُزْ حذفُه؛ لأنَّك إذا قلت: إنَّ زيداً هو الفاضل فأعربتَ «هو» مبتدأً، لم يَجُزْ حذفُه؛ لأنَّ ما بعده من قولكَ: الفاضل، صالحٌ أن يكون خبراً لـ «أنَّ»، فلا يبقى دليلٌ على حذف «هو» الرابط، ونظيره: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون:٦] لا يجوز حذف «هم»؛ لأنَّ ما بعدَه يصلح أن يكون صلةً، فلا يبقى دليلٌ على المحذوف، وما ذهبَ إليه أبو علي ليس بشيء؛ لأنَّه بنى ذلك على توافق القراءتين وتركيب إحداهما على الأخرى وليس كذلك، ألا ترى أنَّه يكون قراءتان في لفظ واحدٍ ولكلٍّ منهما توجيهٌ يُخالِفُ الآخر، كقراءة مَنْ قرأ: «والله أعلم بما وضَعْتُ»[آل عمران:٣٦] بضمِّ التاء، والقراءة الأخرى: «بما وضَعَتْ» بتاء التأنيث، فضَمُّ التاء يقتضي أنَّ الجملة من كلام أمِّ مريم، وتاء التأنيث تقتضي أنَّها من كلام الله تعالى، وهذا كثيرٌ في القراءات المتواترة، فكذلكَ هذا يجوز أن يكون «هو» مبتدأً في قراءة مَنْ أثبَتَه وإن كان لم يَرِدْ في القراءة الأخرى، ولكلٍّ من التركيبين في الإعراب حكمٌ يخصُّه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الظاهرُ أنَّ الرُّسلَ هنا هم من بني آدم، والبينات: الحُجج والمعجزات.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكتاب: اسم جنس[٤].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.
(٢) السبعة ص ٦٢٧، والتيسير ص ٢٠٨. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.
(٣) في الحجة ٦/ ٢٧٦ بنحوه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.

و«معَهم» حال مُقدَّرة، أي: وأنزلنا الكتابَ صائراً معهم، أي: مقدّراً صحبتُه لهم؛ لأنَّ الرُّسلَ مُنزَلين هم والكتاب.

ولمَّا أشكل لفظ «معهم» على الزمخشري فسَّر الرُّسلَ بغير ما فسَّرناه، فقال[1]: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني الملائكة إلى الأنبياء بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الوحيَ والميزانَ. ورُويَ أنَّ جبريل عليه السلام نزل بالميزان، فدفعَه إلى نوح، وقال: مُرْ قومَك يَزِنوا به. ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قيل: نزلَ آدمُ من الجنَّة ومعه خمسةُ أشياء من حديد؛ السِّنْدان، والكَلْبَتان، والمِيْقَعة[2]، والمِطْرَقة، والإبرة. ورُوي: ومعه المَرُّ[3] والمِسْحاةُ[4]. وعن النبي ﷺ: «إنَّ الله تعالى أنزل أربع بركاتٍ من السماء إلى الأرض؛ أنزل الحديدَ والنارَ والماءَ والمِلْح»[5]. انتهى.

وأكثر المتأوِّلين على أنَّ المرادَ بالميزان: العدل، فقال ابن زيد وغيرُه: أراد بالموازين المعروفة بين الناس، وهذا جزءٌ من العدل[6].

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ الظاهر أنه عِلَّةٌ لإنزال الميزان فقط. ويجوز أن يكون عِلَّةً لإنزال الكتاب والميزان معاً؛ لأنَّ القِسطَ هو العدل في جميع الأشياء من سائر التكاليف، فإنَّه لا جورَ في شيء منها؛ ولذلك جاء ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨].

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ عبَّر عن إيجاده بالإنزال كما قال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر:٦]. وأيضاً فإنَّ الأوامرَ وجميعَ القضايا والأحكام لمَّا كانت تُلقى من السماء جعل الكلَّ نزولاً منها. قاله ابن عطية[7].

---

(١) في الكشاف ٤/ ٦٦.
(٢) المِيْقَعة: المِسَنُّ الطويل. الصحاح (وقع).
(٣) المَرُّ: المِعْزَق يُعْزَق به الطينُ، يعني: المِسْحاة. العين للفراهيدي (رمم).
(٤) المِسْحاة: كالمِجْرفة إلَّا أنَّها من حديد. الصحاح (سحا).
(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ١١٨ من حديث ابن عمر ﵄. وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٦٤: وفي إسناده من لا أعرفه.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.
(٧) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩، وما بعده منه.

وقال الجمهور: أراد بالحديد جِنْسَه من المعادن. وقال ابن عباس: نزلَ آدمُ من الجنة ومعه السِّنْدان والكَلْبتان والمِيْقَعة.

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي: السلاح الذي يباشر به القتال ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعةٍ إلَّا والحديدُ آلةٌ فيها[(١)].

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلَّةٌ لإنزال الكتاب والميزان والحديد ﴿مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ بالحجج والبراهين المنتزعة من الكتاب المُنزَّل وبإقامة العدل وبما يعمل من آلة الحرب للجهاد في سبيل الله.

قال ابن عطية[(٢)]: أي: ليَعْلَمه موجوداً، فالتغيُّر ليس في علم الله، بل في هذا الحدَث الذي خرج من العدم إلى الوجود. وقوله: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ معناه: بما سمع من الأوصاف الغائبة عنه فآمن بها لقيام الأدلة عليها.

ولمَّا قال تعالى: ﴿مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ ذكر تعالى أنَّه غنيٌّ عن نُصرته بقدرته وعِزَّته، وأنَّه إنَّما كلَّفهم الجهادَ لمنفعة أنفسهم وتحصيل ما يترتَّب لهم من الثواب[(٣)].

وقال ابن عطية[(٤)]: ويترتَّب معنى الآية بأنَّ الله تعالى أخبر بأنَّه أرسل رُسُلَه وأنزل كتُباً وعدلاً مشروعاً وسلاحاً يُحارَبُ به مَنْ عاندَ ولم يهتدِ بِهُدى الله، فلم يبقَ عذرٌ، وفي الآية على هذا التأويل حَثٌّ على القتال.

❃ ❃ ❃

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ

(١) الكشاف ٤/ ٦٦.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.
(٣) الكشاف ٤/ ٦٧.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.

فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾.

لمَّا ذكر تعالى إرسالَ الرُّسلِ جملةً أفردَ منهم في هذه الآية نوحاً وإبراهيم عليهما السلام؛ تشريفاً لهما بالذِّكر، أمَّا نوحٌ فلأنَّه أوَّلُ الرسل إلى مَنْ في الأرض، وأمَّا إبراهيم فلأنَّه انتسب إليه أكثرُ الأنبياء عليهم السلام، وهو مُعظَّمٌ في كلِّ الشرائع. ثمَّ ذكَرَ أشرفَ ما حصل لذُرِّيتهما وذلك النبوَّة وهي التي بها هدى الناس من الضلال.

والكتاب: وهي الكتب الإلهية الأربعة؛ التوراة والزبور والإنجيل والقرآن، وهي جميعُها في ذرية إبراهيم عليه السلام[(١)]. وإبراهيم من ذرية نوح، فصدق أنَّها في ذرِّيتهما.

وفي مصحف عبد الله: «النَّبِيَّة» مكتوبة بالياء عوض الواو[(٢)].

وقال ابن عباس: والكتاب: الخطُّ بالقلم[(٣)].

والظاهر أنَّ الضمير في «منهم» عائدٌ على الذُّرِّية. وقيل: يعود على المرسل إليهم؛ لدلالة ذِكْرِ الإرسال والمرسلين عليهم.

ومع إرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة العلل بذلك انقسموا إلى مهتدٍ وفاسق، وأخبر بالفسق عن الكثير منهم.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا﴾ أي: أتبَعْنا وجعلناهم يَقْفُون مَنْ تقدَّم على آثارهم، أي: آثار الذرِّيَّة ﴿بِرُسُلِنَا﴾ وهم الرسل الذين جاؤوا بعد الذُّرِّية[(٤)] ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾ ذكره تشريفاً له ولانتشار أمته، ونسبَه لأمِّه على العادة في الإخبار عنه.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٢. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٣٦-١٣٧.
(٣) الكشاف ٤/ ٦٧، وما بعده منه بنحوه.
(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٧.

وتقدَّمت قراءةُ الحسن: «الأنجيل» بفتح الهمزة في أول سورة آل عمران[١]. قال أبو الفتح[٢]: وهو مثال لا نظيرَ له. انتهى. وهي لفظةٌ أعجميةٌ، فلا يلزم فيها أن تكون على أبنية كَلِمِ العرب. وقال الزمخشري[٣]: أمْرُه أهوَنُ من أمر «البَرْطيل» يعني أنَّه بفتح الباء، وكأنَّه عربيٌّ، وأمَّا الإنجيل فأعجميٌّ[٤].

وقُرِئَ: «رَآفة» على وزن فَعالة.

﴿وَجَعَلْنَا﴾ يحتمل أن يكون المعنى: وخلقنا، كقوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. ويحتمل أن يكون بمعنى: صَيَّرْنا فيكون «في قلوب» في موضع المفعول الثاني لـ «جعَلْنا». «ورهبانيَّةً» معطوف على ما قبله، فهي داخلةٌ في الجعل[٥].

«ابتدعوها» جملة في موضع الصفة لـ«رهبانية»، وخُصَّتِ الرَّهبانية بالابتداع؛ لأنَّ الرأفة والرحمة في القلب لا تَكَسُّبَ للإنسان فيها، بخلاف الرَّهبانية فإنَّها أفعالُ بدَنٍ مع شيءٍ في القلب، ففيها موضعٌ للتكسُّب. قال قتادة: الرأفةُ والرحمةُ من الله، والرهبانيةُ هم ابتدعوها، والرهبانية رفض الدنيا وشهواتها من النساء وغيرهنَّ، واتِّخاذ الصوامع.

وجعل أبو علي الفارسي «ورهبانيةً» مقتطعةً من العطف على ما قبلها من رأفة ورحمة، فانتصب عنده «ورهبانيةً» على إضمار فعلٍ يُفسِّره ما بعده[٦]، فهو من باب الاشتغال، أي: وابتدعوا رهبانيةً ابتدعوها.

واتَّبعه الزمخشري[٧] فقال: وانتصابُها بفعل مُضْمَرٍ يُفسِّره الظاهر، تقديره: وابتدعوا رهبانيةً ابتدعوها، يعني: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها. انتهى.

---

(١) عند تفسير الآية (٣) منها.
(٢) في المحتسب ٢/ ٣١٣.
(٣) في الكشاف ٤/ ٦٧، وما قبله منه.
(٤) الكشاف ٤/ ٦٧، وينظر ما تقدم عند تفسير الآية (٢) من سورة النور.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٧.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٠.
(٧) في الكشاف ٤/ ٦٧.

وهذا إعرابُ المعتزلة، وكان أبو عليّ معتزليًا، وهم يقولون: ما كان مخلوقاً لله لا يكون مخلوقاً للعبد، فالرأفة والرحمة من خلق الله، والرهبانية من ابتداع الإنسان فهي مخلوقةٌ له. وهذا الإعراب الذي لهم ليس بجيِّد من جهة صناعة العربية؛ لأنَّ مثلَ هذا هو ممَّا يجوز فيه الرفع بالابتداء، ولا يجوز الابتداءُ هنا بقوله: «ورهبانيةً»؛ لأنها نكرةٌ لا مُسَوِّغَ لها من المُسَوِّغات للابتداء بالنَّكرة.

ورُويَ في ابتداعهم الرهبانية أنَّهم افترقوا ثلاثَ فِرَق؛ ففرقةٌ قاتلتِ الملوك على الدين فغلبَت وقتلَت. وفرقةٌ قعدَتْ في المدن يدعون إلى الدِّين ويُبيِّنونه ولم تُقاتِلْ، فأخذها الملوك ينشرونهم بالمناشير وقُتِلوا. وفرقةٌ خرجَتْ إلى الفَيافي وبنَتِ الصوامعَ والدِّيارات، وطلبت أن تَسْلَم على أن تعتزل، فتُرِكَتْ[1].

والرَّهبانيَّة معناها الفِعْلَة المنسوبة إلى الرَّهْبان وهو الخائف، بنى فَعْلان من «رَهِبَ» كالخَشْيان من «خَشِي».

وقرئ: «ورُهبانيَّةً» بالضمِّ؛ قال الزمخشري[2]: كأنَّها نسبةٌ إلى الرُّهبان وهو جمع راهب، كراكب ورُكبان. انتهى. والأولى أن يكون منسوباً إلى رَهْبان وغُيِّر بضمِّ الراء؛ لأنَّ النَّسَبَ بابُ تغيير، ولو كان منسوباً إلى رُهْبان الجمع لَرُدَّ إلى مفرده، فكان يُقال: راهبية، إلَّا إنْ كان قد صار كالعَلَم فإنَّه يُنسَبُ إليه على لفظه كالأنصار.

والظاهر أنَّ «إلَّا ابتغاءَ رضوان الله» استثناءٌ متَّصلٌ ممَّا هو مفعولٌ من أجله، وصارَ المعنى أنَّه تعالى كتبَها عليهم ابتغاءَ مرضاتِه، وهذا قول مجاهد[3]، ويكون «كتَبَ» بمعنى قضى.

وقال قتادة وجماعة: المعنى: لم يفرِضْها عليهم، ولكنَّهم فعلوا ذلك ابتغاءَ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٠.

(٢) في الكشاف ٤/ ٦٧.

(٣) وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٠.

رضوان الله تعالى[١]. فالاستثناء على هذا منقطع، أي: لكن ابتدعوها لابتغاء رضوان الله تعالى.

والظاهر أنَّ الضمير في «رَعَوْها» عائدٌ على ما عاد عليه في «ابتدَعوها»، وهو ضمير «الذين اتَّبعوه» أي: لم يَرْعَوها كما يجب على الناذر رعايةُ نَذْره، لأنَّه عهدٌ مع الله لا يحِلُّ نَكْثُه[٢]. وقال نحوه ابن زيد، قال: لم يدوموا على ذلك، ولا وَفَّوه حقَّه، بل غَيَّروا وبدَّلوا، وعلى تقدير أنَّ فيهم مَنْ رعى يكون المعنى: فما رَعَوها بأجمعهم. وقال ابن عباس وغيرُه: الضمير للملوك الذين حاربوهم وأجْلَوهم. وقال الضحَّاك وغيرُه: الضمير للأخلاف الذين جاؤوا بعد المبتدعين لها[٣].

﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ وهم أهل الرأفة والرحمة الذين اتَّبعوا عيسى عليه السلام ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يحافظوا على نذرهم ﴿فَـَٔاتَيْنَا﴾ المؤمنين المُراعين منهم للرَّهبانية ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾وهم الذين لم يرعوها[٤].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ الظاهر أنَّه نداءٌ لمن آمن من أمَّة محمد ﷺ، فمعنى «آمِنوا»: دُوموا واثبُتوا. وهكذا المعنى في كلِّ أمرٍ يكون المأمورُ ملتبساً بما أُمر به.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ قال أبو موسى الأشعري: «كِفْلَين»: ضِعْفَين بلسان الحبشة[٥]. انتهى. والمعنى أنَّه يؤتِكم مثلَ ما وعدَ مَنْ آمن من أهل الكتاب من الكِفْلَين في قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص:٥٤] إذ أنتم مثلُهم في الإيمانَين، لا تُفرِّقون بين أحدٍ من رسله.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧٦، والطبري ٢٢/ ٤٢٨ عن قتادة. والطبري ٢٢/ ٤٢٨ عن ابن زيد.

(٢) الكشاف ٤/ ٦٧-٦٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٠.

(٤) الكشاف ٤/ ٦٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧١.

وروي أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنَّهم يؤتَون أجرَهم مرَّتين، وادَّعوا الفضلَ عليهم، فنزلت.

وقيل: النِّداء متوجِّهٌ لمن آمن من أهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمِنوا بمحمدٍ ﷺ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي نصيبين من رحمته؛ وذلك لإيمانكم بمحمدٍ ﷺ، وإيمانكم بمَن قبلَه من الرُّسل ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النورُ المذكورُ في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد: ١٢] ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي. ويُؤيِّد هذا المعنى ما ثبت في الصحيح: «ثلاثةٌ يؤتيهم الله أجرَهم مرتين؛ رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بي» الحديث[1].

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾: ليعلم أهلُ الكتاب الذين لم يُسلِموا أنَّهم لا ينالون شيئاً ممَّا ذُكِرَ من فضله من الكِفْلَين والنُّور والمغفرة؛ لأنَّهم لم يؤمنوا برسول الله ﷺ، فلم ينفَعْهم إيمانهم بمن قبله، ولم يُكسِبْهم فضلاً قطُّ[2].

وإذا كان النِّداءُ لمؤمني هذه الأمة والأمرُ لهم، فرُوي أنَّه لمَّا نزل هذا الوعد لهم حسدهم أهلُ الكتاب، وكانت اليهودُ تعظِّم دينَها وأنفُسَها، وتزعم أنَّهم أحِبَّاءُ الله وأهلُ رضوانه، فنزلت هذه الآية مُعلِمةً أنَّ الله تعالى فعلَ ذلك وأعلم به أهلَ الكتاب أنَّهم ليسوا كما يزعمون[3].

وقرأ الجمهور: «لِئَلَّا يعلم» و«لا» زائدة، كهي في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]، وفي قوله: ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥] في بعض التأويلات.

وقرأ حِطَّان بن عبد الله: «لأنْ لا يعلم»[4] وعبد الله، وابن عباس، وعكرمة،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤)، وأحمد (١٩٦٠٢) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.
(٢) الكشاف ٤/ ٦٨ دون ذكر الحديث.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧١.
(٤) هكذا في النسخ والمطبوع، وجاءت في القراءات الشاذة ص ١٥٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٧٨: «لأنْ يعلمَ». وحِطَّان بن عبد الله: هو الرَّقاشي، السدوسي،

والجَحْدري، وعبد الله بن سلمة على اختلاف: «لِيَعْلَم»[(١)].

والجَحْدري: «لِيَيَّعلم»[(٢)] أصلُه «لِيَنْ يعلَم» قلبَ الهمزة ياءً؛ لكسرة ما قبلها، وأدغم النون في الياء بغير غُنَّة كقراءة خلف: «أنْ يضرب» بغير غُنَّة[(٣)].

وروى ابن مجاهد عن الحسن: «لَيْلَا» مثل ليلى اسم المرأة «يعْلَمُ» برفع الميم[(٤)]، أصلُه: «لأنْ» بفتح لام الجرّ، وهي لغةٌ، فحُذِفَتِ الهمزةُ اعتباطاً، وأُدغِمَتِ النونُ في اللام، فاجتمعتِ الأمثالُ، وثقُلَ النُّطقُ بها، فأبدلوا من الساكنة ياءً، فصار «لَيْلا»، ورفع الميم؛ لأنَّ «أنْ» هي المخفَّفة من الثقيلة، لا الناصبة للمضارع؛ إذ الأصلُ: «لأنّه لا يعلمُ».

وقُطْرُب عن الحسن أيضاً: «لِيْلا» بكسر اللام[(٥)]، وتوجيهُه كالذي قبلَه، إلَّا أنَّه كسر اللام على اللغة الشهيرة في لام الجرِّ.

وعن ابن عباس: «كي يعلمَ» وعنه: «لكيلا يعلمَ». وعن عبد الله، وابنُ جُبير، وعكرمة: «لكي يعلمَ»[(٦)].

وقرأ الجمهور: «أنْ لا يقدِرون» بالنون، فـ «أنْ» هي المُخفَّفة من الثقيلة. وعبد الله بحَذْفها[(٧)]، فـ «أنْ» الناصبة للمضارع، والله تعالى أعلم.

= البصري، قرأ القرآن على أبي موسى الأشعري ﷺ، وقرأ عليه الحسن البصري، توفِّي سنة نيِّف وسبعين. معرفة القراء الكبار ١/ ١٣٧.

(١) في القراءات الشاذة ص ١٥٣ عن عبد الله بن مسعود ﷺ، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧١ عن ابن عباس ﷺ، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٧٨ عن عكرمة.

(٢) صورتها في القراءات الشاذة ص ١٥٣: «لي يعلم» بياءين.

(٣) ينظر تفسير الآية (١٦) من سورة البقرة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٧٨.

(٥) المحتسب ٢/ ٢١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧١.

(٦) القراءات الثلاث في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧١.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧١.

سورة المجادلة

فسَحَ في المجلس: وَسَّعَ لغيره[1].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى
وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن
نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ
يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

هذه السورة مدنية. قال الكلبي: إلَّا قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ

---

(١) ينظر الصحاح (فسح).

رَابِعُهُمْ﴾. وعن عطاء: العشر الأول منها مدنيٌّ وباقيها مكيٌّ[١].

قرأ الجمهور: «قد سَمِع» بالبيان. وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وابن مُحَيْصِن بالإدغام[٢]. قال خلف بن هشام البزَّار: سمعت الكسائيَّ يقول: مَنْ قرأ: «قد سمِعَ» فبيَّنَ الدَّالَ عند السين، فلسانه أعجميٌّ ليس بعربي. ولا يُلتَفَتُ إلى هذا القول، فالجمهور على البيان.

و«التي تجادل» خولةُ بنت ثَعلبة ـ ويقال: بالتصغير ـ أو خولة بنت خُويلِد، أو خولة بنت حكيم، أو خولة بنت دُلَيج، أو جميلة أو خولة بنت الصامت. أقوالٌ للسلف، وأكثر الرُّواة على أنَّ الزوج في هذه النازلة أوس بن الصامت أخو عبادة. وقيل: سلمة بن صخر البياضي ظاهرَ من امرأته. قال أبو قلابة وغيره: كان الظهارُ في الجاهلية يُوجب عنه فُرقةً مؤبَّدة. ولمَّا ظاهر من امرأته أوسٌ قالت زوجته: يا رسول الله، أكلَ أوسٌ شبابي، ونثَرْتُ له بطني، فلمَّا كبِرْتُ ومات أهلي ظاهرَ منِّي. فقال لها: «ما أراكِ إلَّا قد حَرُمْتِ عليه» فقالت: يا رسول الله، لا تفعَلْ؛ فإنِّي وحيدةٌ ليس لي أهلٌ سواه. فراجعَها بمثل مقالَتِه فراجَعَتْه. فهذا هو جدالُها. وكانت في خلال ذلك تقول: اللهمَّ إنَّ لي منه صِبيةً صغاراً، إن ضمَمْتُهم إليه ضاعوا، وإن ضمَمْتُهم إليَّ جاعوا. فهذا هو اشتكاؤها إلى الله. فنزل الوحيُ عند جدالها. قالت عائشة ﵂: سُبحانَ مَنْ وسِعَ سَمْعُه الأصوات، كان بعضُ كلام خولة يخفى عليَّ، وسمِعَ اللهُ جِدالَها، فبعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أوس وعرض عليه كفَّارةَ الظِّهار العِتْقَ، فقال: ما أملك. والصَّومَ، فقال: ما أقْدِر. والإطعامَ، فقال: لا أجِدُ إلَّا أن تُعينني. فأعانه ﷺ بخمسة عشر صاعاً، ودعا له، فكفَّرَ بالإطعام وأمسك أهله[٣]. وكان عمر رضي الله تعالى عنه

---

(١) النكت والعيون ٥/ ٤٨٧، وزاد المسير ٨/ ١٨٠.

(٢) النشر ٢/ ٣-٤ دون قراءة ابن محيصن، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٢-٢٧٣ مع تقديم وتأخير. وقصة خولة هذه أخرج بعضَ ألفاظها أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي ٦/ ١٦٨، وابن ماجه (٢٠٦٣) من حديث عائشة ﵂. وأكثر الرواة على أنَّ قصةَ خولة جَرَتْ مع زوجها أوس بن الصامت ـ وهو أخو عبادة بن الصامت =

يُكرِمُ خولة إذا دخلت عليه ويقول: قد سمِعَ اللهُ لها[١].

وقال الزمخشري[٢]: معنى «قد» التوقُّع؛ لأنَّه ﷺ والمجادِلة كانا يتوقَّعان أن يسمع اللهُ مجادلتَها وشكواها، وينزل في ذلك ما يُفَرِّج عنها. انتهى.

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو: «يَظَّهَّرون» بشدِّهما. والأخَوان وابن عامر: «يَظَّاهرون»[٣] مضارع: اظَّاهَرَ. والحسن، وأبو جعفر، وقتادة، وعاصم، وزيد بن علي: «يُظاهِرونَ»[٤] مضارع: ظاهَرَ. وأُبيٌّ: «يتظاهرون»[٥] مضارع: تظاهَرَ. وعنه: «يتظَهَّرون» مضارع: تظهَّرَ.

والمرادُ به كلِّه الظِّهار، وهو قول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي، يريد في التحريم، كأنَّه إشارةٌ إلى الركوب؛ إذ عُرْفُه في ظهور الحيوان، والمعنى أنَّه لا يعلوها كما لا يعلو أمَّه؛ ولذلك تقول العرب في مقابلة ذلك: نزلتُ عن امرأتي، أي: طلَّقتُها[٦].

وقوله: «منكم» إشارةٌ إلى توبيخ العرب وتهجين عادتهم في الظِّهار؛ لأنَّه كان

= ـ وقد أخرجها مطوَّلةً أحمد (٢٧٣١٩)، وأبو داود (٢٢١٤) و(٢٢١٥)، وابن الجارود (٧٤٦)، والطبري ٢٢/ ٤٥٣، وابن حبان (٤٢٧٩)، والطبراني في الكبير (٦١٦) و٢٤/ (٦٣٣) من حديث خولة بنت ثعلبة ﷺ. وأمَّا قصة سلمة بن صخر البياضي فهي قصة أخرى أخرجها أحمد (١٦٤٢١)، وأبو داود (٢٢١٣)، والترمذي (٣٢٩٩)، وابن ماجه (٢٠٦٢).

(١) الكشاف ٤/ ٦٩. وقصة إكرام عمر ﷺ لخولة أخرجها البخاري في التاريخ الكبير ٧/ ٢٤٥. وأخرجها ـ من طريق آخر ـ عثمان الدارمي في الرد على الجهمية (٣٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٨٦).

(٢) في الكشاف ٤/ ٧٠.

(٣) السبعة ص ٦٢٨، والتيسير ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤) قراءة عاصم في السبعة ص ٦٢٨، والتيسير ص ٢٠٨. وقراءة الباقين ـ دون قراءة زيد بن علي ـ في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٣. والمشهور عن أبي جعفر: «يَظَّاهرون» كقراءة الأخوين ـ حمزة والكسائي ـ وابن عامر.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٣، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٣.

(٦) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٣، وتفسير الرازي ٢٩/ ٢٥١.

من أيمان أهل جاهليتهم خاصَّةً دون سائر الأمم[١].

وقرأ الجمهور: «أمَّهاتِهم» بالنصب على لغة الحجاز. والمُفَضَّل عن عاصم بالرفع[٢] على لغة تميم. وابنُ مسعود: «بأُمَّهاتهم» بزيادة الباء[٣]. قال الزمخشريُّ[٤]: في لغة مَنْ ينصب. انتهى. يعني أنَّه لا تُزادُ الباءُ في لغة تميم، وهذا ليس بشيء، وقد رُدَّ ذلك على الزمخشري: وزيادة الباء في مثل: ما زيدٌ بقائم كثيرٌ في لغة تميم، والزمخشريُّ تبعَ في ذلك أبا عليٍّ الفارسي[٥] رحمه الله.

ولمَّا كان معنى: كظهر أمِّي كأمي في التحريم ولا يُراد خصوصيةَ الظهر الذي هو من الجسد، جاء النَّفيُ بقوله: «ما هُنَّ أمَّهاتِهم»[٦].

ثمَّ أكّدَ ذلك بقوله: «إنْ أمَّهاتُهم» أي: حقيقةً «إلَّا اللَّائي ولَدْنَهم»، وألحَقَ بهنَّ في التحريم أمَّهاتِ الرَّضاع وأمَّهاتِ المؤمنين أزواجَ الرسول ﷺ، والزوجات لسْنَ بأمَّهاتٍ حقيقةً ولا مُلْحَقاتٍ بهنَّ. فقول المُظاهِر مُنْكَرٌ من القول تُنكِره الحقيقة، وينكره الشرع، وزورٌ كذبٌ باطلٌ منحرفٌ عن الحق[٧]، وهو مُحرَّمٌ تحريم المكروهات جِدًّا، فإذا وقع لزم، وقد رجَّى تعالى بعده بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ مع الكفَّارة[٨].

وقال الزمخشري[٩]: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف منه إذا تاب عنه ولم

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٠.

(٢) قراءة المفضَّل عن عاصم هذه ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥٣، وكذلك ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٢٨، ثم قال: ولم يختلف في أنَّ الحرف نصبٌ في لفظ حفص، ولم يروِه - يعني بالرفع - عن عاصم غيرُه. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٣.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٣، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٣٩.

(٤) في الكشاف ٤/ ٧٠.

(٥) في الحجة ٦/ ٢٧٧.

(٦) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٥٠-٢٥١ بنحوه.

(٧) الكشاف ٤/ ٧٠.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٣.

(٩) في الكشاف ٤/ ٧٠.

يَعُدْ إليه. انتهى. وهي نزغةٌ اعتزالية.

والظاهر أنَّ الظِّهار لا يكون إلَّا بالأمِّ وحدها، فلو قال: أنتِ عليَّ كظهر أختي أو ابنتي، لم يكن ظهاراً. وهو قول قتادة والشَّعبي وداود وروايةُ أبي ثور عن الشافعي. وقال الجمهور؛ الحسن والنَّخَعي والزُّهري والأوزاعي والثوري وأبو حنيفة ومالك والشافعي في قول: هو ظهار[١].

والظَّاهر أنَّ الذِّميَّ لا يلزمه ظِهارُه؛ لقوله: «منكم» أي: من المؤمنين. وبه قال أبو حنيفة والشافعي[٢]؛ لكونها ليست من نسائه. وقال مالك: يلزمه ظِهارُه إذا نكحها[٣]، ويصِحُّ من المُطلَّقة الرجعية[٤]. وقال المزني: لا يصِحُّ. وقال بعض العلماء: لا يصِحُّ ظِهارُ غير المدخول بها[٥].

ولو ظاهرَ من أَمَتِه التي يجوز له وطؤها، لزمه عند مالك. وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يلزم[٦]. وسبب الخلاف هو: هل تندرج في نسائهم أم لا.

والظاهر صِحَّةُ ظهار العبد؛ لدخوله في «يَظَّهَّرون منكم»؛ لأنَّه من جملة المسلمين، وإن تعذَّرَ منه العتقُ والإطعامُ فهو قادرٌ على الصوم[٧]. وحكى الثعلبيُّ عن مالك أنَّه لا يصِحُّ ظِهارُه[٨].

وليست المرأةُ مندرجةً في «الذين يَظَّهَّرون»، فلو ظاهرت من زوجها لم يكن شيئاً. وقال الحسن بن زياد: تكون مُظاهِرةً. وقال الأوزاعي وعطاء وإسحاق

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٨٥-٢٨٦. وينظر المغني لابن قدامة ١١/ ٥٨.

(٢) الذي عليه الشافعي أنه يصح ظهار الذمّي. ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٣٨، وتفسير الرازي ٢٩/ ٢٥٢.

(٣) ينظر أحكام القرآن ٤/ ١٧٣٨. والذي في المدونة ٣/ ٣٦٩ بخلافه.

(٤) ينظر الكافي لابن عبد البر ٢/ ٦٠٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٧.

(٦) أحكام القرآن ٤/ ١٧٣٩.

(٧) أحكام القرآن ٤/ ١٧٣٨.

(٨) في تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٨٩ عن مالك أنه يصحُّ ظهاره. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٧.

وأبو يوسف: إذا قالت لزوجها: أنتَ عليَّ كظهرِ فلانة، فهي يمينٌ تُكفِّرُها. وقال الزُّهري: أرى أن تُكفِّرَ كفَّارةَ الظِّهار، ولا يَحولُ قولُها هذا بينها وبين زوجها أن يُصيبَها[١].

والظاهر أنَّ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أن يعودوا للَّفظ الذي سبق منهم، وهو قول الرجل ثانياً: أنتِ منِّي كظهر أمي، فلا تلزم الكفارة بالقول الأول، وإنَّما تلزم بالثاني، وهذا مذهب أهل الظاهر، ورُوِيَ أيضاً عن بُكير بن عبد الله بن الأشَجِّ وأبي العالية وأبي حنيفة وهو قول الفرَّاء[٢]. وقال طاووس وقتادة والزُّهري والحسن ومالك وجماعة: ﴿لِمَا قَالُوا﴾ أي: لِلْوَطء، والمعنى: لِما قالوا: إنَّهم لا يعودون إليه، فإذا ظاهرَ ثمَّ وَطِىءَ فحينئذٍ تلزمه الكفارة وإن طلَّقَ أو ماتَتْ. وقال أبو حنيفة ومالك أيضاً والشافعي وجماعة: معناه: يعودون لِما قالوا بالعزم على الإمساك والوَطْء، فمتى عزمَ على ذلك لزمته الكفارة طلَّق أو ماتَتْ. قال الشافعي: العَوْدُ المُوجبُ للكفارة أن يُمسِكَ عن طلاقها بعد الظهار، ويمضي بعده زمانٌ يمكن أن يُطلِّقَها فيه فلا يُطَلِّق. وقال قوم: المعنى: والذين يَظَّهَّرون من نسائهم في الجاهلية، أي: كان الظِّهارُ عادتَهم، ثمَّ يعودون إلى ذلك في الإسلام. وقاله القُتَبي. وقال الأخفش: فيه تقديمٌ وتأخير، والتقدير: فتحريرُ رقبةٍ لما قالوا. وهذا قولٌ ليس بشيء؛ لأنَّه يُفسِدُ نظم الآية[٣].

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: فعليهم تحرير رقبة.

والظاهر أنَّه يُجزىء مُطلَقُ رقبة، فتُجزىء الكافرة. وقال مالك والشافعي: شَرْطُها الإسلام، كالرقبة في كفارة القتل.

والظاهر إجزاء المكاتَب، لأنَّه عبدٌ ما بقي عليه درهم. وبه قال أبو حنيفة

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٨٩ بنحوه. وينظر الاستذكار لابن عبد البر ١٧/ ١٢٦-١٢٨.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٤-٢٩٥. وينظر قول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٣٩. وينظر المحلى لابن حزم ١٠/ ٥٢.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٤ مع تقديم وتأخير.

وأصحابُه. وإن عَتَقَ نِصْفَي عبدَين لا يُجزِئ. وقال الشافعي: يجزىء[(١)].

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ لا يجوز للمظاهِر أن يطأ حتى يُكفِّر، فإن فعلَ عصى ولا يسقط عنه التكفير. وقال مجاهد: يلزمه كفارة أخرى. وقيل: تسقط الكفارة الواجبة عليه ولا يلزمه شيء. وحديث أوس بن الصامت يردُّ على هذا القول، وسواء كانت الكفارة بالعَتْق أم الصوم أم الإطعام. وقال أبو حنيفة: إذا كانت بالإطعام جاز له أن يطأ ثمَّ يُطعم[(٢)]. وهو ظاهر قوله: ﴿فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ﴾ إذ لم يقُلْ فيه: «من قبل أن يتماسَّا»، وقيَّدَ ذلك في العَتْق والصوم[(٣)].

والظاهرُ في التماسِّ الحقيقةُ، فلا يجوز تماسُّهما قُبلةً أو مضاجعةً أو غير ذلك من وجوه الاستمتاع. وهو قول مالك وأحد قولَي الشافعي. وقال الأكثرون: هو الوَطْء، فيجوز له الاستمتاع بغيره قبل التكفير. وقاله الحسن والثوري، وهو الصحيح من مذهب الشافعي[(٤)].

والضمير في «يتماسَّا» عائدٌ على ما دلَّ[(٥)] عليه الكلام من المُظاهِرِ والمظاهَرِ منها.

﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ﴾ إشارة إلى التحرير، أي: فِعْلُ عِظَةٍ لكم لتنتهوا عن الظِّهار[(٦)].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٧. وينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٢٥، والمغني لابن قدامة ١١/ ٨١، وبداية المجتهد ٣/ ١٥٨.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٨. وحديث أوس بن الصامت الذي أشار إليه القرطبي ونقله عنه المصنف لم يَرِدْ فيه أنَّ أوساً وطىء امرأته، وإنما ورد في حديث سلمة بن صخر، وقد سلف تخريجهما في أول السورة.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٠٥.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٨. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٣٠٥، والاستذكار ١٧/ ١٢٣.

(٥) المثبت من (يه) والكشاف ٤/ ٧٢ والكلام منه. وفي باقي النسخ والمطبوع: عاد.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٤.

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ أي: الرقبة ولا ثمنَها، أو وجدَها أو ثمنَها وكان محتاجاً إلى ذلك، فقال أبو حنيفة: يلزمه العَتْق ولو كان محتاجاً إلى ذلك، ولا ينتقل إلى الصوم، وهو الظاهر. وقال الشافعي: ينتقل إلى الصوم[١].

والشهران بالأهلَّة وإن جاء أحدُهما ناقصاً، أو بالعدد لا بالأهِلَّة، فيصوم إلى الهلال، ثم شهراً بالهلال، ثمَّ يُتِمُّ الأولَ بالعدد[٢].

والظاهر وجوب التتابع، فإن أفطر بغير عذرٍ استأنف، أو بعذرٍ من سفرٍ ونحوه، فقال ابن المسيِّب والحسن وعطاء بن أبي رباح وعَمرو بن دينار والشَّعبي ومالك والشافعي في أحد قوليه: يبني. وقال النَّخَعي وابن جُبير والحكم بن عُتيبة والثوريُّ وأصحاب الرأي والشافعيُّ في أحد قوليه: [يبتدىء][٣].

والظاهر وجدانُ الرقبة بعد أن شرع في الصوم أنَّه يصوم ويُجزِئه. وهو مذهب مالك والشافعي. وقال أبو حنيفة وأصحابه: يلزمه العتق[٤].

ولو وَطِىءَ في خلال الصوم بطل التتابع ويستأنف. وبه قال مالك وأبو حنيفة. وقال الشافعي: يبطل إن جامع نهاراً لا ليلاً[٥].

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصوم؛ لزَمانةٍ به، أو كونِه يَضعُفُ به ضعفاً شديداً[٦]، كما جاء في حديث أوس لمَّا قال: «هل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» فقال: والله يا رسول الله إنِّي إذا لم آكُلْ في اليوم والليلة ثلاثَ مرات كلَّ بصري، وخشيتُ أن تعشوَ عيني[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٨-٢٩٩. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٨، وتفسير البغوي ٤/ ٣٠٦.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٤-٢٧٥.
(٣) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٩، والكلام منهما. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٨.
(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٩.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩٩-٣٠٠.
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٢٨.
(٧) أخرجه بنحوه ـ دون قوله: وخشيتُ أن تعشوَ عيني ـ الطبراني في مسند الشاميين (٢٥٧٤)،

والظاهر مُطلَقُ الإطعام، وتُخصِّصه ما كانت العادةُ في الإطعام وقت النزول، وهو ما يُشْبع من غير تحديدٍ بمُدٍّ. ومذهب مالك أنَّه مُدٌّ وثُلُثٌ بالمُدِّ النبوي. وروى عنه ابنُ وَهْب: مُدَّين بالمُدِّ النبوي. وقيل: مُدٌّ وثُلثا مُدٍّ. وقيل: مُدٌّ بالمُدِّ النبوي[١].

ويجب استيعاب العدد ستين عند مالك والشافعي، وهو الظاهر. وقال أبو حنيفة وأصحابه: لو أطعمَ مسكيناً واحداً كلَّ يومٍ نصفَ صاعٍ حتى يُكمِلَ العدد، أجزأه[٢].

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ﴾ قال ابن عطية: إشارةٌ إلى الرُّخصة[٣] والتسهيل في النقل من التحرير إلى الصوم والإطعام.

ثمَّ شَدَّد تعالى بقوله: ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ أي: فالتَزِموها وقِفوا عندها. ثمَّ توعَّدَ الكافرين بهذا الحكم الشرعي.

وقال الزمخشريُّ[٤]: ﴿ذَٰلِكَ﴾ البيانُ والتعليمُ للأحكام والتنبيهُ عليها لتُصدِّقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها في الظِّهار وغيرِه، ورفضِ ما كنتم عليه من جاهليتكم ﴿وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ﴾ التي لا يجوز تعَدِّيها ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يتَّبعونها ولا يعملون عليها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. انتهى.

= والدارقطني في سننه (٣٨٥٣)، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٣٤-٤٣٥ من حديث أنس بن مالك ﷺ. وفي إسناده سعيد بن بشير الدمشقي، وهو ضعيف.
وأما رواية: «وخشيت أن تعشوَ عيني» فأخرجها الطبري في تفسيره ٢٢/ ٤٤٦-٤٤٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٣٨٤-٣٨٥ عن أبي العالية الرياحي، مرسلاً.

(١) من قوله: وروى عنه ابن وهب... إلى هنا من (يه)، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠٣.

(٣) المثبت من (يه) والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٥. وفي باقي النسخ والمطبوع: الرجعة. وكذلك تصحفت فيها كلمة «النقل» الآتية إلى: الفعل.

(٤) في الكشاف ٤/ ٧٢-٧٣.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ نزلت في مشركي قريش، أُخْزوا يوم الخندق بالهزيمة كما أُخزي مَنْ قاتل الرسل من قبلهم[١].

ولمَّا ذكرَ المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المُحادِّين المخالفين لها، والمحادَّةُ: المعاداة والمخالفة في الحدود[٢].

﴿كُبِتُوا۟﴾ قال قتادة: أُخْزُوا. وقال السُّدِّي: لُعِنوا. قيل: وهي لغةُ مَذْحِج. وقال ابن زيد وأبو رَوْق: رُدُّوا مخذولين[٣]. وقال الفرَّاء: غِيظوا يوم الخندق.

﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: مَنْ قاتل الأنبياء[٤]. وقيل: يوم بدر[٥]. وقال أبو عبيدة والأخفش: أُهلِكوا[٦]. وعن أبي عبيدة: التاء بدل من الدال، أي: كُبِدوا؛ أصابهم داءٌ في أكبادِهم. قيل: و«الذين من قبلهم»: سابقو[٧] الأمم.

قيل: و«كُبِتوا» بمعنى: سيُكْبَتون، وهي بشارةٌ للمؤمنين بالنصر، وعبَّرَ بالماضي لتحقُّق وقوعه[٨].

وتقدّم الكلامُ في مادة «كبت» في آل عمران[٩].

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ على صدق محمد ﷺ وصِحَّة ما جاء به[١٠].

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: الذين يُحادُّونه ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: يُهينُهم ويُذِلُّهم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٨٧ عن ابن عباس ﷺ.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠٤-٣٠٥.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٨٩-٤٩٠ دون نسبة القول الأخير لأحد، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٢/ ٤٦٦.
(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٣٩.
(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠٥.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٤٨٩. وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٥٥.
(٧) تحرفت في النسخ والمطبوع إلى: منافقو، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٥.
(٨) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠٥.
(٩) عند تفسير الآية (١٢٧) منها.
(١٠) الكشاف ٤/ ٧٣.

والناصبُ لـ «يومَ يبعثهم» العاملُ في «للكافرين»[١]، أو «مُهين»، أو «اذكُرْ»[٢]، أو يكون على أنَّه جوابٌ لمن سأل: متى يكون عذاب هؤلاء؟ فقيل له: يومَ يبعثهم الله، أي: يكون يومَ يبعثهم الله[٣].

وانتصب «جميعاً» على الحال، أي: مجتمعين في صعيدٍ واحد، أو معناه: كلُّهم؛ إذ جميعٌ يحتمل ذَيْنك المعنيين[٤].

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخاً ﴿أَحْصَىٰهُ﴾ بجميع تفاصيله وكمِّيته وكيفيته وزمانه ومكانه ﴿وَنَسُوهُ﴾ لاستحقارهم إيَّاه واحتقارهم أنَّه لا يقع عليه حساب ﴿شَهِيدٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

وقرأ الجمهور: «ما يكون» بالياء. وأبو جعفر، وأبو حَيْوة، وشيبة بالتاء[٥]؛ لتأنيث «النجوى» قال صاحب «اللوامح»: وإن شغلت بالجار فهي بمنزلة: ما جاءتني من امرأةٍ، إلا أنَّ الأكثرَ في هذا الباب التذكير على ما في العامة ـ يعني القراءة العامة ـ قال: لأنَّه مُسنَدٌ إلى «من نجوى» وهو يقتضي الجنس، و«ذلك» مُذَكَّر. انتهى.

وليس الأكثرُ في هذا الباب التذكيرُ؛ لأنَّ «من» زائدة، فالفعل مسنَدٌ إلى مؤنَّث، فالأكثر التأنيث وهو القياس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٤] ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الحجر: ٥]، و«يكون» هنا تامَّة.

---

(١) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٢٢.

(٢) الكشاف ٤/ ٧٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٦.

(٣) وذكر الزمخشري في الكشاف ٤/ ٧٣ وجهاً آخر بأنَّه منصوبٌ بـ «لهم». وذكر أبو البقاء في الإملاء ٢/ ٢٥٧ وجهين آخرين؛ أحدهما: أنَّه منصوب بفعل مقدَّر: يُهانون، أو: يُعذَّبون. والثاني: أنَّه منصوبٌ بفعل «أحصاه». وتعقَّبه صاحب الدر المصون ١٠/ ٢٦٨ بقوله: وفيه قلقٌ؛ لأنَّ الضمير في «أحصاه» يعود على ما عملوا.

(٤) الكشاف ٤/ ٧٥، وما بعده منه.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٣، والمحتسب ٢/ ٣١٥ دون ذكر شيبة. وهي في النشر ٢/ ٣٨٥ عن أبي جعفر.

و«نجوى» احتمل أن تكون مصدراً مضافاً إلى ثلاثة، أي: مِنْ تَناجي ثلاثة، أو مصدراً على حذف مضاف، أي: مِنْ ذَوي نجوى، أو مصدراً أُطلِقَ على الجماعة المتناجين، ف «ثلاثة» على هذين التقديرين قال ابن عطية[١]: بدل أو صفة. وقال الزمخشري[٢]: صفة.

وقرأ ابن أبي عَبْلة: «ثلاثةً» و«خمسةً» بالنصب على الحال، والعامل «يتناجَون» مضمرةً يدلُّ عليه «نجوى». وقال الزمخشريُّ: أو على تأويل «نجوى» بمُتناجين، ونصبها من المُستكِنِّ فيه.

وقال ابن عيسى: كلُّ سِرارٍ نجوى. وقال ابن سُراقة: السِّرار: ما كان بين اثنين، والنجوى: ما كان بين أكثر. قيل: نزلت في المنافقين[٣].

واختصَّ الثلاثة والخمسة؛ لأنَّ المنافقين كانوا يتناجون على هذين العددين مُغايظةً لأهل الإيمان[٤].

والجملة بعد «إلَّا» في المواضع الثلاثة في موضع الحال.

وكونُه تعالى رابِعَهم وسادِسَهم ومعَهم هو بالعلم وإدراكِ ما يتناجَون به. وقال ابن عباس: نزلت في ربيعة وحبيب ابني عَمرو، وصفوان بن أمية، تحَدَّثوا فقال أحدهم: أترى أنَّ اللهَ يعلمُ ما نقول؟ فقال الآخر: يعلم بعضاً ولا يعلم بعضاً. فقال الثالث: إن كان يعلم بعضاً فهو يعلمُه كلَّه[٥].

﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الثلاثة والخمسة، والأدنى من الثلاثة الاثنين، ومن الخمسة الأربعة ﴿وَلَآ أَكۡثَرَ﴾ يدلُّ على مايلي الستة فصاعداً.

وقرأ الجمهور: «ولا أكثرَ» عطفاً على لفظ المخفوض. والحسن، وابن

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٦.
(٢) في الكشاف ٤/ ٧٣. وما بعده منه.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٩٠.
(٤) الكشاف ٤/ ٧٣.
(٥) الكشاف ٤/ ٧٣-٧٤ بنحوه.

أبي إسحاق، والأعمش، وأبو حَيْوة، وسلَّام، ويعقوب بالرفع[١] عطفاً على موضع «نجوى» إن أُريدَ به المتناجون، ومَنْ جعلَه مصدراً محضاً كان على حذف مضاف، أي: ولا نجوى أدنى، ثمَّ حُذِفَ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه فأُعربَ بإعرابه. ويجوز أن يكون «ولا أدنى» مبتدأً والخبر «إلَّا هو معهم»، فهو من عطف الجُمل.

وقرأ الحسن أيضاً، ومجاهد، والخليل بن أحمد، ويعقوب أيضاً: «ولا أكبَرُ» بالباء بواحدة والرفع[٢]. واحتمل الإعرابَين؛ العطفَ على الموضع، والرفعَ بالابتداء.

وقُرئ: «يُنْبِئهم» بالتخفيف والهمز[٣]. وزيد بن علي بالتخفيف وترك الهمز وكسر الهاء[٤]. والجمهور بالتشديد والهمز وضمِّ الهاء.

❋ ❋ ❋

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٣ عن الحسن وسلام عن يعقوب، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٦ عن الحسن وابن أبي إسحاق والأعمش، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠٧ عن سلام ويعقوب، والنشر ٢/ ٣٨٥ عن يعقوب.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٣ عنهم دون ذكر قراءة الخليل، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٦. وينظر الكشاف ٤/ ٧٤.

(٣) الكشاف ٤/ ٧٤.

(٤) أي: «يُنْبِيهِم».

نزلت ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجَون دون المؤمنين، وينظرون إليهم ويتغامزون بأعينهم عليهم، مُوهِمين المؤمنين من أقربائهم أنَّهم أصابَهم شرٌّ، فلا يزالون كذلك حتى يقدم أقرباؤهم، فلمَّا كثُرَ ذلك منهم شكا المؤمنون إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجَوا دون المؤمنين؛ فلم ينتَهوا، فنزلت. قاله ابن عباس(١). وقال مجاهد: نزلت في اليهود(٢). وقال ابن السائب: في المنافقين(٣).

وقرأ الجمهور: «ويتناجَون». وحمزة، وطلحة، والأعمش، ويحيى بن وثَّاب، ورُوَيس: «ويَنْتَجون»(٤) مضارع: انتجى.

﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كانوا يقولون: السَّامُ عليك، وهو الموت، فيردُّ عليهم: وعليكم.

وتحيةُ الله لأنبيائه ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أي: إن كان نبيًّا فما له لا يدعو علينا حتى نُعذَّب بما نقول؟! فقال تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾(٥).

ثمَّ نهى المؤمنين أن يكون تناجيهم مثلَ تناجي الكفار، وبدأ بالإثم؛ لعمومه، ثمَّ بالعدوان، لعظمته في النفوس، إذ هي ظلامات العباد، ثمَّ ترقَّى إلى ما هو أعظم(٦)، وهو معصية الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي هذا طعنٌ على المنافقين؛ إذ كان تناجيهم في ذلك.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٢٩-١٣٠، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٣٦، وتفسير البغوي ٤/ ٣٠٨، وزاد المسير ٨/ ١٨٨.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٤٩٠، وزاد المسير ٨/ ١٨٨. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٤٦٩-٤٧٠.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٤٩٠.

(٤) قراءة حمزة في السبعة ص ٦٢٨، والتيسير ص ٢٠٩. وقراءة رويس عن يعقوب في النشر ٢/ ٣٨٥. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٦ دون قراءة رويس.

(٥) الكشاف ٤/ ٧٤.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٧ بنحوه.

وقرأ الجمهور: «فلا تتناجوا».

وأدغم ابنُ مُحَيْصِن التاء في التاء[١]. وقرأ الكوفيون، والأعمش، وأبو حَيْوة، ورُوَيس: «فلا تَنْتَجوا»[٢] مضارع: انتجى.

والجمهور بضمِّ عين «العُدوان». وأبو حَيْوة بكسْرِها حيث وقع. والضحاك: «ومعصياتِ الرسول» على الجمع. والجمهور على الإفراد[٣].

وقرأ عبد الله: «إذا انْتَجَيْتُم فلا تَنْتَجوا»[٤].

و«أل» في «إنَّما النجوى» للعهد في نجوى الكفار بالإثم والعدوان، وكونُها من الشيطان؛ لأنَّه هو الذي يُزَيِّنها لهم، فكأنها منه ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ كانوا يُوهِمون المؤمنين أنَّ غُزاتَهم غُلِبوا، وأنَّ أقاربهم قُتِلوا ﴿وَلَيْسَ﴾ أي: التناجي، أو الشيطان، أو الحزن ﴿بِضَآرِّهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: بمشيئته فيقضي بالقتل أو الغلبة[٥].

وقال ابن زيد: هي نجوى قومٍ من المسلمين يقصدون مناجاة الرسول ﷺ وليس لهم حاجة ولا ضرورة، يريدون التبجُّحَ بذلك، فيظنُّ المسلمون أنَّ ذلك في إخبارٍ بعدوٍّ قاصدٍ نحوه. وقال عطية العوفي: نزلت في المناجاة التي يراها المؤمن في النوم تسوءُه، فكأنَّه نجوى يُناجى بها[٦]. انتهى. ولا يناسب هذا القول ما قبلَ الآية ولا ما بعدَها.

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٧ عن أهل الكوفة والأعمش. وقراءة رويس في النشر ٢/ ٣٨٥. والمشهور عن قُرَّاء الكوفة كقراءة الجمهور.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٧.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤١، والكشاف ٤/ ٧٥.

(٥) الكشاف ٤/ ٧٥ بنحوه.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٧-٢٧٨.

وتقدَّمت القراءتان في نحو «ليحزن»[١]. وقُرِئَ بفتح الياء والزاي[٢]، فيكون «الذين» فاعلاً، وفي القراءتين مفعولاً.

ولمَّا نهى تعالى المؤمنين عمَّا هو سببٌ للتباغض والتنافر، أمرهم بما هو سببٌ للتوادِّ والتقارب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية.

قال مجاهد وقتادة والضحاك: كانوا يتنافسون في مجلس الرسول ﷺ، فأُمِروا أن يفسح بعضُهم لبعض[٣]. وقال ابن عباس: المراد مجالس القتال إذا اصطفُّوا للحرب[٤]. وقال الحسن ويزيد بن أبي حبيب: كان الصحابة يتشاحُّون على الصف الأول فلا يُوسع بعضُهم لبعض رغبةً في الشهادة، فنزلت[٥].

وقرأ الجمهور: «تفسَّحوا». والحسن، وداود بن أبي هند، وقتادة، وعيسى: «تفاسحوا»[٦].

والجمهور: «في المَجْلِس». وعاصم، وقتادة، وعيسى: «في المجالس»[٧].

(١) أي: «لِيَحْزُن» ـ بفتح الياء وضمِّ الزاي ـ وهي قراءة الجمهور، و«لِيُحْزِن» بضمِّ الياء وكسر الزاي، وهي قراءة نافع. وينظر نظيرُ هذا عند تفسير الآية (١٧٦) من سورة آل عمران، والآية (٤١) من سورة المائدة والآية (٣٣) من سورة الأنعام، وغيرها.

(٢) أي: «لِيَحْزَنَ»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٨.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣١٥ عنهم. وهو في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ١٣١، وتفسير البغوي ٤/ ٣٠٩، وزاد المسير ٨/ ١٩١ عن قتادة. وكذلك أخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٧٩، والطبري ٢٢/ ٤٧٧. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٤٧٦-٤٧٧ بنحوه عن مجاهد والضحاك.

(٤) زاد المسير ٨/ ١٩١-١٩٢، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣١٥. وأخرجه عنه الطبري ٢٢/ ٤٧٨.

(٥) تفسير القرطبي ٢٢/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٥٣، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٤١ عن الحسن. والمحتسب ٢/ ٣١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٨ عن الحسن وداود. وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٧٨ عن الحسن وقتادة. وتفسير الثعلبي ٦/ ١٣٢ عن قتادة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٨. وقراءة عاصم في السبعة ص ٦٢٨، والتيسير ص ٢٠٩.

وقُرئ: «في المَجْلَس» بفتح اللام، وهو الجلوس، أي: توسَّعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه[١].

والظاهر أنَّ الحُكمَ مُطَّرِدٌ في المجالس التي للطاعات وإن كان السببُ مجلسَ الرسول، وكذا مجالس العلم، ويُؤيِّده قراءةُ من قرأ: «في المجالس». وقيل: الآية مخصوصة بمجلس الرسول عليه الصلاة والسلام. ويتأوَّلُ الجمعُ على أنَّ لكلِّ أحدٍ مجلساً في بيت الرسول ﷺ[٢].

وانجزم «يفسَحِ اللهُ» على جواب الأمر، أي: في رحمته، أو في منازلكم في الجنة، أو في قبوركم، أو في قلوبكم، أو في الدنيا والآخرة. أقوال[٣].

﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾ أي: انهضوا في المجلس للتفسُّح[٤]؛ لأنَّ مُريدَ التَّوسعة على الوارد يرتفع إلى فوق، فيتَّسع الموضعُ، أُمِروا أولاً بالتفسُّح، ثمَّ ثانياً بامتثال الأمر فيه إذا ائتُمروا.

وقال الحسن وقتادة والضحاك: معناه: إذا دُعوا إلى قتالٍ وصلاةٍ أو طاعةٍ نهضوا. وقيل: إذا دُعوا إلى القيام عن مجلس الرسول ﷺ نهضوا، إذ كان عليه الصلاة والسلام أحياناً يؤثر الانفراد في أمر الإسلام[٥].

وقرأ أبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وابن عامر، ونافع، وحفص بضمِّ الشين في اللفظين. والحسن والأعمش وطلحة وباقي السبعة بكسرها[٦].

والظاهر أنَّ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ معطوف على «الذين آمنوا»، والعطف

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٨-٢٧٩ بنحوه.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٢/ ٤٧٨، والكشاف ٤/ ٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٧٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣١٨.

(٤) الكشاف ٤/ ٧٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٩، وما بعده منه.

(٦) ينظر السبعة ص ٦٢٩، والتيسير ص ٢٠٩، والنشر ٢/ ٣٨٥.

مُشعِرٌ بالتغاير، وهو من عطف الخاصِّ على العامِّ. وقيل: «والذين أوتوا العلم» من عطف المعنى والصفات، والمعنى: يرفع اللهُ المؤمنين العلماءَ درجاتٍ، فالوصفان لذاتٍ واحدة. وقال ابن مسعود وغيره: تمَّ الكلامُ عند قوله: «منكم»، وانتصب «والذين أوتوا العلم» بفعلٍ مُضمَرٍ تقديره: ويخصُّ الذين أوتوا العلم درجاتٍ، فللمؤمنين رفعٌ، وللعلماء درجات[١].

﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ﴾ استعارة، والمعنى: قبل نجواكم[٢].

وعن ابن عباس وقتادة أنَّ قوماً من المؤمنين وأغفالهم كثُرت مناجاتُهم للرسول عليه الصلاة والسلام في غير حاجة إلَّا لتظهر منزلتُهم، وكان ﷺ سَمْحاً لا يرُدُّ أحداً، فنزلت مشدِّدةً عليهم أمرَ المناجاة.

وهذا الحُكمُ قيل: نُسِخَ قبلَ العملِ به. وقال قتادة: عُمِلَ به ساعةً من نهار. وقال مقاتل: عشرة أيام. وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: ما عَمِلَ به أحدٌ غيري، أردتُ المناجاةَ ولي دينار، فصرَفْتُه بعشرة دراهم، وناجَيْتُ عشر مِرار، أتصدَّق في كلِّ مرَّةٍ بدرهم، ثمَّ ظهرت مشقَّةُ ذلك على الناس، فنزلت الرُّخصة في ترك الصدقة[٣].

وقُرِئ: «صدقاتٍ» بالجمع[٤].

---

(١) الكلام بمعناه في المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٧٦.

(٣) أخرجه بنحوه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٧٣، وإسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية (٤١٤٠)، وابن أبي شيبة (٣٢٧٨٨)، والطبري ٢٢/ ٤٨٣، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٤٧٩ من طريق ليث ـ وهو ابن أبي سليم ـ عن مجاهد، عن علي ﷺ.
وكذلك أخرجه الحاكم ٢/ ٤٨١-٤٨٢ من طريق منصور ـ وهو ابن المعتمر ـ عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن علي. وصححه، ووافقه الذهبي. ووقع في المطبوع رفعُه للنبي ﷺ. قلت: وهو خطأ ظاهر؛ فالذهبيُّ في تلخيصه لم يذكر رفعه، وكذلك الحافظ ابن حجر في إتحاف المهرة ١١/ ٥٤١، ثم إن سياق الكلام يدلُّ على أنه من قول عليٍّ ﷺ.
قلت: والكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٧٩-٢٨٠ مع تقديم وتأخير واختلاف في بعض الألفاظ.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠.

وقال ابن عباس: هي منسوخة بالآية التي بعدها. وقيل: بآية الزكاة[١].

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾: أخِفْتُم من ذهاب المال في الصدقة، أو من العجز عن وجود ما تتصدَّقون به[٢].

﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ ما أُمِرْتُم به، وشقَّ عليكم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ عذَرَكم، ورخَّص لكم في أن لا تفعلوا، فلا تُفرِّطوا في الصلاة والزكاة وأفعال الطاعات[٣].

وقرأ عباس عن أبي عمرو: «خبيرٌ بما يعملون» بالياء من تحت[٤]، والجمهور بالتاء.

❊ ❊ ❊

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ
فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ
وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمۡ
تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ
﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ
ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ
شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ
أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾
كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ
ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ
عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي

(١) الكشاف ٤/ ٧٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠ بنحوه.

(٣) الكشاف ٤/ ٧٧.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٤، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾.

«الذين تولَّوا»: هم المنافقون، والمغضوب عليهم: هم اليهود[١].

عن السُّدِّي ومقاتل أنَّه ﷺ قال لأصحابه: «يدخلُ عليكم رجلٌ قلبُه قلبُ جبَّار، وينظر بعينَي شيطان»، فدخل عبد الله بن نَبْتَل[٢]، وكان أزرقَ أسمرَ قصيراً خفيفَ اللِّحية، فقال عليه الصلاة والسلام: «علامَ تشتِمُني أنت وأصحابُك؟» فحلفَ بالله ما فَعَل، فقال عليه الصلاة والسلام له: «فَعلْتَ»، فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سَبُّوه، فنزلت.

والضمير في «ما هم» عائدٌ على «الذين تولَّوا» وهم المنافقون، أي: ليسوا منكم أيها المؤمنون ولا منهم، أي: ليسوا من الذين تولَّوهم وهم اليهود، و«ما هم» استئناف إخبار بأنَّهم مُذَبْذبون لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: «مَثَلُ المنافق مَثَلُ الشَّاةِ العائِرةِ بين الغَنَمين»[٣]؛ لأنه مع المؤمنين بقوله، ومع الكفار بقلبه.

وقال ابن عطية[٤]: يحتمل تأويلاً آخرَ وهو أن يكون قوله: «ما هم» يريد به اليهود، وقوله: «ولا منهم» يريد به المنافقين، فيجيء فِعْلُ المنافقين على هذا التأويل أحسن؛ لأنَّهم تولَّوا مغضوباً عليهم ليسوا من أنفسهم، فيلزمهم ذِمامهم، ولا من القوم المُحِقِّين فتكون الموالاةُ صواباً. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠.

(٢) تحرف في النسخ إلى: بن سلول، وفي المطبوع إلى: بن أبي بن سلول، والتصويب من المصادر؛ تفسير الثعلبي ٦/ ١٣٥، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٣٨-٤٣٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣١١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٢٥-٣٢٦. وينظر روح المعاني ٢٦/ ٥٢٥.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٤)، وأحمد (٥٠٧٩) من حديث ابن عمر ﷺ. قوله: «العائرة»: المتردِّدة.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٠، وما قبله منه بنحوه.

والظاهر التأويل الأول؛ لأنَّ «الذين تولَّوا» هم المُحدَّثُ عنهم، والضمير في «ويحلفون» عائدٌ عليهم، فتتناسقُ الضمائرُ لهم ولا تختلف، وعلى هذا التأويل يكون «ما هم» استئنافاً. وجاز أن يكون حالاً من ضمير «تولَّوا»، وعلى احتمال ابن عطية يكون «ما هم» صفةً لـ «قوم».

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ إمَّا أنَّهم ما سَبُّوا كما رُوي في سبب النزول[1]، أو على أنَّهم مسلمون، والكذب هو ما ادَّعوه من الإسلام[2].

و«هم يعلمون» جملة حالية، يُقبِّح عليهم إذ حلفوا على خلاف ما أبطنوا، فالمعنى: وهم عالمون متعمِّدون له.

و«العذاب الشديد»: المُعَدُّ لهم في الآخرة.

وقرأ الجمهور: «أيمانهم» جمع يمين. والحسن: «إيمانهم» بكسر الهمزة[3]، أي: ما يُظهرون من الإيمان.

﴿جُنَّةً﴾ أي: ما يتسترون به ويتَّقون المحذور وهو التُّرس[4].

﴿فَصَدُّواْ﴾ أي: أعرضوا، أو صَدُّوا الناس عن الإسلام؛ إذ كانوا يُثبِّطون مَنْ لقوا عن الإسلام، ويُضْعِفون أمرَ الإيمان وأهلِه، أو صَدُّوا المسلمين عن قتلهم بإظهار الإيمان، وقتلُهم هو سبيلُ الله فيهم، لكن ما أظهروه من الإسلام صَدُّوا به المسلمين عن قتلهم[5].

﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ تقدَّم الكلام على هذه الجملة في أوائل آل عمران[6].

(١) زاد المسير ٨/ ١٩٦.
(٢) الكشاف ٤/ ٧٧.
(٣) المحتسب ٢/ ٣١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨١ والكلام منه.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨١.
(٥) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٨١، والكشاف ٤/ ٧٧.
(٦) عند تفسير الآية (١٠) منها.

﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي: لله تعالى، ألا ترى إلى قولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟[١] [الأنعام: ٢٣].

﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أنَّهم مؤمنون، وليسوا بمؤمنين، والعجَبُ منهم كيف يعتقدون أنَّ كُفْرَهم يخفى على عالم الغيب والشهادة، ويُجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطِّلاعهم على كفرهم ونفاقهم، والمقصود أنَّهم مُقيمون على الكذب قد تعوَّدوه حتى كان على ألسنتهم في الآخرة كما كان في الدنيا ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: شيء نافع لهم[٢].

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أحاط بهم من كلِّ جهة، وغلبَ على نفوسهم واستولى عليها[٣]. وتقدَّمت هذه المادَّة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ﴾ في النساء [الآية: ١٤١] وأنَّها من: حاذَ الحمارُ العانة: إذا ساقها وجمَعَها غالباً لها، ومنه: كان أَحْوَذِيًّا نسيجَ وحْدِه[٤].

وقرأ عمر: «استحاذَ»[٥] أخرجَه على الأصل والقياس، و«استَحْوَذَ» شاذٌّ في القياس، فصيحٌ في الاستعمال.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ فهم لا يذكرونه لا بقلوبهم ولا بألسنتهم. و«حزبُ الشيطان»: جندُه. قاله أبو عبيدة[٦].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ﴾ هي أفْعَل التفضيل، أي: في جملة مَنْ هو أذَلُّ خَلْقِ الله تعالى، لا ترى أحداً أذلَّ منهم.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٨.
(٢) الكشاف ٤/ ٧٧-٧٨ بنحوه.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨١.
(٤) هو من كلام عائشة ﵂ في وصف عمر بن الخطاب ﵁، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٨٢١٠)، والحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (٩٦٦)، والطبراني في الأوسط (٤٩١٠)، والصغير (١٠٥١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٧٢). والكلام بتمامه من الكشاف ٤/ ٧٨. والعانة: القطيع من حُمُر الوحش. الصحاح (عون).
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨١.
(٦) الكشاف ٤/ ٧٨، وما بعده منه أيضاً.

وعن مقاتل: لمَّا فتح اللهُ مكةَ للمؤمنين والطائفَ وخيبرَ وما حولها، قالوا: نرجو أن يُظهِرَنا الله على فارس والروم. فقال عبد الله بن أُبيّ: أتظنُّون الرومَ وفارسَ كبعض القرى التي غلبتُم عليها؟ واللهِ إنَّهم لأكْثَرُ عدداً، وأشَدُّ بطشاً من أن تظنُّوا فيهم ذلك. فنزلت ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾[١].

«كتب» أي: في اللوح المحفوظ، أو قضى[٢]. وقال الفرَّاء[٣]: بمعنى قال. و«رُسلي» أي: مَنْ بعثتُ منهم بالحرب، ومَنْ بعثتُ منهم بالحُجَّة[٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ ينصر حزبه ﴿عَزِيزٌ﴾ يمنعه من أن يذِلَّ.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ قال الزمخشري[٥]: من باب التَّخييل، خيَّل أنَّ من المُمتنعِ المُحالِ أن تجد قوماً مؤمنين يُوادُّون المشركين، والغرض منه أنَّه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحَقُّه أن يمتنع ولا يوجد بحالٍ، مبالغةً في النَّهي عنه، والزجر عن ملابسته والتَّصلُّبِ في مُجانبةِ أعداء الله، وزاد ذلك تأكيداً بقوله: ﴿وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾. انتهى.

وبدأ بالآباء؛ لأنَّهم الواجبُ على الأولاد طاعتُهم، فنهاهم عن مُوادَّتهم، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥] ثمَّ ثنَّى بالأبناء؛ لأنَّهم أعلَقُ بالقلوب، ثمَّ أتى ثالثاً بالإخوان؛ لأنَّهم بهم التَّعاضُد، كما قيل:

أخاكَ أخاكَ إنَّ مَنْ لا أخا لَهُ كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ[٦]

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٢٨.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٢٨. والقول الأول في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٨٢، والقول الثاني في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٩.
(٣) تحرف في (د٣) إلى: معاذ، وفي باقي النسخ والمطبوع إلى: قتادة، والتصويب من معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٨٢، والهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧٣٧٣، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٢٨.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٤١، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٣٩.
(٥) في الكشاف ٤/ ٧٨.
(٦) البيت لمسكين الدارمي كما في الكتاب لسيبويه ١/ ٢٥٦، والمستقصى في أمثال العرب ٢/ ٣٩٢، ومعجم الأدباء ١١/ ١٣١، والحماسة البصرية ٢/ ٦٠، وخزانة الأدب ٣/ ٦٥.

ثمَّ رابعاً بالعشيرة؛ لأنَّ بها التناصر، وبهم المقاتلة والتغلُّب والتسرُّع إلى ما دُعوا إليه، كما قال:

لا يسألونَ أخاهُمْ حينَ يَنْدُبُهمْ   في النَّائباتِ على ما قالَ بُرهانا[١]

وقرأ الجمهور: «كَتَبَ» مبنيًّا للفاعل «في قلوبهم الإيمانَ» نصباً، أي: كتبَ اللهُ. وأبو حَيْوة، والمُفضَّل عن عاصم: «كُتِبَ» مبنيًّا للمفعول، و«الإيمانُ» رفع[٢].

والجمهور: «أو عشيرتَهم» على الإفراد. وأبو رجاء على الجمع[٣]. والمعنى: أثبتَ الإيمانَ في قلوبهم، وأيَّدَهم برُوحٍ منه تعالى، وهو الهدى والنور واللُّطف. وقيل: الرُّوح: القرآن. وقيل: جبريل يومَ بدر[٤].

وقيل: الضَّميرُ في «منه» عائدٌ على «الإيمان»، والإنسان في نفسه رُوحٌ يحيا به المؤمن[٥].

والإشارة بـ «أولئك كتب» إلى الذين لا يُوادُّون مَنْ حادَّ الله ورسوله.

قيل: والآية نزلت في حاطب بن أبي بَلْتَعة. وقيل: الظاهر أنَّها متَّصلةٌ بالآيِ التي في المنافقين الموالين لليهود[٦].

وقيل: نزلت في أبي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، كان منه سَبٌّ

(١) البيت لقُرَيْط بن أُنَيف كما في شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ٥، وخزانة الأدب ٧/ ٤٤٤.

(٢) ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٣٠، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٥٤ عن المفضَّل عن عاصم. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٢.

(٣) أي: «عشيراتِهم» كذا في الدر المصون ١٠/ ٢٧٥، واللباب ١١/ ٥٥٩. لكن وقع في روح المعاني ٢٦/ ٥٣٢: «عشائرهم»! قلت: ورُويت قراءة «عشيراتهم» عن علي ﷺ كما في القراءات الشاذة ص ١٥٤، وعن زِرّ بن حُبيش والأعمش عن أبي بكر عن عاصم كما في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٢.

(٥) الكشاف ٤/ ٧٨.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٢، وما قبله منه.

للرسول ﷺ، فصكَّه أبو بكر صَكَّةً سقط منها، فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام: «أو فعلتَه؟» قال: نعم. قال: «لا تَعُدْ» قال: واللهِ لو كان السَّيفُ قريباً منِّي لقتَلْتُه[١].

وقيل: في أبي عبيدة بن الجرَّاح، قتلَ أباه عبد الله بن الجرَّاح يوم أحد. وفي أبي بكرٍ، دعا ابنَه يوم بدر إلى البراز. وفي مصعب بن عُمير، قتلَ أخاه عُبيد بن عُمير يومَ أحد ـ وقال ابن شَوْذَب: يومَ بدر ـ وفي عمر، قتلَ خاله العاص بن هشام يومَ بدر. وفي عليٍّ وحمزة وعُبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عُتبة يومَ بدر[٢].

وقال الواقدي[٣] في قصة أبي عبيدة أنَّه قتل أباه، قال: كذلك يقول أهل الشام، وقد سألتُ رجالاً من بني فِهْرٍ، فقالوا: تُوفِّي أبوه قبل الإسلام. انتهى. يعنون في الجاهلية قبل ظهور الإسلام.

وقد رتبَ المفسِّرون ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ على قصة أبي عبيدة وأبي بكر ومصعب وعمر وعليٍّ وحمزة وعُبيدة مع أقربائهم.

---

(١) نسبه الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٣٦، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٤٠ لابن جريج. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٨٦ لابن المنذر. وأبو أبي بكر: هو أبو قُحافة.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣٧، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٤٠، والكشاف ٤/ ٧٩. ونسبه الثعلبي والواحدي لابن مسعود ﷺ. وهو عندهم دون قول ابن شوذب. وقوله بأنَّ ذلك كان يوم بدر أخرجه الطبراني في الكبير (٣٦٠)، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٠١، والبيهقي في السنن ٩/ ٢٧ مختصراً على قصة أبي عبيدة وحدها. قال الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ١٠٢: وهذا معضل.

(٣) في المغازي ١/ ٢٥٧.

مفردات سورة الحشر

«اللِّينة» قال الأخفش: كأنَّه لونٌ من النَّخيل، أي: ضَرْبٌ منه، وأصلها لُونة؛ قلَبوا الواوَ ياءً لسكونِها وانكسارِ ما قبلها، وأنشد:

قد شجاني الأصحابُ لمَّا تَغنَّوا بفراقِ الأحبابِ من فوقِ لِينَهْ[1]

انتهى. وجَمْعُها لِين، كتَمْرة وتَمْر، وقد كسروه على لِيان، وتكسير ما بينَه وبين واحدِه هاءُ التأنيث شاذٌّ، كَرَطْبة ورُطَب، شذُّوا فيه فقالوا: أرطاب. وقال الشاعر:

وسالفةٍ كسَحُوقِ اللِّيا نِ أضْرَمَ فيها الغَوِيُّ السُّعُرْ[2]

وقال أبو الحجاج الأعلم: اللِّيان جمع لِينة: وهي النخلة. انتهى. وتأتي أقوالُ المفسِّرين في اللِّينة.

«أوجَفَ البعير»: حملَه على الوَجيف: وهو السَّير السريع[3]، تقول: وجَفَ البعيرُ يَجِفُ وَجَفاً ووجيفاً وَوَجفاناً، قال العجَّاج:

---

(١) لم أقف على قائله، وهو في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٤٤ وصدره فيه: قد شجاني الحمامُ حين تغنَّى. وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٤٤، والنكت والعيون ٥/ ٥٠٢، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٤٣-٣٤٥.

(٢) البيت لامرىء القيس كما في الصحاح (لون)، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٤٤، وهو في ديوان امرىء القيس ص ١٦٥ إلا أنَّ فيه: اللُّبان، بدل: اللِّيان. قال شارحه: السالفة: العُنُق. وكسَحوق اللُّبان: كالشجرة في الطول. واللُّبان: شجرة اللُّبان، وهو الكُنْدر. وقال ابن دريد: لا تلتفتنَّ إلى ذلك، فإنَّ شجر اللُّبان لا يبلغ قامةَ الرجل، ولا يُسمى سَحوقاً إلا النخل. جمهرة اللغة ٢/ ٢٩٢ و٣/ ٥٠٥.

(٣) الكشاف ٤/ ٨٢.

ناجٍ طواهُ الأيْنُ ممَّا وَجَفا[1]

وقال نُصَيب:

ألا رُبَّ ركبٍ قد قطعتُ وَجيفَهُمْ إليكَ ولولا أنتَ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ[2]

* * *

سورة الحشر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾.

التفسير هذه السورة مدنية. وقيل: نزلت في بني النَّضير ـ وبنو النَّضير تُعَدُّ من المدينة لتدانيها منها ـ ونزلت في بني النَّضير وكانوا صالحوا رسولَ الله ﷺ على أن

(١) الصحاح (وجف).

(٢) النكت والعيون ٥/٥٠٣. ونُصيب: هو ابن رباح، أبو محجن الأسود، مولى عبد العزيز بن مروان، من فحول الشعراء الإسلاميين. معجم الأدباء ١٩/٢٢٨، والسير ٥/٢٦٦.

لا يكونوا عليه ولا له، فلمَّا ظهرَ يومَ بدرٍ قالوا: هو النبيُّ الذي نَعْتُه في التوراة: لا تُرَدُّ له راية، فلمَّا هُزِمَ المسلمون يومَ أُحدٍ ارتابوا ونكثوا، فخرج كعب بن الأشرف في أربعين راكباً إلى مكة، فحالفوا عليه قريشاً عند الكعبة، فأخبرَ جبريلُ الرسولَ ﷺ بذلك، فأمرَ بقتل كعب، فقتَلَه محمدُ بنُ مَسْلَمة غِيلةً، وكان أخاه من الرَّضاعة[1]، وكان النبيُّ ﷺ قد اطَّلع منهم على خيانةٍ حين أتاهم في دية المُسْلِمَين اللَّذَين قتلهما عمرو بن أمية الضَّمْري مُنْصرفَه من بئر مَعونة، فَهمُّوا بطَرْح الحجر على رسول الله ﷺ، فعصمه الله تعالى، فلمَّا قُتِلَ كعبٌ أُمِرَ عليه الصلاة والسلام بالمسير إلى بني النضير، وكانوا بقرية يُقال لها: الزهرة، فساروا وهو عليه الصلاة والسلام على حمارٍ مَخطوم بليفٍ، فوجدَهم ينوحون على كعب، وقالوا: ذَرْنا نبكي شجوناً، ثم ائتمِرْ أمرَكَ. فقال: اخرجوا من المدينة، فقالوا: الموتُ أقرَبُ لنا من ذلك. وتنادَوا بالحرب. وقيل: استمهلوه عشرةَ أيَّامٍ ليتجهَّزوا للخروج. ودَسَّ المنافقون عبدَ الله بنَ أبيٍّ أن لا يخرجوا من الحصن، فإن قاتلوكم فنحن معكم ولننصرنَّكم، ولئن أُخرِجْتُم لنخرجَنَّ معكم. فدَرَبوا على الأزِقَّة وحصَّنوها، ثمَّ أجمعوا على الغدر برسول الله ﷺ، فقالوا: اخرُجْ في ثلاثين من أصحابك ويخرج مِنَّا ثلاثون ليسمعوا منك، فإنْ صَدَّقوك آمنَّا كلُّنا. ففعل، فقالوا: كيف نفهم ونحن ستُّون؟ اخرُجْ في ثلاثة ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا. ففعل، فاشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك، فأرسلتِ امرأةٌ منهم ناصحةٌ إلى أخيها ـ وكان مسلماً ـ فأخبرَتْه بما أرادوا، فأسرعَ إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فسارَّه بخبرِهم قبل أن يصِلَ الرسولُ إليهم، فلمَّا كان من الغد غدا عليهم بالكتائب، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلةً، فقذفَ اللهُ في قلوبهم الرُّعب، وأيسوا من نصر المنافقين، فطلبوا الصُّلحَ، فأبى عليهم إلَّا الجَلاء، على أن يحمل كلُّ ثلاثةِ أبياتٍ على بعيرٍ ما شاؤوا من المتاع، فجَلَوا إلى الشام إلى أريحا وأذْرِعاتٍ، إلَّا أهلَ بيتين منهم؛ آلَ

(١) المعروف عند أهل العلم أنَّ أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة هو: أبو نائلة سِلْكان بن سلمة بن وَقْش، كما أنَّ محمد بن مَسْلمة هو أخو أبي نائلة من الرضاعة أيضاً. ينظر إكمال المعلم ٦/ ١٧٧، والاستيعاب ص٨٦١، وفتح الباري ٧/ ٣٣٩ وغيرها من المصادر.

أبي الحُقَيق، وآلَ حُيَيِّ بن أخطب، فلَحِقوا بخيبر، ولحِقَتْ طائفةٌ بالحِيرة[١]. وقَبضَ أموالَهم وسلاحَهم، فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضةً، وثلاث مئةٍ وأربعين سيفاً. وكان ابنُ أُبيٍّ قد قال لهم: معي ألفان من قومي وغيرِهم، وتمدُّكم قُريظةُ وحلفاؤكم من غَطَفان، فلمَّا نازلَهم رسولُ الله ﷺ اعتزلَتْهم قُريظةُ، وخذلهم ابنُ أُبيٍّ وحلفاؤهم من غَطَفان[٢].

ومناسبتها لما قبلها أنَّه لمَّا ذكر حالَ المنافقين واليهود وتولِّي بعضِهم بعضاً، ذكرَ أيضاً ما حَلَّ باليهود من غضب الله عليهم وجلائهم وإمكانِ الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ممَّن حادَّ اللهَ ورسولَه، ورامَ الغدرَ بالرسول عليه الصلاة والسلام، وأظهرَ العداوةَ بحِلْفِهم مع قريش.

وتقدَّم الكلامُ في تسبيح الجمادات التي يشملها العمومُ المدلولُ عليه بـ «ما».

﴿مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: هم قُرَيظة، وكانت قبيلةً عظيمةً تُوازن في القدر والمنزلة بني النَّضير ويُقال لهما: الكاهنان؛ لأنَّهما من ولد الكاهن بن هارون، نزلوا قريباً من المدينة في فتن[٣] بني إسرائيل انتظاراً لمحمد ﷺ، فكان من أمرهم ما قصَّه الله تعالى في كتابه.

«من ديارهم» يتعلَّق بـ «أخرج» و«من أهل الكتاب» يتعلَّق بمحذوف، أي: كائنين من أهل الكتاب. وصَحَّتِ الإضافةُ إليهم؛ لأنَّهم كانوا نزلوا ببريَّةٍ لا عمران فيها، فبنَوا فيها وأنشؤوا.

واللام في «لأول الحشر» تتعلَّق بـ «أخرج» وهي لام التوقيت، كقوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ [الإسراء:٧٨]، والمعنى: عند أول الحشر[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ١٣٨-١٤٠، والكشاف ٤/ ٧٩-٨٠.

(٢) زاد المسير ٨/ ٢٠٢ مع تقديم وتأخير.

(٣) هكذا في النسخ وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣٤، وفي أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٥٢: في فنن، وفي روح المعاني ٢٧/ ٧: في فئة من.

(٤) الكشاف ٤/ ٨٠ بنحوه.

والحشر: الجمع للتوجيه إلى ناحيةٍ ما[١].

والجمهور على أنَّ هؤلاء الذين أُخرجوا هم بنو النَّضير. وقال الحسن: بنو قُريظة. ورُدَّ هذا بأنَّ بني قُريظة ما حُشِروا ولا أُجْلُوا، وإنَّما قُتِلوا[٢].

وهذا الحشر هو بالنسبة لإخراج بني النضير. وقيل: الحشرُ هو حشرُ رسول الله ﷺ الكتائبَ لقتالهم، وهو أول حشرٍ منه لهم، وأول قتال قاتلهم. و«أول» يقتضي ثانياً، فقيل: الأول: حشْرُ الجلاء، والثاني: حشْرُ عمر لأهل خيبر وجلاؤهم، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بجلاء أهل خيبر بقوله ﷺ: «لا يبقَيَنَّ دينان في جزيرة العرب»[٣].

وقال الحسن: أرادَ حشْرَ القيامة، أي: هذا أوَّلُه، والقيامُ من القبور آخِرُه.

وقال عكرمة والزُّهري: المعنى: لأول موضعِ الحشر وهو الشام، وفي الحديث أنَّه عليه الصلاة والسلام قال لبني النَّضير «اخرجوا» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»[٤]. وقيل: الثاني: نارٌ تحشرُ النَّاسَ من المشرق إلى المغرب[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٣.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣٥، وعزاه للثعلبي.

(٣) أخرجه أحمد (٢٦٣٥٢)، والطبراني في الأوسط (١٠٧٠) من حديث عائشة ﵂.
وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١٦٩٩) من حديث أبي هريرة ﵁.
وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٨٩٢ عن الزهري مرسلاً.
وينظر تمام تخريجه وبيان طرقه وشواهده في مسند أحمد.

(٤) أخرجه البزار (٣٤٢٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨٥٠)، وابن عدي في الكامل ٤/ ٣٧٣، من حديث ابن عباس ﵄. وفي إسناده أبو سعد البقال سعيد بن المرزبان، وهو ضعيف.
والكلام بنحوه من المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٣-٢٨٤ مع تقديم وتأخير.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ١٤١، والنكت والعيون ٥/ ٤٩٩ عن قتادة. وأخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٨٢، والطبري ٢٢/ ٤٩٩.

وهذا الجلاء كان في ابتداء الإسلام، وأمَّا الآن فقد نُسِخَ، فلا بُدَّ من القتلِ والسَّبيِ أو ضَرْبِ الجزية[١].

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟﴾ لعِظَم أمرِهم ومنعَتِهم وقُوَّتِهم ووَثاقةِ حصونهم وكثرةِ عدَدهم وعُدَدِهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم﴾ تمنعهم حصونهم من حرب الله وبأسه[٢].

ولمَّا كان ظَنُّ المؤمنين مَنفيًّا هنا أُجري مجرى نفي الرَّجاء والطمع، فتسلَّطَ على «أنْ» الناصبة للفعل كما يتسلَّط الرجاءُ والطمعُ، ولمَّا كان ظَنُّ اليهود قويًّا جدًّا يكاد أن يلحق بالعلم تسلَّطَ على «أنَّ» المشدَّدة وهي التي يصحبها غالباً فعل التحقيق ك: علِمْتُ وتحقَّقْتُ وأيقَنْتُ.

و«حصونهم»: الوَطيحُ والنَّطاة[٣] والسُّلَالِم والكُتَيبة.

وقال الزمخشري[٤]: فإن قلتَ: أيُّ فرقٍ بين قولِكَ: وظنُّوا أنَّ حصونَهم تمنعُهم أو مانِعَتُهم، وبين النَّظم الذي جاء عليه؟ قلت: في تقديم الخبر على المبتدأ دليلٌ على فَرْطِ وُثوقِهم بحصانتِها ومَنْعِها إيَّاهم، وفي تصييرِ ضميرِهم اسماً لـ «أنَّ» وإسنادِ الجملة إليه دليلٌ على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عِزَّةٍ ومَنَعةٍ لا يُبالى معها بأحدٍ يتعرَّضُ لهم، أو يطمع في معازَّتهم، وليس ذلك في قولك: وظَنُّوا أنَّ حصونَهم تمنَعُهم. انتهى. يعني: أنَّ «حصونُهم» هو المبتدأ، و«مانعتُهم» الخبر، ولا يتعيَّنُ هذا، بل الراجح أن تكون «حصونُهم» فاعلةً بـ «مانعتهم»؛ لأنَّ في توجيهه تقديماً وتأخيراً، وفي إجازة مثله من نحو: قائِمٌ زيدٌ، على الابتداء والخبر خلافٌ، ومذهب أهل الكوفة مَنْعُه.

﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: بأسه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ أي: لم يكن في حسابهم وهو

---

(١) أحكام القرآن للكيا الطبري ٤/ ٤٠٥.

(٢) الكشاف ٤/ ٨٠.

(٣) تحرفا في النسخ إلى: الوصيم والميضأة، والمثبت من التعريف والإعلام ص ١٦٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢٣٦. وينظر القاموس وتاج العروس (وطح) و(نطو).

(٤) في الكشاف ٤/ ٨٠، والمُعَازَّة: الغلبة.

قتل رئيسهم كعب بن الأشرف. قاله السُّدِّي وأبو صالح وابن جُريج[١]؛ وذلك ممَّا أضعَفَ قوَّتهم ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ فسلبَ قلوبَهم الأمن والطمأنينة، حتى نزلوا على حُكم رسولِ الله ﷺ.

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال قتادة: خَرَّبَ المؤمنون من خارجٍ ليدخلوا، وخَرَّبوا هم من داخلٍ ليخرجوا.

ونحوه قال الضحَّاك والزجَّاج وغيرُهما: كانوا كُلَّما خَرَّبَ المسلمون من حصونهم هدموا هم من البيت وخربوا الحصن.

وقال الزُّهري[٢] وغيره: كانوا لمَّا أُبيحَ لهم ما تستقِلُّ به الإبلُ لا يدَعون خشبةً حسنةً ولا ساريةً إلَّا قلعوها وخربوا البيوت عنها، فيكون ﴿وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾إسناد التخريب إليها من حيث كان المؤمنون محاصرتُهم إيَّاهم داعيةً إلى ذلك. وقيل: شَحُّوا على بقائها سليمةً فخربوها إفساداً.

وقرأ قتادة، والجَحْدريُّ، ومجاهد، وأبو حَيْوة، وعيسى، وأبو عمرو: «يُخَرِّبون» مُشدَّداً[٣]. وباقي السبعة مُخفَّفاً. والقراءتان بمعنًى واحد، عُدِّي «خَرَّبَ» اللازم بالتضعيف وبالهمزة. وقال صاحب «الكامل في القراءات»: التشديد الاختيار على التكثير.

وقال أبو عمرو بن العلاء: خَرَّب بمعنى: هدَمَ وأفسَدَ، وأخرَبَ: تركَ الموضِعَ خراباً وذهب عنه[٤].

﴿فَٱعْتَبِرُوا﴾: تفطَّنوا لِما دبَّرَ اللهُ من إخراجهم بتسليط المؤمنين عليهم من غير

---

(١) هكذا في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣٦. وفي النكت والعيون ٥/ ٩٩ عن ابن جبير والسدي. والكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٨٠.

(٢) تحرف في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٤ ـ والكلام منه ـ إلى: الزهراوي. وأقوال الزهري وقتادة والضحاك أخرجها بنحوها الطبري ٢٢/ ٥٠١-٥٠٢.

(٣) قراءة أبي عمرو في السبعة ص ٦٣٢، والتيسير ص ٢٠٩. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٤.

قتال. وقيل: وعدَ رسولُ الله ﷺ المسلمين أن يُورِثَهم اللهُ أرضَهم وأموالَهم بغير قتال، فكان كما قال[١].

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾أي: لولا أنَّه تعالى قضى أنَّه سيُجليهم من ديارهم ويبقون مُدَّةً يؤمِنُ بعضُهم ويولَدُ لبعضهم من يؤمِن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾بالقتل والسبي كما فعلَ بإخوانهم بني قُريظة. وكان بنو النَّضير من الجيش الذين عصَوا موسى في كونهم لم يقتلوا الغلام ابن ملك العماليق، تركوه لجماله وعقله. وكان موسى عليه السلام قال لهم: لا تستحيوا أحداً، فلمَّا رجعوا إلى بني إسرائيل بالشام وجدوا موسى عليه السلام قد مات، فقال لهم بنو إسرائيل: أنتم عُصاة، واللهِ لا دخلتُم علينا بلادنا. فانصرفوا إلى الحجاز فكانوا فيه، فلم يَجْرِ عليهم الجلاءُ الذي أجلاه بُخْتَنَصَّر على أهل الشام، وكان الله قد كتب على بني إسرائيل جلاءً، فنالهم هذا الجلاءُ على يد محمدٍ ﷺ، ولولا ذلك لعذَّبهم في الدنيا بالسيف والقتل كأهل بدرٍ وغيرهم.

ويقال: جلا القوم عن منازلهم وأجلاهم غيرُهم[٢]. قيل: والفرق بين الجَلاء والإخراج أنَّ الجلاء ما كان مع الأهل والولد، والإخراج قد يكون مع بقاء الأهل والولد. وقال الماوردي[٣]: الجَلاء لا يكون إلَّا لجماعة، والإخراج يكون لواحدٍ ولجماعة.

وقرأ الجمهور: «الجلاء» ممدوداً. والحسن بن صالح وأخوه علي بن صالح مقصوراً. وطلحة مهموزاً من غير ألفٍ كالنَّبأ.

﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾أي: إن نَجَوا من عذاب الدنيا لم يَنْجُوا في الآخرة[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣٩. وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٣٤٣.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٥. وما قبله منه. وينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦.
(٣) في النكت والعيون ٥/ ٥٠١، وما قبله منه.
(٤) الكشاف ٤/ ٨١.

وقرأ طلحة: «ومن يشاقِق» بالإظهار[١] كالمتَّفق عليه في الأنفال[٢]. والجمهور بالإدغام.

كان بعض الصحابة قد شرع في بعض نخل بني النَّضير يقطع ويحرق، وذلك في صدر الحرب، فقالوا: ما هذا الإفسادُ يا محمد وأنت تنهى عن الإفساد؟! فكَفُّوا عن ذلك، ونزل ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ الآية ردًّا على بني النَّضير، وإخباراً أنَّ ذلك بتسويغ الله وتمكينه ليُخْزيَكم به ويُذِلَّكم.

واللِّينة والنَّخلة اسمان بمعنى واحدة. قاله الحسن ومجاهد وابن زيد وعمرو بن ميمون[٣]. وقال الشاعر:

كأنَّ قُتُودي فوقَها عُشُّ طائرٍ ... على لِينةٍ سَوْقاءَ تهفو جُنوبُها[٤]

وقال آخر:

طِراقُ الخوافي واقِعٌ فوقَ لِينةٍ ... ندى ليلةٍ في ريشِهِ يترَقْرَقُ[٥]

وقال ابن عباس وجماعةٌ من أهل اللغة: هي النخلة ما لم يكن عجوة. وقال الثوري: الكريمة من النخل. وقال أبو عبيدة وسفيان: ما تَمْرُها لَوْنٌ، وهو نوعٌ من التمر يقال له: اللَّون. قال سفيان: هو شديد الصُّفرة، يَشِفُّ عن نواه فيُرى من خارج. وقال أيضاً أبو عبيدة: اللِّين: ألوان النخل المختلطة التي ليس فيها

(١) مجمع البيان للطبرسي ٢٨/ ٢٢، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣٩.
(٢) الآية (١٣) منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٥ وما قبله منه.
(٤) البيت لذي الرمَّة، وهو في ديوانه ٢/ ٦٩٩. قال شارحه: القُتود: عيدان الرحل. أراد: كأنَّ قُتودي على نخلةٍ سوقاء، أي: أن الناقة طويلةٌ يصغر الرحلُ عليها. سَوْقاء: طويلة الساق. تهفو: تضطرب.
(٥) البيت لذي الرمَّة أيضاً، وهو في ديوانه ١/ ٤٨٨، وفيه: ريعةٍ، بدل: لينةٍ، وجاء كما ذكر المصنِّف في النكت والعيون ٥/ ٥٠٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٤٤. قال شارح الديوان: طِراق؛ أي: بعضه على بعض. والخوافي: ما دون القوادم من جناح الطائر؛ والرِّيعة: المكان المرتفع. ويترقرق: يجيء ويذهب.

عجوةٌ ولا بَرْنِيٌّ[١]. وقال جعفر بن محمد: هي العجوة[٢]. وقيل: هي الفُسْلان وأنشد فيه:

غرسوا لينةً بمجرى مَعينٍ ثمَّ حُفَّ النخيلُ بالآجامِ[٣]

وقيل: هي أغصان الأشجار للينها[٤]، فعلى هذا لا يكون أصلُ الياء الواو. وقيل: هي النخلة القصيرة. وقال الأصمعي: هي الدَّقَل[٥].

و«ما» شرطية منصوبة بـ «قَطَعْتُم»، و«مِنْ لينةٍ» تبيينٌ لإبهام «ما» وجوابُ الشرط «فبإذن الله» أي: فقَطْعُها أو تَرْكُها بإذن الله.

وقرأ الجمهور: «قائمةً»، أنَّثَ «قائمةً».

والضمير في «تركتموها» على معنى «ما»[٦].

وقرأ عبد الله، والأعمش، وزيد بن علي: «قُوَّماً»[٧] على وزن فُعَّل كضُرَّب، جمع قائم.

وقُرِئ: «قائماً» اسم فاعل[٨]، فذكَّر على لفظ «ما»، وأنَّثَ في «على أصولها».

وقُرِئ: «أُصُلِها» بغير واو[٩].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٨٥. وينظر قول أبي عبيدة الثاني في مجاز القرآن ٢/ ٢٥٦.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٥٧، والنكت والعيون ٥/ ٥٠٢.
(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٥٠٢ ـ والقول فيه ـ دون نسبة، وأورده الحميري في الروض المعطار ص ٦١٧ وفيه: الفسيل، بدل: النخيل، ونسبه لبعض ولد يثرب بن قانية أول من نزل مدينة رسول الله ﷺ، وسُمِّيت باسمه.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٥٠٢.
(٥) هذان القولان في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٥٦-١٧٥٧.
(٦) الكشاف ٤/ ٨١.
(٧) القراءات الشاذة ص ١٥٤ دون ذكر زيد بن علي. وضُبِطت في مطبوعه: «قَوْماً».
(٨) الكشاف ٤/ ٨١.
(٩) المصدر السابق.

ولمَّا جلا بنو النَّضير عن أوطانهم وتركوا رباعهم وأموالهم طلب المسلمون تخميسها كغنائم بدر، فنزل: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ﴾ بيَّنَ أنَّ أموالَهم فيءٌ لم يُوجَفْ عليها خيلٌ ولا ركاب، ولا قطعَتْ مسافةً، إنَّما كانوا ميلين من المدينة، مشَوا مشياً، ولم يركب إلَّا رسولُ الله ﷺ[١].

قال عمر بن الخطاب: كانت أموالُ بني النَّضير لرسول الله ﷺ خاصَّةً يُنفِقُ منها على أهله نفقةَ سنته، ثمَّ يجعل ما بقي في السِّلاح والكُراع عُدَّةً في سبيل الله تعالى[٢].

وقال الضحَّاك: كانت له عليه الصلاة والسلام خاصَّةً، فآثرَ بها المهاجرين وقسمَها عليهم، ولم يُعطِ الأنصارَ منها شيئاً إلَّا أبا دُجانة وسهل بن حُنَيف والحارث بن الصِّمَّة، أعطاهم لفقرهم[٣].

و«ما» في قوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾شرطية أو موصولة، و«أفاء» بمعنى «يفيء»، ولا يكون ماضياً في اللفظ والمعنى؛ لأنَّ جَعْلَ الشرط لا يكون ماضياً في المعنى، وكذلك صلة «ما» الموصولة إذا كانت الفاءُ في خبرها؛ لأنَّها إذ ذاك شُبِّهت باسم الشرط، فإن كانت الآيةُ نزلت قبل جلائهم كانت مخبرةً بغيبٍ فوقع كما أخبرت، وإن كانت نزلت بعد حصول أموالهم للرسول ﷺ كان ذلك بياناً لما يُستقبَل، وحكم الماضي المتقدِّم حكمُه.

و«مِن» في «من خيلٍ» زائدة في المفعول يدلُّ عليه الاستغراق.

والرِّكاب: الإبل، سلَّط الله رسولَه عليهم وعلى ما في أيديهم، كما كان يُسلِّط رسلَه على من يشاء من أعدائهم[٤]. وقال بعض العلماء: كل ما وقع على الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة[٥].

---

(١) تفسير الرازي ٢٩/ ٢٨٥ بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٤)، ومسلم (١٧٥٧)، وأحمد (١٧١). والكُراع. الإبل أو الخيل تُعدُّ للجهاد.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ١٤٤، وتفسير البغوي ٤/ ٣١٦ دون نسبة.

(٤) الكشاف ٤/ ٨٢.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٥ وفيه: كل ما فتح، بدل: وقع.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ قال الزمخشري: لم يَدْخُل العاطفُ على هذه الجملة؛ لأنَّها بيانٌ للأولى، فهي منها غيرُ أجنبيةٍ عنها، بيَّنَ لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه، وأمره أن يضعَه حيث يضع الخُمس من الغنائم مقسوماً على الأقسام الخمسة[١]. انتهى.

وقال ابن عطية[٢]: أهل القرى المذكورون في هذه الآية هم أهل الصَّفراء ويَنْبُع ووادي القرى وما هنالك من قرى العرب التي تُسمَّى قُرى عَرَبيَّة، وحُكْمُها مخالِفٌ لبني النَّضير، ولم يحبِسْ من هذه رسولُ الله ﷺ لنفسه شيئاً، بل أمضاها لغيره، وذلك أنَّها في ذلك الوقت فُتِحت. انتهى. وقيل: إنَّ الآيةَ الأولى خاصَّةٌ في بني النَّضير وهذه الآية عامَّة[٣].

وقرأ الجمهور: «كي لا يكون» بالياء. وعبد الله، وأبو جعفر، وهشام بالتاء[٤].

والجمهور: «دُولةً» بضمِّ الدال ونصب التاء. وأبو جعفر، وأبو حَيْوة، وهشام بضمِّها[٥]. وعليٌّ والسُّلميُّ بفتحها[٦]. قال عيسى بن عمر: هما بمعنى واحد. وقال الكسائي وحُذَّاق البصرة: الفتح[٧] في المُلك بضمِّ الميم؛ لأنَّها الفَعْلة في الدهر. والضمُّ[٨] في المِلك بكسر الميم.

والضمير في «تكون» بالتأنيث عائدٌ على معنى «ما»؛ إذِ المرادُ به الأموال

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٢. والأقسام الخمسة هي المذكورة في سورة الأنفال الآية (٤١): ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦.

(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٩/ ٢٨٤-٢٨٦.

(٤) القراءة عن هشام في التيسير ص ٢٠٩، وعن أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٨٦. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦.

(٥) أي: «دُولةٌ»، وهي في المصادر السابقة دون ذكر القراءة عن أبي حيوة، وهي عنه في تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٥٣.

(٦) أي: «دَولةٌ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦ والكلام منه.

(٧) أي: «دَولةٌ».

(٨) أي: «دُولةٌ».

والمغانم، وذلك الضمير هو اسم «تكون»، وكذلك من قرأ بالياء أعاد الضمير على لفظ «ما»، أي: يكون الفيء.

وانتصب «دولةً» على الخبر، ومن رفع «دولةٌ» ف «يكون» تامة، و«دولةٌ» فاعل، و«كيلا» يكون تعليلاً لقوله: «فلله وللرسول» أي: فالفيء وحُكمُه لله وللرسول يقسمه على ما أمره الله تعالى، كي لا يكون الفيءُ الذي حقُّه أن يُعطى للفقراء بُلغةً يعيشون بها، جَدًّا بين الأغنياء[1] يتكاثرون به، أو كيلا يكون دولةً جاهليةً بينهم كما كان رؤساؤهم يستأثرون بالغنائم ويقولون: مَنْ عَزَّ بزَّ. والمعنى: كي لا يكون أخذُه غلَبَةً وأثرَةً جاهلية.

ورُوي أنَّ قوماً من الأنصار تكلَّموا في هذه القرى المُفتَتَحة وقالوا: لنا منها سهمُنا. فنزل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2].

وعن الكلبي أنَّ رُؤساء من المسلمين قالوا له: يا رسول الله، خُذْ صَفيَّك والرُّبع، ودعنا والباقي، فهكذا كنَّا نفعل في الجاهلية. فنزل﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ الآية[3].

وهذا عامٌّ يدخل فيه قسمةُ ما أفاء الله والغنائمُ وغيرُها، حتى إنَّه قد استُدِلَّ بهذا العموم على تحريم الخمر، وحكم الواشمة والمستوشمة، وتحريم المَخيط للمُحْرِم[4].

ومن غريب الحكايات في الاستنباط أنَّ الشافعيَّ رحمه تعالى قال: سلوني عمَّا شِئتُم أُخبِرْكم به من كتابِ الله تعالى وسُنَّةِ النبيِّ ﷺ. فقال له عبد الله بن محمد بن هارون: ما تقول في المُحْرِمِ يقتل الزُّنبور؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) في النسخ والمطبوع: بلغةً يعيشون بها مبتدأ ولا بين الأغنياء، والمثبت من الكشاف ٤/ ٨٢. والجَدّ: الرزق. اللسان (جدد).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦.

(٣) النكت والعيون ٥/ ٥٠٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦ بنحوه.

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وحدَّثنا سُفيان بن عُيينة، عن عبد الملك بن عُمير، عن رِبعي بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكرٍ وعمر». وحدَّثنا سُفيان بن عُيينة، عن مِسْعَر بن كِدام، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عمر بن الخطاب أنَّه أمر بقتل الزُّنبور[1]. انتهى. يعني في الإحرام، بيَّن أنَّه يُقتدى بعمر، وأنَّ الرسول ﷺ أمر بالاقتداء به، وأنَّ الله تعالى أمر بقبول ما يقول رسول الله ﷺ[2].

❁ ❁ ❁

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

«للفقراء» قال الزمخشري[3]: بدل من قوله: «ولذي القربى» والمعطوفِ عليه، والذي منعَ الإبدالَ مِن «لله وللرسول» والمعطوف عليهما ـ وإن كان المعنى

(١) أخرجه بتمامه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢١٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٧١-٢٧٢.
وقوله: «اقتدوا باللَّذين من بعدي...» أخرجه أحمد (٢٣٢٤٥)، والترمذي (٣٦٦٢).
وقول عمر في قتل الزنبور أورده الشافعي في الأم ٧/ ١٩٨.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٥٥.
(٣) في الكشاف ٤/ ٨٣.

لرسول الله ﷺ - أنَّ الله عزَّ وجلَّ أخرج رسولَه من الفقراء في قوله: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾، وأنَّه يترفَّعُ برسول الله ﷺ عن التسمية بالفقير، وأنَّ الإبدال على ظاهر اللَّفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله عزَّ وعلا. انتهى.

وإنَّما جعله الزمخشريُّ بدلاً من قوله: «ولذي القُربى»؛ لأنَّه مذهَبُ أبي حنيفة؛ لا يستحقُّ ذو القُربى الغنيُّ، إنَّما يستحِقُّ ذو القربى الفقير، فالفقر شرطٌ فيه على مذهب أبي حنيفة، ففسَّرَه الزمخشريُّ على مذهبه، وأمَّا الشافعيُّ فيرى أنَّ سبب الاستحقاق هو القرابة، فيأخذ ذو القربى الغنيُّ لقرابته.

وقال ابن عطية[١]: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بيان لقوله: «والمساكين وابن السبيل» وكُرِّرت لامُ الجرِّ لمَّا كانت الأولى مجرورة باللام؛ لتُبيِّن أنَّ البدل إنَّما هو منها[٢]. انتهى.

وقيل: تتعلَّق اللامُ بما دلَّ عليه قوله: «كيلا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم»، أي: ولكن يكون للفقراء. انتهى.

ثمَّ وصف تعالى المهاجرين بما يقتضي فقرهم ويوجب الإشفاقَ عليهم[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: في إيمانهم وجهادهم قولاً وفعلاً.

والظاهر أنَّ قوله: «والذين تبوَّؤا» معطوفٌ على «المهاجرين» وهم الأنصار[٤]، فيكون قد وقع بينهم الاشتراك فيما يُقسَم من الأموال. وقيل: هو مستأنَفٌ مرفوعٌ بالابتداء، والخبر «يُحِبُّون».

أثنى الله تعالى بهذه الخصال الجليلة كما أثنى على المهاجرين بقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ إلى آخره.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٦-٢٨٧.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٩٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٧.
(٤) الكشاف ٤/ ٨٣، وما قبله منه.

و«الإيمان» معطوفٌ على «الدار» وهي المدينة، و«الإيمان» ليس مكاناً فيُتَبوَّأ[١]. فقيل: هو من عطف الجمل، أي: واعتقدوا الإيمان وأخلصوا فيه. قاله أبو عليّ. فيكون كقوله:

عَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً[٢]

أو يكون ضمَّن «تبوَّؤا» معنى لزموا[٣]، واللُّزوم قَدْرٌ مشتركٌ في الدار والإيمان فيصِحُّ العطف.

أو لمَّا كان الإيمان قد شمِلَهم صار كالمكان الذي يُقيمون فيه، لكن يكون ذلك جمعاً بين الحقيقة والمجاز.

قال الزمخشري[٤]: أو أراد دارَ الهجرة ودارَ الإيمان، فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان، ووضع المُضافَ إليه مقامه. أو سمَّى المدينة ـ لأنَّها دارُ الهجرة ومكانُ ظهور الإيمان ـ بالإيمان.

وقال ابن عطية[٥]: والمعنى: تبوَّؤا الدار مع الإيمان معاً، وبهذا الاقتران يصِحُّ معنى قوله: «من قبلهم» فتأمَّلْه. انتهى.

ومعنى ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: من قبل هجرتهم[٦] ﴿حَاجَةً﴾ هنا، أي: حسداً ﴿مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ أي: ممَّا أُعطي المهاجرون، وتعمُّ الحاجةُ ما فعلَه الرسولُ ﷺ في إعطاء المهاجرين من أموال بني النَّضير والقرى.

﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾من ذلك قصة الأنصاري مع ضيف الرسول ﷺ حيث لم يكن لهم إلَّا ما يأكل الصِّبيةُ، فأوهمهم أنَّه يأكل حتى أكل الضيف، فقال له الرسول

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٧، وما قبله منه.

(٢) عجزه: حتَّى شتَتْ همَّالةً عيناها. وسلف عند تفسير الآية (٧) من سورة البقرة.

(٣) إلى هنا من تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٥٨-٣٥٩ بنحوه.

(٤) في الكشاف ٤/ ٨٣.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٧.

(٦) الكشاف ٤/ ٨٤.

عليه الصلاة والسلام: «عجِبَ اللهُ من فعلكما البارحة»[(١)] فالآية مشيرةٌ إلى ذلك. ورُويَ غيرُ ذلك في إيثارهم.

والخَصاصة: الفاقة، مأخوذةٌ من خَصاص البيت: وهو ما يبقى بين عيدانه من الفُرَج والفُتوح، فكأنَّ حالَ الفقير هي كذلك يتخلَّلها النَّقصُ والاحتياج.

وقرأ أبو حيوة، وابن أبي عبلة: «ومَنْ يُوَقَّ» بفتح الواو وشدِّ القاف[(٢)]. وابن عمر وابن أبي عبلة «شِحَّ» بكسر الشين[(٣)]. والجمهور بإسكان الواو وتخفيف القاف وضمِّ الشين.

والشُّحُّ: اللؤم، وهو كزازة النفس على ما عندها والحرص على المنع، قال الشاعر:

يُمارِسُ نَفْساً بينَ جَنْبَيهِ كَزَّةً ... إذا هَمَّ بالمعروفِ قالَتْ له مَهْلا[(٤)]

وأُضيفَ «الشحُّ» إلى النفس؛ لأنَّه غريزةٌ فيها. وقال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[(٥)] [النساء:١٢٨]، وفي الحديث: «مَنْ أدّى الزكاة المفروضة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النائبة، فقد برئَ من الشُّحِّ»[(٦)].

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٧، وما بعده منه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٨ عن أبي حيوة.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨٨ عن ابن عمر.
(٤) البيت في غرر الخصائص الواضحة ص ٢٨٥ دون نسبة.
(٥) إلى هنا من الكشاف ٤/ ٨٤.
(٦) أخرجه هناد في الزهد (١٠٦٠)، وابن زنجويه في الأموال (١٠٨١)، وابن حبان في الثقات ٤/ ٢٠٢، والطبراني في المعجم الكبير (٤٠٩٦) و(٤٠٩٧) من طريق مجمع بن يحيى بن جارية، عن عمه خالد بن زيد، مرفوعاً. وهذا إسناد مرسل؛ خالد بن زيد ليست له صحبة، وقد عدَّه البخاري في التاريخ الكبير ٣/ ١٥٠، وابن حبان في الثقات ٤/ ٢٠٢ من التابعين. ومع ذلك حسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/ ٥٨!
وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ١٥٢ من طريق محمد بن عبد الوهاب بن أبي تمام العسقلاني، عن سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، عن إسماعيل بن عياش، عن عمارة بن غزية، عن عمه =

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾الظاهر أنَّه معطوفٌ على ما قبله من المعطوف على المهاجرين[١]. فقال الفرَّاء: هم الفرقة الثالثة من الصحابة، وهو من آمن أو كبر في آخر مدَّة النبيِّ ﷺ. وقال الجمهور: أراد مَنْ يجيء من التابعين[٢]. فعلى القول الأول يكون معنى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾أي: من بعد المهاجرين والأنصار السابقين بالإيمان، وهؤلاء تأخَّر إيمانهم، أو سبق إيمانه وتأخَّرت وفاتُه حتى انقرضَ مُعظمُ المهاجرين والأنصار. وعلى القول الثاني يكون معنى ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾أي: من بعد ممات الصحابة مهاجريهم وأنصارهم.

وإذا كان «والذين» معطوفاً على المجرور قبلَه فالظاهر أنَّهم مشاركو مَنْ تقدَّم في حكم الفيء[٣].

وقال مالك بن أوس: قرأ عمر: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾، فقال: هذه لهؤلاء. ثمَّ قرأ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ الآية [الأنفال:٤١] فقال: هذه لهؤلاء. ثمَّ قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾حتى بلغ ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ ثمَّ قال: لئنْ عِشتُ ليأتينَّ الراعي وهو بِسَرْوِ حِمْيَر نصيبُه منها[٤].

= عمر بن حارثة، عن أنس بن مالك ﷺ مرفوعاً. عمر بن حارثة لم أجد له ترجمة.
وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٢/ ٥٣٠-٥٣١، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٨٤٢) من طريق محمد بن إسحاق، عن سليمان بن عبد الرحمن، به. إلا أنه جعل بدل عمارة بن غزية: مجمع بن جارية.
ومحمد بن إسحاق هذا: هو ابن عمرو بن عمر بن عمران أبو الحسن القرشي المؤذن، المعروف بابن الحريص، ختن هشام بن عمار، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٢/ ٢٦، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(١) الكشاف ٤/ ٨٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٨.
(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٥٩-٣٦٠.
(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٨٤، وفي المصنف (٢٠٠٤٠)، وأبو عبيد في الأموال (٥٢٦)، وابن زنجويه في الأموال (٥٨١)، والطبري ٢٢/ ٥١٦. وسَرْو حِمْيَر: منازل حِمْيَر بأرض اليمن. معجم البلدان ٣/ ٨٦.

وعنه أيضاً أنه استشار المهاجرين والأنصار فيما فتح الله عليه من ذلك، في كلام كثيرٍ آخرهُ أنَّه تلا: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ الآية، فلمَّا بلغ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ قال: هي لهؤلاء فقط، وتلا: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾إلى قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ثم قال: ما بقيَ أحدٌ من أهل الإسلام إلَّا وقد دخل في ذلك[1].

وقال عمر رضي الله تعالى عنه: لولا مَنْ يأتي من آخر الناس ما فُتِحَتْ قريةٌ إلَّا قسَمْتُها كما قسَمَ رسولُ الله ﷺ خيبر[2].

وقيل: «والذين جاؤوا من بعدهم» مقطوعٌ ممَّا قبله، معطوفٌ عطف الجمل لا عطف المفردات، فإعرابه «والذين» مبتدأ. نُدِبوا بالدعاء للأولين والثناء عليهم، وهم مَنْ يجيء بعد الصحابة إلى يوم القيامة، والخبر «يقولون»[3]، أخبر تعالى عنهم بأنَّهم لإيمانهم ومحبَّة أسلافهم يقولون: ربَّنا اغفِرْ لنا ولإخواننا. وعلى القول الأول يكون «يقولون» استئنافَ إخبار. قيل: أو حال.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾الآية، نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ ورِفاعة بن التابوت وقومٍ من منافقي الأنصار، كانوا بعثوا إلى بني النَّضير بما تضمَّنَتْه الجُملُ المَحكِيَّة بقوله: «يقولون»[4].

واللَّام في «لإخوانهم» للتبليغ، والأخوَّةُ بينهم أخوَّةُ الكفر وموالاتهم ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾أي: في قتالِكم أحداً من الرسول والمؤمنين، أو «لا نطيع فيكم» أي: في خِذْلانِكم وإخلافِ ما وعدناكم من النُّصرة[5].

و«لننصُرَنَّكم» جوابُ قسَمٍ محذوفٍ قبل «إن» الشَّرطية، وجواب «إنْ» محذوفٌ.

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٦٠.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٣٤)، وأحمد (٢١٣).
(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٥٩-٣٦١ دون قوله: وهم من يجيء بعد الصحابة إلى يوم القيامة، فهو في النكت والعيون ٥/ ٥٠٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٩.
(٥) الكشاف ٤/ ٨٥.

والكثير في كلام العرب إثباتُ اللَّام المؤذِنة بالقسَم قبل أداة الشرط، ومِنْ حَذْفِها قولُه: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ﴾ [المائدة:٧٣] التقدير: ولئِنْ لم ينتهوا لكاذبون، أي: في مواعيدهم لليهود، وفي ذلك دليلٌ على صحَّة النبوَّة؛ لأنَّه إخبارٌ بالغَيب. ولذلك لم يخرجوا حين أُخرِجَ بنو النَّضير، بل أقاموا في ديارهم، وهذا إذا كان قوله: «لإخوانهم»: إنَّهم بنو النَّضير. وقيل: هم يهود المدينة.

والضمائر على هذين القولين متَّفقة[١]. وقيل: فيها اختلاف، أي: لئن أُخرِجَ اليهودُ لا يخرج المنافقون، ولئِنْ قُوتِلَ اليهود لا ينصرهم المنافقون، ولئِنْ نصر اليهودُ المنافقين ليُولِّي اليهودُ الأدبارَ، وكأنَّ صاحبَ هذا القول نظر إلى قوله: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ فقد أخبر أنَّهم لا ينصرونهم، فكيف يأتي «ولئِنْ نصروهم»؟ فأخرجه في حيِّز الإمكان وقد أخبر أنَّهم لا ينصرونهم فلا يمكن نَصْرُهم إيَّاهم بعد إخباره تعالى أنَّه لا يقع[٢].

وإذا كانت الضمائر متَّفِقة فقال الزمخشريُّ[٣]: معناه: ولئِنْ نصروهم على الفرض والتقدير كقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥]، وكما يعلم ما يكون، فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون. وقال ابن عطية[٤]: معناه: ولئن حاولوا[٥] ذلك فإنَّهم ينهزمون. انتهى.

والظاهر أنَّ الضمير في «ليولُّنَّ الأدبارَ» وفي «ثُمَّ لا ينصرون» عائدٌ على المفروض أنَّهم ينصرونهم، أي: ولئِنْ نصرهم المنافقون ليولُّنَّ المنافقون الأدبارَ ثمَّ لا يُنصَرُ المنافقون. وقيل: الضمير في التولِّي عائدٌ على اليهود، وكذا في لا يُنصَرون.

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٥ ببعضه.

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٤٧، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٤٦، والكشاف ٤/ ٨٥، وتفسير الرازي ٢٩/ ٢٨٩، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) في الكشاف ٤/ ٨٥.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٩.

(٥) تحرفت في (يه) و(أ) إلى: قالوا، وفي (ع) والمطبوع إلى: خالفوا. والمثبت من المصدر السابق.

قال ابن عطية(١): وجاءت الأفعالُ غيرَ مجزومةٍ في قوله: «لا يخرجون» و«لا يُنصرون»؛ لأنَّها راجعةٌ على حكم القسَم لا على حكم الشرط، وفي هذا نظر. انتهى.

وأيُّ نظرٍ في هذا؟! وهذا جاء على القاعدة المتَّفق عليها من أنَّه إذا تقدَّم القسَمُ على الشرط كان الجوابُ للقسَم، وحُذِفَ جوابُ الشرط وكان فِعْلُه بصيغة المُضيِّ أو مجزوماً بـ «لم»، وله شرطٌ وهو أن لا يتقدَّمه خبر، واللَّام في «لئِنْ» مُؤذِنةٌ بقسَم محذوفٍ قبله فالجواب له. وقد أجاز الفرَّاء أن يُجاب الشَّرطُ وإن تقدَّم القسَمُ، وردَّه عليه البصريُّون.

ثمَّ خاطب المؤمنين بأنَّ هؤلاء يخافونكم أشدَّ خيفةً من الله تعالى؛ لأنَّهم يتوقَّعون عاجِلَ شَرِّكم ولعدم إيمانهم لا يتوقعون آجلَ عذاب الله، وذلك لقِلَّة فهمهم.

و«رهبةً» مصدر رُهِبَ المبنيِّ للمفعول، كأنَّه قيل: أشَدُّ مرهوبية(٢). فالرَّهْبةُ واقعةٌ منهم لا من المخاطبين، والمخاطبون مرهوبون، وهذا كما قال:

فَلَهْوَ أخْوَفُ عندي إذْ أُكَلِّمُهُ ... وقيلَ إنَّكَ مأسورٌ ومقتولُ
مِنْ ضَيْغَمٍ بِثَراءِ الأرضِ مُخْدَرُهُ ... ببَطْنِ عَثَّرَ غِيْلٌ دونَهُ غِيْلُ(٣)

فالمُخْبَرُ عنه مَخوفٌ لا خائف.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٩.

(٢) الكشاف ٤/ ٨٥.

(٣) البيتان لكعب بن زهير ﷺ، وهما في ديوانه ص ٩٠ هكذا:

لَذاكَ أهْيَبُ عندي إذْ أُكلِّمُهُ ... وقيلَ إنَّكَ مَسبورٌ ومسؤولُ
من ضَيغَمٍ من ضِراء الأُسْدِ مُخْدرةً ... ببطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونَهُ غِيلُ

وهما في جمهرة أشعار العرب ١/ ٢٣٩، والسيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٥١١-٥١٢، والروض الأنف ٤/ ١٩٠، وعيون الأثر ٢/ ٢٤٦، مع اختلاف في بعض ألفاظهما.

عثَّر: اسم موضع تنسب إليه الأُسد. والغِيل: شجرٌ مُلْتَفٌّ يُستَتَر فيه كالأجمة. النهاية (عثر) و(غيل).

والضمير في «صدورهم» قيل: لليهود. وقيل: للمنافقين. وقيل: للفريقين[١]. وجَعْلُ الصُّدور مَقرًّا للرَّهبة دليلٌ على تمكُّنِها منهم بحيث صارت الصُّدورُ مَقرًّا لها، والمعنى: رهبتُهم منكم أشَدُّ من رهبتهم من الله عزَّ وجلَّ.

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أي: بنو النضير وجميع اليهود. وقيل: اليهود والمنافقون ﴿جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين متساندين يعضُدُ بعضُهم بعضاً ﴿إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ لا في الصحراء؛ لخوفهم منكم، وتحصينها بالدروب والخنادق، أو من وراء جدار يتسترون به من أن تصيبوهم[٢].

وقرأ الجمهور: «جُدُر» بضمَّتين، جمع جدار. وأبو رجاء، والحسن، وابن وَثَّاب بإسكان الدَّال مخَفَّفاً. ورُوِيَتْ عن ابن كثير، وعاصم، والأعمش[٣].

وقرأ أبو عمرو، وابن كثير، وكثيرٌ من المكيين: «جِدار» بالألف وكسر الجيم[٤].

وقرأ كثيرٌ من المكيين وهارون عن ابن كثير: «جَدْر» بفتح الجيم وسكون الدال[٥]. قال صاحب «اللوامح»: وهو واحد بلغة اليمن. وقال ابن عطية: ومعناه: أصل بنيان، كالسُّور ونحوه. قال: ويحتمل أن يكون من جَدْر النخل، أي: من وراء نخلهم، إذ هي ممَّا يُتَّقى به عند المُصافَّة[٦].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧٦-٢١٨ والقول الأول نسبه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٢١٧-٢١٨ للفراء، ونسب الثاني لمقاتل، وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٤٦.

(٢) الكلام من الكشاف ٤/ ٨٥ بنحوه. وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٣٤٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٨٩.

(٣) أي: «جُدْر»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٤ عن الحسن، وفي المحتسب ٢/ ٣١٦ عن أبي رجاء. والمشهور عن ابن كثير: «جدار» كما سيأتي، والمشهور عن عاصم «جُدُر» كقراءة الجمهور.

(٤) قراءة أبي عمرو وابن كثير في السبعة ص ٦٣٢، والتيسير ص ٢٠٩.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٩.

(٦) وقع في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٢٨٩: المضايقة.

﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: إذا اقتتلوا بعضُهم مع بعض كان بأسُهم شديداً، أمَّا إذا قاتلوكم فلا يبقى لهم بأس؛ لأنَّ من حارب أولياء الله خُذِل.

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين ذوي أُلفةٍ واتِّحاد ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي: وأهواؤهم مُتفرِّقة، وكذا حال المخذولين لا تستقرُّ أهواؤهم على شيءٍ واحد، وموجب ذلك الشَّتات هو انتفاءُ عقولهم، فهم كالبهائم لا تتَّفِقُ على حالة(١).

وقرأ الجمهور: «شَتَّى» بألف التأنيث. ومُبَشِّر بن عبيد مُنوَّناً(٢)، جعلها أَلِفَ الإلحاق. وعبد الله: «وقلوبهم أشَتُّ»(٣) أي: أشَدُّ تفرُّقاً. ومن كلام العرب: شتَّى تؤوب الحَلَبة(٤). قال الشاعر:

إلى الله أشكو نيَّةً شَقَّتِ العَصا هي اليومَ شَتَّى وهي أمسِ جَميعُ(٥)

* * *

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٤.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٤، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠٠، والنكت والعيون ٥/ ٥٠٨. ووقعت في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠: أشتات.
(٤) ينظر مجمع الأمثال ١/ ٣٥٨.
(٥) البيت لقيس بن المُلَوّح، وهو في ديوانه ص ١٩١. والنيَّة هنا: البُعد. ينظر اللسان (نوي).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

«كَمَثَلِ» خبر مبتدأ محذوف، أي: مَثَلُهم، أي: بني النَّضير ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ وهم بنو قينقاع، أجلاهم الرسولُ ﷺ من المدينة قبل بني النَّضير، فكانوا مَثَلاً لهم. قاله ابن عباس. أو أهلُ بدرٍ الكفارُ، فإنَّهم قَبْلَهم ومَثَلُهم[1] في أن غُلِبوا وقُهِروا.

وقيل: الضمير في «مِن قبلِهم» للمنافقين، و«الذين من قبلهم» منافقو الأمم الماضية، غُلِبوا وذُلُّوا على وجه الدَّهر، فهؤلاء مثلهم. ويُبعِدُ هذا التأويل لفظةُ «قريباً» إنْ جعَلْتَه مُتعلِّقاً بما قبله؛ و«قريباً» ظرف زمان، وإن جعَلْتَه معمولاً لـ «ذاقوا» أي: ذاقوا وبال أمرهم قريباً من عصيانهم، أي: لم تتأخَّرْ عقوبتُهم في الدنيا كما لم تتأخَّرْ عقوبةُ هؤلاء. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لمَّا مَثَّلَهم بمن قبلهم ذكر مَثَلَهم مع المنافقين، فالمنافقون كالشيطان، وبنو النَّضير كالإنسان، والجمهور على أنَّ الشيطان والإنسان اسما جنسٍ، يُورطه في المعصية ثمَّ يفِرُّ منه، كذلك أغوى المنافقون بني النَّضير وحرَّضوهم على الثبات، ووعدوهم النَّصر، فلمَّا نشِبَ[2] بنو النَّضير خذلهم المنافقون وتركوهم في أسوأ حال.

وقيل: المراد استغواءُ الشيطان قريشاً يومَ بدر، وقولُه لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ﴾[3] [الأنفال: ٤٨].

وقيل: التمثيل بشيطانٍ مخصوصٍ مع عابدٍ مخصوصٍ، استودِعَ امرأةً فوقع عليها فحملَتْ، فخشي الفضيحة، فقتلَها ودفنَها، سَوَّل له الشيطان ذلك، ثمَّ شهره،

(١) العبارة في النسخ: فإنَّه عليه السلام قتلهم ومثلهم. والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠ والكلام منه، وما بعده منه أيضاً بنحوه.

(٢) نَشِبَ: عَلِق. اللسان (نشب).

(٣) الكشاف ٤/ ٨٦.

فاستُخرِجَتْ فوُجِدَتْ مقتولةً، وكان قال: إنَّها ماتَتْ ودفَنْتُها، فعلِموا بذلك، فتعرَّض له وقال: اكفُرْ واسجُدْ لي وأُنجيك. ففعل، وتركه عند ذلك وقال: إنِّي بريءٌ منك[١].

وقول الشيطان: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ رياء، ولا يمنعه الخوف عن سوءٍ يوقِعُ فيه ابنَ آدم[٢].

وقرأ الجمهور: «عاقِبَتَهما» بنصب التاء. والحسن، وعمرو بن عبيد، وسليم بن أرقم برفعهما[٣].

والجمهور: «خالِدَين» بالياء حالاً، و«في النَّار» خبر «أنَّ»[٤]. وعبد الله، وزيد بن علي، والأعمش، وابن أبي عَبْلة بالألف[٥]. فجاز أن يكون خبر «أنَّ»

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠. وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/١٥٦-١٥٨ بسياق طويل بإسنادين عن ابن عباس ﷺ، وسمَّى الرجلَ العابدَ بَرْصيصا. وفي الإسناد الأول مقاتل بن سليمان، قال الحافظ في تقريبه: كذَّبوه وهجروه، ورُمي بالتجسيم. وفي الإسناد الثاني عبد الرحمن بن قَبيصة بن ذُؤيب وهو مجهول، وقد ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣٥/٣٣٨، وذكر عنه راوياً ضعيفاً هو أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي.
وأخرجه بنحوه الطبري ٢٢/٥٤٣-٥٤٤، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨٦٠) من طريق محمد بن سعد العوفي، عن عمه، عن أبيه عطية بن سعد العوفي، عن ابن عباس ﷺ. عطية العوفي ومن قبله كلُّهم ضعفاء.
وأخرجه بنحوه مختصراً الخرائطي في اعتلال القلوب (١٩١) من طريق عدي بن ثابت، عن ابن عباس ﷺ. وعدي لا تُعرف له رواية عن ابن عباس.
وأخرجه بنحوه مختصراً أيضاً عبدُ الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٨٤، والطبري ٢٢/ ٥٤٤ عن طاوس.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٤ عن الحسن وسليمان بن أرقم، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠ عن الحسن وعمرو بن عبيد.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥٩. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠١.
(٥) أي: «خالِدان»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٤ عن الأعمش، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠ عن ابن مسعود والأعمش.

والظرف مُلغًى، وإن كان قد أُكّدَ بقوله: «فيها»، وذلك جائزٌ على مذهب سيبويه[١]. ومنع ذلك أهلُ الكوفة؛ لأنَّه إذا أُكِّد عندهم لا يُلغى. ويجوز أن يكون «في النار» خبراً لـ «أنَّ» و«خالدين» خبر ثانٍ[٢]، فلا يكون فيه حُجَّةٌ على مذهب سيبويه.

ولمَّا انقضى في هذه السورة وصْفُ المنافقين واليهود وعظ المؤمنين؛ لأنَّ الموعظةَ بعد ذكر المصيبة لها موقعٌ في النَّفس؛ لرقَّة القلوب، والحذرِ ممَّا يوجب العذاب.

وكرَّر الأمر بالتقوى على سبيل التوكيد[٣]، أو لاختلاف مُتعلَّق التقوى، فالأُولى في أداء الفرائض؛ لأنَّه مقترن بالعمل، والثانية في ترك المعاصي؛ فإنَّه مقترنٌ بالتهديد والوعيد[٤].

وقرأ الجمهور: «ولْتَنْظُرْ» أمراً، واللام ساكنة. وأبو حَيْوة ويحيى بن الحارث بكسرِها. ورُوي ذلك عن حفص عن عاصم. والحسن بكسرها وفتح الرَّاء؛ جعلها لام كي[٥].

ولمَّا كان أمرُ القيامة كائناً لا محالة عبَّرَ عنه بالغد، وهو اليوم الذي يلي يومك، على سبيل التقريب. وقال الحسن وقتادة: لم يَزَلْ يُقَرِّبه حتى جعله كالغد، ونحوُه: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] يريد تقريب الزمان الماضي. وقيل: عبَّر عن الآخرة بالغد كأنَّ الدنيا والآخرة نهاران يومٌ وغَدٌ[٦].

---

(١) الكتاب ٢/ ١٢٥. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٠، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤٦-١٤٧.

(٢) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥٩.

(٣) الكشاف ٤/ ٨٦.

(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠٢، والنكت والعيون ٥/ ٥١١، والكشاف ٤/ ٨٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨٧.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩١ دون قوله: ورُوي ذلك عن حفص عن عاصم. والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

(٦) الكشاف ٤/ ٨٦. وينظر بعضه في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩١.

وقال ابن عطية[١]: ويحتمل أن يريد بقوله: ﴿لِغَدٍۖ﴾ ليوم الموت؛ لأنَّه لكلِّ إنسان كغده. وقال مجاهد وابن زيد: بالأمس: الدنيا، وغد: الآخرة.

وقال الزمخشري[٢]: أمَّا تنكير النَّفس فاستقلالٌ للأنفُس النواظرِ فيما قَدَّمْنَ للآخرة، كأنه قال: فلتنظُرْ نفسٌ واحدة في ذلك. وأمَّا تنكير «الغد» فلتعظيمه وإبهام أمره، كأنَّه قيل: لِغَدٍ لا يُعرَفُ كُنْهُه؛ لعِظَمِه. انتهى.

وقرأ الجمهور: «لا تكونوا» بتاء الخطاب. وأبو حيوة بياء الغَيْبة على سبيل الالتفات.

وقال ابن عطية[٣]: كنايةٌ عن النَّفس التي هي اسم الجنس.

﴿كَٱلَّذِينَ نَسُواْ﴾ هم الكفار، تركوا عبادةَ اللهِ وامتثالَ ما أمرَ واجتنابَ ما نهى. وهذا تنبيهٌ على فَرْط غفلتهم واتِّباع شهواتهم.

﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ حيثُ لم يسْعَوا إليها في الخلاص من العذاب[٤]. وهذا من المجازاة على الذَّنب بالذَّنب، عُوقِبوا على نسيان جهة الله تعالى بأن أنساهم أنفسهم. قال سفيان: المعنى: حظَّ أنفسهم[٥].

ثمَّ ذكر مُباينةَ الفريقين، أصحاب النار في الجحيم، وأصحاب الجنة في النَّعيم، كما قال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ [السجدة:١٨]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[٦] [ص:٢٨].

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ هذا من باب التَّخييل والتمثيل، كما مرَّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ [الأحزاب:٧٢]، دلَّ على ذلك ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩١.
(٢) في الكشاف ٤/ ٨٦.
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩١، والقراءة فيه. وما بعده منه ومن الكشاف ٤/ ٨٧ بنحوه.
(٤) الكشاف ٤/ ٨٧.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩١.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨٨.

نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾، والغرض توبيخُ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تأثُّره لهذا الذي لو أُنزل على الجبل لتخشَّع وتصدَّع، وإذا كان الجبلُ على عِظَمه وتصَلُّبِه يعرضُ له الخشوع والتصدُّع، فابنُ آدم كان أولى بذلك، لكنَّه على حقارتِه وضعفِه لا يتأثَّر[١].

وقرأ طلحة: «مُصَّدِعاً» بإدغام التاء في الصاد[٢]. وأبو السمَّال وأبو دينار الأعرابي: «القَدُّوس» بفتح القاف[٣]. والجمهور بالفَكِّ والضمِّ.

وقرأ الجمهور: «المؤمِن» بكسر الميم، اسم فاعل من آمَنَ بمعنى أمِنَ. وقال ثعلب: المُصَدِّق المؤمنينَ في أنَّهم آمنوا. وقال النَّحَّاس: أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة. وقيل: المُصَدِّقُ نفسَه في أقواله الأزلية[٤].

وقرأ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ـ وقيل: أبو جعفر المدني ـ: «المُؤمَن» بفتح الميم[٥]. قال أبو حاتم: لا يجوز ذلك؛ لأنَّه لو كان كذلك لكان «المؤمَنُ به» وكان جائزاً، لكن «المؤمَن» المطلق بلا حرف جَرٍّ يكون مَنْ كان خائفاً فأُمِّن. وقال الزمخشري[٦]: يعني المؤمَن به على حذف حرف الجرِّ، كما تقول في قوم موسى من قوله: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ [الأعراف:١٥٥] المختارون.

﴿ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ تقدَّم شرحه[٧].

﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد[٨]. وقيل: ﴿ٱلۡجَبَّارُ﴾: الذي لا يُدانيه شيءٌ ولا يُلْحَقُ، ومنه نخلةٌ جبَّارة: إذا لم تُلْحَق[٩]. وقال امرؤ القيس:

---

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ٨٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩١.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٤. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠٤-٤٠٥.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٢. وقول النحاس في إعراب القرآن له ٤/ ٤٠٥.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٤.

(٦) في الكشاف ٤/ ٨٧.

(٧) عند تفسير الآية (٤٨) من سورة المائدة.

(٨) الكشاف ٤/ ٨٧.

(٩) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٢.

سـوامِـقُ جـبَّـارٍ أثـيـثٍ فُـروعُـهُ   وعـالَيْنَ قِنْواناً من البُسرِ أحْمَرا[(١)]

وقال ابن عباس: هو العظيم. وجبروتُه: عظمَتُه. وقيل: هو من الجَبْر: وهو الإصلاح، جَبَرْتُ العظمَ: أصلَحْتُه بعد الكسر[(٢)].

وقال الفرَّاء: من أجْبَره على الأمر: قهره. قال: ولم أسمع فعَّالاً من أفعل إلَّا في جبَّار ودَرَّاك[(٣)]. انتهى. وسُمِعَ أَسْأَرَ فهو سَأَّر[(٤)].

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾: البالغ في الكبرياء والعظمة. وقيل: المتكبِّر عن ظلم عباده.

﴿ٱلْخَٰلِقُ﴾: المُقدِّر لما يوجده ﴿ٱلْبَارِئُ﴾: المُميِّز بعضَه من بعض بالأشكال المختلفة[(٥)] ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾: المُمثِّل.

وقرأ عليٌّ، وحاطب بن أبي بَلْتَعة، والحسن، وابن السَّمَيفع: «المُصَوَّرَ» بفتح الواو والراء[(٦)]. وانتصب مفعولاً بـ «البارىء» وأراد به جنس المُصوَّر.

وعن عليٍّ فتح الواو وكسر الراء[(٧)]، على إضافة اسم الفاعل إلى المفعول، نحو: الضَّاربُ الغلامِ.

---

(١) سلف عند تفسير الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ١٦١.
(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٩٢.
(٤) ينظر الصحاح (سأر).
(٥) الكشاف ٤/ ٨٧.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٢ عن علي ﷺ والكلام منه، والكشاف ٤/ ٨٧-٨٨ عن حاطب، وزاد المسير ٨/ ٢٢٩ عن الحسن وابن السميفع.
(٧) أي: «المُصَوَّرِ»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٢.

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا
جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ
سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ
تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
(٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا
تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ
إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ
(٦) ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧)
لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا
عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩)﴾.

هذه السورة مدنية[١]، ونزلت بسبب حاطب بن أبي بَلْتَعة، كان قد وجَّه كتاباً

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٥٥، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٥٠، والنكت والعيون ٥/ ٥١٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢.

مع امرأةٍ إلى أهل مكة يخبرهم بأنَّ رسول الله ﷺ متوجِّهٌ إليهم لغزوهم، فأطلَعَ اللهُ رسولَه ﷺ على ذلك، ووَجَّه إلى المرأة مَنْ أخَذَ الكتابَ منها، والقصَّةُ مشهورةٌ في كتب الحديث والتفسير(١).

ومناسبة هذه السورة لما قبلها أنَّه لمَّا ذكر فيما(٢) قبلَها حالةَ المنافقين والكفار افتتح هذه بالنهي عن موالاة الكفار والتودُّد إليهم، وأضاف في قوله: «عَدُوِّي» تغليظاً لجُرْمِهم، وإعلاماً بحلول عقاب الله بهم(٣).

والعَدوُّ ينطلق على الواحد وعلى الجمع، و«أولياء» مفعولٌ ثانٍ لـ «تتَّخذوا». «تُلقون» بيانٌ لموالاتهم فلا موضع له من الإعراب، أو استئناف إخبار(٤).

وقال الحَوْفي والزمخشري(٥): حالٌ من الضمير في «لا تتَّخِذوا»، أو صفةٌ لـ «أولياء»، وهذا تقدَّمهما إليه الفرَّاء، قال: «تُلْقون إليهم بالمودّة» من صلة «أولياء»(٦). انتهى.

وعندهم أنَّ النَّكِرة تُوصَلُ، وعند البصريين لا تُوصَل، بل تُوصَف، والحالُ والصِّفة قَيْدٌ، وهم قد نُهوا عن اتِّخاذهم أولياءَ مطلقاً، والتقييد يدلُّ على أنَّه يجوز أن يتَّخذوا أولياءَ إذا لم يكونوا في حال إلقاء المودَّة، أو إذا لم يكن الأولياءُ مُتَّصفين بهذا الوصف، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة: ٥١] فدلَّ على أنَّه لا تُعْتَبر تلك الحال ولا ذلك الوصف.

والإلقاء: عبارةٌ عن الإفضاء بالمودَّة.

ومفعول «تُلقون» محذوفٌ، أي: تُلقون إليهم أخبارَ الرسول ﷺ وأسرارَه.

---

(١) أخرجها البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤)، وأحمد (٦٠٠) عن علي ﷺ. وينظر السيرة النبوية ٢/ ٣٩٨-٣٩٩، وتنظر المصادر السابقة.

(٢) المثبت من (ع) والمطبوع، وفي باقي النسخ: ذكرهما.

(٣) الكشاف ٤/ ٨٩ بنحوه.

(٤) ينظر إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٥٩.

(٥) في الكشاف ٤/ ٨٩.

(٦) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤٧.

والباء في «بالمودَّة» للسبب، أي: بسبب المودَّة التي بينهم. وقال الكوفيون: الباء زائدة كما قيل في: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أي: أيديكم[١].

قال الحَوْفي: وقال البصريون: هي مُتعلِّقةٌ بالمصدر الذي دَلَّ عليه الفعل، وكذلك قوله: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥] أي: إرادته بإلحاد. انتهى. فعلى هذا يكون «بالمودَّة» مُتعلِّقاً بالمصدر، أي: إلقاؤهم بالمودَّة، وهذا ليس بجيِّدٍ؛ لأنَّ فيه حذفَ المصدر وهو موصولٌ، وحَذْفَ الخبر؛ إذ إلقاؤهم مبتدأ، و«بما»[٢] متعَلِّقٌ به.

«وقد كفروا» جملة حالية، وذو الحال الضمير في «تلقون»، أي: توادُّونهم وهذه حالهم وهي الكفر بالله، ولا يناسب الكافر بالله أن يُودَّ. وأجاز الزمخشريُّ[٣] أن يكون حالاً من فاعل «لا تتَّخذوا».

وقرأ الجمهور: «بما جاءكم». والجَحْدريُّ والمُعلَّى عن عاصم: «لِما» باللَّام مكان الباء[٤]، أي: لأجل ما جاءكم.

«يُخْرِجون الرسولَ» استئنافٌ كالتفسير لكفرهم، أو حالٌ من ضمير «كفروا»[٥].

«وإيَّاكم» معطوفٌ على «الرسول»، وقَدَّم على «إيَّاكم» «الرسولَ»؛ لشرفه، ولأنَّه الأصلُ للمؤمنين به، ولو تقدَّم الضميرُ لكان جائزاً في العربية خلافاً لمن خَصَّ ذلك بالضرورة، قال: لأنَّك قادرٌ على أن تأتي به مُتَّصلاً، فلا تفصِلْ إلَّا في الضرورة، وهو محجوجٌ بهذه الآية، وبقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وقدَّم الموصولَ هنا على المخاطبين للسَّبْق في الزمان، وبغير ذلك من كلام العرب.

---

(١) الكشاف ٤/ ٨٩ بنحوه، وما قبله منه أيضاً.

(٢) في الدر المصون ١٠/ ٢٩٨، واللباب ١٩/ ٦: «بالمودة» بدل «بما».

(٣) في الكشاف ٤/ ٨٩.

(٤) الكشاف ٤/ ٨٩ عن الجحدري والكلام منه، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٤ عن المعلى عن عاصم. والمشهور عن عاصم كقراءة الجمهور.

(٥) الكشاف ٤/ ٨٩.

و«أن تؤمنوا» مفعولٌ من أجله، أي: يخرجون لإيمانكم أو كراهةَ إيمانكم، «إن كنتم خرجتُم» شرطٌ جوابه محذوف؛ لدلالة ما تقدَّم عليه وهو قوله: «لا تتَّخِذوا عدوِّي» ونصب «جهاداً» و«ابتغاءً» على المصدر في موضع الحال، أي: مجاهدين ومبتغين، أي: على أنَّه مفعولٌ من أجله[١].

«تُسِرُّون» استئناف، أي: تُسِرُّون وقد علمتم أنِّي أعلمُ الإخفاء والإعلان، وأُطْلِعُ الرسول ﷺ على ذلك، فلا طائل في فِعْلِكم هذا[٢].

وقال ابن عطية[٣]: «تُسِرُّون» بدل من «تُلْقون». انتهى. وهو شبيه ببدل الاشتمال؛ لأنَّ الإلقاءَ يكون سِرًّا وجهراً، فهو ينقسم إلى هذين النوعين. وأجاز أيضاً أن يكون خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ تقديره: أنتم تسِرُّون.

والظاهر أنَّ «أعْلَم» أفعَلُ تفضيلٍ؛ ولذلك عدَّاه بالباء. وأجاز ابنُ عطية أن يكون مضارعاً وعُدِّي بالباء. قال: لأنَّكَ تقول: علمتُ بكذا، و«أنا أعلم» جملة حالية.

والضمير في «ومَنْ يفعَلْه» الظاهر أنَّه إلى أقرب مذكور، أي: ومن يفعل الإسرار. وقال ابن عطية: يدلُّ على الاتِّخاذ. وانتصب «سواءَ» على المفعول به على تقدير تعدِّي «ضَلَّ»، أو على الظرف على تقدير اللزوم. والسَّواء: الوَسَط.

ولمَّا نهى المؤمنين عن اتِّخاذ الكفار أولياءَ، وشرحَ ما به الولايةُ من إلقاء المودَّة إليهم، وذكرَ ما صنع الكفارُ بهم أولاً من إخراج الرسول ﷺ والمؤمنين، ذكر صنيعَهم آخراً لو قدروا عليه من أنَّه إنْ تمكَّنوا منه تظهَرْ عداوتُهم لكم، ويبسطوا أيديَهم بالقتل والتعذيب، وألسنتَهم بالسبِّ، ووَدُّوا لو ارتدَدْتُم عن دينكم الذي هو أحَبُّ الأشياء إليكم، وهو سبب إخراجهم إيَّاكم.

قال الزمخشريُّ[٤]: فإن قلت: كيف أورد جوابَ الشرط مضارعاً مثلَه ثم قال:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٤.
(٢) الكشاف ٤/ ٨٩.
(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٤.
(٤) في الكشاف ٤/ ٩٠.

«وَدُّوا» بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب فإنَّ فيه نُكتةً، كأنَّه قيل: ووَدُّوا قبلَ كلِّ شيءٍ كُفرَكم وارتدادَكم، يعني أنَّهم يريدون أن يُلحِقوا بكم مَضارَّ الدنيا والدين جميعاً. انتهى.

وكأنَّ الزمخشريَّ فَهِمَ من قوله: «ووَدُّوا» أنَّه معطوفٌ على جواب الشرط، فجعل ذلك سؤالاً وجواباً، والذي يظهر أنَّ قوله: «ووَدُّوا» ليس على جواب الشرط؛ لأنَّ وِدادتَهم كفرَهم ليست مترتِّبةً على الظَّفرِ بهم والتسلُّطِ عليهم، بل هم وادُّون كُفْرَهم على كلِّ حال، سواءً أظَفِروا بهم أم لم يَظْفَروا، وإنَّما هو معطوفٌ على جملة الشرط والجزاء، أخبر تعالى بخبرين أحدهما اتِّضاحُ عداوتِهم والبَسطُ إليهم ما ذُكِرَ على تقدير الظَّفَرِ بهم، والآخرُ وِدادتُهم كُفْرَهم، لا على تقدير الظَّفَرِ بهم.

ولمَّا كان حاطبٌ قد اعتذر بأنَّ له بمكة قرابةً فكتبَ إلى أهلها بما كتب ليرْعَوه في قرابته، قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ أي: قراباتكم الذين تُوالون الكفارَ من أجلهم، وتتقرَّبون إليهم مُحاماةً عليهم[1].

و«يومَ» معمولٌ لـ «تنفعَكم» أو لـ «يَفْصِل»[2].

وقرأ الجمهور: «يُفْصَلُ» بالياء مُخفَّفاً مبنيًّا للمفعول. وقرأ الأعرج، وعيسى، وابنُ عامر كذلك إلَّا أنَّه مُشَدَّدٌ[3]. والمرفوع إما «بينَكم» وهو مبنيٌّ على الفتح لإضافته إلى مبنيٍّ، وإمَّا ضمير المصدر المفهوم من «يُفصَلُ» أي: يُفصَلُ هو، أي: الفصل.

وقرأ عاصم، والحسن، والأعمش: «يَفْصِلُ» بالياء مخفَّفاً مبنيًّا للفاعل. وحمزة، والكسائي، وابن وَثَّاب مبنيًّا للفاعل وبالياء مضمومةً مشدَّداً[4]. وأبو حَيْوة

(١) الكشاف ٤/ ٩٠ ببعضه.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٤-٢٩٥.
(٣) أي: «يُفَصَّلُ»، والقراءة عن ابن عامر في السبعة ص ٦٣٣، والتيسير ص ٢١٠. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥.
(٤) أي: «يُفَصِّلُ»، وتنظر المصادر السابقة.

وابنُ أبي عَبْلة كذلك، إلَّا أنَّه خُفِّف[١]. والنَّخَعي وطلحة كذلك إلّا أنَّه بالنون مُشدَّداً[٢]. وهما أيضاً وزيد بن علي بالنون مفتوحةً مخفَّفاً مبنيًّا للفاعل[٣]. وأبو حَيْوة أيضاً بالنون مضمومة مُخفَّفاً[٤]، فهذا ثماني قراءات.

ولمَّا نهى عن موالاة الكفَّار ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنَّ من سيرته التبرُّؤ من الكفَّار؛ ليقتدوا به في ذلك ويتأسَّوا.

وقرأ الجمهور: «إِسْوَةٌ» بكسر الهمزة. وعاصم بضمِّها[٥]، وهما لُغتان.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ قيل: مَنْ آمنَ به. وقال الطبريُّ وغيره: الأنبياء معاصروه، أو كانوا قريباً من عصره؛ لأنَّه لم يُرْوَ أنَّه كان له أتباعٌ مؤمنون في مكافحته لِنُمروذ، ألا تراه قال لسارة حين رحل إلى الشام مهاجراً من بلد نُمروذ: ما على الأرض مَنْ يعبدُ اللهَ غيري وغيرَكِ[٦].

والتأسِّي بإبراهيم عليه السلام هو في التبرُّؤ من الشِّرك، وهو في كلِّ ملَّةٍ، وبرسولِنا عليه الصلاة والسلام على الإطلاق في العقائد وأحكام الشرع[٧].

وقرأ الجمهور: «بُرَآء» جمع بريء، كظريف وظُرفاء. وعيسى: «بِراء»[٨] جمع بريء أيضاً، كظريف وظِراف. وأبو جعفر بضمِّ الباء[٩]، كتُؤَام وظُؤَارٍ، فهو اسم

(١) أي: «يُفْصِلُ»، وهي في تفسير الثعلبي ٦/ ١٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥ عن أبي حيوة.
(٢) أي: «نُفَصِّلُ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٥ عن طلحة، وفي تفسير الثعلبي ٦/ ١٦٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥ عنهما.
(٣) أي: «نَفْصِلُ».
(٤) أي: «نُفْصِلُ».
(٥) السبعة ص ٦٣٣، والتيسير ص ٢١٠.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥. وقول الطبري في تفسيره ٢٢/ ٥٦٦.
(٧) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٠٣.
(٨) القراءات الشاذة ص ١٥٥، والمحتسب ٢/ ٣١٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥.
(٩) أي «بُراء»، وهي عنه في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥، والمشهور عن أبي جعفر كقراءة الجمهور.

جمع، الواحد بَريءٌ وتَوْأَمٌ وظِئْرٌ. ورُوِيَتْ عن عيسى. قال أبو حاتم: زعموا أنَّ عيسى الهَمْدانيَّ رَوَوا عنه «بَراء» على فَعال، كالذي في قوله تعالى: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ في الزخرف [الآية:٢٦]، وهو مصدرٌ على فَعَال يُوصَف به المفرد والجمع[١].

وقال الزمخشري: «وبُراء» على إبدال الضمِّ من الكسر، كرُخال ورُباب[٢]. انتهى. فالضمَّة في ذلك ليست بدلاً من كسرة، بل هي ضمَّة أصلية، وهو وزنٌ من أوزان الجموع، وليس جمعَ تكسير فتكون الضمَّةُ بدلاً من الكسرة.

«إلَّا قولَ إبراهيم» استثناءٌ من قوله: «أسوة حسنة». قاله قتادة[٣] والزمخشري[٤]. قال مجاهد وقتادة وعطاء الخراساني وغيرُهم: المعنى: أنَّ الأسوة لكم في هذا الوجه لا في هذا الآخر، لأنَّه كان لعلةٍ ليست في نازلتكم[٥].

وقال الزمخشري[٦]: فإن قلت: فإن كان قولُه: «لأستغفِرَنَّ لك» مستثنًى من القول الذي هو «أسوة حسنة»، فما بالُ قوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ وهو غير حقيق بالاستثناء، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؟ [الفتح: ١١] قلت: أراد استثناءَ جملةِ قوله: «لأبيه»، والقصدُ إلى موعد الاستغفار له، وما بعدَه مبنيٌّ عليه وتابعٌ له، كأنَّه قال: أنا أستغفِرُ لكَ، وما في طاقتي إلَّا الاستغفار. انتهى.

وقال الزمخشري أيضاً بعد أن ذكر أنَّ الاستثناء هو من قوله: «أسوةٌ حسنةٌ» قال: لأنَّه أراد بالأسوة الحسنة قولَهم الذي حَقَّ عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سُنَّةً يستَنُّون بها. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥ بنحوه.
(٢) الكشاف ٤/ ٩١. والرُّخال؛ جمع رِخْل: وهي الأنثى من أولاد الضأن. والرُّباب؛ جمع الرُّبَّى: وهي الشاة التي وضعت حديثاً. اللسان (رخل) و(ربب).
(٣) فيما ذكره الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٥١٨.
(٤) في الكشاف ٤/ ٩٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥.
(٦) في الكشاف ٤/ ٩٠-٩١.

والذي يظهر أنَّه مستثنًى من مضافٍ لإبراهيم، تقديره: أسوةٌ حسنةٌ في مقالاتِ إبراهيم ومحاوراتِه لقومه «إلَّا قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنَّ لك» فليس فيه أسوةٌ حسنةٌ، فيكونُ على هذا استثناءً متَّصلاً، وأمَّا أن يكون قولُ إبراهيم مندرجاً في «أسوةٌ حسنةٌ» لأنَّ معنى الأسوة هو الاقتداء والتأسِّي؛ فالقول ليس مندرجاً تحتَه، لكنَّه مندرجٌ تحت مقالات إبراهيم عليه السلام.

وقال ابن عطية[١]: ويحتمل أن يكون الاستثناء من التَّبرِّي والقطيعة التي ذُكِرَتْ، [أي]: لم تُبْقِ صِلةً إلَّا كذا. انتهى.

وقيل: هو استثناء منقطع، المعنى: لكِنْ قولُ إبراهيم لأبيه: لأستغفِرنَّ لك، فلا تأسَّوا به فيه فتستغفروا وتَعِدوا آباءَكم الكفارَ الاستغفار[٢].

«ربَّنا عليك توكَّلنا» وما بعده، الظاهر أنَّه من تمام قولِ إبراهيم مُتَّصلاً بما قبل الاستثناء، وهو من جملة ما يتأسَّى به، وفصل بينهما بالاستثناء اعتناءً بالاستثناء، ولِقُرْبه من المستثنى منه. ويجوز أن يكون أمراً من الله للمؤمنين، أي: قولوا: ربَّنا عليكَ توكَّلْنا، عَلَّمهم بذلك قطعَ العلائق التي بينهم وبين الكفار[٣].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ قال ابن عباس: لا تُسَلِّطْهم علينا فيفتنونا ويُعذِّبونا[٤]. وقال مجاهد: لا تُعَذِّبْنا بأيديهم أو بعذاب من عندك، فيظنُّوا أنَّهم مُحِقُّون وأنَّا مُبْطِلون، فيُفتنوا لذلك[٥]. وقال قريباً منه قَتادة وأبو مِجْلَز[٦]. وقولُ ابن عباس أرجَحُ؛ لأنَّه دعاءٌ لأنفسهم، وعلى قول غيره: دعاءٌ للكفَّار.

والضمير في «فيهم» عائدٌ على إبراهيم والذين معه[٧]. وكُرِّرَتِ الأسوة تأكيداً،

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٥، وما بين حاصرتين الآتي منه.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٠٤. وينظر النكت والعيون ٥/ ٥١٨.
(٣) الكشاف ٤/ ٩١.
(٤) أخرجه الطبري ٢٢/ ٥٦٩. وهو في النكت والعيون ٥/ ٥١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٦.
(٥) أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٥٦٩. وهو في النكت والعيون ٥/ ٥١٨.
(٦) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٦.
(٧) تفسير الطبري ٢٢/ ٥٧٠، وتفسير البغوي ٤/ ٣٣٠، وزاد المسير ٨/ ٢٣٥.

وأُكِّدَ ذلك بالقَسَم أيضاً[١].

و«لِمَنْ يرجو» بدل من ضمير الخطاب، بدل بعض من كلٍّ.

ورُوي أنَّه لمَّا نزلت هذه الآية عزم المسلمون على إظهار عداوات أقربائهم الكفار، ولَحِقَهم همٌّ؛ لكونهم لم يؤمنوا حتى يتوادُّوا، فنزل: ﴿عَسَى ٱللَّهُ﴾ الآية، مؤنِسةً ومُرجِئةً، فأسلم الجميعُ عام الفتح، وصاروا إخواناً، ومَنْ ذكَرَ أنَّ هذه المودَّة هي تزويج النبيِّ ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأنَّها كانت بعد الفتح، فقد أخطأ؛ لأنَّ تزويجها كان وقت هجرة الحبشة، وهذه الآيات سنة ستٍّ من الهجرة، ولا يصِحُّ ذلك عن ابن عباس إلَّا أن يسوقه مثالاً وإن كان مُتقدِّماً لهذه الآية؛ لأنَّه استمرَّ بعد الفتح كسائر ما نشأ من المَوَدَّات. قاله ابن عطية[٢].

و«عسى» من الله تعالى واجبةُ الوقوع.

﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتيسير العسير ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن أسلَم من المشركين[٣].

﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، قال مجاهد: نزلت في قومٍ بمكة آمنوا ولم يهاجروا، فكانوا في رتبة سوءٍ؛ لتركهم فرض الهجرة. وقيل: في مؤمنين من أهل مكة وغيرها تركوا الهجرة. وقال الحسن وأبو صالح: في خُزاعة وبني الحارث بن كعب وكِنانة ومُزَينة وقبائل من العرب كانوا مظاهرين للرسول مُحبِّين فيه وفي ظهوره. وقيل: فيمَنْ لم يقاتِلْ ولا أُخرِجَ ولا أظهر سوءاً من كفَّار قريش. وقال مُرَّة الهَمْداني وعطية العَوْفي: في قوم من بني هاشم منهم العباس. وقال عبد الله بن الزُّبير: في النساء والصبيان من الكَفَرة. وقال النحَّاس والثعلبي: أرادَ المستضعفين من المؤمنين الذين لم يستطيعوا الهجرة. وقيل: قدِمَتْ على أسماء بنت أبي بكر

---

(١) الكشاف ٤/ ٩١ بنحوه.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٦، وما قبله وما بعده منه أيضاً.

(٣) الكشاف ٤/ ٩١.

رضي الله تعالى عنها أمُّها قُتَيلة[١] بنت عبد العُزَّى وهي مشركةٌ بهدايا فلم تقبَلْها، ولم تأْذَن لها بالدخول، فنزلت الآية، فأمرَها رسولُ الله ﷺ أن تُدخِلَها وتقبلَ منها، وتُكرِمَها وتُحسِنَ إليها. قال ابن عطية[٢]: وكانت المرأة خالَتها فيما رُوي، فسمَّتْها أمًّا.

وفي «التحرير» أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه طَلَّقَ امرأتَه قُتَيلة في الجاهلية وهي أمُّ أسماء بنت أبي بكر، فقدِمَتْ في المدَّة التي فيها الهدنة، وأهدَتْ إلى أسماء قُرْطاً وأشياءَ، فكرِهَتْ أن تقبلَ منها، فنزلت الآية.

و«أنْ تبَرُّوهم» و«أنْ تَوَلَّوْهُم» بدلان ممَّا قبلَهما بدل اشتمال[٣].

❁ ❁ ❁

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

كان صلحُ الحُديبية قد تضمَّنَ أنَّ مَنْ أتى أهل مكة من المسلمين لم يُرَدَّ إليهم،

---

(١) تحرف في النسخ والمطبوع هنا وفي الموضع الآتي إلى: نُفيلة، والمثبت من المصادر. وقصتها الآتية أخرجها ابن سعد ٨/ ٢٥٢، وأحمد (١٦١١١)، والطبري ٢٢/ ٥٧٢، والحاكم ٢/ ٤٨٥-٤٨٦ من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧، وما قبله بتمامه منه مع تقديم وتأخير.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦٠.

ومن أتى المسلمينَ من أهل مكة رُدَّ إليهم، فجاءت أمُّ كلثوم وهي بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، وهي أول امرأةٍ هاجرت بعد هجرة رسول الله ﷺ في هدنة الحُديبية، فخرج في أثرِها أخواها عُمارة والوليد، فقالا: يا محمد، أوْفِ لنا بشَرْطِنا. فقالت: يا رسول الله، حالُ النِّساء إلى الضعف كما قد علمتَ، فترُدَّني إلى الكفار يفتنوني عن ديني؟! ولا صبرَ لي. فنقض اللهُ العهدَ في النِّساء، وأنزل فيهنَّ الآية، وحكَمَ بحُكمٍ رَضُوه كلُّهم[1].

وقيل: سببُ نزولِها سُبيعة بنت الحارث الأَسْلَميَّة، جاءت الحُديبية مُسلِمةً، فأقبلَ زوجُها مسافر المخزومي ـ وقيل: صيفي بن الراهب ـ فقال: يا محمد، اردُدْ عليَّ امرأتي، فإنَّك قد شرطْتَ لنا أنْ تَرُدَّ علينا مَنْ أتاك منَّا، وهذه طينةُ الكتاب لم تَجِفَّ. فنزلت بياناً أنَّ الشَّرط إنَّما كان في الرجال دون النساء[2].

وذكر أبو نُعيم الأصبهاني أنَّ سبب نزولها أُميمةُ بنت بشر بن عمرو بن عوف امرأةُ حسان بن الدَّحداحة[3].

وسمَّاهُنَّ تعالى مؤمناتٍ قبل أن يُمْتَحَنَّ، وذلك لنُطقهِنَّ بكلمة الشهادة ولم يظهر منهنَّ ما يُنافي ذلك، أو لأنَّهنَّ مُشارفاتٍ لثبات إيمانهنَّ بالامتحان[4].

وقُرِئ: «مهاجراتٌ»[5] بالرفع على البدل من المؤمنات.

وامتحانهنَّ؛ قالت عائشة: بآية المبايعة[6]. وقيل: بأن يَشْهَدْنَ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله[7].

(١) زاد المسير ٨/٢٣٨-٢٣٩.
(٢) الكشاف ٤/٩٢.
(٣) المحرر الوجيز ٥/٢٩٧.
(٤) الكشاف ٤/٩٢.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٥.
(٦) أخرجه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦)، وأحمد (٢٦٣٢٦).
(٧) أخرجه الطبري ٢٢/٥٧٦-٥٧٧.

وقال ابن عباس: بالحَلِفِ أنَّها ما خرجَتْ إلَّا حُبًّا لله ورسوله، ورغبةً في دين الإسلام[١].

وقال ابن عباس أيضاً ومجاهد وقتادة وعكرمة: كانت تُستَحلَفُ أنَّها ما هاجرت لبُغضٍ في زوجها، ولا لجريرةٍ جَرَّتْها، ولا لسببٍ من أغراض الدنيا، سوى حُبِّ اللهِ ورسولِه والدَّارِ الآخرة[٢].

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾ لأنَّه تعالى هو المُطَّلعُ على أسرار القلوب ومُخبَّآت العقائد ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ أطلق العلمَ على الظنِّ الغالب بالحَلِفِ، وظهورِ الأمارات بالخروج من الوطن، والحلولِ في قومٍ ليسوا من قومِها، وبين علَّة انتفاء رجعِهِنَّ إلى الكفارِ أزواجِهنَّ، وذلك هو التحريم بين المسلمة والكافر.

وقرأ طلحة: «لا هُنَّ يَحْلُلْنَ لهم»[٣].

وانعقد التحريم بهذه الجملة، وجاء قوله: ﴿وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ على سبيل التأكيد وتشديد الحُرمة؛ لأنَّه إذا لم تحِلَّ المؤمنة للكافر عُلِمَ أنَّه لا حِلَّ بينهما البتة. وقيل: أفاد قولُه: ﴿وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ استمرارَ الحكم بينهم فيما يُستقبَلُ، كما هو في الحال ما داموا على الإشراك وهُنَّ على الإيمان.

﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ أمر أن يُعطى الزوجُ الكافرُ ما أنفق على زوجه إذا أسلَمتْ، فلا يُجمَعُ عليه خُسران الزوجية والمالية[٤].

قال ابن عباس: أعطى رسولُ الله ﷺ بعد امتحانها زوجَها الكافرَ ما أنفقَ عليها، فتزوَّجها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وكان إذا امتحنَهُنَّ أعطى أزواجهنَّ مهورهنَّ[٥].

---

(١) أخرجه الحارث بن أبي أسامة كما في بغية الباحث (٧٢٢)، والبزار كما في كشف الأستار (٢٢٧٢)، والطبري ٢٢/ ٥٧٥.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧. ووقع في المطبوع: «يحلّان».

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٧٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ١٦٩-١٧٠.

وقال قتادة: الحكم في رَدِّ الصَّداق إنَّما كان في نساء أهل العهد، فأمَّا مَنْ لا عهدَ بينَه وبين المسلمين فلا يُرَدُّ عليه الصَّداق. والأمرُ كما قال قتادة[١].

ثُمَّ نفى الحرجَ في نكاح المؤمنين إيَّاهُنَّ إذا آتوهُنَّ مُهورهُنَّ، ثمَّ أمر تعالى بفراق نسائهِنَّ الكوافرِ عوابدِ الأوثان.

وقرأ الجمهور: «تُمْسِكوا» مضارع أمْسَكَ، كأبْرَمَ. وأبو عمرو، ومجاهد بخلافٍ عنه، وابن جُبير، والحسن، والأعرج مضارع مَسَّكَ مشدَّداً[٢]. والحسن أيضاً، وابنُ أبي ليلى، وابن عامر في رواية عبد الحميد، وأبو عمرو في رواية معاذ[٣]: «تَمَسَّكوا» بفتح الثلاثة، مضارع تَمسَّكَ محذوف التاء، أي: «تتمسكوا». والحسن أيضاً: «تَمْسِكوا» بكسر السين، مضارع مَسَكَ ثلاثيًّا.

وقال الكَرْخي: الكوافر يشملُ الرجال والنساء، فقال له الفارسي: النَّحْويُّون لا يَرَوْنَ هذا إلَّا في النساء جمع كافرة. وقال: أليس يُقال: طائفةٌ كافرة، وفرقةٌ كافرة؟ قال أبو علي: فبُهِتُّ وقلتُ: هذا تأييدٌ[٤]. انتهى.

وهذا الكَرْخيُّ معتزليٌّ فقيهٌ، وأبو عليٍّ معتزليٌّ، فأعجَبَه هذا التخريج وليس بشيء؛ لأنَّه لا يُقال: كافرة، في وصف الرجال إلَّا تابعاً لموصوفها، أو يكون محذوفاً مُراداً، أمَّا بغير ذلك فلا يُجمع فاعلة على فَواعِل إلَّا ويكون للمؤنَّث.

والعِصَم جمع عِصْمة: وهي سبب البقاء في الزوجية[٥].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤١٥.

(٢) أي: «تُمَسِّكوا»، والقراءة عن أبي عمرو في السبعة ص ٦٣٤، والتيسير ص ٢١٠. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧-٢٩٨. إلَّا أنَّ فيه عبارة: بخلاف عنه، جاءت عن الحسن بدلاً عن مجاهد.

(٣) المثبت من (ع) وحدها، والمطبوع، وروح المعاني ٢٧/ ٨٨. والكلام في باقي النسخ: وابن عامر في رواية معاذ. والقراءة في الشاذة ص ١٥٥ عن أبي عمرو برواية معاذ وعن الحسن، وهي عن الباقين في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨، والكلام الآتي منه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٧.

﴿وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ﴾ أي: واسألوا الكافرين ما أنفقتم على أزواجكم إذا فَرُّوا إليهم ﴿وَلۡيَسۡـَٔلُواْ﴾ أي: الكفار ما أنفقوا على أزواجهم إذا فَرُّوا إلى المؤمنين[١].

ولمَّا تقرَّر هذا الحكم قالت قريش فيما رُوي: لا نرضى هذا الحكم ولا نلتزمه، ولا ندفع لأحدٍ صَداقاً. فنزلت بسبب ذلك هذه الآية الأخرى ﴿وَإِن فَاتَكُمۡ﴾، فأمرَ تعالى المؤمنين أن يدفعوا إلى من فَرَّتْ زوجتُه من المسلمين ففاتت بنفسها إلى الكفار وانقلبت من الإسلام ما كان أمْهَرَها[٢].

قال الزمخشري[٣]: فإن قلتَ: هل لإيقاع «شيء» في هذا الموضع فائدة؟ قلت: نعم، الفائدة فيه أن لا يغادر شيءٌ من هذا الجنس وإنْ قَلَّ وحَقُرَ غيرُ مُعَوَّضٍ منه؛ تغليظاً في هذا الحكم وتشديداً فيه. انتهى.

واللاتي ارتدَدْنَ من نساء المهاجرين ولَحِقْنَ بالكفار: أمُّ الحكم بنت أبي سفيان زوجُ عياض بن شدَّاد الفِهْري، وأختُ أمِّ سلمة فاطمةُ بنت أبي أمية زوجُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وعَبْدة بنت عبد العُزَّى زوج هشام بن العاصي، وأمُّ كلثوم بنت جَرْوَل زوج عمر أيضاً[٤].

وذكر الزمخشريُّ[٥] أنَّهنَّ سِتٌّ، فذكرَ أمَّ الحكم، وفاطمة، وعَبْدة وذكر أنَّ زوجَها عمرو بن عبد وُدّ، وكُلْثوم، وبَرْوَع بنت عقبة كانت تحت شَمَّاس بن عثمان، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاصي، وأعطى أزواجَهُنَّ رسولُ الله ﷺ مهورَهُنَّ من الغنيمة.

وقرأ الجمهور: «فعاقَبْتُم» بألف. ومجاهد، والزُّهري، والأعرج، وعكرمة،

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/٥٨٦، وتفسير الثعلبي ٦/١٧١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/٢٩٨ عن الزهري.
(٣) في الكشاف ٤/٩٤.
(٤) المحرر الوجيز ٥/٢٩٨.
(٥) في الكشاف ٤/٩٤.

وحُميد، وأبو حَيْوة، والزَّعفراني بشدِّ القاف[1]. والنَّخَعي، والأعرج أيضاً، وأبو حَيْوة أيضاً، والزُّهري أيضاً، وابن وَثَّاب بخلاف عنه بخَفِّ القاف مفتوحة[2]. ومسروق، والنَّخَعي أيضاً، والزُّهري أيضاً بكسرها[3]. ومجاهد أيضاً: «فأعْقَبْتُم»[4] على وزن أفعل. يُقال: عاقبَ الرجلُ صاحِبَه في كذا، أي: جاء فِعْلُ كلٍّ واحدٍ منهما يَعْقِبُ فِعْلَ الآخر. ويقال أعْقَبَ، قال:

وحارَدَتِ النُّكْدُ الجِلادُ ولم يكُنْ لِعُقْبةِ قِدْرِ المُستَعيرِينَ مُعْقِبُ[5]

وعَقَّبَ: أصاب عُقبى، والتَّعقيب: غزوٌ إثْرَ غَزْوٍ، وعَقَب بفتحِ القاف وكسرِها مُخفَّفاً.

وقال الزمخشري: «فعاقَبْتُم» من العُقْبة: وهي النَّوْبة، شبّه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مُهورَ نساء أولئك تارةً، وأولئك مُهورَ نساء هؤلاء أخرى، بأمرٍ يتعاقبون فيه كما يُتعاقَبُ في الركوبِ وغيرِه، ومعناه: فجاءت عقبَتُكم من أداء المهر، فآتوا مَنْ فاتَتْه امرأتُه إلى الكفار مثلَ مَهْرِها من مَهْر المهاجرة ولا تؤتوه زوجَها الكافر، وهكذا عن الزُّهري: يُعطَى من صَداق مَنْ لَحِقَ

(١) أي: «فَعَقَّبْتُم»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٥، والمحتسب ٢/ ٣١٩ عن الأعرج، وفي المحرر ٥/ ٢٩٨ عنهم دون أبي حيوة والزعفراني.

(٢) أي: «فَعَقَبْتُم»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٥ عن النخعي، وفي المحتسب ٢/ ٣١٩ عن النخعي والزهري ويحيى بن وثاب، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨ عن الأعرج وأبي حيوة والزهري.

(٣) أي: «فَعَقِبْتُم»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٥، والمحتسب ٢/ ٣١٩ عن مسروق، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨ عن النخعي والزهري.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨ والكلام الآتي منه.

(٥) البيت للكُميت كما في أمالي أبي علي القالي ١/ ٨، وسمط اللآلي ١/ ٣٤، وتهذيب اللغة ١/ ٢٨٦، واللسان وتاج العروس (عقب) و(جلد) و(حرد) و(نكد). يقال: حاردتِ الإبلُ حِراداً، أي: انقطعت ألبانُها أو قَلَّتْ. والنُّكْدُ من الإبل: النُّوق الغزيرات من اللبن. والجِلادُ من الإبل: الغزيرات اللبن، وهي أدسَمُ الإبل لبناً. وعُقْبةُ القِدْر: ما التزق في أسفلها، أو مرقةٌ تُرَدُّ في القِدْر المستعارة.

بهم، فمعنى «أعقَبْتُم»: دخلتُم في العُقْبة، و«عَقَّبتُم» من عَقَّبه: إذا قَفَّاه؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ المُتعاقِبَين يُقَفِّي صاحبَه. وكذلك «عَقَبْتُم» بالتخفيف، يُقال: عَقَبه يَعْقُبُه[1]. انتهى.

وقال الزجَّاج: «فعاقَبْتُم»: فأصبتُموهم في القتال بعقوبةٍ حتى غنِمتُم. وفَسَّر غيرَها من القراءات: لكانتِ العُقبى لكم، أي: كانت الغَلَبةُ لكم حتى غنِمْتُم.

والكفار من قوله: ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ ظاهره العموم في جميع الكفار. قاله قتادة ومجاهد. قال قتادة: ثمَّ نُسِخَ هذا الحكم[2].

وقال ابن عباس: يُعطى من الغنيمة قبل أن تُخَمَّس. وقال الزُّهري: من مال الفيء. وعنه: من صَداق مَنْ لَحِقَ بنا[3].

وقيل: الكفار مخصوصٌ بأهل العهد. وقال الزُّهري: اقتُطِعَ هذا يومَ الفتح. وقال الثوري: لا يُعمَلُ به اليوم[4]. وقال مقاتل: كان في عهد الرسول فنُسِخ[5].

وقال ابن عطية[6]: هذه الآية كلُّها قد ارتفع حكمُها. وقال الحافظ أبو بكر بن العربي[7]: كان هذا حُكمَ الله مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصَّةً بإجماع الأمة. وقال القشيري[8]: قال قوم: هو ثابت الحكم إلى الآن.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ كانت بيعةُ النِّساء في ثاني يوم الفتح على

---

(١) الكشاف ٤/ ٩٤. وكلام الزجاج الآتي منه أيضاً. وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٢١. وأخرج قولهما ـ دون ذكر النسخ ـ الطبري ٢٢/ ٥٨٨-٥٨٩. وينظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١١٩-١٢٠.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٢٢. وقول ابن عباس أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٥٩١. وقول الزهري الأول أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٥٩٣.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٢١. وينظر قول الثوري في الناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١١٩.

(٥) زاد المسير ٨/ ٢٤٤.

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨.

(٧) في أحكام القرآن ٤/ ١٧٧٦.

(٨) فيما نقل عنه القرطبي ٢٠/ ٤٢١-٤٢٢.

جبل الصفا بعد ما فرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا، وعمرُ أسفلَ منهُ يبايعهُنَّ بأمره ويُبلِّغهُنَّ عنه[(١)]. وما مسَّتْ يدُه عليه الصلاة والسلام يدَ امرأةٍ قط[(٢)].

وقالت أسماء بنت يزيد بن السَّكن: كنتُ في النِّسوة المبايعات، فقلتُ: يا رسول الله، ابسُطْ يدَكَ نُبايعْكَ. فقال لي عليه الصلاة والسلام: «إنِّي لا أُصافِحُ النساء، لكِنْ آخُذُ عليهنَّ ما أخذَ اللهُ عليهنَّ»[(٣)].

وكانت هند بنت عتبة في النساء، فقرأ عليهن الآية، فلمَّا قرَّرهُنَّ على أن لا يُشْرِكْنَ بالله شيئاً قالت هند: وكيفَ نطمعُ أن تَقبلَ مِنَّا مالم تَقبَلْه من الرجال؟ ـ يعني أنَّ هذا بَيِّنٌ لزومُه ـ فلمَّا وقف على السرقة قالت: واللهِ إنِّي لأُصيبُ الهَنَة من مالِ أبي سفيان لا أدري أيحِلُّ لي ذلك؟ فقال أبو سفيان: ما أصبْتِ من شيءٍ فيما مضى وفيما غبر فهو لكِ حلالٌ. فضحكَ رسول الله ﷺ وعَرَفها، فقال لها: «وإنَّك لهند بنت عتبة؟» قالت: نعم، فاعْفُ عمَّا سلفَ يا نبيَّ الله عفا اللهُ عنكَ. فقال: «ولا يزنين» فقالت: أوَ تزني الحُرَّة؟ فقال: «ولا يقتُلْنَ أولادَهُنَّ» فقالت: ربَّيناهم صغاراً، وقتَلْتَهم كباراً. وكان ابنُها حنظلة بن أبي سفيان قد قُتِلَ يوم بدر. فضحِكَ عمرُ رضي الله تعالى عنه حتى استلقى، وتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ فقال: «ولا يأتينَ ببهتانٍ» فقالت: واللهِ إنَّ البُهتانَ لأمرٌ قبيحٌ، ولا تأمرُنا إلَّا بالرَّشَد ومكارم الأخلاق. فقال: «ولا يعصِينَكَ في معروف» فقالت: واللهِ ما جلَسْنا مجلِسَنا هذا وفي أنفُسِنا أن نعصيكَ في شيء[(٤)]. ومعنى قول هند: أوَتزني الحُرَّة؟

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٩.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٨٨)، ومسلم (١٨٦٦)، وأحمد (٢٤٨٢٩) من حديث عائشة ﵂.

(٣) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ (٤١٧).
وأخرجه مطولاً ومختصراً ابن سعد ٨/ ٦، وأحمد (٢٧٥٧٢)، والطبراني ٢٤/ (٤٣٧) و(٤٥٥) و(٤٥٦).
وقوله: «إني لا أصافح النساء» له شواهد عِدَّة تنظر في مسند أحمد (٦٩٩٨).
وفي حديث عائشة ﵂ المتقدم في التعليق السابق أنَّه ﷺ كان يقول إذا أخذ عليهنَّ: «قد بايعتُكُنَّ كلاماً».

(٤) من بداية الحديث إلى قوله: ما أصبتِ من شيء فيما مضى، ساقه المصنف من المحررِ

أنَّه كان في قريش في الإماء غالباً، وإلَّا فالبغايا ذواتُ الرايات قد كُنَّ حرائر.

وقرأ عليٌّ، والحسن، والسُّلمي: «ولا يُقَتِّلْنَ» مُشدَّداً[(١)].

وقتلهُنَّ من أجل الفقر والفاقة، وكانت العرب تفعل ذلك[(٢)]. والبهتان قال الأكثرون: أن تنسِبَ إلى زوجها ولداً ليس منه، وكانت المرأةُ تلتقط المولودَ فتقول لزوجها: هو ولدي منك[(٣)]. ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأنَّ بطنَها الذي تحمله فيه بين اليدين، وفرجها الذي تَلِده به بين الرجلين[(٤)].

وروى الضحَّاك: البهتان: العَضَه[(٥)]؛ لأنَّها إذا قذفتِ المرأةُ غيرها فقد بهتت

= الوجيز ٥/ ٢٩٩، ثم ساق تتمته من تفسير الثعلبي ٦/ ١٧٢، والكشاف ٤/ ٩٥. ولم أجد من أخرجه بهذا السياق.

لكن أخرجه بنحوه ـ وليس بتمامه ـ الطبري ٢٢/ ٥٩٦ من طريق عطية العوفي، عن ابن عباس رضي الله عنهما. والعوفي ومن قبله في الإسناد كلهم ضعفاء. وذكره ابن كثير في تفسيره من طريق الطبري، ثم قال: وهذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

وأخرجه بنحوه مختصراً ابن سعد في الطبقات ٨/ ٢٣٧ عن ميمون بن مهران مرسلاً.

وأخرجه أيضاً بنحوه مختصراً عن الشعبي مرسلاً أيضاً.

وأخرجه بنحوه مختصراً ابن منده في معرفة الصحابة فيما ذكر الحافظ بن حجر في التلخيص الحبير ٤/ ٥٣ من طريق يعقوب بن محمد، عن عبد الله بن محمد ـ وهو ابن يحيى بن عروة بن الزبير ـ عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلاً. قال الحافظ: قال أبو نعيم في المعرفة: تفرد به عبد الله بن محمد بهذا السياق. قلت: وهو ضعيف جداً، قال أبو حاتم: الراوي متروك الحديث، ونسبه ابن حبان إلى الوهم.

وقصة نفقة هند مع زوجها أبي سفيان بنحوها عند البخاري (٢٢١١)، ومسلم (١٧١٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٥ عن علي والسلمي، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨ عن الحسن والسلمي. ووقع في مطبوع القراءات الشاذة: «تُقَتِّلْنَ» بالتاء.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٨، والكشاف ٤/ ٩٥.

(٤) الكشاف ٤/ ٩٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٢٨.

ما بين يَدي المقذوفة ورجلَيها، إذ نفَتْ عنها ولداً قد ولدَتْه، أو ألحقَتْ بها ولداً لم تلِدْه.

وقيل: البهتان: السِّحر[١].

وقيل: بين أيديهنَّ: ألسنتهنَّ بالنميمة، وأرجُلهنَّ: فروجُهُنَّ. وقيل: بين أيديهنَّ: قبلةٌ أوجَسَّةٌ، وأرجُلُهنَّ: الجماع[٢].

ومن البُهتان الفِريةُ بالقول على أحد من الناس، والكذبُ فيما اؤتمنَّ عليه من حملٍ وحيضٍ، والمعروفُ الذي نُهي عن العصيان فيه، قال ابن عباس وأنس وزيد بن أسلم: هو النَّوحُ وشَقُّ الجيوب، ووَشْمُ الوجوه، ووصلُ الشَّعر، وغيرُ ذلك من أوامرِ الشَّريعة فَرْضِها ونَدْبِها[٣].

ورُوي أنَّ قوماً من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليُصيبوا من ثمارهم، فقيل لهم: لا تتولَّوا قوماً مغضوباً عليهم[٤].

وعلى أنَّهم اليهود فسَّرَهم الحسن وابن زيد ومنذر بن سعيد؛ لأنَّ غضبَ الله قد صار عُرفاً لهم.

وقال ابن عباس: كفار قريش؛ لأنَّ كلَّ كافرٍ عليه غضبٌ من الله[٥]. وقيل: اليهود والنصارى[٦].

﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: من خيرها وثوابها.

والظاهر أنَّ «من» في «مِن أصحاب القبور» لابتداء الغاية[٧]، أي: من لقاء

(١) النكت والعيون ٥/ ٥٢٥ عن ابن بحر.
(٢) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٢٦.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٩٩.
(٤) الكشاف ٤/ ٩٥-٩٦.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٠.
(٦) النكت والعيون ٥/ ٥٢٦ عن ابن مسعود ﷺ. وقول ابن عباس الآتي منه أيضاً.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٠.

أصحاب القبور، فـ «مِن» الثانية كالأولى من الآخرة، فالمعنى: إنَّهم لا يلقَونهم في دار الدنيا بعد موتهم.

وقال ابن عرفة: هم الذين قالوا: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[1] [الجاثية: ٢٤]. انتهى.

والكفار على هذا كفار مكة، لأنَّهم إذا مات لهم حميمٌ قالوا: هذا آخر العهد به، لن يُبعَثَ أبداً. وهذا تأويل ابن عباس وقتادة والحسن.

وقيل: «مِن» لبيان الجنس، أي: الكفار الذين هم أصحاب القبور. والمأيوس منه محذوفٌ، أي: كما يئس الكفارُ المقبورون من رحمة الله؛ لأنَّه إذا كان حيًّا لم يُقْبَر، كان يُرتجى له أن لا ييأس من رحمة الله إذ هو مُتوقَّعٌ إيمانه. وهذا تأويل مجاهد وابن جُبير وابن زيد.

وقال ابن عطية[2]: وبيان الجنس أظهر. انتهى. وقد ذكرنا أنَّ الظاهرَ كونُ «مِن» لابتداء الغاية؛ إذ لا يحتاج الكلامُ إلى تقدير محذوف.

وقرأ ابنُ أبي الزِّناد: «كما يئِسَ الكافرُ» على الإفراد[3]. والجمهور على الجمع.

ولمَّا افتتح هذه السورة بالنَّهي عن اتِّخاذ الكفار أولياءَ ختمَها بمثل ذلك تأكيداً لترك موالاتهم، وتنفيرِ المسلمين عن تولِّيهم وإلقاءِ المودَّة إليهم.

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣١.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٠، وما قبله منه بمعناه.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٥.

سورة الصف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ
وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ
فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤)﴾.

«المَرْصُوص» قال الفرَّاء ومنذر بن سعيد: هو المعقود بالرَّصاص. وقال المفردات

المبرِّد: رَصَصْتَ البناءَ: لاءمْتَ بين أجزائه وقارَبْتَه حتى يصير كقطعةٍ واحدة[١].
قال الراعي:

ما لقيَ البيضُ من الحُرْقوصِ   يفتَحُ بابَ المُغلَقِ المَرْصوصِ[٢]

الحُرْقوص: دُوَيبةٌ تولَعُ بالنساء الأبكار[٣]. وقيل: هو من الرَّصيص: وهو انضمام الأسنان[٤].

* * *

التفسير هذه السورة مدنية في قول الجمهور وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة. وقال ابن يسار: مكية[٥]. ورُويَ ذلك أيضاً عن ابن عباس ومجاهد[٦].

وسببُ نزولها قولُ المنافقين للمؤمنين: نحن منكم ومعكم، ثمَّ يظهر من أفعالهم خلافُ ذلك. أو قولُ شباب من المسلمين: فعَلْنا في الغزو كذا، ولم يفعلوا. أو قولُ ناس: وَدِدْنا أن نعرفَ أحبَّ الأعمال إلى ربِّنا حتى نفنى فيه، ففُرِضَ الجهادُ، وأعلَم تعالى بحُبِّ المجاهدين، فتكرَّهَه قومٌ، وفَرَّ بعضُهم يومَ أحد، فنزلت. أقوال؛ الأول لابن زيد، والثاني لقتادة والضحاك، والثالث لابن عباس وأبي صالح[٧].

ومناسبتها لآخر السورة قبلَها أنَّ في الآخر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٢. وقول الفراء في معاني القرآن له ٣/ ١٥٣.
(٢) هكذا في النكت والعيون ٥/ ٥٢٨. وهو في ديوان الراعي ص ٣٠٦، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٠٢، والصحاح واللسان وتاج العروس (حرقص): يدخلُ تحتَ الغلَقِ المرصوصِ.
(٣) تهذيب اللغة ٥/ ٣٠٢.
(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣٨.
(٥) زاد المسير ٨/ ٢٤٩.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠١.
(٧) القولان الأول والثالث في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠١، والقول الثاني في تفسير البغوي ٤/ ٣٣٧. والأقوال أخرجها عنهم بنحوها الطبري ٢٢/ ٦٠٧-٦٠٩.

﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فاقتضى ذلك إثباتَ العداوة بينهم، فحضَّ تعالى على الثبات إذا لقي المؤمنون في الحرب أعداءَهم.

والنداءُ «يا أيها الذين آمنوا» إن كان للمؤمنين حقيقة فالاستفهام يُرادُ به التلطُّفُ في العتَب، وإن كان للمنافقين فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا، أي: بألسنتهم، والاستفهام يُرادُ به الإنكارُ والتوبيخُ وتهكُّمٌ بهم في إسناد الإيمان إليهم.

و«لِمَ» يتعلَّق بالفعل بعده، وإذا وقف عليه فبالهاء أو بسكون الميم، ومَنْ أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف.

والظاهر انتصابُ «مقتاً» على التمييز، وفاعل «كَبُرَ»: «أن تقولوا» وهو من التمييز المنقول من الفاعل، والتقدير: كَبُرَ مقتُ قولِكم ما لا تفعلون. ويجوز أن يكون من باب نعم وبئس، فيكون في «كَبُرَ» ضميرٌ مبهَمٌ مُفسَّرٌ بالتمييز، و«أن تقولوا» هو المخصوص بالذمِّ، أي: بئس مقتاً قولُكم كذا، والخلاف الجاري في المرفوع في: بئس رجلاً زيدٌ، جارٍ في «أن تقولوا» هنا. ويجوز أن يكون في «كَبُرَ» ضميرٌ يعود على المصدر المفهوم من قوله: «لِمَ تقولون» أي: كَبُرَ هو، أي: القولُ مَقْتاً، و«أن تقولوا» بدلٌ من المُضمَر، أو خبرُ ابتداءٍ مُضمَرٍ، وقيل: هو من أبنية التعجُّب، أي: ما أكبَرَه مقتاً! ومثله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ [الكهف: ٥]، أي: ما أكبَرها كلمةً. وقال الزمخشري[1]: قصدَ في «كَبُرَ» التعجُّب من غيرِ لفظه، كقوله:

غَلَتْ نابٌ كُلَيبٌ بَواؤُها[2]

---

(١) في الكشاف ٤/ ٩٧.

(٢) البيت بتمامه:

وجارةُ جسَّاسٍ أبَأْنا بنابِها كُلَيباً غَلَتْ نابٌ كُلَيبٌ بَواؤُها

وهو في المستقصى في أمثال العرب ١/ ١٧٨ دون نسبة، ونسبه الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٩ لمهلهل، ولعلَّه أخذ نسبته من الشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي ٦/ ٤١٦. قال الشهاب: جسَّاس لقب مُرَّة بن ذُهْل الشيباني، وجارته هي البسوس بنت منقذ التميمية، وهي خالة جسَّاس. والنَّاب: الناقة المُسِنَّة. وأبَأْت القاتل بالقتيل: إذا قتلتَه به قصاصاً، من البَواء وهو التَّساوي، وقوله: غَلَت، أي: ما أغلاها إذْ قُتِلَ فيها كُلَيب، فهو محل =

ومعنى التعجُّب تعظيمُ الأمرِ في قلوب السامعين؛ لأنَّ التعجُّبَ لا يكون إلَّا من شيءٍ خارجٍ عن نظائره وأشكاله، وأسند إلى «أن تقولوا» ونصب «مقتاً» على تفسيره دلالةً على أنَّ قولَهم: «ما لا تفعلون» مَقْتٌ خالِصٌ لا شَوْبَ فيه؛ لفرطِ تمكُّنِ المَقْتِ منه، واختيرَ لفظُ المقت لأنَّه أشدُّ البغض، ولم يقتصر على أن جعل البُغْضَ كبيراً حتى جُعِلَ أشدَّه وأفحشَه و«عندَ الله» أبلَغُ من ذاك؛ لأنَّه إذا ثبت كِبَرُ مَقْتِه عند الله فقد تَمَّ كِبَرُه وشِدَّتُه. انتهى.

وقال ابن عطية[1]: والمَقْتُ: البُغْضُ من أجل ذنبٍ أو رِيبةٍ أو دناءةٍ يصنعها الممقوت. انتهى.

وقال المبرِّد: رجلٌ ممقوتٌ ومَقيتٌ: إذا كان يُبغِضُه كلُّ أحد. انتهى.

وقرأ زيد بن علي: «يُقاتَلون» بفتح التاء. وقُرِئ: «يَقْتُلون»[2].

وانتصب «صفًّا» على الحال[3]، أي: صافِّين أنفُسَهم أو مصفوفين كأنَّهم في تراصِّهم من غير فُرْجةٍ ولا خَلَلٍ بنيانٌ رُصَّ بعضُه إلى بعض. والظاهر تشبيه الذوات في التحام بعضِهم ببعض بالبنيان المرصوص[4].

وقيل: المُرادُ استواءُ نيَّاتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص. قيل: وفيه دليلٌ على فضل القتال راجلاً؛ لأنَّ الفرسان لا يصطَفُّون على هذه الصِّفة.

«صفًّا» و«كأنَّهم» قال الزمخشري: حالان متداخلان. وقال الحَوْفي: «كأنَّهم» في موضع النَّعت لـ«صفًّا». انتهى. ويجوز أن يكونا حالَين من ضمير «يُقاتلون».

= الاستشهاد. قلت: وقول الشهاب: جسَّاس لقب مرة، فيه نظر، والصواب أنَّه اسمه، وينظر الأغاني ٥/ ٣٥، وشرح الحماسة للتبريزي ٢/ ١٩٧، والأعلام ٢/ ١١٩.

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠١.

(٢) الكشاف ٤/ ٩٧.

(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦٠.

(٤) الكشاف ٤/ ٩٧ دون قوله: والظاهر... إلى: بالبنيان المرصوص.

ولمَّا كان في المؤمنين مَنْ يقول ما لا يفعل، وهو راجعٌ إلى الكذب، فإنَّ ذلك في معنى الإذاية للرسول عليه الصلاة والسلام؛ إذ كان في أتباعه من عانى الكذب، فناسب ذكر قصة موسى.

وقوله لقومه: ﴿لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾، وإذايتُهم له كان بانتقاصِه في نفسه، وجحودِ آيات الله تعالى، واقتراحاتِهم عليه ما ليس لهم اقتراحُه[١].

«وقد تعلمون» جملة حالية تقتضي تعظيمَه وتكريمه[٢]، فرتبوا على علمهم أنَّه رسولُ الله إليهم ما لا يُناسِبُ العلم وهو الإذاية، و«قد» تدلُّ على التحقيقِ في الماضي، والتوقُّع في المضارع، والمضارع هنا معناه: المُضيُّ، أي: وقد علمتم، كقوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] أي: قد عَلِمَ، ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾ [البقرة: ١٤٤]وعبَّرَ عنه بالمضارع ليدُلَّ على استصحاب الفعل.

﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ عن الحقِّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ قال الزمخشري: بأنْ منعَ الطافَه [منهم] ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يلطُفُ بهم؛ لأنَّهم ليسوا من أهل اللُّطف[٣].

وقال غيره: أسند الزيغ إليهم، ثمَّ قال: ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ﴾ كقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] وهو من العقوبة على الذنب بالذنب، بخلاف[٤] قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾[٥][التوبة: ١١٨].

ولمَّا ذكر شيئاً من قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل ذكر أيضاً شيئاً من قصة عيسى عليه السلام، وهناك قال: ﴿يَٰقَوْمِ﴾؛ لأنَّه من بني إسرائيل، وهنا قال عيسى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ من حيثُ لم يكن له فيهم أبٌ، وإن كانت أمُّه منهم.

---

(١) الكشاف ٤/ ٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٢.
(٢) الكشاف ٤/ ٩٨.
(٣) الكشاف ٤/ ٩٨، وما بين حاصرتين منه.
(٤) من هنا يبدأ سقط في النسخة (د٣).
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٢ بنحوه، وما بعده منه أيضاً.

و«مصدِّقاً» و«مُبشِّراً» حالان، والعامل رسول، أي: مرسل[١].

و«يأتي» و«اسمُه» جملتان في موضع الصفة لـ «رسول»[٢]، أخبر أنَّه مُصدِّقٌ لِما تقدَّم من كتب الله الإلهية، ولمَنْ تأخَّر من النبيِّ المذكور؛ لأنَّ التبشيرَ بأنَّه رسولٌ تصديقٌ لرسالته.

ورُوِيَ أنَّ الحواريِّينَ قالوا: يا رسول الله، هل بعدَنا من أمَّة؟ قال: «نَعَمْ، أمَّةُ أَحمدَ، حكماءُ علماءُ أبرارٌ أتقياء، كأنَّهم من الفقه أنبياء، يرضَون من الله باليسير من الرِّزق، ويرضى الله منهم بالقليل من العمل»[٣].

و«أحمد» علَمٌ منقولٌ من المضارع للمتكلِّم، أو من «أحمد» أفعل التفضيل[٤]. وقال حسان:

صَلَّى الإلهُ ومَنْ يَحُفُّ بعرشِهِ والطيِّبونَ على المباركِ أحمدِ[٥]

وقال القُشيري: بشَّرَ كلُّ نبيٍّ قومَه بنبيِّنا محمدٍ ﷺ، والله أفرَدَ عيسى بالذِّكر في هذا الموضع؛ لأنَّه آخرُ نبيٍّ قبلَ نبيِّنا ﷺ، فبيَّنَ أنَّ البشارةَ به عَمَّتْ جميعَ الأنبياء واحداً بعد واحد حتى انتهت إلى عيسى عليه السلام.

والظاهر أنَّ الضميرَ المرفوع في «جاءهم» يعودُ على «عيسى»؛ لأنَّه المُحدَّث عنه. وقيل: يعود على «أحمد»[٦].

لمَّا فرغ من كلام عيسى تطرَّق إلى الإخبار عن أحمدَ ﷺ، وذلك على سبيل

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٠، والكشاف ٤/ ٩٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣.

(٣) الكشاف ٤/ ٩٩ عن كعب الأحبار. ولم أجد من أخرجه بهذا اللفظ. وأخرجه بنحوه مطولاً الطبرانيُّ في المعجم الكبير (٧٦٢٩) من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢١٨، وفيه جسر بن فرقد، وهو ضعيف.

(٤) ينظر تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٤١.

(٥) ديوان حسان ص ٥٨.

(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٤٢. ويُنظر تفسير أبي الليث ٣/ ٣٥٨، وتفسير الطبري ٢٢/ ٦١٣.

الإخبار للمؤمنين، أي: فلمَّا جاء المُبشَّرُ به هؤلاءِ الكفارَ بالمعجزاتِ الواضحةِ قالوا: هذا سحر مبين[١].

وقرأ الجمهور: «سِحْرٌ»، أي: ما جاء به من البينات. وقرأ عبد الله، وطلحة، والأعمش، وابن وثَّاب: «ساحر»[٢] أي: هذا الجائي ساحر.

وقرأ الجمهور: «يُدْعى» مبنيًّا للمفعول. وطلحة: «يَدَّعي» مضارع ادَّعى مبنيًّا للفاعل[٣]. وادَّعى يتعدَّى بنفسه إلى المفعول به، لكنَّه لمَّا ضُمِّنَ معنى الانتماء والانتساب عُدِّي بـ «إلى».

وقال الزمخشريُّ: بمعنى: يدعو، نحو لمَسَه والتمسَه[٤].

﴿يُرِيدُونَ﴾ الآية، تقدَّم تفسيرُ نظيرِها في سورة التوبة[٥].

وقال الزمخشري[٦]: أصلُه: يُريدونَ أنْ يُطفِئوا كما جاء في سورة براءة [الآية: ٣٢]، وكأنَّ هذه اللَّام زِيدَتْ مع فعل الإرادة تأكيداً له لِما فيها من معنى الإرادة في قولِكَ: جئتُك لإكرامكَ، كما زِيدَتِ اللَّامُ في: لا أبا لَكَ، تأكيداً لمعنى الإضافة في: لا أبا لَكَ. انتهى.

وقال نحوه ابن عطية قال[٧]: واللَّامُ في قوله: «ليطفئوا» لامٌ مُؤكِّدةٌ دخلت على المفعول؛ لأنَّ التقدير: يريدون أن يُطفِئوا، وأكثَرُ ما تلزَمُ هذه اللَّامُ المفعولَ إذا تقدَّم، تقول: لزَيدٍ ضَرَبْتُ، ولرؤيتِكَ قَصَدْتُ. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣ بنحوه.

(٢) وقع هنا في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣ ـ والكلام منه ـ «سحرٌ»، وفي قراءة الجمهور: «ساحرٌ» على العكس. وقراءة «ساحرٌ» هي أيضاً قراءة حمزة والكسائي من السبعة. ينظر السبعة ص ٢٤٩، والتيسير ص ١٠١.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٥، والمحتسب ٢/ ٣٢١.

(٤) الكلام في الكشاف ٤/ ٩٩ هكذا: وقرأ طلحةُ بنُ مُصرِّف: «وهو يُدَّعى» بمعنى: يُدعى، دعاه وادَّعاه نحو لمَسَه والتَمسَه. وعنه: «يَدَّعي» بمعنى: يدعو، وهو الله عز وجل.

(٥) الآية (٣٢) منها.

(٦) في الكشاف ٤/ ٩٩.

(٧) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣.

وما ذكره ابنُ عطية من أنَّ هذه اللَّامَ أكثَرُ ما تلزَمُ المفعولَ إذا تقدَّم، ليس بأكثر، بل الأكثَرُ: زيداً ضَرَبْتُ، من: لزَيدٍ ضَرَبْتُ. وأمَّا قولُهما: إنَّ اللَّامَ للتأكيد، وأنَّ التقدير: أن يُطفِئوا، فالإطفاء مفعول «يريدون» فليس مذهب [سيبويه وأصحابه، بل مذهبُه أنَّ اللَّامَ دخلت لسبكِ الفعل قبلها بالمصدر من غير سابك، التقدير: إرادتُهم ليُطفئوا.

وزعمَ الفرَّاء أنَّ العرب تجعل لامَ «كي» في موضع «أنْ» في «أراد» و«أمَرَ»، وإليه ذهب الكسائي، فاللَّام عندهم هي الناصبة.

وذهب بعض النَّحْويِّين إلى زيادتها كما ذهب إليه الزمخشري وابن عطية، والذي اخترناه هو أنَّ مفعول «أراد» و«أمَرَ» محذوف، وأنَّ اللَّامَ لامُ عِلَّة، و«أنْ» مضمرةٌ بعدها، والتقدير: يريدون من المكر والشَّنآن لأنْ يطفِئوا، وحُذِفَ لفهم المعنى، وقد أمعَنَّا الكلام على هذه المسألة في «شرح التسهيل»[(١)].

وقال ابن عباس وابن زيد هنا: يريدون إبطال القرآن وتكذيبه بالقول. وقال السُّدِّي: يريدون دفع الإسلام بالكلام. وقال الضحَّاك: هلاك الرسول ﷺ بالأراجيف. وقال ابن بحر: إبطال حُججِ الله بتكذيبهم[(٢)].

وعن ابن عباس: سببُ نزولِها أنَّ الوحيَ أبطأ أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر يهود، أبْشِروا، أطْفأَ اللهُ نورَ محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليُتِمَّ أمره[(٣)]. فحزِنَ الرسولُ ﷺ، فنزلت، واتَّصلَ الوحيُ.

وقرأ العربيَّان، ونافع، وأبو بكر، والحسن، وطلحة، والأعرج، وابن مُحَيْصِن: «مُتِمٌّ» بالتنوين «نُورَه» بالنصب[(٤)]. وباقي السبعة والأعمش بالإضافة.

---

(١) ما سلف بين حاصرتين من الدر المصون ١٠/ ٣١٧، وعبارته: وهذا ليس مذهب سيبويه وجمهور الناس. ومن قوله: فليس مذهب سيبويه وأصحابه. . . إلى هنا ليس في المطبوع.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٥٣٠.

(٣) في (ع) والمطبوع: نوره، والكلام من النكت والعيون ٥/ ٥٣٠ أيضاً.

(٤) قراءة العربيِّين ـ أبو عمرو وابن عامر ـ في السبعة ص ٦٣٥، والتيسير ص ٢١٠. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٣.

وقرأ الجمهور: «تُنْجيكم» مخفَّفاً. والحسن، وابن أبي إسحاق، والأعرج، وابن عامر مشدَّداً[(١)].

والجمهور: «تؤمنون» و«تجاهدون». وعبد الله: «آمِنوا باللهِ ورسولِه وجاهِدوا»[(٢)] أمرين. وزيد بن علي بالتاء فيهما محذوف النون فيهما[(٣)].

فأمَّا توجيه قراءة الجمهور فقال المبرِّد: هو بمعنى: آمِنوا على الأمر؛ ولذلك جاء «يَغْفِرْ» مجزوماً[(٤)]. انتهى.

فصورتُه صورةُ الخبر ومعناه الأمر، ويدلُّ عليه قراءة عبد الله، ونظيرُه قوله: اتَّقى الله امرؤٌ وفعَلَ خيراً يُثَبْ عليه، أي: ليتَّقِ الله، وجيء به على صورة الخبر[(٥)]؛ قال الزمخشري[(٦)]: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنَّه امتثل، فهو يُخبِرُ عن إيمانٍ وجهادٍ موجودَين، ونظيرُه قولُ الداعي: غفَرَ اللهُ لك، ويغفِرُ اللهُ لك، جُعلَتِ المغفرةُ لقوة الرجاء، كأنَّها كانت ووُجدَت. انتهى.

وقال الأخفش: هو عطف بيان على «تجارة»[(٧)]. وهذا لا يُتخَيَّل إلَّا على تقدير أن يكون الأصلُ «أنْ تُؤمنوا» حتى يتقدَّر بمصدر، ثُمَّ حذفَ «أنْ» فارتفعَ الفِعْلُ، كقوله:

ألا أيُّهذا الزَّاجري أحضُرُ الوَغى[(٨)]

---

(١) أي: «تُنَجِّيكُم»، وقراءة ابن عامر في السبعة ص ٦٣٥، والتيسير ص ٢١٠. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٦، والكشاف ٤/ ١٠٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤.

(٣) أي: «تؤمنوا» و«تجاهدوا»، وهي في الكشاف ٤/ ١٠٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤. وهو قول الزجاج في معاني القرآن له ٥/ ١٦٦.

(٥) ينظر المخصص لابن سيده ٥/ ١٣٥ (السفر السابع عشر).

(٦) في الكشاف ٤/ ١٠٠.

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧٤٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤.

(٨) صدر بيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٣٢، وسلف عند تفسير الآية (٨٣) من سورة البقرة، وعجزه:

وأن أشهدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أنتَ مُخْلِدي

يريد: أن أحضرَ، فلمَّا حذف «أنْ» ارتفع الفعل، فكان تقدير الآية: هَلْ أدلُّكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذابٍ أليم، إيمانٍ باللهِ ورسولِه وجهادٍ.

وقال ابن عطية[١]: «تؤمنون» فعلٌ مرفوع، تقديره: ذلك أنَّه تؤمنون. انتهى. وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ فيه حذفَ المبتدأ وحذفَ «أنَّه» وإبقاءَ الخبر، وذلك لا يجوز.

وقال الزمخشري: و«تؤمنون» استئنافٌ، كأنَّهم قالوا: وكيف نعمَلُ؟ فقال: «تؤمنون». ثمَّ اتَّبعَ المبرِّدَ فقال: هو خبر في معنى الأمر؛ ولهذا أُجيبَ بقوله: «يغفِرْ لكم»[٢]. انتهى.

وأمَّا قراءة عبد الله فظاهِرَة المعنى، وجواب الأمر «يَغْفِرْ»، وأمَّا قراءة زيد فتتوجَّه على حذف لام الأمر، التقدير: لتؤمنوا، كقول الشاعر:

قلتُ لبَوَّابٍ على بابِها تَأذنْ لنا إنِّي مِنَ احْمائها[٣]

يُريد: لِتَأذَنْ.

و«يَغفِرْ» مجزومٌ على جواب الأمر في قراءة عبد الله وقراءة زيد، وعلى تقدير المُبرِّد. وقال الفرَّاء: هو مجزومٌ على جواب الاستفهام، وهو قوله: «هَلْ أدلُّكم»[٤].

واستُبعِدَ هذا التخريج، قال الزجَّاج: ليسوا إذا دلَّهم على ما ينفعهم يغفِرُ لهم، إنَّما يغفِرُ لهم إذا آمنوا وجاهدوا[٥].

وقال المهدوي: إنَّما يصحُّ حملاً على المعنى، وهو أن يكون «تؤمنون» و«تجاهدون» عطفَ بيان على قوله: «هَلْ أدلُّكم»، كأنَّ التجارة لم يُدْرَ ما هي، فُبيِّنَتْ بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى، فكأنَّه قال: هل تؤمنون وتجاهدون؟

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤.
(٢) الكشاف ٤/ ١٠٠.
(٣) لم أقف عليه.
(٤) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦١. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٤.
(٥) في معاني القرآن له ٥/ ١٦٦.

قال: فإن لم تُقدِّرْ هذا التقدير لم يصِحَّ؛ لأنَّه يصير: إنْ دُلِلْتُم يغفِرْ لكم، والغُفران إنَّما يجب بالقبول والإيمان، لا بالدِّلالة[١].

وقال الزمخشري[٢] نحوَه قال: وجْهُه أنَّ مُتعلَّقَ الدِّلالة هو التجارة، والتجارةُ مفسَّرةٌ بالإيمان والجهاد، فكأنَّه قال: هَلْ تتَّجرون بالإيمان والجهاد يغفِرْ لكم؟ انتهى.

وتقدَّم شرحُ بقية الآية[٣].

ولمَّا ذكر تعالى ما يمنحهم من الثواب في الآخرة ذكرَ ما يسُرُّهم في العاجلة، وهي ما يفتَحُ عليهم من البلاد.

«وأخرى» صفة لمحذوف، أي: ولكم مثوبةٌ أُخرى، أو نعمةٌ أخرى عاجلةٌ إلى هذه النعمة الآجلة، فـ «أخرى» مبتدأ، وخبره المُقدَّر: لكم، وهو قول الفرَّاء[٤]، ويُرجِّحه البدَلُ منه بقوله: «نصرٌ من الله»، و«تحِبُّونها» صفة، أي: محبوبةٌ إليكم. وقال قوم: «وأُخرى» في موضع نصب بإضمار فعل، أي: ويمنحكم أخرى، و«نصرٌ» خبر مبتدأ، أي: ذلك، أو هو نصرٌ[٥].

وقال الأخفش: «وأخرى» في موضع جَرٍّ عطفاً على «تجارة»[٦].

وضُعِّفَ هذا القول؛ لأنَّ هذه الأُخرى ليست مما دلَّ عليه، إنَّما هي من الثواب الذي يعطيهم الله على الإيمان والجهاد بالنفس والمال.

وقرأ الجمهور: «نصرٌ» بالرفع، وكذا «وفتحٌ قريبٌ». وابنُ أبي عَبْلة بالنصب فيها ثلاثتها[٧].

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٤٦.
(٢) في الكشاف ٤/ ١٠٠.
(٣) عند تفسير الآية (٧٢) من سورة التوبة.
(٤) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٣، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣١، والكشاف ٤/ ١٠٠.
(٥) هو قول أبي البقاء العكبري في إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦١.
(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٢-٤٢٣، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٢.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٤، وما بعده منه.

ووصَفَ «أُخرى» بـ «تُحِبُّونها» لأنَّ النُّفوس قد وكلت بحبِّ العاجل، وفي ذلك تحريضٌ على ما يُحصِّل ذلك وهو الإيمان والجهاد.

وقال الزمخشريُّ[(١)]: وفي «تُحِبُّونها» شيءٌ من التوبيخ على محبَّة العاجل. قال: فإنْ قلتَ: لِمَ نصَبَ مَنْ قرأ: «نصراً من الله وفتحاً قريباً»؟ قلت: يجوز أن ينصب على الاختصاص، أو على: تُنْصَرون نصراً، ويُفتَح لكم فتحاً، أو على: يغفِرْ لكم ويُدخِلْكم جنَّاتٍ، ويُؤْتِكم أُخرى نصراً وفتحاً قريباً. فإنْ قلتَ: عَلامَ عطفَ قوله: «وبَشِّرِ المؤمنين»؟ قلت: على «تؤمنون»؛ لأنَّه في معنى الأمر، كأنَّه قيل: آمِنوا وجاهِدوا يُثِبْكم اللهُ ويَنْصُرْكم، وبَشِّرْ يا رسولَ الله المؤمنين بذلك. انتهى.

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ ندَبَ المؤمنين إلى النُّصرة ووضع لهم هذا الاسم، وإنْ كان قد صار عُرْفاً للأوس والخزرج، وسمَّاهم اللهُ به[(٢)].

وقرأ الأعرج، وعيسى، وأبو عمرو، والحرميَّان: «أنصاراً لله» بالتنوين[(٣)]. والحسنُ والجَحْدريُّ، وباقي السبعة بالإضافة إلى الله.

والظاهر أنَّ «كما» في موضع نصبٍ على إضمارٍ، أي: قلنا لكم ذلك كما قال عيسى.

وقال مكي[(٤)]: نعتٌ لمصدر محذوف، والتقدير: كونوا كوناً. وقيل: نعت لـ «أنصار» كونوا أنصاراً مثل أنصار عيسى.

وقال الزمخشري[(٥)]: التشبيه محمولٌ على المعنى، وعليه يصحُّ، والمراد: كونوا أنصارَ اللهِ كما كان الحواريون أنصارَ عيسى حين قال لهم: «مَنْ أنصاري إلى الله». انتهى.

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٠٠-١٠١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٥، وما بعده منه.
(٣) قراءة أبي عمرو والحرميَّين ـ نافع وابن كثير ـ في السبعة ص ٦٣٥، والتيسير ص ٢١٠.
(٤) في الهداية إلى بلوغ النهاية ١١/ ٧٤٤٥.
(٥) في الكشاف ٤/ ١٠١.

والحواريون اثنا عشر رجلاً، وهم أولُ مَنْ آمن بعيسى، بثَّهم عيسى في الآفاق، بعث بطرس وبولس إلى رُومِية، وأندرايس[١] ومتى[٢] إلى الأرض التي يأكل أهلُها الناس، وتوماس إلى أرض بابل، وفيلبس إلى قُرْطاجَنَّة وهي أفريقية، ويُحَنَّس إلى أفْسوس قرية أصحاب الكهف، ويعقوبس إلى بيت المقدس، وابن تلما[٣] إلى أرض الحجاز، وسيمن[٤] إلى أرض البربر وما حولها[٥]. وفي بعض أسمائهم إشكال من جهة الضبط فليُلْتَمَسْ ذلك من مظانّه.

﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسى ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ وهم الذين كفروا بعيسى ﴿فَأَصْبَحُوا ظَٰهِرِينَ﴾ أي: قاهرين لهم مستولين عليهم.

وقال زيد بن عليّ وقتادة: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾: غالبين بالحجة والبرهان. وقيل: أيَّدنا المسلمين على الفرقتين الضالَّتين[٦]. والله أعلم.

---

(١) ويقال: أندرائس، وأندرانس، وأندراوس، وغير ذلك، ينظر الإعلام بأصول الأعلام لفانيا مبادي عبد الرحيم ص٥٠.

(٢) ويقال: متنا، ومثى، انظر المصدر السابق ص١٦١.

(٣) في النسخ: وابن بليمن. والمثبت من المصدر السابق والمصادر الآتية.

(٤) في النسخ: ويستمر. والمثبت من المصدر السابق والمصادر الآتية.

(٥) أخرجه الطبري في تاريخ الرسل والملوك ١/٦٠٣ عن ابن إسحاق. وأورده عنه ابن هشام في السيرة ٢/٦٠٨، والقرطبي ٢٠/ ٤٥٠. وينظر عرائس المجالس للثعلبي ص ٣٩٤، والمحبَّر للماوردي ص ٤٦٤.

(٦) تفسير القرطبي ٢٠/٤٤٩-٤٥٠. وقول زيد بن علي في الكشاف ٤/١٠١.

سورة الجمعة

المفردات «السِّفْر»: الكتاب المجتمِعُ الأوراقِ مُنَضَّده[1].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٧.

التفسير هذه السورة مدنية. وقيل: مكية، وهو خطأ؛ لأنَّ أمر اليهود وانفضاض الناس في الجمعة لم يكن إلا بالمدينة[١].

ومناسبتها لما قبلها أنَّه تعالى لمَّا ذكر تأييد من آمن على أعدائهم أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه، وذكر ما أنعم به على أمّة محمد ﷺ من بعثته إليهم وتلاوته عليهم كتابه وتزكيتهم، فصارت أمّته غالبةً سائر الأمم قاهرةً لها، منتشرةَ الدعوة كما انتشرت دعوةُ الحواريين في زمانهم.

وقرأ الجمهور: «المَلِكِ» بجَرِّه وجَرِّ ما بعده. وأبو وائل، ومَسْلَمة بن مُحارِب، ورُؤبة، وأبو الدِّينار الأعرابي بالرفع على إضمار «هو»، وحَسَّنَه الفصلُ الذي فيه طولٌ بين الموصوف والصِّفة، وكذلك جاء عن يعقوب[٢].

وقرأ أبو الدِّينار وزيد بن عليّ: «القَدُّوس» بفتح القاف[٣]. والجمهور بالضم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ﴾ الآية، تقدَّم الكلامُ في نظيرها في آل عمران[٤]، وفي نسبة الأمِّيِّ.

«وآخَرين» الظاهرُ أنَّه معطوفٌ على «الأمِّيين»، أي: وفي آخَرين من الأُمِّيين لم يَلْحقُوا بهم بَعْدُ، وسيلحقون.

وقيل: «وآخَرين» منصوبٌ معطوفٌ على الضمير في «ويُعَلِّمهم» أسندَ تعليمَ الآخرين إليه عليه الصلاة والسلام مَجازاً، لمَّا تناسقَ التعليمُ إلى آخر الزمان، وتلا بعضُه بعضاً، فكأنَّه عليه الصلاة والسلام [هو الذي تولَّى كلَّ ما] وُجِدَ منه[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٠٦.

(٢) قراءة الرفع في الشاذة ص ١٥٦ عن أبي وائل شقيق بن سلمة ورؤبة وأبي الدينار، وفي المحرر الوجيز ٥/٣٠٦ عن أبي وائل وأبي الدينار، وفي زاد المسير ٨/ ٢٥٧ من رواية الوليد عن يعقوب. والمشهور عن يعقوب كقراءة الجمهور.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٠٦ عن أبي الدينار. ووقعت عنه في القراءات الشاذة ص ١٥٦: «القُدُّوس» بالتخفيف!.

(٤) الآية (١٦٤).

(٥) الكشاف ٤/١٠٢ بنحوه، وما بين حاصرتين منه. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٥-٤٢٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٣.

وقال أبو هريرة وغيرُه: «وآخرين»: هم فارس، وجاء نَصًا عنه في «صحيح» البخاري ومسلم[١].

ولو فُهِمَ منه الحصرُ في فارس لم يَجُزْ أن تُفسَّرَ به الآية، ولكن فهِمَ المُفسِّرون منه أنَّه تمثيل، فقال مجاهد وابن جُبير: الرُّوم والعجم. وقال مجاهد أيضاً وعكرمة ومقاتل: التابعين من أبناء العرب؛ لقوله: «منهم» أي: في النسب. وقال مجاهد أيضاً والضحَّاك وابن حيَّان: طوائفُ الناس. وقال ابن عمر: أهل اليمن[٢]. وعن مجاهد أيضاً: أبناء الأعاجم. وعن ابن زيد أيضاً: هم التابعون. وعن الضحاك أيضاً: العجم[٣]. وعن أبي رَوْق: الصغار بعد الكبار. وينبغي أن تُحملَ هذه الأقوال على التمثيل كما حملوا قول الرسول ﷺ في فارس.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في تمكينه رجلاً أمِّيًا من ذلك الأمر العظيم وتأييده واختياره من سائر البشر[٤].

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ أي: إيتاءُ النبوة[٥]، وجَعْلُه خيرَ خلقِه واسطةً بينه وبين خلقِه.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ هم اليهود المعاصرون للرسول ﷺ، كُلِّفوا القيامَ بأوامرها ونواهيها، ولم يطيقوا القيام بها حين كذَّبوا الرسول ﷺ وهي ناطقة بنبوَّته[٦].

---

(١) في صحيح البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) (٢٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنَّا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نزلت عليه سورةُ الجمعة، فلمَّا قرأ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ قال رجلٌ: مَنْ هؤلاء يا رسول الله؟ فلم يُراجِعْه النبيُّ ﷺ حتى سأله مرَّةً أو مرَّتين أو ثلاثاً. قال: وفينا سلمان الفارسي. قال: فوضع النبي ﷺ يده على سلمان، ثمَّ قال: «لو كان الإيمان في الثُّريَّا لنالَه رجالٌ من هؤلاء». وفي رواية لمسلم (٢٥٤٦) (٢٣٠): «لو كان الدِّين عند الثُّريَّا لذهبَ به رجلٌ من فارس ـ أو قال: من أبناء فارس ـ حتى يتناوله». والروايتان في مسند أحمد (٩٤٠٦) و(٨٠٨١).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٧.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٠٣.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧، وتفسير الرازي ٣٠/ ٤ عن مقاتل.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٧.

وقرأ الجمهور: «حُمِّلوا» مُشدَّداً مبنيًّا للمفعول. ويحيى بن يَعْمَر وزيد بن علي مُخفَّفاً مبنيًّا للفاعل[١]؛ شبَّه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتباً، فهو لا يدري ما عليه أكتبٌ هي أم صخرٌ وغيرُ ذلك، وإنَّما يُدرِكُ من ذلك ما يلحَقُه من التَّعب بحَمْلِها. وقال الشاعر في نحو ذلك:

زوامِلُ للأشعارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمْ بجَيِّدِها إلَّا كعِلْمِ الأباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يدري البعيرُ إذا غدا بأوْساقِهِ أو راحَ ما في الغرائرِ[٢]

وقرأ عبد الله: «حمارٍ» مُنَكَّراً[٣]. والمأمون بن هارون: «يُحَمَّلُ» بشدِّ الميم مبنيًّا للمفعول[٤]. والجمهور: «الحمار» مُعرَّفاً، «ويَحْمِلُ» مُخفَّفاً مبنيًّا للفاعل.

و«يحمِلُ» في موضع نصبٍ على الحال. قال الزمخشري[٥]: أو الجَرِّ على الوصف؛ لأنَّ الحمارَ كاللَّئيم في قوله:

ولقَدْ أَمُرُّ على اللَّئيم يَسُبُّني[٦]

انتهى. وهذا الذي قاله قد ذهبَ إليه بعض النَّحْويين، وهو أنَّ مِثْلَ هذا من المعارف يُوصَفُ بالجمل، وحملوا عليه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس:٣٧] وهذا وأمثالُه عند المحقِّقين في موضع الحال لا في موضع الصِّفة،

(١) أي: «حَمَلوا»، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٧ عن يحيى بن يعمر.
(٢) البيتان لمروان بن أبي حفصة، وهما في ديوانه ص ٥٨، وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ١٣٠، والكامل للمبرد ٢/ ١٠٣٧، والعقد الفريد ٢/ ٤٨٤، واللسان وتاج العروس (زمل). قال المرصفي في رغبة الآمل ٧/ ٣٧: الزوامل، جمع زاملة: وهي البعير يحمل المتاع والطعام. والأوساق؛ جمع وَسْق: وهو حِمْلُ البعير. والغرائر؛ جمع الغِرارة: وهي الأوعية التي تُسمَّى بالجُوالق. قال الجوهري في الصحاح (غرر): الغِرارة: واحدة الغرائر التي للتِّبن، وأظنُّه معرَّباً.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٧.
(٥) في الكشاف ٤/ ١٠٣، والكلام منه.
(٦) صدر بيتٍ اختُلِفَ في عجزه وفي قائله، وسلف عند تفسير الآية (٩٨) من سورة النساء.

ووَصْفُه بالمعرفةِ ذي اللَّام دليلٌ على تعريفه مع ما في ذلك المذهب من هَدْمِ ما ذكره المُتقدِّمون من أنَّ المعرفة لا تُنعَتُ إلَّا بالمعرفة، والجُمَلُ نكِرات.

﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ﴾ قال الزمخشري[١]: بئس مثلاً مَثَلُ القوم. انتهى. فخرَّجه على أن يكون التميز محذوفاً، وفي «بِئْسَ» ضميرٌ يُفسِّره «مَثَلاً» الذي ادَّعى حَذْفَه، وقد نَصَّ سيبويه على أنَّ التَّمييزَ الذي يُفَسِّره الضميرُ المستكِنُّ في «نِعْمَ» و«بِئْسَ» وما أُجرِيَ مجراهما لا يجوز حَذْفُه.

وقال ابن عطية: والتقدير: بِئْسَ المثَلُ مَثَلُ القوم[٢]. انتهى. وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ فيه حذفَ الفاعل، وهو لا يجوز، والظاهر أنَّ «مَثَل القوم» فاعل «بئس»، و«الذين كذَّبوا» هو المخصوصُ بالذَّمِّ على حذف مضاف، أي: مَثَلُ الذين كذَّبوا بآيات الله وهم اليهود، أو يكون «الذين كذَّبوا» صفةً للقوم، والمخصوص بالذَّمِّ محذوفٌ، التقدير: بِئْسَ مَثَلُ القومِ المُكذِّبين مَثَلُهم، أي: مَثَلُ هؤلاء الذين حُمِّلوا التوراة.

رُوِيَ أنَّه لمَّا ظهرَ رسولُ الله ﷺ كتبَتْ يهودُ المدينة ليهود خَيْبر: إن اتَّبعتُموه أطعناكم، وإن خالفتموه خالفناه. فقالوا لهم: نحن أبناء خليل الرحمن، ومِنَّا عُزَيرٌ ابنُ الله والأنبياءُ، ومتى كانت النبوَّةُ في العرب؟! نحنُ أحَقُّ بها من محمد، ولا سبيلَ إلى اتِّباعه. فنزلت: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ﴾[٣].

وكانوا يقولون: نحن أبناءُ الله وأحِبَّاؤه، أي: إنْ كان قولُكم حقًّا فتمنَّوا أن تُنقَلوا سريعاً إلى دار كرامته المُعدَّة لأوليائه[٤]. وتقدَّم تفسيرُ نظير بقية الآية في سورة البقرة[٥].

(١) في الكشاف ٤/١٠٣.
(٢) لم أجد كلام ابن عطية في المحرر الوجيز.
(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٠٧.
(٤) الكشاف ٤/١٠٣.
(٥) عند تفسير الآية (٩٤) منها.

وقرأ الجمهور: «فتمَنَّوُا الموتَ» بضمِّ الواو. وابن يَعْمَر، وابنُ أبي إسحاق وابن السَّمَيفع بكسرها[١]. وعن ابن السَّميفَع أيضاً فتحها[٢]. وحكى الكسائيُّ عن بعض الأعراب أنَّه قرأ بالهمز مضمومة بدل الواو[٣]. وهذا كقراءة من قرأ: «تَلْؤُون» بالهمز بدل الواو[٤].

قال الزمخشري[٥]: ولا فرقَ بين «لا» و«لن» في أنَّ كلَّ واحدٍ منهما نفيٌ للمستقبل، إلَّا أنَّ في «لن» تأكيداً وتشديداً ليس في «لا» فأتى مرَّةً بلفظ التأكيد «ولن يتمنَّوه»[٦]، ومرَّةً بغير لفظِه «ولا يتمنَّونَه». وهذا منه رجوعٌ عن مذهبه في أنَّ «لن» تقتضي النفيَ على التأبيد، إلى مذهب الجماعة في أنَّها لا تقتضيه، وأمَّا قوله: إلَّا أنَّ في «لن» تأكيداً وتشديداً ليس في «لا»، فيحتاج ذلك إلى نقلٍ عن مستقرئي اللِّسان.

وقرأ الجمهور: «فإنَّه» والفاء دخلَتْ في خبر «إنَّ» إذْ أُجرِيَ مجرى صفته، فكأنَّ «إنَّ» باشرَتِ «الذي»، وفي «الذي» معنى الشَّرط، فدخلَتِ الفاءُ في الخبر، وقد منعَ هذا قومٌ منهم الفرَّاء، وجعلوا الفاء زائدة[٧].

وقرأ زيد بن علي: «إنَّه» بغير فاء، وخرَّجَه الزمخشريُّ[٨] على الاستئناف، وخبر «إنَّ» هو «الذي»، كأنَّه قال: قُلْ إنَّ الموتَ هو الشيء الذي تفرُّون منه. انتهى.

ويحتمل أن يكون خبر «إنَّ» هو قولُه: «إنَّه ملاقيكم»، فالجملة خبرُ «إنَّ»[٩].

---

(١) أي: «فتَمَنَّوِا»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٦ عن ابن يعمر، وفي المحتسب ٢/ ٣٢١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٨ عن ابن يعمر وابن أبي إسحاق.

(٢) أي: «فتَمَنَّوَا».

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٦.

(٤) ينظر الآية (٧٨) من سورة آل عمران.

(٥) في الكشاف ٤/ ١٠٣.

(٦) سورة البقرة، الآية (٩٥).

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٥، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦١ بنحوه. وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٥-١٥٦.

(٨) في الكشاف ٤/ ١٠٤.

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٧، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦١.

ويحتمل أن يكون «إنَّه» توكيداً؛ لأنَّ «الموتَ» و«مُلاقيكم» خبر «إنَّ»، لمَّا طالَ الكلامُ أُكِّدَ الحرفُ مصحوباً بضمير الاسم الذي لـ «إنَّ».

﴿إِذَا نُودِىَ﴾ أي: إذا أُذِّنَ، وكان الأذانُ عندَ قُعودِ الإمام على المنبر، وكذا كان في زمن الرسول ﷺ، كان إذا صَعِدَ على المنبر أُذِّنَ على باب المسجد، فإذا نزل بعد الخطبة أُقيمَتِ الصلاةُ، وكذا كان في عهد أبي بكر وعمر إلى زمان عثمان، كثُرَ الناسُ، وتباعدَتِ المنازل، فزاد مؤذِّناً آخَر على داره التي تسمَّى زَوراء، فإذا جلس على المنبر أذَّنَ الثاني، فإذا نزلَ من المنبر أُقيمتِ الصلاةُ، ولم يَعِبْ ذلك أحدٌ على عثمان ﷺ.

وقال الزمخشري(١): فإنْ قلتَ: «مِن» في قوله: «مِنْ يوم الجمعة» ما هي؟ قلت: هي بيانٌ لـ «إذا» وتفسيرٌ له. انتهى.

وقرأ الجمهور: «الجُمُعة» بضمِّ الميم. وابن الزُّبير، وأبو حَيْوة، وابن أبي عَبْلة، ورواية عن أبي عمرو، وزيد بن علي، والأعمش بسكونها(٢)، وهي لغة تميم(٣)، ولغةٌ بفتحها لم يُقرأ بها(٤).

وكان هذا اليوم يُسمَّى عَروبة ـ ويقال: العَروبة ـ قيل: وأولُ مَنْ سمَّاه الجمعة كعب بن لؤي، وأولُ جمعةٍ صُلِّيَتْ جمعةُ سعد بن زُرارة، صلَّى بهم ركعتين

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٠٤، وما قبله منه مع تقديم وتأخير. والزَّوراء: موضع عند سوق المدينة قرب المسجد، قال الداودي: هو مرتفعٌ كالمنارة. وقيل: بل الزَّوراء سوق المدينة نفسُه. معجم البلدان ٣/ ١٥٦.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢٨ عن الأعمش، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٠٨ عن الأعمش وابن الزبير، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٣) لكن ذكر صاحب المصباح المنير (جمع) بأنَّ لغة تميم فتح الميم، وتابعه صاحب تاج العروس (جمع) وقال: على وزن «هُمَزَة»، وعزا القراءة ـ يعني بفتح الميم ـ لابن الزبير والأعمش وسعيد بن جبير وابن عوف وأبي البرهسم وأبي حيوة.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٦، وذكر الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ١٥٦، والنحاس في إعراب القرآن ٤/ ١٥٦ أنها لغة بني عقيل. قلت: وقد ذكرها العكبري قراءةً في الإملاء ٢/ ٢٦٢ ولم ينسبها لأحد؛ قال: ويُقرأ بفتح الميم بمعنى الفاعل.

وذكَّرهم، فسمَّوه يوم الجمعة؛ لاجتماعهم فيه، فأنزل الله آية الجمعة، فهي أولُ جمعةٍ جُمِّعَتْ في الإسلام، وأمَّا أولُ جمعةٍ جَمَّعَها رسولُ الله ﷺ فإنَّه لمَّا قَدِم المدينةَ نزل بقُباء على بني عمرو بن عوف، وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسَّسَ مسجِدَهم، ثمَّ خرج يوم الجمعة عامداً المدينةَ، فأدركَ صلاةَ الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادٍ لهم، فخطب وصلَّى الجمعة(١).

والظاهرُ وجوبُ السَّعي؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ وأنَّه يكون في المشي خِفَّةٌ وبِدارٌ(٢).

وقال الحسن وقتادة ومالك وغيرهم: إنَّما تُؤتى الصلاةُ بالسَّكينة، والسَّعيُ هو بالنيَّة والإرادة والعمل، وليس الإسراعَ في المشي كالسَّعي بين الصَّفا والمروة، وإنَّما هو بمعنى قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، فالقيامُ والوضوءُ ولبسُ الثوبِ والمشيُ كلُّه سَعيٌ(٣).

والظاهر أنَّ الخطاب بالأمر بالسَّعي للمؤمنين عموماً، وأنَّها فرضٌ على الأعيان. وعن بعض الشافعية أنَّها فرض كفاية. وعن مالك روايةٌ شاذَّةٌ أنَّها سُنَّة(٤). وقال القاضي أبو بكر بن العربي: ثبتَ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «الرَّواح إلى الجمعة واجبٌ على كلِّ مسلم»(٥).

وقالوا: المأمورُ بالسَّعي المؤمنُ الصحيحُ الحرُّ الذَّكرُ المُقيمُ، فلو حضر غيرُه أجزأتهم(٦). انتهى.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٠٤.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٩٢ بنحوه. والبِدار: الإسراع. اللسان (بدر).

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩ مع تقديم وتأخير.

(٤) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٧١.

(٥) هكذا ذكر لفظه ابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٧٩٦. وأخرجه أبو داود (٣٤٢)، والنسائي في المجتبى ٣/ ٨٩، وفي الكبرى (١٦٧٢) من حديث حفصة ﵂. ولفظ أبي داود: «على كل محتلم رَواح الجمعة»، ولفظ النسائي: «رَواح الجمعة واجبٌ على كلِّ محتلم».

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٨ بنحوه، والعبارة في (يه) و(ع): فلو حضروا أجزأتهم.

والمسافة التي يُسعى منها إلى صلاة الجمعة لم تتعرَّض الآية لها، واختلف الفقهاء في ذلك، فقال ابن عمر وأبو هريرة وأنس والزُّهري: ستة أميال. وقيل: خمسة. وقال ربيعة: أربعة. ورُويَ ذلك عن الزُّهري وابن المُنكَدِر. وقال مالك والليث: ثلاثة. وقال أبو حنيفة وأصحابه: على مَنْ في المِصْر، سمِعَ النِّداء أو لم يسمَعْ، لا على مَنْ هو خارجُ المِصْر وإنْ سمِعَ النِّداء. وعن ابن عمر وابن المسيّب والزهري وأحمد وإسحاق: على مَن سمع النِّداء. وعن ربيعة: على مَنْ إذا سمِعَ النِّداءَ وخرجَ من بيته ماشياً أدرك الصلاة[1].

وقرأ كبراءُ من الصَّحابة والتابعين: «فامْضُوا»[2] بدل «فاسْعَوا» وينبغي أن يُحمَلَ على التفسير من حيثُ إنَّه لا يُرادُ بالسَّعي هنا الإسراعُ في المشي، ففسَّروه بالمُضِيِّ، ولا يكون قرآناً؛ لمخالفَتِه سَواد ما أجمع المسلمون عليه.

و«ذِكْر الله» هنا هو الخُطبة. قاله ابن المسيّب، وهي شرطٌ في انعقاد الجمعة عند الجمهور. وقال الحسن: هي مُستحبَّة[3].

والظاهر أنَّه يُجزىء مِن ذِكْر الله تعالى ما يُسمَّى ذِكْراً. قال أبو حنيفة: لو قال: الحمد لله أو سبحان الله، واقتصر عليه، جاز. وقال غيرُه: لا بُدَّ من كلامٍ يُسمَّى خُطبة. وهو قول الشافعيِّ وأبي يوسف[4] ومحمد بن الحسن.

والظاهر تحريمُ البيع وأنَّه لا يصِحُّ. وقال ابن العربي[5]: يُفسَخ، وهو الصحيح. وقال الشافعي: ينعقِدُ ولا يُفسَخ، وكلُّ ما يشغلُ من العقود كلِّها فهو حرامٌ شرعاً، مفسوخٌ ردعاً. انتهى.

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/٣٠٨-٣٠٩، وتفسير القرطبي ٢٠/٤٦٩-٤٧٠. وينظر الاستذكار ٧/٣٠-٣٢.

(٢) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٣٠٩ أنَّه قرأ بها عمر بن الخطاب وعليٌّ وأُبيٌّ وابنُ مسعود وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ﷺ وجماعةٌ من التابعين.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٠٩. وقول ابن المسيب ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/٩، وقول الحسن ذكره ابن المنذر في الأوسط ٤/٥٩.

(٤) تحرف في (أ) والمطبوع إلى: أبي سفيان. والكلام من الكشاف ٤/١٠٥.

(٥) في أحكام القرآن ٤/١٧٩٤.

وإنَّما ذكر البيع من بين سائر المحرمات؛ لأنَّه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق[١]، إذ يكثُرُ الوافدون الأمصارَ من القرى، ويجتمعون للتجارة إذا تعالى النهار، فأُمِروا بالبِدار إلى تجارة الآخرة، ونُهوا عن تجارة الدنيا[٢].

ووقتُ التَّحريم من الزَّوال إلى الفراغ من الصلاة. قاله الضحَّاك والحسن وعطاء. وقال ناسٌ غيرُهم: من وقت أذان الخطبة إلى الفراغ[٣].

والإشارة بـ «ذلِكم» إلى السَّعي وتركِ البيع، والأمرُ بالانتشار والابتغاء أمرُ إباحة، وفضل الله: هو ما يلبسه في حالة حسنة، كعيادة المريض، وصِلة صديق، واتِّباع جنازة، وأخذٍ في بيعٍ وشراءٍ وتصرُّفاتٍ دينيةٍ ودنيوية، فأُمِرَ مع ذلك بإكثار ذِكْرِ الله.

وقال مكحول والحسن وابن المسيِّب: الفضلُ المأمورُ بابتغائه هو العلم. وقال جعفر الصادق: ينبغي أن يكون صبحَ يوم السبت، ويعني أن يكون بقيةَ يوم الجمعة في عبادة[٤].

ورُويَ أنَّه كان أصابَ أهلَ المدينة جوعٌ وغلاءُ سِعْرٍ، فقدم دِحْيَةُ بعِيرٍ تحمل مِيرةً. قال مجاهد: وكان مِنْ عُرْفِهم أن يُدْخَل بالطبل والمعازف والصُّناج[٥] سروراً بها[٦]، فدخل بها، فانفَضُّوا إلى رؤية ذلك وسماعه، وتركوه ﷺ قائماً على المنبر

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٧٤.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٦ بنحوه.

(٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٧٥. ونسب القول الثاني للشافعي، وهو في الأم ١/ ١٧٣. وقول الضحاك أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٥٢٢٣)، وابن أبي شيبة (٥٤٢٨)، والطبري ٢٢/ ٦٤٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩ بنحوه. وقول مكحول والحسن وابن المسيب في زاد المسير ٨/ ٢٦٨.

(٥) كلمة «والصُّناج» من (يه) و(ع)، وهي في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩ لكنها تصحفت فيه إلى: والصياح. ولم أجد من جمع «صَنْج» على «صُناج»، وإنما جمعه صُنوج، والصَّنْجُ من آلات الملاهي، أو هو ما يُجعل في إطار الدُّفِّ من النحاس المُدوَّر صغاراً، وهو شيءٌ تعرفه العرب. معجم متن اللغة ٣/ ٤٩٩.

(٦) في (أ) و(يه): من ورائها، وفي (ع) والمطبوع: من درابها. والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩.

في اثني عشر رجلاً. قال جابر: أنا أحَدُهم. قال أبو بكر غالب بن عطية[١]: هم العشرة المشهود لهم بالجنة والحادي عشر قيل: عمار. وقيل: ابن مسعود. وقيل: ثمانية. قالوا: فنزلت ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ﴾.

وقرأ الجمهور: «إليها» بضمير التجارة. وابنُ أبي عَبْلة: «إليه» بضمير اللَّهو[٢]. وكلاهما جائزٌ، نَصَّ عليه الأخفش عن العرب.

وقال ابن عطية[٣]: وقال: «إليها» ولم يقُل: إليهما؛ تهمُّماً بالأهمِّ؛ إذ كانت سببَ اللَّهو، ولم يكن اللَّهوُ سببَها، وتأمَّل أن قُدِّمَتِ التجارةُ على اللَّهو في الرؤية؛ لأنَّها أهَمُّ، وأُخِّرت مع التفضيل؛ لتقعَ النفسُ أولاً على الأبْيَن. انتهى.

وقوله: قال: «إليها» ولم يقل: إليهما، ليس بصحيح؛ لأنَّ العطف بـ «أو» لا يُثنى فيه الضمير، بل يُفرَد، وقد تأوَّلوا قولَه: ﴿إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ﴾[٤][النساء: ١٣٥].

وفي قوله: ﴿قَآئِمٗاۚ﴾ دلالةٌ على مشروعية القيام في الخطبة، وأولُ من استراح في الخطبة عثمان، وأولُ من خطبَ جالساً معاوية[٥].

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩، وما قبله منه دون قوله: ورُوي أنَّه كان أصاب أهل المدينة جوعٌ وغلاء سعر، فهو في أسباب النزول للواحدي ص ٤٥٦، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٩٢، والطبري ٢٢/ ٦٤٦ عن الحسن.

(٢) زاد المسير ٨/ ٢٧٠.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٠.

(٤) كلام المصنف في تعقُّبه ابنَ عطية من (يه) وحدها.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٩٧-١٧٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٠.
وقوله: أوّل من استراح في الخطبة عثمان، أخرجه سعيد بن منصور فيما ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٢/ ٤٠١ عن الحسن.
وقوله: أوَّل من خطب جالساً معاوية، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٢٥٩)، وابن أبي شيبة (٥٢٢٣) عن طاوس.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٨٨٥) عن الشعبي قال: أول من خطب جالساً معاوية حين كبِرَ، وكثُر شحمُه، وعظُم بطنُه.
=

وقُرئ: «إليهما» بالتثنية للضمير[١]، كقوله تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾، وتخريجُه على أن يُتجوَّز بـ «أو» فتكون بمعنى الواو، وقد تقدَّم غيرُ هذا التخريج في قوله: ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ في موضعه في سورة النساء[٢].

وناسبَ خَتْمُها بقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ لأنَّهم كانوا قد مَسَّهم شيءٌ من غَلاء الأسعار كما تقدَّم في سبب النزول، وقد ملأ المفسِّرون كثيراً من أوراقهم بأحكامٍ وخلافٍ في مسائل الجمعة ممَّا لا تَعلُّقَ لها بلفظ القرآن.

= وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥٢١) عن أبي إسحاق السَّبيعي قال: أول من خطب جالساً معاوية، ثم اعتذر إلى الناس فقال: إنني أشتكي قدمي.
وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٨/ ٢٦٩ عن ميمون بن مهران قال: أول من جلس على المنبر واستأذن الناس معاوية، فأذنوا له.
وأخرج الطبراني في الكبير (٧٣٨) عن موسى بن طلحة قال: شهدت معاوية يخطب قاعداً.

(١) زاد المسير ٨/ ٢٧٠ عن ابن مسعود ﷺ وابن أبي عبلة.

(٢) الآية (٣٥) منها.

سورة المنافقون

المفردات الجسم والخشب معروفان.

أسندت ظهري إلى الحائط: أمَلْتُه وأضَفْتُه إليه[1]. وتساند القومُ: اصطَفُّوا وتقابلوا للقتال[2].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ
عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ
رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا
ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨ بنحوه.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

التفسير

هذه السورة مدنية، نزلت في غزوة بني المُصْطَلِق، كانت من عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول وأتباعِه فيها أقوالٌ، فنزلت[(١)].

وسبَبُ نزولها مذكورٌ في قصةٍ طويلةٍ من مضمونها أنَّ اثنين من الصحابة ازْدَحما على ماءٍ ـ وذلك في غزوة بني المُصْطَلِق ـ فشَجَّ أحدُهما الآخَر، فدعا المشجوجُ: ياللأنصار، والشاجُّ: ياللمهاجرين، فقال عبد الله بن أُبيّ ابن سَلول ما حكى اللهُ تعالى عنه من قوله: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾، وقوله: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ وعنى الأعزَّ نفسَه، وكلاماً قبيحاً، فسمِعَه زيدُ بن أرقم، ونقل ذلك إلى رسول الله ﷺ، فلامَ رسولُ الله ﷺ عبد الله، فحَلفَ ما قال شيئاً من ذلك، فاتُّهِمَ زيدٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾؛ تصديقاً لزيد، وتكذيباً لعبد الله بن أُبيّ[(٢)].

ومناسبة هذه السورة لِما قبلَها أنّه لمَّا كان سببُ الانفضاض عن سماع الخطبة ربما كان حاصلاً عن المنافقين واتَّبعهم ناسٌ كثيرٌ من المؤمنين في ذلك، وذلك لسرورهم بالعير التي قدمت بالمِيرة، إذ كان وقت مجاعة، جاء ذِكْرُ المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾؛ إذ كانوا هم أصحابَ أموال، والمهاجرون فقراء قد تركوا أموالَهم ومتاجِرَهم وهاجروا لله تعالى.

﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ﴾ يجري مجرى اليمين؛ ولذلك تُلُقِّي بما يُتَلَقَّى به القَسَم، وكذا

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١١.

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٤٩٠٠-٤٩٠٤)، ومسلم (٢٧٧٢)، وأحمد (١٩٢٨٥) من حديث زيد بن أرقم ﷺ. والبخاري (٤٩٠٥) و(٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤)، وأحمد (١٥٢٢٣) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ. وينظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٥٧-٤٦١، والكشاف ٤/ ١١٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٣-٣١٤.

فِعْلُ اليقين والعلم يجري مجرى القَسَم بقوله: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[١].

وأصلُ الشهادة أن يُواطِئ اللسانُ القلبَ؛ هذا بالنُّطق، وذلك بالاعتقاد[٢]، فأكذبَهم الله وفضحَهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: لم تواطىء قلوبُهم ألسنتَهم على تصديقِك، واعتقادُهم أنَّك غيرُ رسول، فهم كاذبون عند الله وعند مَنْ خَبَرَ حالَهم، أو كاذبون عند أنفسهم؛ إذ كانوا يعتقدون أنَّ قولَهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كَذِبٌ، وجاء بين شهادتهم وتكذيبهم قولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾إيذاناً أنَّ الأمرَ كما لفظوا به مِنْ كَوْنِه رسولَ الله حقًّا، ولو لم تأتِ هذه الجملة لَتُوُهِّم أنَّ قولَهم هذا كذب، فوسَّطَتِ الأمرَ بينهما ليزولَ ذلك التَّوَهُّم[٣].

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾سمَّى شهاداتهم تلك أيماناً.

وقرأ الجمهور: «أيمانهم» بفتح الهمزة، جمع يمين. والحسن بكسرها، مصدر «آمن»[٤].

ولمَّا ذكر أنَّهم كاذبون أتبعه[٥] بموجب كفرهم[٦]، وهو اتِّخاذ أيمانهم جُنَّةً يستترون بها ويذُبُّون بها عن أنفسهم وأموالهم، وكذلك إيمانهم الذي أظهروه - وليس حقيقةً - تستَّروا به، وصانوا به أنفسهم وأموالهم[٧]، كما قال بعض الشعراء:

وما انتسبوا إلى الإسلام إلَّا لِصَوْنِ دمائهم أنْ لا تُسالا[٨]

ومِنْ أيمانهم أيمانُ عبد الله ومَنْ حلفَ معه من قومه أنَّه ما قالَ ما نقَلَه زيدُ بن

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١١ بنحوه.
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٧٩٩ بنحوه.
(٣) الكشاف ٤/ ١٠٧-١٠٨ بنحوه، وما بعده منه.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٧، والمحتسب ٢/ ٣٢٢.
(٥) في (أ) والمطبوع: أتبعهم.
(٦) في (يه) وحدها: كذبهم.
(٧) من قوله: وكذلك إيمانهم.. إلى هنا من (يه).
(٨) سلف في تفسير مفردات الآية (١٤٢) من سورة النساء.

أرقم إلى رسول الله ﷺ، جعلوا تلك الأيمانَ جُنَّةً تقي من القتل. وقال أعشى هَمْدان:

إذا أنتَ لم تجعَلْ لِعِرْضِكَ جُنَّةً ... من المالِ سارَ الذَّمُّ[1] كلَّ مَسيرِ[2]

وقال الضحَّاك: اتَّخذوا حَلِفَهم بالله إنَّهم لمنكم[3]. وقال قتادة: كلَّما ظهرَ على شيءٍ منهم يوجب مؤاخذتهم حلفوا كاذبين؛ عِصمةً لأموالهم ودمائهم[4]. وقال السُّدِّي: جُنَّةً من ترك الصلاة عليهم إذا ماتوا[5].

﴿فَصَدُّوا﴾أي: أعرضوا، أو صدُّوا اليهود والمشركين عن الدخول في الإسلام[6].

﴿ذَٰلِكَ﴾أي: ذلك الحلف الكاذب والصد المقتضيان لهم سوء العمل بسبب إيمانهم ثم كفرهم[7].

وقال ابن عطية[8]: ﴿ذَٰلِكَ﴾إشارة إلى فعل الله بهم في فضيحتهم وتوبيخهم. ويحتمل أن تكون الإشارةُ إلى سوء ما عملوا، فالمعنى: ساءَ عملُهم بأن كفروا.

وقال الزمخشري[9]: ذلك القولُ الشاهدُ عليهم بأنَّهم أسوأُ النَّاسِ أعمالاً، بسبب أنَّهم آمنوا ثم كفروا، أو إلى ما وُصِفَ من حالهم في النفاق والكذب

(١) في (أ) والمطبوع: القوم.
(٢) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٤ للأعشى ميمون، ولم أجده في ديوانه. والبيت لعمرو بن أحمر كما في معجم الشعراء ص ٢٤.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٤٨٠، والوسيط ٤/ ٣٠٢. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٥١.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣١، والنكت والعيون ٦/ ١٤. وأخرجه الطبري ٢٢/ ٦٥١.
(٥) النكت والعيون ٦/ ١٤.
(٦) تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٩٩.
(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٢ بنحوه.
(٨) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.
(٩) في الكشاف ٤/ ١٠٨.

والاستجنان[١] بالأيمان، أي: ذلك كلُّه بسبب أنَّهم آمنوا ثم كفروا.

وقرأ الجمهور: «فطُبِعَ» مبنيًّا للمفعول. وزيد بن علي مبنيًّا للفاعل، أي: فطبَعَ اللهُ. وكذا قراءة الأعمش وزيد في رواية مُصرَّحاً بالله[٢]. ويحتمل على قراءة زيد الأولى أن يكون الفاعل ضميراً يعود على المصدر المفهوم من ما قبله، أي: فطبَعَ هو، أي: بلَعِبِهم بالدِّين.

ومعنى «آمنوا»: نطقوا بكلمة الشهادة، وفعلوا كما يفعل المسلمون، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾أي: ظهرَ كفرُهم بما نطقوا به بَعْدُ من قولهم: لئِنْ كان ما يقولُه محمدٌ حقًّا فنحن شَرٌّ من الحمير. وقولهم: أيطمَعُ هذا الرجلُ أن تُفتَحَ له قصورُ كسرى وقيصر، هيهات. أو نَطَقوا بالإيمان عند المؤمنين، وبالكفر عند شياطينهم. أو ذلك فيمن آمن ثمَّ ارتدَّ[٣].

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾الخطاب للرسول ﷺ أو للسامع، أي: لحُسْنها ونضارتها وجمالِها، وهم رؤساء المنافقين.

﴿وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾، وذلك لفصاحة ألسنتِهم[٤]، وجهارة أصواتِهم، فكان منظرُهم يروق، ومنطِقُهم يُجاب[٥].

وقرأ الجمهور: «تَسْمَعْ» بتاء الخطاب. وعكرمة وعطية العَوْفي: «يُسْمَعْ» بالياء مبنيًّا للمفعول[٦]. و«لقولِهم» الجار والمجرور هو المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعِلُه، وليست اللَّامُ زائدة، بل ضُمِّنَ «تَسْمَعْ» معنى تُصْغِ وتمِلْ، فعُدِّي باللَّام وليست زائدة، فيكون قولهم هو المسموع.

---

(١) في النسخ سوى (يه): والاستخفاف.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٦ عن الأعمش، والكشاف ٤/ ١٠٩ عن زيد بن علي.
(٣) الكشاف ٤/ ١٠٨ بنحوه.
(٤) من قوله: وجمالها... إلى هنا من (يه) وحدها.
(٥) في المطبوع: يحلو.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٨. ووقع في القراءات الشاذة ص ١٥٦-١٥٧: «تسمع» بالتاء ودون ضبط، ونسبها لعطية العوفي.

وشُبِّهوا بالخُشُب؛ لعزوب أفهامهم وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكفِ حتى جعلها مُسندَةً إلى الحائط لا انتفاع بها؛ لأنَّها إذا كانت في سقفٍ أو مكانٍ يُنتفَعُ بها، وأمَّا إذا كانت غيرَ مُنتَفَعٍ بها فإنَّها تكون مُهملَةً مُسنَدةً إلى الحيطان، أو مُلقاةً على الأرض قد صُففَتْ. أو شُبِّهوا بالخشب التي هي الأصنام، وقد أُسْنِدَتْ إلى الحيطان. أو شُبِّهوا في اصطفافهم في الأندية بالخشب بالمصطفَّة إلى الحيطان[١].

والجملة التشبيهية مستأنَفة، أو على إضمار «هم».

وقرأ الجمهور: «خُشُب» بضَمِّ الخاء والشين. والبراء بن عازب والنَّحْويان وابنُ كثير بإسكان الشين[٢] تخفيف «خُشُب» المضموم. وقيل: جمع «خَشْباء» كحُمْر جمع حَمْراء، وهي الخشبة التي نُخِرَ جوفُها، شُبِّهوا بها في فسادِ بواطِنِهم[٣].

وقرأ ابن المسيِّب وابن جُبير: «خَشَب» بفتحتين[٤]، اسم جنس، الواحد خَشَبة، وأُنِّثَ وصفُه كقوله: ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧] أشباحٌ بلا أرواح، وأجسامٌ بلا أحلام[٥]. وذُكِرَ ممَّن كان ذا بهاءٍ وفصاحةٍ عبدُ الله بن أُبيّ والجَدّ بن قيس ومُعتِّب بن قُشَير[٦]. قال الشاعر في مثل هؤلاء:

لا تخدعَنْكَ اللِّحى ولا الصُّوَرُ ... تسعةُ أعشارِ مَنْ ترى بَقَرُ
تراهُمُ كالسَّحاب منتشراً ... وليس فيها لطالبٍ مطرُ
في شجرِ السَّرْوِ منهمُ شَبَهٌ ... لَهُ رُواءٌ وما لَهُ ثمرُ[٧]

---

(١) الكلام من الكشاف ٤/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٢ بنحوه.
(٢) قراءة النحويين أبي عمرو والكسائي، وابن كثير من رواية قنبل عنه في السبعة ص٦٣٦، والتيسير ص ٢١١، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.
(٣) الكشاف ٤/ ١٠٩.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.
(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٤٨.
(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ١٤.
(٧) الأبيات لابن لَنْكك محمد بن محمد البصري، وهي في يتيمة الدهر ٢/ ٤١٠، والبيت

وقيل: الجملة التشبيهية وصف لهم بالجبن والخَوَر[١]، ويدلُّ عليه: «يحسبون كلَّ صيحة عليهم» في موضع المفعول الثاني لـ «يحسبون» أي: واقعةً عليهم، وذلك لجُبنهم وما في قلوبهم من الرعب[٢].

قال مقاتل: كانوا متى سمعوا بنِشْدان ضالَّة أو صياحاً بأيِّ وجهٍ كان، أو أُخبروا بنزول وحيٍ طارَتْ عقولُهم حتى يسكن ذلك، ويكون في غير شأنهم، وكانوا يخافون أن يُنزِلَ الله تعالى فيهم ما تُباحُ به دماؤهم وأموالهم، ونحو هذا قول الشاعر:

يُرَوِّعُهُ السِّرارُ بكلِّ أرضٍ   مخافةَ أن يكون بهِ السِّرارُ[٣]

وقال جرير:

ما زلْتَ تحسَبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ   خيلاً تَكُرُّ عليهمُ ورِجالا

أنشده ابن عطية لجرير[٤]، ونسب هذا البيت الزمخشريُّ للأخطل[٥]. قال: ويجوز أن يكون «هم العدوُّ» المفعولَ الثاني، كما لو طرحتَ الضمير، فإن قلتَ: فحقُّه أن يقول: هي العدو؟! قلت: منظورٌ فيه إلى الخبر، كما ذُكِرَ في: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٧] وأن يُقدَّرَ مضافٌ محذوفٌ على: يحسبون كلَّ أهل صيحة. انتهى.

= الثالث في ثمار القلوب ص ٥٩٢، وأسرار البلاغة ص ٩٩. والرُّواء: المنظر الحسن. اللسان (روي).

(١) تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠١ بنحوه.

(٢) الكشاف ٤/ ١٠٩.

(٣) البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ٢/ ٣٣٢، وفيه: أمر، بدل: أرض. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٠٩.

(٤) وهو في ديوانه بشرح محمد بن حبيب ١/ ٥٣، وفيه: عليكم، بدل: عليهم. وهو الأوْلى، ونُسب لجرير في الحيوان ٥/ ٢٤٠، والأغاني ١٢/ ٢٠٠، والعقد الفريد ٣/ ١٣٢، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٦٤.

(٥) لم أجده في ديوان الأخطل، ولم أجد من نسبه إليه سوى الزمخشري في كشافه ٤/ ١٠٩ ومن نقل عنه.

وتخريج «هم العدوُّ» على أنَّه مفعولٌ ثانٍ لـ «يحسبون» تخريجٌ مُتكلَّفٌ بعيدٌ عن الفصاحة، بل المُتبادَرُ إلى الذِّهن السليم أن يكون «هم العدوُّ» إخباراً منه تعالى بأنَّهم ـ وإن أظهروا الإسلام ـ وأتباعَهم هم المبالغون في عداوتك؛ ولذلك جاء بعده أمرُه تعالى إيَّاه بحذَرِهم، فقال: «فاحْذَرْهم»، فالأمر بالحذر مُتسببٌ عن إخباره بأنَّهم هم العدو.

و«قاتلَهم الله» دعاءٌ يتضمَّن إبعادَهم وتمنِّي الشرِّ لهم، وأن يدعُوَ عليهم المؤمنون بذلك[١].

﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ؟ وفيه تعجُّبٌ من ضلالهم وجهلهم[٢].

ولمَّا أخبرَه تعالى بعداوتهم أمرَه بحَذَرِهم فلا يثقُ بإظهار مودَّتِهم ولا بلين كلامهم[٣].

و«قاتَلَه الله» كلمةُ ذَمٍّ وتوبيخ، وقالت العرب: قاتلَهُ اللهُ ما أشعَرَه! يضعونه موضعَ التعجُّب، ومَنْ قاتَلَه اللهُ فهو مغلوبٌ؛ لأنَّه تعالى هو القاهرُ لكلِّ معاندٍ[٤].

و«كيف» استفهام، أي: كيف يُصرَفون عن الحقِّ ولا يرون رشدَ أنفسهم.

قال ابن عطية[٥]: ويحتمل أن يكون «أنَّى» ظرفاً لـ«قاتَلَهم»، كأنَّه قال: قاتَلَهم اللهُ كيف انصرفوا أو صُرِفوا، فلا يكون في القول استفهامٌ على هذا. انتهى.

ولا يصِحُّ أن يكون «أنَّى» لمجرَّدِ الظَّرف، بل لا بُدَّ أن يكون ظرفاً استفهاماً إمَّا بمعنى «أين» أو بمعنى «متى» أو بمعنى «كيف»، أو شرطاً بمعنى «أين»، وعلى هذه

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢.

(٢) الكشاف ٤/ ١١٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٥، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٢ بنحوه.

(٤) الكلام ـ دون قوله: ومن قاتله الله فهو مغلوب ـ من النكت والعيون ٦/ ١٦، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٢.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٢-٣١٣، وما قبله منه.

التقادير لا يعمَلُ فيها ما قبلَها، ولا تتجرَّدُ لمطلق الظرفية بحالٍ من غير اعتبار ما ذكرناه، فالقول بذلك باطل.

ولمَّا صدَّقَ اللهُ زيدَ بنَ أرقم فيما أخبَرَ به عن ابن سَلول مقَتَ الناسُ ابنَ سلول، ولامَه المؤمنون من قومه، وقال بعضُهم: امْضِ إلى رسول الله ﷺ واعترِفْ بذنبِكَ يستغفِرْ لك، فلوى رأسَه إنكاراً لهذا الرأي، وقال لهم: لقد أشَرْتُم عليَّ بالإيمان فآمنتُ، وأشَرْتُم عليَّ بأنْ أُعطيَ زكاةَ مالي ففعَلْتُ، ولم يبقَ لكم إلَّا أن تأمروني بالسجود لمحمد[(١)].

و«يستغفِرْ» مجزومٌ على جواب الأمر، و«رسولُ الله» يطلبه عاملان، أحدُهما «يستغفِرْ» والآخر «تعالَوا» فأُعمِلَ الثاني على المختار عند أهل البصرة، ولو أُعمِلَ الأول لكان التركيب: تعالوا يستغفِرْ لكم إلى رسول الله[(٢)].

وقرأ مجاهد، ونافع، وأهل المدينة، وأبو حَيْوة، وابنُ أبي عَبْلة، والمُفضَّل وأبان عن عاصم، والحسن ويعقوب بخلافٍ عنهما: «لَوَوْا» بفتح الواو. وأبو جعفر، والأعمش، وطلحة، وعيسى، وأبو رجاء، والأعرج، وباقي السبعة بشدِّها للتكثير[(٣)].

ولَيُّ رؤوسهم على سبيل الاستهزاء[(٤)]، واستغفارُ الرسول لهم: هو استتابتُهم من النفاق فيستغفِرُ لهم[(٥)]؛ إذْ كان استغفارُهُ متسبِّباً عن استتابتهم، فيتوبون وهم يصدُّون عن المجيء واستغفار الرسول.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٦٥٧ عن بشير بن مسلم.

(٢) ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٥.

(٣) السبعة ص ٦٣٦، والتيسير ص ٢١١، والنشر ٢/ ٣٨٨ من رواية روح عن يعقوب، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٤. والمشهور عن عاصم قراءة التشديد.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥٩، وتفسير الطبري ٢٢/ ٦٥٤، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٤٧٤. وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧ عن قتادة، والرازي في تفسيره ٣٠/ ١٥ عن الكلبي، والقرطبي ٢٠/ ٥٠٢ عن ابن عباس ﷺ.

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧.

وقُرئ: «يصِدُّون»[١].

و«يَصُدُّون» جملة حالية، وأتَتْ بالمضارع ليدلَّ على استمرارهم، «وهم مستكبرون» جملة حالية أيضاً.

ولمَّا سبق في علمه تعالى أنَّهم لا يؤمنون البتة سَوَّى بين استغفاره لهم وعدمه[٢].

وحكى مكيٌّ[٣] أنَّه عليه الصلاة والسلام كان استغفرَ لهم لأنَّهم أظهروا له الإسلام. وقال ابن عباس: نزلت هذه بعد قوله تعالى في براءة [الآية:٨٠]: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾، وقوله عليه الصلاة والسلام: «سوفَ أستغفِرُ لهم زيادةً على السبعين»[٤]، فنزلت هذه الآية، فلم يبقَ للاستغفار وجهٌ.

وقرأ الجمهور: «أستَغْفَرْتَ» بهمزةِ التسوية التي أصلُها همزة الاستفهام، وطرح ألفِ الوصل. وأبو جعفر بمَدَّةٍ على الهمزة[٥]. قيل: هي عِوَضٌ من همزة الوصل، وهي مثل المدَّة في قوله ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ﴾ [الأنعام:١٤٣] لكن هذه المدَّة في الاسم؛ لئلا يلتبس الاستفهامُ بالخبر، ولا يُحتاج ذلك في الفعل؛ لأنَّ همزة الوصل فيه مكسورة.

وعن أبي جعفر أيضاً ضَمُّ ميم «عليهمُ»؛ إذ أصلُها الضمُّ، ووصلُ الهمزة[٦].

وروى معاذ بن معاذ العنبري عن أبي عمرو كسر الميم على أصل التقاء

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.
(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٤، والكشاف ٤/ ١١٠.
(٣) في الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٤٨٦.
(٤) أخرجه البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠)، وأحمد (٤٦٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤، وهي في النشر ٢/ ٣٨٨ عنه من رواية ابن وردان، لكن المشهور عنه كقراءة الجمهور.
(٦) أي: «عليهمُ اسْتَغْفَرْتَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٧، والمحتسب ٢/ ٣٢٢. والمشهور عن أبي جعفر كقراءة الجمهور.

الساكنين، ووصلِ الهمزة[١]، فتسقطُ في القراءتين. واللفظ خبرٌ، والمعنى على الاستفهام، والمرادُ التسوية، وجاز حذفُ الهمزة لدلالة «أم» عليها، كما دلَّت على حذفِها في قوله:

بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمرَ أمْ بثمانِ[٢]

يريد: أبسَبْعٍ.

وقال الزمخشري: وقرأ أبو جعفر: «آستغفَرْتَ» إشباعاً لهمزة الاستفهام للإظهار والبيان لا قلباً لهمزة الوصل ألفاً، كما في ﴿آلسِّحْرُ﴾[٣] [يونس:٨١]، و﴿ءَآللَّهُ﴾ [يونس:٥٩].

وقال ابن عطية[٤]: وقرأ أبو جعفر بن القعقاع: «آستَغْفَرْتَ» بمدَّةٍ على الهمزة، وهي ألف التسوية. وقرأ أيضاً بوصل الألف دون همز على الخبر.

وفي هذا كلِّه ضعفٌ؛ لأنَّه في الأُولى أثبتَ همزة الوصل وقد أغنَتْ عنها همزة الاستفهام، وفي الثانية حذف همزة الاستفهام وهو يريدُها، وهذا ممَّا لا يُستعمَلُ إلَّا في الشعر.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ إشارةٌ إلى ابن سَلول ومَنْ وافَقَه من قومه، سَفَّه أحلامَهم في أنَّهم ظنُّوا أنَّ رزقَ المهاجرين بأيديهم، وما علِموا أنَّ ذلك بيد الله تعالى.

﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إنْ كان الله تعالى حكى نصَّ كلامهم، فقولهم: ﴿مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ هو على سبيل الهُزْء، كقولهم: ﴿وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، أو لكونه جرى عندهم مجرى اللَّقب،

---

(١) أي: «عليهمِ استَغْفَرْتَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٦ أيضاً. والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٢) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص ٢٦٦، وصدره:

فوالله ما أدري وإنِّي لحاسبٌ

(٣) بالمدِّ، وهي قراءة أبي عَمرو وأبي جعفر، وقرأ الباقون: ﴿ٱلسِّحْرُ﴾، والكلام في الكشاف ٤/ ١١١.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.

أي: هو معروفٌ بإطلاق هذا اللفظ عليه؛ إذ لو كانوا مُقِرِّين برسالته ما صدر منهم ما صدر، فالظاهر أنَّهم لم ينطقوا بنفس ذلك اللَّفظ، ولكنَّه تعالى عبَّر بذلك عن رسوله ﷺ؛ إكراماً له وإجلالاً.

وقرأ الجمهور: «يَنْفَضُّوا» أي: يتفرَّقوا عن الرسول. والفضل بن عيسى الرَّقاشي: «يُنْفِضوا» من أنفَضَ القومُ: فَنِيَ طعامُهم، فنفَضَ الرجلُ وعاءَه[1]. والفعل من باب ما تعدَّى بغير الهمزة، وبالهمزة لا يتعدَّى. قال الزمخشريُّ[2]: وحقيقتُه: حانَ لهم أن يَنْفُضوا مزاوِدَهم.

وقرأ الجمهور: «لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ» فـ «الأعزُّ» فاعل، و«الأذلّ» مفعول[3]. وهو من كلام ابن سلول كما تقدَّم. ويعني بالأعزِّ نفسَه وأصحابَه، وبالأذلّ المؤمنين[4].

والحسن، وابن أبي عَبْلة، والمُسَيَّبي[5] في اختياره: «لَنُخْرِجَنَّ» بالنون ونصبِ «الأعزّ» و«الأذلّ»[6]، فـ «الأعزَّ» مفعول، و«الأذلّ» حال.

وقرأ الحسن فيما ذكر أبو عمر الداني: «لَنَخْرُجَنَّ» بنون الجماعة مفتوحةً وضمِّ الراء ونصبِ «الأعزّ» على الاختصاص، كما قال: نحنُ العرَبَ أقرى النَّاس للضَّيف. ونصب «الأذلَّ» على الحال، وحكى هذه القراءة أبو حاتم، وحكى الكسائيُّ والفرَّاء أنَّ قوماً قرؤوا: «لَيَخْرُجَنَّ» بالياء مفتوحةً وضمِّ الراء. فالفاعل «الأعز»، ونصب «الأذلّ» على الحال[7].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.
(٢) في الكشاف ٤/ ١١١.
(٣) إملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦٢.
(٤) الكشاف ٤/ ١١١.
(٥) تحرف في (أ) والمطبوع إلى: والسبي، وفي (ع) إلى: السبتي. والمُسيَّبي: هو إسحاق بن محمد المخزومي، وهو من أصحاب نافع، وقد تقدم.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٥٧، والكشاف ٤/ ١١١ عن الحسن وابن أبي عبلة، وزاد المسير ٨/ ٢٧٧ عن الحسن، والكلام من الكشاف وزاد المسير. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٥.
(٧) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٦٠.

وقُرئ: «لَيُخْرَجَنَّ» مبنيًا للمفعول وبالياء[(١)]، «الأعزُّ» مرفوعٌ به، «الأذلَّ» نصباً على الحال.

ومجيءُ الحال بصورة المعرفة متأوَّلٌ عند البصريين، فما كان منها بـ «أل» فعلى زيادتها لا أنَّها معرفة.

ولمَّا سمِعَ عبدُ الله ولدُ عبد الله بن أُبَيّ هذه الآية جاء إلى أبيه فقال: أنتَ واللهِ يا أبَتِ الذَّليلُ، ورسولُ الله ﷺ العزيزُ، فلمَّا دنا من المدينة جرَّدَ السيفَ عليه ومنَعَه الدخولَ حتى يأذن له رسول الله ﷺ، وكان فيما قال له: وراءَكَ لا تدخُلها حتى تقول: رسولُ الله ﷺ الأعَزُّ، وأنا الأذَلُّ. فلم يَزلْ حَبيساً في يدِه حتى أذِنَ له رسول الله ﷺ بتخليَتِه، وفي هذا الحديث أنَّه قال لأبيه: لئِنْ لم تَشْهد لله ولرسوله بالعزَّة، لأضرِبَنَّ عنُقَك. قال: أفاعِلٌ أنتَ؟ قال: نعم. فقال: أشهدُ أنَّ العزَّةَ لله ولرسوله وللمؤمنين[(٢)].

وقيل للحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: زعم الناسُ أنَّ فيكَ تِيهاً. فقال: ليس بتيهٍ ولكنَّه عِزَّةٌ، وتلا هذه الآية[(٣)].

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ﴾ بالسَّعي في نمائها، والتلذُّذ بجَمْعِها ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ بسروركم بهم، وبالنظر في مصالحهم في حياتكم وبعد مماتكم.

﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ هو عامٌّ في الصلاة والثناء على الله تعالى بالتسبيح والتحميد وغير ذلك والدعاء. قال نحواً منه الحسن وجماعة.

وقال الضحاك وعطاء: أكَّدَ هنا الصلاة المكتوبة[(٤)]. وقال الحسن أيضاً: جميع

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥.

(٢) الكشاف ٤/ ١١٠. وأخرجه بغير هذا السياق الطبري ٢٢/ ٦٦٩-٦٧٠ من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن عبد الله بن عبد الله بن أبي. . . فذكره. وأخرجه ـ بغير هذا السياق أيضاً ـ ابن شبَّة في تاريخ المدينة ١/ ٣٦٦-٣٦٧ عن ابن سيرين مرسلاً.

(٣) الكشاف ٤/ ١١١، وما بعده منه بنحوه.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥. وقول الضحاك أخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ٦٧٠-٦٧١. وقول عطاء في النكت والعيون ٦/ ١٨، وزاد المسير ٨/ ٢٧٧.

الفرائض[١]. وقال الكلبي: الجهاد مع رسول الله ﷺ[٢]. وقيل: القرآن[٣].

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: الشُّغل عن ذكر الله بالمال والولد ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ حيث آثروا العاجلَ على الآجلِ، والفانيَ على الباقي[٤].

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ قال الجمهور: المراد الزكاة. وقيل: عامٌّ في المفروض والمندوب[٥]. وعن ابن عباس: نزلت في مانعي الزكاة، واللهِ لو رأى خيراً ما سأل الرَّجعة. فقيل له: أما تتَّقي الله، يسأل المؤمنون الكرَّة؟ قال: نعم، أنا أقرأ عليكم به قرآناً. يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها[٦].

﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ أي: هلَّا أخَّرْتَ موتي إلى زمان قليل[٧].

وقرأ الجمهور: «فأصَّدَّقَ»، وهو منصوبٌ على جواب الرغبة. وأبيٌّ، وعبد الله، وابن جُبير: «فأتصدَّق» على الأصل[٨].

وقرأ جمهور السبعة: «وأكُنْ» مجزوماً، قال الزمخشري[٩]: عطفاً على محلِّ «فأصَّدَّقَ»، كأنَّه قيل: إنْ أخَّرتني أصَّدَّقْ وأكُنْ.

وقال ابن عطية[١٠]: عطفاً على الموضع؛ لأنَّ التقدير: إنْ تؤخِّرْني أصَّدَّقْ

---

(١) الكشاف ٤/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٦.
(٢) النكت والعيون ٦/ ١٨، والكشاف ٤/ ١١١.
(٣) الكشاف ٤/ ١١١، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠٦.
(٤) الكشاف ٤/ ١١١ بنحوه.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١١١-١١٢. وأخرجه بنحوه الترمذي (٣٣١٦).
(٧) الكشاف ٤/ ١١٢.
(٨) القراءات الشاذة ص ١٥٧ عن سعيد بن جبير، والكشاف ٤/ ١١٢ عن أبيٍّ ﷺ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦ عن أبي وابن مسعود ﷺ. وعند قوله: وعبد الله، ينتهي السقط من (د٣).
(٩) في الكشاف ٤/ ١١٢.
(١٠) في المحرر الوجيز ٥/ ٣١٥-٣١٦.

وأكُنْ، هذا مذهب أبي علي الفارسي[١]، فأمَّا ما حكاه سيبويه[٢] عن الخليل فهو غيرُ هذا، وهو أنَّه جزَمَ «وأكُنْ» على توهُّم الشرط الذي يدلُّ عليه التمنِّي، ولا موضعَ هنا؛ لأنَّ الشرطَ ليس بظاهر، وإنَّما يُعطَفُ على الموضع حيث يظهر الشَّرط، كقوله تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف:١٨٦]، فمن قرأ بالجزم عطفَ على موضع «فلا هاديَ له»؛ لأنَّه لو وقع هنالك فعلٌ كان مجزوماً. انتهى.

والفرق بين العطف على الموضع والعطف على التوهُّم أنَّ العاملَ في العطف على الموضع موجودٌ دون مؤثِّره، والعاملَ في العطف على التوهُّم مفقودٌ وأثَرُه موجود.

وقرأ الحسن، وابن جُبير، وأبو رجاء، وابن أبي إسحاق، ومالك بن دينار، والأعمش، وابن مُحَيْصِن، وعبيد الله[٣] بن الحسن العنبري، وأبو عمرو: «وأكونَ» بالنصب عطفاً على «فأصَّدَّقَ». وكذا في مصحف عبد الله وأُبيٍّ[٤].

وقرأ عُبيد بن عُمير: «وأكونُ» بضمِّ النون على الاستئناف، أي: وأنا أكونُ، وهو وعدٌ بالصَّلاح[٥].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا﴾ فيه تحريض على المبادرة بأعمال الطاعات حذاراً أن يجيء الأجلُ وقد فرَّط ولم يستعِدَّ للقاء الله[٦].

---

(١) في الحجة للقراء السبعة ٦/ ٢٩٣. وهو مذهب الزجَّاج في معاني القرآن له ٥/ ١٧٨.
(٢) في الكتاب ٣/ ١٠٠.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: عبد الله، والمثبت من (يه)، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦ والكلام منه. وعبيد الله بن الحسن العنبري: هو قاضي البصرة، قال ابن حبان: من سادات أهل البصرة فقهاً وعلماً. وهو القائل: لأنْ أكون ذَنَباً في الحقِّ أحَبُّ إليَّ من أكونَ رأساً في الباطل. توفي سنة (١٦٨هـ). تهذيب التهذيب ٣/ ٧.
(٤) قراءة أبي عمرو في السبعة ص ٦٣٧، والتيسير ص ٢١١. وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣٦-٤٣٧.
(٥) الكشاف ٤/ ١١٢.
(٦) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ١٢٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٦.

وقرأ الجمهور: «تعملون» بتاء الخطاب للناس كلِّهم. وأبو بكر بالياء[١]. خصَّ الكفار بالوعيد، ويحتمل العموم[٢].

(١) السبعة ص ٦٣٧، والتيسير ص ٢١١.
(٢) المحرر الوجيز ٥/٣١٦.

سورة التَّغابُن

المفردات «التغابُن» تفاعُلٌ من الغَبْنِ، وليس من اثنين، بل هو من واحد، كتواضُع وتحامُل. والغَبْنُ: أخذُ الشيء دون قيمته أو بيعُه كذلك[1]. وقيل: الغَبْنُ: الإخفاء، ومنه غَبْنُ البيع؛ لاستخفائه[2]. ويقال: غَبَنْتُ الثوبَ وخَبَنْتُه: إذا أخذتَ ما طالَ منه عن مقدارك، فمعناه النَّقص[3].

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
(١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ
أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ
وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
(٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ
وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٩)﴾.

---

(١) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٢٤.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٣.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ١٢.

التفسير هذه السورة مدنية في قول الأكثرين. وقال ابن عباس وغيرُه: مكية إلَّا آياتٍ من آخرها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ إلى آخرها نزلت بالمدينة. وقال الكلبي: مدنية ومكية[1].

ومناسبة هذه السورة لِما قبلَها أنَّ ما قبلها مُشتمِلٌ على حال المنافقين، وفي آخرها خطابُ المؤمنين، فأتبَعَه بما يناسبه من قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾.

﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ هذا تقسيمٌ في الإيمان والكفر بالنظر إلى الاكتساب عند جماعة من المتأوِّلين؛ لقوله: «كلُّ مولودٍ يولَدُ على الفطرة»[2]، وقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

وقيل: ذانك في أصل الخلقة، بدليل ما في حديث النطفة من قولِ الملَك: «أشقيٌّ أم سعيد»[3]، والغلام الذي قتله الخضر عليه السلام أنَّه طُبِعَ يومَ طُبِعَ كافراً[4]، وما روى ابن مسعود أنَّه عليه الصلاة والسلام قال: «خلقَ اللهُ فرعونَ في البطن كافراً، وخلق[5] يحيى بن زكريا في البطن مؤمناً»[6].

وعن عطاء بن أبي رباح: فمنكم كافرٌ بالله مؤمنٌ بالكوكب، ومؤمنٌ بالله وكافرٌ

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٠ دون قول ابن عباس ﵄، فقد أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (٩٠٢). وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٥.

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأحمد (٧٧١٢) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦)، وأحمد (١٢١٥٧) عن أنس بن مالك ﵁. والبخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأحمد (٣٦٢٤) عن ابن مسعود ﵁. ومسلم (٢٦٤٤)، وأحمد (١٦١٤٣) عن حذيفة بن أسيد ﵁.

(٤) هو قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٣٨٠) عن أُبيّ ﵁.

(٥) تحرفت في المطبوع والنسخ سوى (د٣) إلى: وحكى.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٥٤٣)، والآجري في الشريعة (٣٦٩) و(٣٧٠)، وابن عدي في الكامل ٢/ ١٢ و٨/ ١١٥، وأبو الشيخ في طبقات المحدثين (٥٤٣)، وابن بطة في الإبانة (١٤٠١) و(١٤٠٢)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٠١٩) و(١٠٢١)، والبيهقي في القضاء والقدر (٦٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٤/ ١٨٠-١٨٢.

بالكوكب. وقدَّم الكافِرَ لكثرته[١]، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:٣]، وحين ذكر الصالحين قال: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص:٢٤].

وقال الزمخشري[٢]: ﴿فَمِنكُمْ﴾ آتٍ بالكفر وفاعلٌ له ﴿وَمِنكُمْ﴾ آتٍ بالإيمان وفاعِلٌ له، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦] والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: عالِمٌ بكفركم وإيمانكم اللَّذين هما مِنْ قِبَلِكم، والمعنى: هو الذي تفضَّل عليكم بأصل النِّعم الذي هو الخلق والإيجاد عن العدم، فكان يجب أن تنظروا النَّظرَ الصحيح، وتكونوا بأجمَعِكم عباداً شاكرين. انتهى. وهو على طريق الاعتزال.

وقال أيضاً: وقيل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ﴾ بالخَلْق، هم الدَّهرية ﴿وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ به[٣].

وعن الحسن: في الكلام حذفٌ دلَّ عليه تقديره: ومنكم فاسِق[٤]. وكأنَّه من كذب المعتزلة على الحسن.

وتقدَّم الجار والمجرور في قوله: «له الملك وله الحمد»، قال الزمخشري[٥]: ليدُلَّ بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عزَّ وجَلَّ؛ لأنَّ أصولَ النِّعم وفروعَها منه، وأمَّا ملكُ غيرِه فتسليطٌ منه، وحمدُه اعتدادٌ بأنَّ نعمة الله جَرَتْ على يده.

وقرأ الجمهور: «صُوَرَكم» بضمِّ الصَّاد. والأعمش[٦]، وزيد بن عليّ، وأبو رَزين بكسرها[٧]، والقياس الضمُّ.

---

(١) إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/٣١٧-٣١٨.

(٢) في الكشاف ٤/١١٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) النكت والعيون ٦/٢١.

(٥) في الكشاف ٤/١١٢-١١٣.

(٦) قوله: والأعمش، من (يه) وحدها. وينظر الدر المصون ١٠/٣٤٧.

(٧) أي: «صِوَرَكُم»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٧، والمحرر الوجيز ٥/٣١٨ عن أبي رزين، وفي زاد المسير ٨/٢٨١ عن الأعمش.

وهذا تعديدٌ للنِّعمة في حُسن الخِلْقة؛ لأنَّ أعضاء بني آدم متصرِّفةٌ بجميع ما تتصرَّف به أعضاءُ الحيوان وبزياداتٍ كثيرةٍ فُضِّلَ بها، ثمَّ هو مُفضَّلٌ بحُسنِ الوجه وجمال الجوارح، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقيل: النِّعمة هنا إنَّما هي صورة الإنسان من حيث هو إنسانٌ مُدركٌ عاقلٌ، فهذا هو الذي حُسِّنَ له حتى لَحِقَتْه كمالاتٌ كثيرة. وتكاد العربُ لا تعرِفُ الصُّورةَ إلَّا الشكلَ لا المعنى القائم بالصُّورة(١).

ونبَّه تعالى بعلمِه بما في السماوات والأرض، ثمَّ بعلمِه بما يُسِرُّ العبادُ وما يُعلِنونَه، ثمَّ بعلمِه بما أكَنَّتْه الصدورُ على أنَّه تعالى لا يغيب عن علمه شيء، لا من الكُليَّات ولا من الجزئيات، فابتدأ بالعلم الشامل للعالَم كلِّه، ثمَّ بخاصِّ العباد من سرِّهم وإعلانهم، ثمَّ ما خصَّ منه وهو ما تنطوي عليه صدورهم من خفيِّ الأشياءِ وكامنِها، وهذا كلُّه في معنى الوعيد؛ إذ هو تعالى المُجازي على جميع ذلك بالثواب والعقاب(٢).

وقرأ الجمهور: «ما تُسِرُّون وما تُعلِنون» بتاء الخطاب. وعبيد عن أبي عمرو، وأبان عن عاصم بالياء(٣).

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾: الخطاب لقريش، ذُكِّروا بما حَلَّ بالكفار قبلهم عادٍ وثمودَ وقومِ إبراهيم وغيرِهم ممَّن صُرِّحَ بذِكْرِهم في سورة براءة وغيرها(٤) وقد سمِعَتْ قريشٌ أخبارَهم.

﴿فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ أي: مكروهَه وما يسوؤهم منه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الوبال ﴿بِأَنَّهُۥ﴾ أي: بأن الشأنَ والحديث، استبعدوا أن يبعث الله

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٨.

(٢) الكلام من الكشاف ٤/ ١١٤، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٥٠٠.

(٣) زاد المسير ٨/ ٢٨١ من رواية المفضَّل عن عاصم، والمشهور عن أبي عمرو وعاصم كقراءة الجمهور.

(٤) الآية (٧٠) من سورة التوبة، والآية (٩) من سورة إبراهيم، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣١٨، وما بعده منه أيضاً ومن الكشاف ٤/ ١١٤ بنحوه.

تعالى من البشر رسولاً كما استبعدَتْ قريشٌ، فقالوا على سبيل الاستغراب: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾، وذلك أنَّهم يقولون: نحن متساوون في البشرية، فأنَّى يكون لهؤلاء تمييزٌ علينا بحيث يصيرون هُداةً لنا.

وارتفع «أبشَرٌ» عند الحَوْفي وابن عطية على الابتداء، والخبر «يهدونَنا»، والأحسَنُ أن يكون مرفوعاً على الفاعلية؛ لأنَّ همزة الاستفهام تطلب الفعل، فالمسألة من باب الاشتغال.

«فكفروا» العطف بالفاء يدلُّ على تعقُّبِ كفرِهم مجيءَ الرسُلِ بالبينات، أي: لم ينظروا في تلك البينات ولا تأمَّلوها، بل عقَبوا مجيئها بالكفر.

«واستغنى الله» استَفْعَلَ بمعنى الفعل المجرَّد، وغناه تعالى أزليٌّ، فالمعنى أنَّه أظهر تعالى غِناه عنهم إذ أهلكهم، وليست استَفْعَلَ هنا للطلب[١].

وقال الزمخشريُّ[٢]: معناه: وظهرَ استغناءُ اللهِ حيثُ لم يُلجِئْهم إلى الإيمان ولم يضطرَّهم إليه مع قدرته على ذلك. انتهى. وفيه دسيسة الاعتزال.

والزَّعم تقدَّم تفسيره[٣].

و«الذين كفروا»: أهل مكة[٤].

و«بلى» إثباتٌ لما بعد حرف النفي ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: لا يصرِفُه عنه صارف[٥].

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وهو محمد ﷺ ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ هو القرآن[٦].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٨ بنحوه.
(٢) في الكشاف ٤/ ١١٤.
(٣) عند تفسير الآية (٦٠) من سورة النساء، والآيات (٢٢) و(٩٤) و(١٣٦) و(١٣٨) من سورة الأنعام، والآية (٧٢) من سورة يوسف.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٨-٣١٩.
(٥) الكشاف ٤/ ١١٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١١٤-١١٥.

وانتصب «يومَ يجمعُكم» بقوله: «لَتُنَبَّؤُنَّ» أو بـ «خبير» لما[١] فيه من معنى الوعيد والجزاء، أو بـ «اذكُرْ» مضمرة. قاله الزمخشري، والأول عن النحاس[٢]، والثاني عن الحَوْفي.

وقرأ الجمهور: «يَجمَعُكم» بالياء وضم العين. ورُويَ [عن أبي عمرو][٣] سكونُها وإشمامُها الضمّ. وسلَّام، ويعقوب، وزيد بن علي، والشَّعبي بالنون[٤].

﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ﴾ يُجمَع فيه الأولون والآخرون، وذلك أنَّ كلَّ واحدٍ يُبعَثُ طامعاً في الخلاص ورفع المنزلة.

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ مُستعارٌ من: تغابَنَ القومُ في التجارة، وهو أن يَغبِنَ بعضُهم بعضاً؛ لأنَّ السُّعداءَ نزلوا منازلَ الأشقياء لو كانوا سعداء، ونزلَ الأشقياءُ منازلَ السُّعداء لو كانوا أشقياء، وفي الحديث: «ما مِنْ عبدٍ يدخلُ الجنَّةَ إلَّا أُرِيَ مقعدَه من النار لو أساء؛ ليزدادَ شكراً، وما من عبدٍ يدخلُ النَّارَ إلَّا أُريَ مقعدَه من الجنَّة لو أحسَنَ، ليزدادَ حسرة»[٥]، وذلك معنى يوم التَّغابُن.

وعن مجاهد وغيره: إذا وقع الجزاء غبن المؤمنون الكافرين؛ لأنهم يحوزون الجنة، وتحصَّلَ الكفارُ في النار[٦].

وقرأ الأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وطلحة، ونافع، وابن عامر، والمُفضَّل عن

(١) في النسخ والمطبوع: بما.
(٢) في إعراب القرآن له ٤/ ٤٤٤.
(٣) في النسخ: عنه، وأثبت ما بين حاصرتين عوضاً عنها من المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩، والكلام منه. وقراءة أبي عمرو ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٣٨ من روايتي عبيد وعلي بن نصر عنه.
(٤) أي: «نَجْمَعُكم»، وهي في النشر ٢/ ٣٨٨ عن يعقوب، وعنهم ـ سوى زيد بن علي ـ في القراءات الشاذة ص ١٥٧.
(٥) أخرجه البخاري (٦٥٦٩)، وأحمد (١٠٩٨٠) من حديث أبي هريرة ﷺ. والكلام من الكشاف ٤/ ١١٥.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩.

عاصم، وزيد بن عليّ، والحسن بخلاف عنه: «نُكَفِّرْ» و«نُدْخِلْه» بالنون فيهما. والأعمش، وعيسى، والحسن، وباقي السبعة بالياء فيهما[1].

* * *

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ
أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا
اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ
﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾.

الظاهر إطلاق المصيبة على الرَّزِيَّة وما يسوءُ العبدَ، أي: في نفسٍ أو مالٍ أو ولدٍ أو قولٍ أو فعلٍ، وخُصَّتْ بالذِّكر، وإنْ كان جميعُ الحوادث لا تُصيبُ إلَّا بإذن الله. وقيل: ويحتمل أن يريد بالمصيبة الحادثة من خيرٍ وشَرٍّ؛ إذ الحكمُ في كونها بإذن الله[2].

و«ما» نافية[3]، ومفعول «أصاب» محذوفٌ، أي: ما أصابَ أحداً، والفاعل «من مصيبة»، و«من» زائدة، ولم تلحَقِ التَّاءُ «أصابَ» وإن كان الفاعلُ مؤنَّثاً، وهو فصيح، والتأنيث؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ [الحجر: ٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] أي: بإرادته وعلمِه وتمكينِه.

---

(١) ينظر السبعة ص ٦٣٨، والتيسير ص ٢١١، والنشر ٢/ ٢٤٨، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩. والمشهور عن عاصم بالياء فيهما.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٤٤.

﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ أي: يُصدِّق بوجوده ويعلم أنَّ كلَّ حادثةٍ بقضائِه وقدَرِه ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ على طريق الخير والهداية[1].

وقرأ الجمهور: «يَهْدِ» بالياء مضارعاً لـ «هَدَى» مجزوماً على جواب الشرط.

وقرأ ابن جُبير، وطلحة، وابن هُرْمُز، والأزرق عن حمزة بالنون[2].

والسُّلمي، والضحَّاك، وأبو جعفر: «يُهْدَ» مبنياً للمفعول «قَلْبُه» رفع[3].

وعكرمة، وعمرو بن دينار، ومالك بن دينار: «يَهْدَأ» بهمزة ساكنة «قلبُه» بالرفع[4]، والمعنى: يطمئِنَّ قلبُه، ويسكُنَ بإيمانه، ولا يكونُ فيه اضطراب.

وعمرو بن فائد: «يَهْدا» بألفٍ بدلاً من الهمزة الساكنة[5].

وعكرمة ومالك بن دينار أيضاً: «يَهْدَ»[6] بحذف الألف بعد إبدالها من الهمزة الساكنة. وإبدالُ الهمزة ألفاً في مثل: يهدأ ويقرأ ليس بقياس؛ خلافاً لمَنْ أجازَ ذلك قياساً، وبنى عليه جوازَ حذف تلك الألف للجازم، وخُرِّجَ عليه قولُ زهير بن أبي سلمى:

جريءٍ متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بِظُلْمِهِ سريعاً وإنْ لا يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ[7]

أصله: يبدأ، ثمَّ أبدلَ من الهمزة ألفاً، ثمَّ حذفَها للجازم تشبيهاً بألف «يخشى» إذا دخلَ الجازم.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣١٩.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٧ عن طلحة، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٩ عن طلحة وابن جُبير، وزاد المسير ٢/ ٢٨٤ عن طلحة والأزرق عن حمزة، وتفسير القرطبي ١٦/٢١ عن طلحة والأعرج. والمشهور عن حمزة كقراءة الجمهور.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٧-١٥٨ عن أبي جعفر والسلمي، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٩ عن الضحاك.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٧ عن مالك بن دينار، والمحتسب ٢/ ٣٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣١٩-٣٢٠ عن عكرمة وعمرو بن دينار.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٧.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٠ عن عكرمة.

(٧) ديوان زهير ص ٢٤، وسلف عند تفسير الآية (٢١٦) من سورة البقرة.

ولمَّا قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ﴾، ثمَّ أمرَ بطاعة الله وطاعة رسوله، وحذَّر ممَّا يلحَقُ الرجلَ من امرأتِه وولدِه بسبب ما يصدرُ من بعضهم من العداوة، ولا أَعْدَى على الرجل من زوجتِه وولدِه إذا كانا عَدُوَّين، وذلك في الدنيا والآخرة، أمَّا في الدنيا فبإذهاب مالِه وعرضِه، وأمَّا في الآخرة فبما يسعى في اكتسابه من الحرام لهما، وبما يَكْسِبانه منه بسبب جاهه، وكم من امرأةٍ قتلَتْ زوجَها وجذَمَتْ[1] وأفسدَتْ عقلَه، وكم من ولدٍ قتلَ أباه، وفي التواريخ وفيما شاهدناه من ذلك كثير.

وعن عطاء بن أبي رباح أنَّ عوفَ بن مالكٍ الأشجعيَّ أرادَ الغزوَ مع النبيِّ ﷺ، فاجتمعَ أهلُه وولدُه فثبَّطوه وشكَوا إليه فِراقَه، فرَقَّ ولم يَغْزُ، ثمَّ إنَّه ندم، وهَمَّ بمعاقبتهم، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية[2].

وقيل: آمن قومٌ بالله، وثبَّطهم أزواجُهم وأولادُهم عن الهجرة، ولم يُهاجروا إلَّا بعد مدَّةٍ، فوجدوا غيرَهم قد تفقَّه في الدين، فندموا وأسِفوا وهَمُّوا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم، فنزلت.

وقيل: قالوا لهم: أين تذهبون وتَدَعون بلدَكم وعشيرَتكم وأموالَكم؟ فغضبوا عليهم، وقالوا: لئن جَمَعنا الله في دار الهجرة لم نُصِبْكم بخير. فلمَّا هاجروا منعوهم الخير، فحُثُّوا أن يعفوا عنهم ويَرُدُّوا إليهم البرَّ والصِّلة[3].

و«من» في «من أزواجكم وأولادكم» للتبعيض[4]، وقد توجَدُ زوجةٌ تَسُرُّ زوجَها وتُعينُه على مقاصده في دينه ودنياه، وكذلك الولد.

وقال [أبو][5] الشَّغْب العبسيُّ يمدح ولدَه رِباطاً:

(١) أي: قطعَتْ. اللسان (جذم).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٠. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٢/ ١٥.

(٣) الكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٠، والكشاف ٤/ ١١٦.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٤.

(٥) ما بين حاصرتين من أنساب الأشراف ١٢/ ١٤٨، والإكمال لابن ماكولا ١٢/ ١٤٨، وتاج العروس (شغب) وغيرها من المصادر، وأبو الشَّغْب: اسمه عِكرشة بن أَرْبَد، وهو شاعر بني =

إذا كـــان أولادُ الـــرِّجـــالِ حَـــزازَةً فأنتَ الحلالُ الحلوُ والباردُ العَذْبُ
لـنـا جـانـبٌ مـنـهُ دَمِـيـثٌ وجـانـبٌ إذا رامَـهُ الأعـداءُ مَـرْكَـبُـهُ صَـعْـبُ
وتـأخـذُهُ عـنـدَ الـمـكـارم هِـزَّةٌ كما اهتَزَّ تحتَ البارحِ الغُصْنُ الرَّطْبُ[1]

وقال فُرْعان بن الأعرف[2] في ابنه مُنازِلٍ وكان عاقًا له قصيدةً فيها بعضُ طولٍ، منها:

وربَّـيْـتُـه حـتـى إذا مـا تـركـتُـهُ أخا القومِ واستغنى عن المسح شارِبُهْ
فلمَّا رآني أحسِبُ الشَّخْصَ أشخُصاً قريباً[3] وذا الشَّخصِ البعيدِ أُقارِبُهْ
تـغـمَّـدَ حـقِّـي[4] ظـالـمـاً ولَـوى يـدي لـوى يَـدَهُ اللهُ الـذي هـو غـالِـبُـهْ

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي: بلاءٌ ومحنةٌ، لأنَّهم يُوقِعون في الإثم والعقوبة، ولا بلاءَ أعظَمُ منهما[5].

وفي باب العداوة جاء بـ «مِن» التي تقتضي التبعيض، وفي الفتنة حكم بها على الأموال والأولاد على بعضها، وذلك لغلَبة الفتنة بهما[6].

= غطفان، وكان في أيام هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد.

(١) الأبيات في عيون الأخبار ٣/ ٥، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٢٧١-٢٧٢ دون نسبة، وفي الكامل ١/ ٢٤٥ ونسبها لأبي رباط، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ١/ ١٤٤-١٤٥، وذكر أن الرياشي نسبها لأبي الشغب العبسي، وأن أبا عبيدة نسبها للأقرع بن معاذ. والبيتان الأول والثاني في الزاهر ١/ ٢٣٨ دون نسبة. والحَزازة: الحرقة والحزن. والبارح: ريح حارة تجيء من قبل اليمن.

(٢) هو أحد بني النزَّال من بني تميم رهط الأحنف بن قيس، مخضرم، وكان شاعراً لِصًّا يغير على إبل الناس. الشعر والشعراء ص ٦٤٤، ومعجم الشعراء ص ١٨٨.

(٣) تحرفت في جميع النسخ إلى: بعيداً، ولا يستقيم المعنى، والمثبت من ديوان الحماسة لأبي تمام ص ١٨٤، وشرحه للتبريزي ٤/ ١٠، وزهر الأكم ١/ ٢٤٣، والخزانة ٤/ ٣٠٩.

(٤) أي: ستره ولم يفِ به.

(٥) الكشاف ٤/ ١١٦.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٥٤، وزاد المسير ٥/ ٢٨٥ بنحوه.

وكفى بالمال فتنةً قصةُ ثعلبةَ بن حاطب أحدِ مَنْ نزل فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآيات [التوبة: ٧٥-٧٧]. وقد شاهدنا من ذكَرَ أنَّه يشغلُه الكسبُ والتجارةُ في أمواله حتى يُصلِّي كثيراً من الصلوات الخمس فائتةً، وقد شاهدنا مَنْ كان موصوفاً عند الناس بالدِّيانة والورع، فحين لاحَ له منصبٌ وتولَّاه استنابَ مَنْ يلوذُ به من أولادِه وأقاربِه، وإنْ كان بعضُ مَن استنابَه صغيرَ السِّنِّ، قليلَ العلم، سيِّىءَ الطريقة، ونعوذُ بالله من الفتن.

وقُدِّمت الأموالُ على الأولاد؛ لأنَّها أعظَمُ فتنةً ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦-٧]، ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: ١١].

﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تزهيدٌ في الدنيا وترغيب في الآخرة، والأجر العظيم الجنة(١).

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ قال أبو العالية: جُهدكم. وقال مجاهد: هو أن يُطاعَ فلا يُعصى(٢).

﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما توعظون به ﴿وَأَطِيعُوا۟﴾ فيما أُمِرْتُم به ونُهيتُم عنه ﴿وَأَنفِقُوا۟﴾ فيما وجَبَ عليكم(٣).

وقال قتادة وناسٌ: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخٌ لقوله: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وقال أبو جعفر النحاس وناسٌ: لا نسخ في الاثنين، ومعنى ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقال ابن عطية: تكون «ما» ظرفاً للزمان كلِّه، كأنَّه يقول: حياتَكم وما دام العملُ مُمكناً(٤). انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٠.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٦.
(٣) الكشاف ٤/ ١١٦.
(٤) الكلام من (يه) و(د٣)، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٢١، وقول النحاس في الناسخ والمنسوخ له ٢/ ١٢٩، ومثله قال مكي في ناسخ القرآن ومنسوخه ص ٢٠٣-٢٠٤.

و«خيراً» منصوبٌ بفعل محذوف، تقديره: وائتوا خيراً. أو على إضمار «يكُنْ»، فيكون خبراً. أو على أنَّه نعتٌ لمصدر محذوف، أي: إنفاقاً خيراً. أو على أنَّه حالٌ. أو على أنَّه مفعولٌ بـ «وأنفِقوا خيراً» أي: مالاً. أقوالٌ، الأول عن سيبويه[١].

ولمَّا أمر بالإنفاق أكَّده بقوله: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ورتب عليه تضعيفَ القرض وغفرانَ الذنوب.

وفي لفظ القَرْض تلطُّفٌ في الاستدعاء، وفي لفظ المضاعفة تأكيدٌ للبذل لوجه الله تعالى[٢].

ثمَّ أتبعَ جَوابَي الشَّرط بوصفين أحدهما عائد إلى المضاعفة؛ إذ شُكْرُه تعالى مقابِلٌ للمضاعفة، وحِلْمُه مقابلٌ للغفران.

قيل: وهذا الحضُّ هو في الزكاة المفروضة. وقيل: في المندوب إليه[٣].

وتقدَّم الخلاف في القراءة في «يُوقَ»[٤]، وفي «شُحَّ»[٥] وفي «يضاعِفْه»[٦][٧].

---

(١) في الكتاب ١/ ٢٨٢. وذكر مكي الأقوالَ الخمسةَ كلَّها في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٣٨-٧٣٩، ونسب القول الثاني لأبي عبيدة، وهو في مجاز القرآن ١/ ١٤٣، ونسب الثالث للكسائي والفراء، وينظر معاني القرآن له ١/ ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) الكشاف ٤/ ١١٦ بنحوه.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢١.

(٤) عند تفسير الآية (٩) من سورة الحشر.

(٥) عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة النساء، وتفسير الآية (٩) من سورة الحشر.

(٦) عند تفسير الآية (٢٤٥) من سورة البقرة، وتفسير الآية (١١) من سورة الحديد.

(٧) إلى هنا تنتهي النسخة (د٣).

سورة الطلاق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ۝١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾.

هذه السورة مدنية[1].

قيل: وسببُ نزولِها طلاقُ رسولِ الله ﷺ حفصةَ. قاله قتادة عن أنس[2]. وقال

---

(1) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٢، وزاد المسير ٨/ ٢٨٧.

(2) أسباب النزول للواحدي ص ٤٦٣، والنكت والعيون ٦/ ٢٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦، وأخرجه الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢١٢ عن قتادة، عن أنس ﷺ.
وأخرجه ابن سعد ٨/ ٨٤، والطبري ٢٣/ ٣٠ عن قتادة مرسلاً. وهو الصواب فيما قاله الدارقطني في العلل ١٢/ ١٤٨.
وقد صحَّ أنَّ رسول الله ﷺ طلَّق حفصة ثم راجعها، فيما أخرجه أبو داود (٢٢٨٣)، والنسائي في المجتبى ٦/ ٢١٣، وفي السنن الكبرى (٥٧٢٣)، وابن ماجه (٢٠١٦) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ، وليس فيه أنَّ ذلك كان سبباً لنزول الآية.

السُّدِّي: طلاق عبد الله بن عمر[١]. وقيل: فعلَ ناسٌ مثلَ فِعْلِه، منهم: عبد الله بن عمرو بن العاص، وعمرو بن سعيد بن العاص، وعتبة بن غزوان، فنزلت.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي[٢]: وهذا وإن لم يصِحَّ، فالقولُ الأولُ أمثَلُ، والأصحُّ فيه أنَّه بيانٌ لشرعٍ مبتدأ.

ومناسبتُها لما قبلَها أنَّه لمَّا ذكرَ الفتنة بالمال والولد أشارَ إلى الفتنة بالنساء، وأنَّهنَّ قد يُعرِّضْنَ الرجالَ للفتنة، حتى لا يجدَ مَخلَصاً منها إلَّا بالطلاق، فذكر أنَّه ينفصل منهنَّ على الوجه[٣] الجميل، بأن لا يكون بينهنَّ اتصالٌ لا بطلاب[٤] ولدٍ ولا حملٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ نداءٌ للنبيِّ ﷺ، وخطابٌ على سبيل التكريم والتنبيه ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ خطابٌ له عليه الصلاة والسلام مخاطبةَ الجمع على سبيل التعظيم، أو لأُمَّته على سبيل تلوين الخطاب، أقبل [إليه] عليه السلام أولاً، ثمَّ رجع إليهم بالخطاب، أو على إضمار القول، أي: قُلْ لأمَّتِكَ إذا طلَّقتم، أو له ولأُمَّته، وكأنَّه ثَمَّ محذوفٌ تقديره: يا أيُّها النبيُّ وأمَّةَ النبيِّ إذا طلَّقتُم، فالخطاب له ولهم، أي: أنت وأمَّتُك. أقوال[٥].

وقال الزمخشري[٦]: خَصَّ النبيَّ ﷺ وعَمَّ بالخطاب؛ لأنَّ النبيَّ إمامُ أُمَّته وقدوتُهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان، افعلوا كَيْتَ وكَيْت؛ إظهاراً

(١) أسباب النزول للواحدي ص ٤٦٣، وزاد المسير ٨/ ٢٨٧-٢٨٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧، والكلام الآتي منه.
وحديث طلاق ابن عمر ﷺ لامرأته مشهور، أخرجه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، وأحمد (٥٢٩٩)، وليس فيه أن ذلك كان سبباً لنزول الآية.
(٢) في أحكام القرآن ٤/ ١٨١١.
(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: بالوجه.
(٤) في (أ) والمطبوع: بطلب.
(٥) الكلام من أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٥٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١١-١٨١٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٢ بنحوه. وما بين حاصرتين يقتضيه السياق.
(٦) في الكشاف ٤/ ١١٧.

لتقَدُّمِه، واعتباراً لترؤُّسِه، وأنَّه مِدْرَهُ[١] قومِه ولِسانُهم، والذي يَصْدُرون عن رأيه، ولا يستبِدُّون بأمرٍ دونَه، فكان هو وحدَه في حُكم كُلِّهم، وسادًّا مَسَدَّ جميعِهم. انتهى. وهو كلامٌ حسن.

ومعنى ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾أي: إذا أردتم تطليقهنَّ[٢]. و«النِّساء» يعني المدخولَ بهنَّ[٣].

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ أي: أوقِعوا الطَّلاقَ لعِدَّتهنَّ، هو على حذف مضافٍ، أي: لاستقبال عِدَّتهنَّ، واللام للتوقيت، نحو كتبتُه لليلةٍ بقِيَتْ من شهر كذا. وتقدير الزمخشري[٤] هنا حالاً محذوفة يدلُّ عليها المعنى يتعلق بها المجرور، أي: مستقبلاتٍ لعِدَّتهنَّ، ليس بجيِّد؛ لأنَّه قَدَّرَ عاملاً خاصًّا، ولا يُحذَفُ العاملُ في الظرف والجار والمجرور إذا كان خاصًّا، بل إذا كان كوناً مطلقاً، لو قلت: زيدٌ عندَك أو في الدار، تريد: ضاحكاً عندَك، أو ضاحكاً في الدار، لم يَجُزْ، فتعليقُ اللَّام بقوله: «فطلقوهنَّ» ويُجعَلُ على حذفِ مُضافٍ، هو الصحيح.

وما رُويَ عن جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم من أنَّهم قرؤوا: «فطَلِّقوهُنَّ في قُبُلِ عِدَّتهنَّ»[٥]، وعن بعضهم[٦] وعن عبد الله: «لِقُبُلِ طُهْرِهِنَّ»[٧]، هو على سبيل التفسير لا على أنَّه قرآنٌ؛ لخلافه سواد المصحف الذي

(١) المِدْرَه: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم. اللسان (دره).

(٢) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٣، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢١١، والكشاف ٤/ ١١٧.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٢.

(٤) في الكشاف ٤/ ١١٧.

(٥) هي في القراءات الشاذة ص ١٥٨ عن ابن عباس ومجاهد، وفي المحتسب ٢/ ٣٢٣ عن عثمان وابن عباس وأبي بن كعب وجابر ومجاهد وعلي بن الحسين وجعفر بن محمد، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٣ عنهم وعن زيد بن علي. قلت: وقد رُويت هذه القراءة عن ابن عمر عن النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم (١٤٧١) (١٤)، وأبو داود (٢١٨٥)، والنسائي ٦/ ١٣٩، وأحمد (٥٥٢٤)، وذكرها ابن خالويه ص ١٥٨ عنه في القراءات الشاذة ص ١٥٨.

(٦) بعدها في جميع النسخ والمطبوع زيادة مقحمة، وهي: في قبل عِدَّتهنَّ.

(٧) في (يه): طهورهن، وفي (أ): طلاقهنَّ، والمثبت من (ع)، وهو الموافق لما في المحرر =

أجمعَ عليه المسلمون شرقاً وغرباً.

وهل تُعتبَرُ العِدَّةُ بالنسبة إلى الأطهار أو الحيض، تقدَّم ذلك في البقرة في قوله: ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [الآية:٢٢٨].

والمرادُ أن يُطَلَّقْنَ في طُهرٍ لم يُجامَعْن فيه، ثمَّ يُخلَّينَ حتى تنقضي عِدَّتُهنَّ، فإن شاء رَدَّها، وإن شاء أعرض عنها؛ لتكون مُهيَّأة للزوج.

وهذا الطلاق أدخَلُ في السُّنَّة. وقال مالك: لا أعرِفُ طلاق السُّنَّة إلَّا واحدةً، وكَرِه الثلاثَ مجموعةً أو مفرَّقةً. وأبو حنيفة كَرِه ما زاد على الواحدة في طُهرٍ واحد، فأمَّا مُفرَّقاً في الأطهار فلا. وقال الشافعي: لابأس بإرسال الثلاث، ولا أعرِفُ في عَدَدِ الطَّلاق سُنَّةً ولا بدعةً، وهو مباح؛ راعى في السُّنَّة الوقتَ فقط، وأبو حنيفة التفريقَ والوقت.

وقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ مُطلَقٌ لا تعرُّضَ فيه لعددٍ ولا لوصفٍ من تفريقٍ أو جمعٍ، والجمهور على أنَّه لو طلَّقَ لغير السُّنَّة وقع. وعن ابن المسيّب وجماعةٍ من التابعين أنَّه لو طلَّقَ في حيضٍ أو ثلاثٍ لم يقع[1].

والظاهر أنَّ الخطاب في ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ للأزواج، أي: اضطبوها بالحفظ[2].

وفي الإحصاء فوائدُ مراعاة الرُّجعة وزمانِ النَّفقة والسُّكنى وتوزيع الطلاق على الأقراء، وإذا أراد أن يُطلِّق ثلاثاً ـ والعلم بأنَّها قد بانَتْ ـ فيتزوَّجُ بأختها وبأربعٍ سواها[3].

ونهى تعالى عن إخراجهنَّ من مساكنهنَّ حتى تنقضي العِدَّة، ونهاهنَّ أيضاً عن

= الوجيز ٥/ ٣٢٣ والقراءة فيه عن ابن عمر ﷺ، وهي شاذةٌ أيضاً؛ لمخالفتها سواد المصحف.

(١) الكشاف ٤/ ١١٨، مع تقديمٍ وتأخيرٍ وتصرُّفٍ في بعض الألفاظ.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٤، والكشاف ٤/ ١١٩.

(٣) ينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٥٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٣.

خروجهنَّ، وأضافَ البيوتَ إليهنَّ لمَّا كان سُكناهُنَّ فيها، ونَهْيُهنَّ عن الخروج لا يُبيحه إذنُ الأزواج، إذ لا أثرَ لإذنهم، والإسكان على الزوج، فإن كان مِلْكَه أو بِكِراءٍ فذاك، أو مِلْكَها فلها عليه أجرتُه، وسواءٌ في ذلك الرَّجعية والمبتوتة، وسُنَّة ذلك أن لا تبينَ عن بيتها ولا تخرج عنه نهاراً إلَّا لضرورة، وذلك لحفظ النسب والاحتفاظ[١] بالنساء.

﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ هي الزِّنى عند قتادة ومجاهد والحسن والشَّعبي وزيد بن أسلم والضحَّاك وعكرمة وحماد واللَّيث[٢]. ورواه مجاهد عن ابن عباس: فيخرُجْنَ للحدِّ. وعن ابن عباس: البَذاء على الأحماء[٣]، فتخرجُ ويسقطُ حقُّها من السُّكنى، وتُلزَمُ الإقامة في مسكنٍ تتَّخذه؛ حِفظاً للنَّسب. وعنده أيضاً: جميع المعاصي من سرقةٍ أو قذفٍ أو زنًى أو غيرِ ذلك[٤]. واختاره الطبري[٥] فيسقطُ حقُّها في السُّكنى. وعند ابن عمر والسُّدِّي وابن السائب هي خروجُها من بيتها خروج انتقال[٦]، فيسقطُ حقُّها في السُّكنى. وعند قتادة أيضاً نشوزها عن الزَّوج[٧]، فتُطلَّقُ بسبب ذلك، فلا يكون عليه سُكنى، وإذا سقط حقُّها من السُّكنى أتمَّتِ العِدَّة[٨].

﴿لَا تَدْرِى﴾ أيها السامع ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ قال المفسِّرون: الأمرُ

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٣: والتحرُّز، والكلام منه بنحوه، ومن الكشاف ٤/ ١١٩.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١٠١٧) عن مجاهد، و(١١٠١٨) عن الشعبي، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٣٢-٣٣ عن مجاهد والحسن والشعبي وزيد بن أسلم.
(٣) أخرجه عبد الرزاق (١١٠٢١) و(١١٠٢٢)، والطبري ٢٣/ ٣٤.
(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٣٤.
(٥) في تفسيره ٢٣/ ٣٦.
(٦) أخرجه عبد الرزاق (١١٠١٩)، والطبري ٢٣/ ٣١ و٣٥ عن ابن عمر، والطبري ٢٣/ ٣٥ عن السدي.
(٧) أخرجه عبد الرزاق (١١٠٢٠)، والطبري ٢٣/ ٣٥.
(٨) الكلام بتمامه من المحرر الوجيز دون قول ابن السائب، وهو في النكت والعيون ٦/ ٢٩، وزاد المسير ٨/ ٢٨٩.

هنا: الرَّغبةُ في ارتجاعها والمَيْلُ إليها بعد انحرافه عنها[١]، أو ظهورُ حملٍ فيراجِعُها من أجله.

ونصب «لا تدري» على جملة الترجّي، فـ«لا تدري» مُعلّقة عن العمل، وقد تقدَّم لنا الكلامُ على قوله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء:١١١]، وذكرنا أنَّه ينبغي أن يُزاد في المُعلَّقات «لعلَّ»، فالجملة المُترَجَّاة في موضع نصبٍ بـ«لا تدري».

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: أشرَفْنَ على انقضاء العِدَّة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ أي: راجعوهُنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: بغير ضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: سَرِّحوهنَّ بإحسان، والمعنى: اتركوهُنَّ حتى تنقضي عِدَّتُهنَّ فيملِكْنَ أنفُسَهنَّ[٢].

وقرأ الجمهور: «أَجَلَهُنَّ» على الإفراد. والضحاك وابن سيرين: «آجالَهُنَّ» على الجمع[٣].

والإمساك بمعروف: هو حُسن العِشْرَة فيما للزَّوجة على الزَّوج، والمفارقة بمعروف: هو أداءُ المهر والتمتيعُ والحقوقُ الواجبةُ والوفاءُ بالشَّرط[٤].

﴿وَأَشْهِدُواْ﴾ الظاهر وجوبُ الإشهاد على ما يقع من الإمساك وهو الرُّجعة، أو المفارقة وهي الطلاق.

وهذا الإشهاد مندوبٌ إليه عند أبي حنيفة، كقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة:٢٨٢]، وعند الشافعية واجبٌ في الرُّجعة مندوبٌ إليه في الفُرقة[٥].

وقيل: ﴿وَأَشْهِدُواْ﴾ يريد على الرُّجعة فقط، والإشهاد شرطٌ في صِحَّتها، فلها منعُه من نفسها حتى يُشْهِد.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٠.
(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٣٩، وبعضه من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٠، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢١٥، والوسيط ٤/ ٣١٢.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٥٨.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤.
(٥) الكشاف ٤/ ١١٩.

وقال ابن عباس: الإشهادُ على الرُّجعة وعلى الطلاق يرفع عن النوازل إشكالاتٍ كثيرةً، وتقييد تاريخ الإشهاد من الإشهاد[١].

قيل: وفائدة الإشهاد أن لا يقعَ بينهما التَّجاحدُ، وأن لا يُتَّهم في إمساكها، ولئلَّا يموتَ أحدُهما فيدَّعي الباقي ثبوتَ الزوجية لِيَرِث[٢]. انتهى.

ومعنى «منكم» قال الحسن: من المسلمين. وقال قتادة: من الأحرار.

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾ هذا أمرٌ للشهود، أي: لوجه الله خالصاً لا لمراعاةِ مشهودٍ له ولا مشهودٍ عليه، لا يلحَظُ سوى إقامة الحق.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾إشارةٌ إلى إقامة الشهادة؛ إذ نوازل الأشياء تدور عليها وبها يتميَّز المُبطِلُ من المُحِقِّ.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾قال علي بن أبي طالب وجماعة: هي في معنى الطلاق، أي: ومَنْ لا يتعدَّى في طلاق السُّنَّة إلى طلاق الثلاث وغير ذلك يجعَلِ اللهُ له مخرجاً إن نَدِمَ بالرُّجعة، ويرزُقْه ما يُطعمُ أهلَه[٣]. انتهى.

ومفهوم الشرط أنَّه إن لم يتَّقِ اللهَ فبتَّ الطلاقَ ونَدِمَ لم يكن له مخرجٌ، وزال عنه رزقُ زوجته.

وقال ابن عباس للمُطلِّق ثلاثاً: إنَّك لم تتَّقِ الله، بانَتْ منكَ امرأتُكَ، ولا أرى لكَ مخرجاً. وقال: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾: يخلِّصه من كُرَبِ الدنيا والآخرة.

والظاهر أنَّ قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾متعلِّقٌ بأمر ما سبق من أحكام الطلاق[٤].

ورُوي أنَّها في غير هذا المعنى، كان[٥] أُسِرَ ابنٌ يُسمَّى سالماً لعوف بن مالك

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤.
(٢) الكشاف ٤/ ١١٩، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤، وما بعده منه مع تقديم وتأخير.
(٤) الكشاف ٤/ ١٢٠.
(٥) في (أ) والمطبوع: وهو أن.

الأشجعي، فشكا ذلك للرسول ﷺ وأمره بالتقوى، فقَبِلَ، ثمَّ لم يلبَثْ أن تفلَّتَ ولدُه واستاق مئةً من الإبل ـ كذا في «الكشاف»، وفي «الوجيز»[١]: قطيعاً من الغنم ـ كانت للذين أسروه، وجاء أباه، فسألَ رسولَ الله ﷺ: أيطيبُ له؟ فقال: «نعم» فنزلت الآية[٢].

وقال الضحَّاك: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾امرأةً أخرى. وقيل: ﴿وَمَن يَتَّقِ﴾الحرام ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾إلى الحلال. وقيل: مخرجاً من الشدَّة إلى الرَّخاء. وقيل: من النار إلى الجنة[٣]. وقيل: من العقوبة ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ من الثواب[٤]. وقال الكلبي: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ عند المصيبة ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾إلى الجنة[٥]. ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾أي: يُفوِّضُ أمرَه إليه ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: كافيه[٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾قال مسروق: أي: لا بُدَّ من نفوذ أمر الله، توكَّلْتَ أم لم تتوكَّلْ[٧].

---

(١) أي المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤.

(٢) أخرجه بنحوه الحاكم ٢/ ٤٩٢، والواحدي في أسباب النزول ص ٤٦٤-٤٦٥ من حديث جابر ﷺ. قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٧٤: فيه عبيد بن كثير، تركه الأزدي، وعباد بن يعقوب رافضي.
وأخرجه بنحوه أيضاً، الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢١٦ من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ. وفي إسناده الكلبي ـ وهو محمد بن السائب ـ متروك، وكذَّبه بعضهم. ينظر ميزان الاعتدال ٤/ ١٢٥.
وأخرجه الطبري ٢٣/ ٤٤-٤٥ عن السدي وسالم بن أبي الجعد، وهما مرسلان.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٤ دون القول الثالث، ودون نسبة الأول للضحاك. والوجيز للواحدي ٩/ ٤٩٢ دون قول الضحاك.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢١٦ ونسبه لحسين بن الفضل.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣١، وزاد المسير ٨/ ٢٩١.

(٦) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٧٥، والوسيط ٤/ ٣١٤، ومجمع البيان ٢٨/ ١٠٨.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥١، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٥٣٧، والنكت والعيون ٦/ ٣١-٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤. وأخرجه بنحوه الطبري ٢٣/ ٤٧-٤٨.

وقرأ الجمهور: «بالِغٌ» بالتنوين «أمْرَه» بالنصب. وحفص، والمُفَضَّل، وأبان، وجَبَلة، وابن أبي عبلة، وجماعة عن أبي عمرو، ويعقوب، وابن مُصَرِّف، وزيد بن علي بالإضافة[١].

وابنُ أبي عبلة أيضاً، وداود بن أبي هند، وعِصْمة عن أبي عمرو: «بالِغٌ» منوَّناً «أمْرُه» رفع[٢]، أي: نافذٌ أمْرُه.

والمُفَضَّل أيضاً: «بالغاً» بالنصب«أمْرُه» بالرفع، فخرَّجه الزمخشريُّ[٣] على أنَّ «بالغاً» حال، وخبر «إنَّ» هو قوله تعالى: «قد جعل الله».

ويجوز أن تُخرَّج هذه القراءة على قول مَنْ ينصب بـ «إنّ» الجُزْأين، كقوله:

إذا اسْوَدَّ جُنْحُ اللَّيل فلْتَأتِ ولْتَكُنْ خُطاكَ خِفافاً إنَّ حُرَّاسَنا أُسْدا[٤]

ومَنْ رفعَ «أمْرُه» فمفعولُ «بالغٌ» محذوفٌ، تقديره: بالغٌ أمْرُه ما شاء[٥].

﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تقديراً وميقاتاً لا يتعدَّاه، وهذه الجمل تحضُّ على التوكل[٦].

وقرأ جناح بن حُبَيش: «قَدَراً» بفتح الدال[٧]. والجمهور بإسكانها.

❁ ❁ ❁

(١) القراءة عن حفص في السبعة ص ٦٣٩، والتيسير ص ٢١١، وهي في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٢ عن أبي عمرو، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤ عن المفضل وطلحة بن مصرف وأبي عمرو، والمشهور عن أبي عمرو ويعقوب كقراءة الجمهور.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٨ عن ابن أبي عبلة وداود بن أبي هند، والمحتسب ٢/ ٣٢٤ عن داود، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤ عن داود وأبي عمرو. وينظر الكشاف ٤/ ١٢٠.
(٣) في الكشاف ٤/ ١٢٠-١٢١ والقراءة فيه.
(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة، وسلف عند تفسير الآية (٥٤) من سورة الأعراف.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١٢١.
(٧) القراءات الشاذة ص ١٥٨.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ﴿٧﴾﴾.

ورُوي أنَّ قوماً منهم أبي بن كعب وخَلَّاد بن النعمان لمَّا سمعوا قولَه: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ قالوا: يا رسول الله، فما عِدَّةُ مَنْ لا قُرْءَ لها من صِغَرٍ أو كِبَرٍ؟ فنزلت هذه الآية، فقال قائل: فما عِدَّةُ الحامل؟ فنزلت: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾[(١)].

وقرأ الجمهور: «يَئِسْنَ» فعلاً ماضياً. وقُرِئ بياءين مضارعاً[(٢)].

ومعنى ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ في أنَّها يئِسَتْ أم لا، لأجل إمكان ظهور الحمل وإن كان انقطَعَ دمُها[(٣)].

وقيل: إن ارتَبْتُم في دم البالغات مَبْلَغَ اليأس أهو دمُ حيضٍ أو استحاضة، وإذا كانت هذه عِدَّة المُرتابِ بها فغيرُ المُرتابِ بها أولى بذلك.

وقَدَّر بعضُهم مَبْلَغَ اليأس بستين سنة، وبعضُهم بخمسٍ وخمسين[(٤)]. وقيل: غالبُ سِنِّ يأسِ عشيرة المرأة. وقيل: أقصى عادة امرأةٍ في العالم[(٥)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٥. وينظر أسباب النزول للواحدي ص ٤٦٥.
(٢) أي: «يَيْأَسْنَ»، وهي قراءة شاذة.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٥ بنحوه.
(٤) الكشاف ٤/ ١٢١.
(٥) نقلهما القرطبي في تفسيره ٢١/ ٤٨ عن القشيري، والكلام الآتي منه ـ أيضاً ـ مع تقديم وتأخير.

وقال مجاهد: الآيةُ واردةٌ في المستحاضة أطبقَ بها الدمُ لا تدري أهو دمُ حيضٍ أو دمُ عِلَّة(١).

وقيل: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ شكَكْتُم في حالِهنَّ وحُكمهنَّ فلم تدروا ما حُكمهُنَّ، فالحُكم أنَّ عِدَّتهنَّ ثلاثةُ أشهر، واختار الطبريُّ(٢) أنَّ معنى ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: شكَكْتُم فلم تدروا ما الحُكم.

وقيل: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ أي: إن تيقَّنْتُم إياسَهُنَّ، وهو من الأضداد.

وقال الزجَّاج(٣): المعنى: إن ارتَبْتُم في حيضها وقد انقطعَ عنها الدمُ، وكانت ممَّن يحيض مثلُها.

وقال مجاهد أيضاً: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾: هو للمخاطَبين، أي: إن لم تعلموا عِدَّةَ الآيسة واللَّائي لم يَحِضْنَ فالعِدَّةُ هذه(٤).

فتلخَّص في قوله: ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ قولان؛ أحدهما: أنَّه على ظاهر مفهوم اللغة فيه، وهو حصول الشكِّ، والآخر: أنَّ معناه التيقُّن للإياس. والقول الأول معناه: إن ارتَبْتُم في دمِها أهو دمُ حيضٍ أو دمُ عِلَّةٍ، أو: إن ارتَبْتُم في عُلوقٍ بحملٍ أم لا، أو: إن ارتَبْتُم، أي: جهِلْتُم عِدَّتهنَّ. أقوال.

والظاهر أنَّ قولَه: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ يشمل مَنْ لم يَحِضْنَ لصِغَرٍ، ومَنْ لا يكون لها حيضٌ البتَّة، وهو موجودٌ في النساء، وهو أنَّها تعيش إلى أن تموت ولا تحيض. ومَنْ أتى عليها زمانُ الحيض وما بلغَتْ به ولم تحِضْ، فقيل: هذه تعتَدُّ سنة(٥).

«واللائي لم يَحِضْنَ» معطوف على «واللائي يئِسْنَ»، فإعرابه مبتدأٌ كإعراب «واللائي يئِسْنَ»، وقدَّروا خبرَه جملةً من جنس خبر الأول، أي: عِدَّتُهنَّ ثلاثةُ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٢٥.
(٢) في تفسيره ٢٣/ ٥٢.
(٣) في معاني القرآن له ٥/ ١٨٥.
(٤) أخرجه عنه الطبري ٢٣/ ٤٩.
(٥) ينظر زاد المسير ٨/ ٢٩٤.

أشهر[١]. والأولى أن يُقَدَّر: مِثْلُ أولئك، أو كذلك، فيكون المُقدَّر مفرداً لا جملة.

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ عامٌّ في المُطلَّقة وفي المُتوفَّى عنها زوجُها، وهو قول عمر وابن مسعود وأبي مسعود البدري وأبي هريرة وفقهاء الأمصار[٢].

وقال علي وابن عباس: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ في المُطلَّقات، وأمَّا المُتوفَّى عنها فعِدَّتُها أقصى الأجلين، فلو وضعَتْ قبلَ أربعة أشهر وعشرٍ صبرت إلى آخرها، والحجَّةُ عليها حديثُ سُبَيعة[٣].

وقال ابن مسعود: مَنْ شاء لاعَنْتُه، ما نزلَتْ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ﴾ إلَّا بعد آية المُتوفَّى عنها زوجُها[٤].

وقرأ الجمهور: «حملَهُنَّ» مفرداً. والضحَّاك: «أحمالَهُنَّ» جمعاً[٥].

﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يُريد ما عُلِمَ مِن حُكم المُعتَدَّات[٦].

---

(١) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٢.

(٢) زاد المسير ٨/ ٢٩٤.

(٣) حديث سُبَيعة ﷺ أنَّها كانت تحت سعد بن خولة ـ وكان ممن شهد بدراً ـ فتوفِّي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنْشَبْ أن وضعَتْ حملها بعد وفاته، فلمَّا تعلَّتْ من نِفاسها تجمَّلتْ للخُطَّاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بَعْكك، فقال لها: مالي أراكِ متجمِّلة؟ لعلَّك ترجين النكاح، إنَّك واللهِ ما أنتِ بناكحٍ حتى تمرَّ عليكِ أربعةُ أشهر وعشرٌ. قالت سُبيعة: فلمَّا قال لي ذلك، جمَعْتُ عليَّ ثيابي حين أمسيتُ، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فسألتُه عن ذلك، فأفتاني بأنِّي قد حلَلْتُ حين وضعتُ حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي. والحديث أخرجه البخاري (٣٩٩١)، ومسلم (١٤٨٤) واللفظ له، وأحمد (٢٧٤٣٥). والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٥.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٣٠٧)، والنسائي في المجتبى ٦/ ١٩٧، وفي الكبرى (٥٧١٦)، وابن ماجه (٢٠٣٠)، والطبري ٢٣/ ٥٤-٥٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٢١.

وقرأ الجمهور: «ويُعْظِم» بالياء مضارع «أعظَمَ». والأعمش: «نُعْظِم» بالنون[١]، خروجاً من الغَيْبة للتكلُّم. وابنُ مِقْسَم بالياء والتشديد، مضارع «عَظَّمَ» مشدَّداً[٢].

ولمَّا كان الكلامُ في أمر المطلقات وأحكامهنَّ من العِدَدِ وغيرِها، وكُنَّ لا يُطلِّقُهنَّ أزواجهُنَّ إلَّا عن بُغضٍ لهنَّ وكراهة، جاء عُقَيبَ بعض الجمل الأمرُ بالتقوى من حيث المعنى، مُبْرَزاً في صورة شرطٍ وجزاء في قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ إذِ الزَّوجُ المُطلِّقُ قد ينسب إلى مُطلَّقتِه بعضَ ما يشينُها به، ويُنفِّرُ الخُطَّابَ عنها، ويُوهم أنَّه إنَّما فارقَها لأمرٍ ظهر له منها؛ فلذلك تكرَّرَ قولُه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي: ومن يتَّقِ الله في العمل بما أنزله من هذه الأحكام، وحافظ على الحقوق الواجبة عليه، من تركِ الضِّرار، والنفقةِ على المُعتدَّات، وغيرِ ذلك ممَّا يلزمُه، ترتَّبَ له تكفيرُ السيئات، وإعظامُ الأجر[٣].

و«مِن» في «من حيثُ سكنْتُم» للتبعيض، أي: بعض مكان سُكناكم. وقال قتادة: إن لم يكن له إلَّا بيتٌ واحد، أسكنَها في بعض جوانبه. قاله الزمخشري. وقال الحَوْفي: «من» لابتداء الغاية. وكذا قال أبو البقاء[٤].

و«مِن وُجْدِكم» قال الزمخشري[٥]: فإن قلتَ: فقوله: «من وُجْدِكم»؟ قلت: هو عطفُ بيانٍ لقوله: «من حيثُ سكَنْتُم» وتفسيرٌ له، كأنَّه قيل: أسكنوهُنَّ مكاناً من مسكَنِكم ممَّا تُطيقونَه. والوُجْد: الوُسْع والطَّاقة. انتهى.

ولا نعرِفُ عطفَ بيانٍ يُعادُ فيه العاملُ، إنَّما هذا طريقةُ البدل مع حرف الجر؛ ولذلك أعربه أبو البقاء[٦] بدلاً من قوله: «من حيثُ سكَنْتُم».

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٨.
(٢) أي: «يُعَظِّم».
(٣) من قوله: أي: ومن يتَّق الله. . . إلى هنا من الكشاف ٤/ ١٢١.
(٤) في الإملاء ٢/ ٢٦٣.
(٥) في الكشاف ٤/ ١٢١-١٢٢.
(٦) في الإملاء ٢/ ٢٦٣.

وقرأ الجمهور: «مِنْ وُجْدِكم» بضمِّ الواو. والحسن، والأعرج، وابنُ أبي عبلة، وأبو حَيْوة بفتحها[(١)]. والفيَّاض بن غزوان، وعمرو بن ميمون، ويعقوب بكسرها، وذكرها المهدويُّ عن الأعرج[(٢)]، وهي لغاتٌ ثلاثٌ بمعنى الوُسْع[(٣)].

والوَجْدُ بالفتح: يُستعمل في الحزن والغضب والحبِّ، ويقال: وَجدْتُ في المال، ووجَدْتُ على الرجل وَجْداً ومَوْجِدةً، ووجدتُ الضالَّةَ وِجْداناً[(٤)]. والوُجْدُ بالضمِّ: الغنى والقدرة، يقال: افتقرَ الرجلُ بعد وُجْدٍ[(٥)].

وأمَرَ تعالى بإسكان المُطلَّقات، ولا خلافَ في ذلك في التي لم تُبَتَّ، وأمَّا المبتوتة فقال ابن المسيّب وسليمان بن يسار وعطاء والشَّعبي والحسن ومالك والأوزاعي وابن أبي ليلى والشافعي وأبو عبيد: لها السُّكنى ولا نفقةَ لها. وقال الثَّوري وأبو حنيفة: لها السُّكنى والنفقة. وقال الحسن وحمَّاد وأحمد وإسحاق وأبو ثور: لا سُكنى لها ولا نفقة[(٦)].

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ﴾: ولا تستعملوا معهنَّ الضّرار ﴿لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ﴾ في المسكن ببعض الأسباب من إنزال مَنْ لا يوافقهنَّ، أو بشغل مكانهنَّ، أو غير ذلك، حتى تضطروهنَّ إلى الخروج. وقيل: هذه المُضارَّةُ مراجعتُها إذا بقي من عِدَّتِها قليلٌ، ثمَّ يُطلِّقُها فيطول حبسها في عدَّته الثانية. وقيل: إلجاؤها إلى أن تفتدي منه[(٧)].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٨ عن الأعرج وابن أبي عبلة، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦ عن الحسن والأعرج وأبي حيوة.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٨ عن يعقوب وعمرو بن ميمون، ووقع الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦: وقرأ الفياض بن غزوان ويعقوب بكسر الواو، وذكرها المهدوي عن الأعرج وعمرو بن ميمون. قلت: وقراءة يعقوب ـ وهي من رواية روح عنه ـ في النشر ٢/ ٣٨٨.

(٣) الكشاف ٤/ ١٢٢.

(٤) تهذيب اللغة ١١/ ١٦٠.

(٥) زاد المسير ٨/ ٢٩٦.

(٦) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٥٣٩-٧٥٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٥-٣٢٦، والكشاف ٤/ ١٢٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٥٣.

(٧) الكشاف ٤/ ١٢٢.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ لا خلافَ في وجوب سُكناها ونفقتها بُتَّتْ أو لم تُبَتَّ، فإن كان مُتوفًّى عنها فأكثر العلماء على أنَّها لا نفقةَ لها. وعن علي وابن مسعود: تجب نفقتُها في التركة[١].

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي: ولَدْنَ وأرضَعْنَ المولودَ وجَبَ لها النفقة، وهي الأجرُ والكسوةُ وسائرُ المُؤَنِ على ما قُرِّرَ في كتب الفقه[٢].

ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجارُ إذا كان الولدُ بينهنَّ ما لم يُبِنْ. ويجوز عند الشافعي[٣].

وفي تعميم المُطلَّقات بالسُّكنى وتخصيص أولات الأحمال بالنفقة دليلٌ على أنَّ غيرَها من المُطلَّقات لا يُشاركنها في النَّفقة وتُشاركهنَّ في السُّكنى[٤].

﴿وَأْتَمِرُواْ﴾ افتَعِلوا، من الأمر، يُقال: ائتمرَ القومُ وتآمروا: إذا أمرَ بعضُهم بعضاً، والخطاب للآباء والأمَّهات، أي: وليأمُرْ بعضُكم بعضاً ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: في الأجرة والإرضاع، والمعروفُ: الجميلُ؛ بأنْ تُسامِحَ الأمُّ ولا يُماكسَ الأبُ؛ لأنَّه ولَدُهما معاً، وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه[٥].

وقال الكسائي: «وائتمروا»: تشاوَروا، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص:٢٠]، وقولُ امرىء القيس:

ويَـعْـدُو عـلـى الـمـرءِ مـا يـأتَـمِـرْ[٦]

وقيل: المعروف: الكسوة والدِّثار[٧].

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/ ٥٥. وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦.
(٣) الكشاف ٤/ ١٢٢.
(٤) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٤٢٨.
(٥) الكشاف ٤/ ١٢٢، ومَاكَسَهُ: شَاحَّهُ. القاموس (مكس).
(٦) ديوان امرىء القيس ص ١٥٣، وصدره: أحَارِ بنَ عمروٍ كأنِّي خَمِرْ. قال شارحه: قوله: خَمِرْ، أي: خامرَه داءٌ أو حبٌّ، أي: خالطه. ويعدو عليه، أي: يصيبه وينزل به. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦.
(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٦.

﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ أي: تضايقتُم وتشاكَسْتُم فلم ترضَ إلَّا بما ترضى به الأجنبية، وأبى الزَّوجُ الزيادة، أو إن أبى الزَّوجُ الإرضاع إلَّا مجَّاناً، وأبَتْ هي إلَّا بعِوَض ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أي: يستأجرُ غيرَها، وليس له إكراهُها، فإن لم يقبَلْ إلَّا ثديَ أمِّه أُجبِرَتْ على الإرضاع بأجرة مثلها[(١)]. ولا يختصُّ هذا الحكم من وجوب أجرة الرَّضاع بالمُطلَّقة، بل المنكوحة في معناها[(٢)].

وقيل: «فستُرضِعُ» خبرٌ في معنى الأمر، أي: فلتُرْضِعْ له أخرى[(٣)].

وفي قوله: ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ يسيرُ معاتبةٍ للأمِّ إذا تعاسرت، كما تقول لمن تستقضيه حاجةً فيتوانى: سَيقْضيها غيرُك، تريد: لن تبقى غيرَ مقضيَّةٍ، وأنت ملوم، والضميرُ في «له» عائدٌ على الأب، كما تعدَّى في قوله: «فإن أرضَعْنَ لكم» أي: للأزواج[(٤)].

﴿لِيُنفِقْ﴾ الموسِرُ والمقدورُ عليه ما بلَغَهُ وُسْعُه، أي: على المُطلَّقات والمرضعات، ولا يُكلَّفُ ما لا يُطيقه.

والظاهر أنَّ المأمورَ بالإنفاق الأزواج، وهذا أصلٌ في وجوب نفقة الولد على الوالد دون الأم.

وقال محمد بن الموَّاز: إنَّها على الأبوين على قَدْر الميراث. وفي الحديث «يقولُ لكَ ابنُكَ: أنفِقْ عليَّ، إلى مَنْ تَكِلُني». ذكره في «صحيح» البخاري[(٥)].

وقرأ الجمهور: «لِيُنْفِقْ» بلام الأمر. وحكى أبو معاذ: «لِيُنْفِقَ» بلام «كي»

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٤-٣٥ بنحوه.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٦، وزاد المسير ٨/ ٢٩٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٢٢.

(٥) صحيح البخاري (٥٣٥٥)، وهو من قول أبي هريرة ﷺ ـ كما ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٥٠١ ـ قاله عقب روايته لحديث: «أفضل الصدقة ما ترك غنى، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وابدأ بمن تعول». والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣١.

ونصب القاف[١] ويتعلَّق بمحذوفٍ تقديره: شَرَعْنا ذلك لِيُنْفِق.

وقرأ الجمهور: «قُدِرَ» مخفَّفاً. وابنُ أبي عَبْلة مُشدَّد الدال[٢].

﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ﴾ وعدٌ لمن قُدِرَ عليه رزقُه، يُفتَحُ له أبوابُ الرزق، ولا يختصُّ هذا الوعدُ بفقراء ذلك الوقت، ولا بفقراء الأزواج مطلقاً، بل مَنْ أنفق ما قَدِرَ عليه ولم يُقَصِّر.

ولو عجزَ عن نفقة امرأته؛ فقال أبو هريرة والحسن وابن المسيِّب ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق: يُفرَّقُ بينهما. وقال عمر بن عبد العزيز وجماعة: لا يُفرَّقُ بينهما[٣].

❋ ❋ ❋

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾.

تقدَّم الكلامُ على «كأيِّن» في آل عمران[٤]، وعلى «نُكْراً» في الكهف[٥].

﴿عَتَتْ﴾: أعرضَتْ عن أمر ربِّها على سبيل العناد والتكبُّر[٦].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٨. والكلام من الكشاف ٤/ ١٢٣.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٥٨، والكشاف ٤/ ١٢٣، وما بعده منه بنحوه.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦.
(٤) في تفسير الآية (١٤٦) منها.
(٥) في تفسير الآية (٧٤) منها.
(٦) الكشاف ٤/ ١٢٣.

والظاهر في «فحاسبناها» الجمل الأربعة أنَّ ذلك في الدنيا لقوله بعدها: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ﴾، وظاهره أنَّ المُعَدَّ عذابُ الآخرة، والحسابَ الشديدَ هو الاستقصاءُ والمناقشةُ، فلم تُغتَفَرْ لهم زَلَّة، بل أُخذوا بالدقائق من الذنوب. وقيل: الجمل الأربعة من الحساب والعذاب والذوق والخسر في الآخرة، وجيء به على لفظ الماضي، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٤٤] ويكون قولُه: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ تكريراً للوعيد، وبياناً لكونه مترقَّباً، كأنَّه قال: أعدَّ اللهُ لهم هذا العذاب[١]. وقال الكلبي: الحساب في الآخرة، والعذاب النكير في الدنيا بالجوع والقحط والسيف[٢].

ولمَّا ذكر ما حَلَّ بهذه القرية العاتية أمر المؤمنين بتقوى الله؛ تحذيراً من عقابه، ونَبَّه على ما يحضُّ على التقوى وهو إنزال الذِّكر.

والظاهر أنَّ الذِّكر هو القرآن، وأنَّ الرسولَ هو محمدٌ ﷺ، فإمَّا أن يُجعَلَ نفسُ الذِّكر مجازاً لكثرة ما صدر[٣] منه الذِّكر، فكأنَّه هو الذِّكر، أو يكون بدلاً على حذفِ مضافٍ، أي: ذِكْرَ رسولٍ. وقيل: «رسولاً» نعتٌ على حذف مضاف، أي: ذِكْراً ذا رسولٍ. وقيل: المضاف محذوفٌ من الأول، أي: ذا ذِكْرٍ رسولاً، فيكون «رسولاً» نعتاً لذلك المحذوف أو بدلاً. وقيل: «رسول» بمعنى رسالة، فيكون بدلاً من «ذِكراً»[٤]. ويُبعِدُه قولُه بعدَه: «يتلو عليكم»، والرسالة لا تُسنَدُ التلاوةُ إليها إلَّا مجازاً.

وقيل: الذِّكر: اسمٌ من أسماء النبيِّ ﷺ[٥]. وقيل: الذِّكْرُ: الشَّرَفُ، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ﴾ [الزخرف:٤٤] فيكون «رسولاً» بدلاً منه وبياناً له[٦].

---

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ١٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٧.
(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢١، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦١، وتفسير الرازي ٣٠/ ٣٨.
(٣) في (أ) والمطبوع: لكثرة يقدر، وفي (ع): لكثرة ما يقدر، والمثبت من (يه).
(٤) الكلام بنحوه من معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٨٨، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٥-٤٥٦، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤٠-٧٤١، والكشاف ٤/ ١٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٦.
(٦) الكشاف ٤/ ١٢٣.

وقال الكلبي: الرسول هنا: جبريل عليه السلام[(١)]. وتبِعَه الزمخشريُّ[(٢)] فقال: «رسولاً»: هو جبريل صلوات الله وسلامه عليه، أُبدِلَ من «ذِكراً»؛ لأنَّه وُصِفَ بتلاوة آيات الله، فكان إنزالُه في معنى إنزال الذِّكر، فصَحَّ إبدالُه منه. انتهى.

ولا يصِحُّ؛ لتبايُنِ المدلولَين بالحقيقة، ولكونه لا يكون بدلَ بعضٍ ولا بدلَ اشتمالٍ، وهذه الأعاريبُ على أن يكون «ذِكراً» و«رسولاً» لشيءٍ واحد.

وقيل: «رسولاً» منصوب بفعل محذوف، أي: بعثَ رسولاً، أو أرسلَ رسولاً، وحُذِف لدلالة «أنزلَ» عليه، ونحا إلى هذا السُّدِّي، واختاره ابن عطية[(٣)].

وقال الزجَّاج[(٤)] وأبو علي الفارسي[(٥)]: يجوز أن يكون «رسولاً» معمولاً للمصدر الذي هو الذِّكر. انتهى.

فيكون المصدر مُقدَّراً بـ «أن» والقول تقديره: أنْ ذكَرَ رسولاً[(٦)]، وعمل منوَّناً كما عمل ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد:١٤-١٥]، وكما قال الشاعر:

بِضَرْبٍ بالسُّيوفِ رؤوسَ قومٍ أزَلْنا هامَهُنَّ عن المَقِيلِ[(٧)]

وقرئ: «رسولٌ» بالرفع على إضمار: هو[(٨)].

«لِيُخْرِجَ» يصِحُّ أن يتعلَّق بـ «يتلو» و«أنزل»[(٩)].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي: الذين قضى وقدَّر وأراد إيمانهم، أو أطلق عليهم آمنوا باعتبار ما آل أمرُهم إليه.

---

(١) النكت والعيون ٦/٣٦.
(٢) في الكشاف ٤/١٢٣.
(٣) في المحرر الوجيز ٥/٣٢٧.
(٤) في معاني القرآن له ٥/١٨٨.
(٥) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٣٢٧.
(٦) ينظر الكشاف ٤/١٢٣، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/٢٦٣.
(٧) البيت للمرار بن منقذ، وسلف عند تفسير الآية (٢٥) من سورة النساء.
(٨) الكشاف ٤/١٢٣.
(٩) ينظر تفسير الرازي ٣٠/٣٩.

وقال الزمخشري[(١)]: ليحصلَ لهم ما هم عليه الساعة من الإيمان والعمل الصالح؛ لأنَّهم كانوا وقتَ إنزاله غيرَ مؤمنين، وإنَّما آمنوا بعد الإنزال والتبليغ. انتهى.

والضمير في «ليُخْرِجَ» عائدٌ على الله تعالى، أو على الرسول ﷺ، أو على الذِّكر.

«ومَنْ يؤمِنْ» راعى اللَّفظ أولاً في «مَنْ» الشرطية، فأفرد الضميرَ في «يؤمِنْ» و«يعمَلْ» و«يُدخِلْه»، ثمَّ راعى المعنى في «خالدين»، ثمَّ راعى اللَّفظَ في «قد أحسَنَ الله له» فأفرد، واستدلَّ النَّحْويون بهذه الآية على مُراعاة اللَّفظ أولاً، ثمَّ مراعاة المعنى، ثمَّ مُراعاة اللفظ، وأوردَ بعضُهم أنَّ هذا ليس كما ذكروا؛ لأنَّ الضميرَ في «خالدين» ليس عائداً على «مَنْ» بخلاف الضمير في «يؤمِنْ» و«يعمَلْ» و«يُدخِلْه»، وإنَّما هو عائدٌ على مفعول «يُدْخِلْه»، و«خالدين» حالٌ منه، والعامل فيها «يُدْخِلْه» لا فعل الشرط.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ لا خلافَ أنَّ السماواتِ سبعٌ بنصِّ القرآنِ والحديثِ كما جاء في حديث الإسراء[(٢)]، ولقوله ﷺ لسعد: «حكَمْتَ بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة»[(٣)] وغيره من نصوص الشريعة.

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٢٣.

(٢) حديث الإسراء أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة ﷺ، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ، و(١٦٣) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٣) أخرجه ـ بهذا اللفظ ـ ابن زنجويه في الأموال (٥٣٨)، وأبو إسحاق الحربي في غريب الحديث ٣/ ١٠٣٠، والطبري في تفسيره ١٩/ ٧٨-٧٩، وفي تاريخه ٢/ ٥٨٩ من طريق ابن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص مرسلاً، وفيه عنعنة ابن إسحاق. والأرقعة جمع الرَّقيع: وهو اسم سماء الدنيا، وكلُّ سماء بعد سماء فهي رقيع.
وأخرجه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم (١٧٦٨)، وأحمد (١١١٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ دون قوله: «من فوق سبعة أرقعة».
والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٧.

وقرأ الجمهور: «مِثلَهنَّ» بالنصب. والمُفضَّل عن عاصم، وعِصْمة عن أبي بكر: «مِثلُهنَّ» بالرفع[(١)].

فالنصب قال الزمخشريُّ[(٢)]: عطفاً على سبع سماوات. انتهى. وفيه الفصل بالجار والمجرور بين حرف العطف وهو الواو والمعطوف، وهو مختَصٌّ بالضرورة عند أبي عليّ الفارسي.

وأضمَر بعضُهم العامِلَ بعد الواو؛ لدلالة ما قبلَه عليه، أي: وخلَق من الأرض مِثلَهُنَّ، فـ «مثلَهُنَّ» مفعولٌ للفعل المُضمَر لا معطوفٌ، وصار ذلك من عطف الجمل والرفع على الابتداء، و«من الأرض» الخبر[(٣)].

والمِثْليَّة تَصْدُق بالاشتراك في بعض الأوصاف، فقال الجمهور: المِثْليَّة في العدد، أي: مِثْلُهنَّ في كونها سبعَ أرضين، وفي الحديث: «طُوِّقَه من سبع أرضين»[(٤)]، «ورَبَّ الأرضينَ السَّبع وما أَقْلَلْنَ»[(٥)].

فقيل: سَبْعٌ طِباقٌ من غير فُتوق. وقيل: بين كلِّ طبقةٍ وطبقةٍ مسافة. قيل: وفيها سُكانٌ من خلق الله. قيل: ملائكة وجِنّ[(٦)]. وعن ابن عباس من رواية الواقدي

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٥٨ عن عصمة عن أبي بكر، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٨ عن عاصم، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.

(٢) في الكشاف ٤/ ١٢٤.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٥٧، والكشاف ٤/ ١٢٤، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦٢.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٠)، وأحمد (١٦٣٣) من حديث سعيد بن زيد ﷺ وأوله واللفظ للبخاري: «من ظلم من الأرض شيئاً».
وأخرجه بنحوه البخاري (٢٤٥٣)، ومسلم (١٦١٢)، وأحمد (٢٦١٤٣) من حديث عائشة ﵂.
وأخرجه مسلم (١٦١١)، وأحمد (٩٠٤٤) من حديث أبي هريرة ﵁. والكلام إلى هنا من المحرر الوجيز ٥/ ٣٢٧-٣٢٨ بنحوه.

(٥) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٣٠٢)، وابن خزيمة (٢٥٦٥)، وابن حبان (٢٧٠٩) من حديث صهيب ﵁.

(٦) الكشاف ٤/ ١٢٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٦٣.

الكذَّاب قال: في كلِّ أرض آدمُ كآدمَ، ونوحٌ كنوحٍ، ونبيٌّ كنبيِّكم، وإبراهيمُ كإبراهيمِكُم، وعيسى كعيسى. وهذا حديث لا شَكَّ في وَضْعِه[١].

وقال أبو صالح: إنَّها سبعُ أرَضين منبسطة ليس بعضُها فوقَ بعض، تُفرِّق بينها البحار، وتُظِلُّ جميعَها السماء.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قال مجاهد: يتنزَّل الأمرُ من السماوات السبع إلى الأرضين السبع. وقال مقاتل وغيره: الأمر هنا: الوحي.

فـ «بينهنَّ» إشارةٌ إلى بين هذه الأرض التي هي أدناها وبين السماء السابعة.

وقال الأكثرون: الأمر: القضاء والقدر، فـ «بينهنَّ» إشارةٌ إلى بين الأرض السُّفلى التي هي أقصاها، وبين السماء السابعة التي هي أعلاها[٢].

وقيل: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ بحياةٍ وموتٍ وغنًى وفقر[٣]. وقيل: هو ما يُدبَّرُ فيهنَّ من عجيب تدبيره[٤].

وقرأ الجمهور: «يتنزَّلُ» مضارع «تنزَّلَ». وقرأ عيسى وأبو عمرو في رواية: «يُنَزِّلُ» مضارع «نَزَّلَ» مشدَّداً «الأمرَ» بالنصب[٥].

والجمهور: «لِتَعْلموا» بتاء الخطاب. وقُرِئَ بياء الغيبة[٦]، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٧٧-٧٨، والحاكم ٢/ ٤٩٣، والبيهقي في الأسماء والصفات (٨٣١) و(٨٣٢) وليس في إسنادهم الواقدي كما ذكر المصنف!. قال البيهقي عقب الرواية الثانية له: إسناد هذا عن ابن عباس ﷺ صحيح، وهو شاذٌّ بمرَّة. وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٢١: وهو محمول إن صحَّ نقلُه على أنَّه أخذه ابن عباس ﷺ عن الإسرائيليات.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٧، وقول أبي صالح السابق منه.

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٤٠.

(٤) الكشاف ٤/ ١٢٤.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٨ عن عيسى، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

(٦) الكشاف ٤/ ١٢٤.

سورة التحريم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ
ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ
حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ
هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ
ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ
أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ۝٥
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ
لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا
تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾.

هذه السورة مدنية[1]، وسبب نزولها ما يأتي ذِكْرُه في تفسير أوائلها.

والمناسبة بينها وبين السورة قبلَها أنَّه لـمَّا ذكر جملةً من أحكام زوجات المؤمنين ذكر هنا ما جرى من بعض زوجات رسول الله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ نداء إقبالٍ وتشريفٍ وتنبيهٍ بالصِّفة على عصمته ممَّا يقع فيه مَنْ ليس بمعصوم.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٩، وزاد المسير ٨/ ٣٠٢.

﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ سؤال تلطُّفٍ؛ ولذلك قدَّم قبلَه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ كما جاء في قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

ومعنى «تُحرِّم»: تمنع، وليس التحريمَ المشروعَ بوحيٍ من الله، وإنَّما هو امتناعٌ لتطييب خاطر بعض من تحسن معه العِشرة.

﴿مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ هو مباشرة مارية جاريته، وكان ﷺ ألمَّ بها في بيت بعض نسائه، فغارت من ذلك صاحبةُ البيت، فطيَّبَ خاطِرَها بامتناعه منها، واستكتمها ذلك، فأفشَتْه إلى بعض نسائه.

وقيل: هو عسلٌ كان يشربه عند بعض نسائه، فكان ينتاب بيتَها لذلك، فغار بعضُهنَّ من دخوله بيت التي عندها العسل، وتواصَيْنَ على أن يذكُرْنَ له أنَّ رائحةَ ذلك العسل ليس بطيِّب، فقال: «لا أشربه»[1].

(١) هذان القولان مشهوران في كتب التفسير، والأصحُّ هو القول الثاني كما سيأتي، وهما في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٢٣-٢٢٥، والنكت والعيون ٦/ ٣٨-٣٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٢٩، وزاد المسير ٨/ ٣٠٢-٣٠٥.
والقول الأول أخرجه ابن سعد ٨/ ١٨٥، والطبري ٢٣/ ٨٦-٨٧ عن ابن عباس ﷺ، وفي إسناده عطية العوفي وغيره من الضعفاء.
وأخرجه الطبري ٢٣/ ٨٨، والدارقطني (٤٠١٣) عن عمر بن الخطاب ﷺ. وفي إسناد الطبري ابن إسحاق، وهو مدلس وقد عنعن فيه. وفي إسناد الدارقطني عبد الله بن شبيب، قال الذهبي في الميزان ٢/ ٣٩٣: أخباري علَّامة، لكنه واهٍ. قال أبو أحمد الحاكم: ذاهب الحديث.
وأخرجه الطبري ٢٣/ ٨٣-٨٨ عن زيد بن أسلم والشعبي والضحاك وقتادة مرسلاً.
لكن رُويَ ما يُؤيِّد هذا القول وهو ما أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٥٤٣)، والحاكم ٢/ ٤٩٣ وصحَّحه عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ كانت له أمةٌ يطؤها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله هذه الآية.
وأخرج البزار كما في كشف الأستار (٢٢٧٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١١١٣٠) عن ابن عباس ﷺ قال: نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ في سُرِّيته.
والقول الثاني أخرجه البخاري (٤٩١٢) و(٥٢٦٧)، ومسلم (١٤٧٤) (٢٠)، وأحمد (٢٥٨٥٢) عن عائشة ﷺ، وفيه أن التي شرب عندها العسل زينب بنت جحش ﷺ.
=

وللزمخشريِّ[١] هنا كلامٌ ضربْتُ عنه صفحاً كما ضربْتُ عن كلامه في قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾، وكلامُه هذا ونحوُه يُحقِّق قولي فيه:

ويعزو إلى المعصوم ما ليس لائقا[٢]

فلو حرَّمَ الإنسانُ على نفسه شيئاً أحلَّه الله كشُربِ عسَلٍ أو وطءِ سُرِّيةٍ، واختلفوا إذا قال لزوجته: أنتِ عليَّ حرام، أو الحلالُ عليَّ حرامٌ، ولا يستثني زوجتَه، فقال جماعة منهم الشَّعبيُّ ومسروق وربيعة وأبو سلمة وأصبغ: هو كتحريم الماء والطعام، فلا يلزمه شيء. وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة:٨٧] والزوجة من الطيبات وممَّا أحلَّه الله[٣].

وقال أبو بكر وعمر وزيد وابن عباس وابن مسعود وعائشة وابن المسيّب وعطاء وطاوس وسليمان بن يسار وابن جُبير وقَتادة والحسن والأوزاعي وأبو ثور وجماعة: هو يمينٌ يُكفِّرها[٤].

وقال ابن مسعود وابن عباس أيضاً في إحدى روايتيه والشافعي في أحد قوليه: فيه تكفير يمين وليس بيمين[٥].

وقال أبو حنيفة وسفيان والكوفيون: هو ما أراد من الطلاق، فإن لم يُرِدْ طلاقَها

= وأخرجه ـ عنها أيضاً ـ البخاري (٥٢٦٨) و(٦٩٧٢)، ومسلم (١٤٧٤) (٢١) لكن فيه أن التي شرب عندها العسل حفصة ﷺ.
قال النووي في شرح صحيح مسلم ١٠/ ٧٧: الصحيح في سبب نزول الآية أنها في قصة العسل لا في قصة مارية المرويّ في غير الصحيحين، ولم تأتِ قصة مارية من طريق صحيح.

(١) في كشافه ٤/ ١٢٥.
(٢) وصدره: فيُثبتُ موضوع الأحاديث جاهلا. وسلف ضمن قصيدة ذكرها المصنف عند تفسير الآية (٤٩) من سورة النمل.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٧١-٧٢. وينظر إكمال المعلم ٥/ ٢٧، والمفهم ٤/ ٢٤٨، والكشاف ٤/ ١٢٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠.
(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٧٣.

فهو لا شيء. وقال آخرون كذلك فإن لم يُرِدْ فهو يمين[١].

وفي «التحرير» قال أبو حنيفة وأصحابه: إن نوى الطَّلاقَ فواحدةٌ بائنة، أو اثنين فواحدة أو ثلاثاً فثلاث، أو لم ينوِ شيئاً فيمينٌ وهو مُؤلٍ، أو الظِّهار فظِهار.

وقال ابن القاسم: لا تنفعه نيَّةُ الظِّهار ويكون طلاقاً.

وقال يحيى بن عمر: يكون، فإن ارتجَعَها فلا يجوز له وطؤها حتى يُكفِّر كفارة الظِّهار[٢]، فما زاد من أعداده فإن نوى واحدةً فرجعيَّة، وهو قول الشافعي[٣].

وقال الأوزاعي وسفيان وأبو ثور: أيُّ شيءٍ نوى به من الطَّلاق وقع، وإن لم يَنْوِ شيئاً فقال سفيان: لا شيء عليه. وقال الأوزاعي وأبو ثور: تقع واحدة. وقال الزُّهري: له نيَّته ولا يكون أقلَّ من واحدة، فإن لم يَنْوِ فلا شيء. وقال ابن جُبير: عليه عتق رقبة وإن لم يكن ظهاراً[٤].

وقال أبو قلابة وعثمان وأحمد وإسحاق: التَّحريمُ ظِهار ففيه كفارة[٥]. وقال الشافعي: إن نوى أنَّها مُحرَّمةٌ كظهر أمِّه فظِهارٌ، أو تحريمَ عينِها بغيرِ طلاق أو لم ينوِ، فكفَّارة يمين.

وقال مالك: هي ثلاثٌ في المدخول بها، وينوي في غير المدخول بها، فهو ما أراد من واحدةٍ أو اثنتين أو ثلاث. وقاله علي وزيد وأبو هريرة[٦].

وقيل في المدخول بها: ثلاث. قاله عليٌّ أيضاً وزيد بن أسلم والحكم[٧].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠.
(٢) القولان في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٧٤.
(٣) المفهم ٤/ ٢٤٩.
(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٧٥. وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٦.
(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥ عن عثمان وأحمد، والمفهم ٤/ ٢٤٨ عن إسحاق، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠ عن أبي قلابة.
(٦) القولان في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥-١٨٣٦.
(٧) المفهم ٤/ ٢٤٩.

وقال ابن أبي ليلى وعبد الملك بن الماجِشون: هي ثلاثٌ في الوجهين ولا يُنوى في شيء[١].

وروى ابنُ خُوَيْزمَنْداد عن مالك، وقاله زيد وحماد بن أبي سليمان أنَّها واحدةٌ بائنةٌ في المدخولِ بها وغيرِ المدخولِ بها[٢].

وقال الزُّهريُّ وعبد العزيز بن الماجِشون: هي واحدةٌ رجعيَّة. وقال أبو مصعب ومحمد بن الحكم: هي في التي لم يُدخَلْ بها واحدة، وفي المدخول بها ثلاث[٣].

وفي «الكشاف»[٤]: لا يراه الشافعيُّ يميناً ولكن سبباً في الكفارة في النساء وحدَهُنَّ، وإن نوى الطَّلاقَ فهو رجعيٌّ.

وعن عمر: إذا نوى الطَّلاقَ فرجعيٌّ، وعن عليٍّ: ثلاث، وعن زيد: واحدة بائنة، وعن عثمان: ظهار. انتهى.

وقال أيضاً: ولم يثبت عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لما أحَلَّه: هو حرامٌ عليَّ، وإنَّما امتنع من مارية ليمين تقدَّمت منه، وهو قوله: «واللهِ لا أقرَبُها بعدَ اليوم» فقيل له: لِمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ الله لك[٥]؟ أي: لِمَ تمتنِعُ منه بسبب اليمين، يعني: أقدِمْ على ما حلَفْتَ عليه وكفِّرْ، ونحوه قوله تعالى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾ [القصص: ١٢] أي: منعناه منها. انتهى.

«وتبتغي» في موضع الحال. وقال الزمخشري[٦]: تفسيرٌ لـ«تُحرِّم»، أو استئناف.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٦ عن عبد الملك، وإكمال العلم ٥/ ٢٣، والمفهم ٤/ ٢٤٩ والعبارة فيه: لا يُنوى في أقل وإن لم يدخل بها.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٦ دون قول زيد، ووقع فيه: حماد بن سلمة، بدل: حماد بن أبي سليمان. وهو عن زيد في الكشاف ٤/ ١٢٦. وعن ابن خُوَيزمَنْداد عن مالك في إكمال المعلم ٥/ ٢٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠، والمفهم ٤/ ٢٤٩.

(٣) القولان في أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٣٥، وإكمال المعلم ٥/ ٢٤، والمفهم ٤/ ٢٤٩.

(٤) ٤/ ١٢٥-١٢٦.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ ابن سعد ٨/ ١٨٦ عن زيد بن أسلم مرسلاً.

(٦) في الكشاف ٤/ ١٢٥، وما قبله منه.

﴿مَرْضَاتَ﴾: رضا أزواجك، أي بالامتناع ممَّا أحلَّه الله لك.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ الظاهر أنَّه كان حلفَ على أنَّه يمتنع من وَطْء مارية أو من شرب ذلك العسل، على الخلاف في السبب.

و«فـرَضَ» إحـالـةٌ عـلـى آيـة الـعـقـود ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾[1] [المائدة: ٨٩].

و«تَحِلَّة» مصدر «حَلَّلَ» كـ «تَكْرِمة» من «كَرَّمَ»، وليس مصدراً مَقِيساً، والمقيس «التَّحليل» و«التَّكريم»؛ لأنَّ قياسَ «فَعَّلَ» الصحيح العين غير المهموز هو التَّفعيل، وأصل هذا تَحْلِلة، فأُدغم[2].

وعن مقاتل: أعتقَ رقبةً في تحريم مارية. وعن الحسن: لم يُكفِّر[3]. انتهى. فدلَّ على أنَّه لم يكن ثَمَّ يمين.

و﴿بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ﴾ حفصة، والحديث هو بسبب مارية ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ أي: أخبرت عائشة. وقيل: الحديث إنَّما هو: شربتُ عسلاً. وقال ميمون بن مِهْران: هو إسراره إلى حفصة أنَّ أبا بكر وعمر يملِكان أمر أمتي من بعدي خلافةً[4].

وقرأ الجمهور: «فلما نبَّأَتْ به». وطلحة: «أنبأَتْ»[5].

والعامل في «إذ» اذْكُرْ، وذكر ذلك على سبيل التأنيب والعتب لمن أسَرَّ له فأفشاه[6].

و«نَبَّأَ» و«أنبأَ» الأصلُ أن يتعدَّيا إلى واحدٍ بأنفسهما وإلى ثانٍ بحرف الجر، ويجوز حذفُه، فقوله: «نبَّأَتْ به» المفعولُ الأول محذوف، أي: غيرَها، و«مَنْ أنبأَكَ

---

(١) المفهم ٤/ ٢٤٨.
(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤٢ بنحوه.
(٣) الكشاف ٤/ ١٢٦.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٨.
(٦) معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠.

هذا» أي: بهذا، قال: «نبّأني» أي: نبّأني به، أو نبّأنيه، فإذا ضُمِّنَتْ معنى «أعلَم» تعدَّتْ إلى ثلاثة مفاعيل[١]، نحو قول الشاعر:

نُبِّئْتُ زُرْعةَ والسَّفاهةُ كاسْمِها يُهدي إليَّ غرائبَ الأشعارِ[٢]

و ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي: أطلعَه عليه، أي: على إفشائه، وكان قد تُكُوتِمَ فيه، وذلك بإخبار جبريل عليه السلام[٣]. وجاءت الكنايةُ هنا عن التفشية، والحذفُ للمَفْشِيِّ إليها بالسِّرِّ حياطةً وصَوْناً عن التصريح بالاسم، إذ لا يتعلَّق بالتصريح بالاسم غرض.

وقرأ الجمهور: «عَرَّف» بشدِّ الرَّاء، والمعنى: أعْلَمَ به وأنَّبَ عليه.

وقرأ السُّلميُّ، والحسن، وقتادة، وطلحة، والكسائيُّ، وأبو عمرو في رواية هارون عنه بخفِّ الراء، أي: جازى بالعتب واللَّوم، كما تقول لمن يُؤذيك: لأعرِفَنَّ لك ذلك، أي: لأُجازِيَنَّك. وقيل: إنَّه طلَّقَ حفصة، وأمره الله بمراجعتها. وقيل: عاتبَها ولم يُطَلِّقها[٤].

وقرأ ابن المسيب وعكرمة: «عَرَّافَ» بألف بعد الراء، وهي إشباع. وقال ابن خالويه: ويقال: إنَّها لغة يمانية[٥]. ومثال الإشباع بالألف قوله:

أعوذُ باللهِ من العَقْرابِ
الشائلاتِ عقَدَ الأذْنابِ[٦]

يريد من العقرب.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٠-٣٣١ بنحوه.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٥٩.

(٣) الكشاف ٤/ ١٢٦ بنحوه.

(٤) الكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١، وقراءة التخفيف عن الكسائي في السبعة ص ٦٤٠، والتيسير ص ٢١٢، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور، يعني بالتشديد.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٨.

(٦) لم أقف على قائل هذا الرجز، وسلف عند تفسير الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ أي: تكرُّماً وحياءً وحُسنَ عشرة. قال الحسن: ما استقصى كريمٌ قط[١]. وقال سفيان: مازالَ التغافلُ مِن فِعْلِ الكرام[٢].

ومفعول «عرَّفَ» المشدَّد محذوفٌ، أي: عرَّفَها بعضَه، أي: أعلَمَ ببعض الحديث[٣].

وقيل: المُعرَّف خلافة الشيخين، والذي أعرض عنه حديث مارية[٤].

ولمَّا أفشَتْ حفصةُ الحديثَ لعائشة واكتتمتها إيَّاه، ونبَّأها الرسولُ ﷺ به، ظنَّتْ حفصةُ أنَّ عائشة فضحَتْها، فقالت: من أنبأكَ هذا؟ على سبيل التثبُّت، فأخبرَها أنَّ الله هو الذي نبَّأه به، فسكنَتْ وسلَّمَتْ[٥].

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ انتقالٌ من غَيبةٍ إلى خطاب ويسمى الالتفات، والخطاب لحفصة وعائشة[٦].

﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾: مالَتْ عن الصواب[٧]. وفي حرف عبد الله: «زاغت»[٨]. وأتى بالجمع في قوله: «قلوبُكما»، وحَسَّنَ ذلك إضافتُه إلى مثنًّى وهو ضميرهما، والجمع في مثل هذا أكثرُ استعمالاً من المثنَّى، والتثنية دون الجمع، كما قال الشاعر:

فتخالَسا نَفْسَيْهما بنوافِذٍ كنوافذِ العُبُطِ التي لا تُرْقَعُ[٩]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١، وهذا القول نسبه للحسن أيضاً البغوي في تفسيره ٤/ ٣٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٠٩. ووقعت نسبتُه لعليٍّ ﷺ في أحكام القرآن للجصاص ١/ ٥٠٤، والاستذكار ٢٧/ ٣٥٥، وإحياء علوم الدين ٣/ ٢٥٦، والدر المنثور ٦/ ٢٤١ وعزاه لابن مردويه. ونسب في بهجة المجالس ٢/ ٦٢٨ لسفيان بن عيينة.

(٢) الكشاف ٤/ ١٢٦.

(٣) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤٢.

(٤) الكشاف ٤/ ١٢٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١.

(٦) الكشاف ٤/ ١٢٧.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١.

(٨) تفسير الطبري ٢٣/ ٩٣، والكشاف ٤/ ١٢٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣١.

(٩) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في معاني القرآن للفراء ١/ ٣٠٧ والكلام فيه بنحوه، وشرح

وهذا كان القياس، وذلك أنْ يُعبَّر بالمثنَّى عن المثنَّى، لكِنْ كرهوا اجتماع تثنيتين فعدلوا إلى الجمع؛ لأنَّ التثنية جمعٌ في المعنى والإفراد لا يجوز عند أصحابنا إلا في الشعر، كقوله:

حمامةَ بطنِ الواديَين ترنَّمي[1]

يريد بطني، وغَلِطَ ابنُ مالك فقال في كتاب «التسهيل»[2]: ونختار لفظ الإفراد على لفظ التثنية.

وقرأ الجمهور: «تظَّاهرا» بشَدِّ الظاء، وأصله تتظاهرا، وأُدغمت التاء في الظاء، وبالأصل قرأ عكرمة[3]. وبتخفيف الظاء قرأ أبو رجاء، والحسن، وطلحة، وعاصم، ونافع في رواية[4]. وبشَدِّ الظاء والهاء دون ألف قرأ أبو عمرو في رواية[5].

= أشعار الهذليين ١/ ٤٠، وجمهرة أشعار العرب ٢/ ٦٩٧، وتهذيب اللغة ٢/ ١٨٤ و٧/ ١٦٩، وتاج العروس واللسان (خلس) و(عبط). والمعنى: جعل كلُّ واحدٍ منهما يختلس نفْسَ صاحبه، يطعن هذا هذا، وهذا هذا، ليختلس نفسه بنوافذ، يقول: كلُّ طعنةٍ نفذَت حتى يكون لها رأسان فهي نافذة. والعُبُط؛ جمع عَبيط، والعَبْطُ: شَقُّ الجلد الصحيح، ونحرُ البعير الصحيح من غير مرض. التي لا تُرْقَع: شبَّه الطعنة بالثوب الجديد الذي قد قُطِعَ قِطعةً قِطعة، فلا يقدِرُ أحدٌ على رقعه.

(١) صدر بيت لتوبة بن الحمير، وهو في ديوانه ص٣٧، وأمالي القالي ١/ ٨٩، والأغاني ١١/ ٢٠٨، وعجزه:

سقاكِ من الغُرِّ الغوادي مَطيرُها

ويُروى لقيس مجنون ليلى، وهو في ديوانه ص١٤٨.

(٢) ص ١٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣١ والكلام منه.

(٤) قراءة عاصم في السبعة ص ١٦٣، والتيسير ص ٧٤، وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة، وقراءة خلف من العشرة. ينظر النشر ٢/ ٢١٨. وأما المشهور عن نافع فهو كقراءة الجمهور.

(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٨، والمشهور عن أبي عمرو كقراءة الجمهور.

والمعنى: وإن تتعاونا عليه في إفشاء سِرِّه، والإفراطِ في الغَيْرَةِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: مظاهره ومُعينه[١].

والأحسن الوقف على قوله: «مولاه» ويكون «وجبريل» مبتدأ، وما بعدَه معطوفٌ عليه، والخبر «ظهير» فيكون ابتداء الجملة بـ «جبريل»[٢]، وهو أمين وحي الله، واختتامه بالملائكة.

وبُدئ بجبريل وأُفرِدَ بالذكر؛ تعظيماً له، وإظهاراً لمكانته عند الله[٣]، ويكون قد ذُكِرَ مرَّتين؛ مرَّةً بالنصِّ، ومرَّةً في العموم، واكتنف صالح المؤمنين جبريلُ والملائكة تشريفاً لهم، واعتناءً بهم، إذ جعلهم بين الذين يُسبِّحون الليل والنهار لا يفترون، فعلى هذا جبريلُ داخِلٌ في الظُّهَراء لا في الولاية، ويختصُّ الرسولُ بأنَّ الله هو مولاه.

وجَوَّزوا أن يكون «وجبريل وصالح المؤمنين» عطفاً على اسم الله، فيدخلان في الولاية، ويكون «والملائكةُ» مبتدأ، والخبر «ظهير»، فيكون «جبريلُ» داخلاً في الولاية بالنصِّ، وفي الظُّهَراء بالعموم.

والظاهر عموم «وصالحُ المؤمنين» فيشمَلُ كلَّ صالح.

وقال قتادة والعلاء بن زيد: هم الأنبياء، وتكون مظاهرتُهم له كونَهم قُدوةً، فهم ظُهَراء بهذا المعنى.

وقال عكرمة والضحاك وابن جبير ومجاهد: المراد أبو بكر وعمر. وزاد مجاهد: وعلي بن أبي طالب[٤].

وقيل: الصحابة. وقيل: الخلفاء. وعن ابن جُبير: مَنْ بَرِئَ من النفاق[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ١٢٧.
(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٤٣.
(٣) الكشاف ٤/ ١٢٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣٢ بنحوه مختصراً. وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٠-٣٨١، والنكت والعيون ٦/ ٤١، وزاد المسير ٨/ ٣١٠، وإملاء ما منَّ به الرحمن ٢/ ٢٦٥.
(٥) الكشاف ٤/ ١٢٧.

و«صالح» يحتمل أن يُراد به الجمع وإن كان مفرداً، فيكون كالسَّامر في قوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا﴾ [المؤمنون:٦٧] أي: سُمَّاراً. ويحتمل أن يكون جمعاً حُذِفَتْ منه الواوُ خطًّا؛ لحَذْفِها لفظاً، كقوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾[١] [العلق:١٨].

وأفرد «الظهير»؛ لأنَّ المرادَ: فوجٌ ظهير، وكثيراً ما يأتي فَعيل نحو هذا للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المفرد، كأنَّهم في المظاهرة يدٌ واحدةٌ على من يُعاديه، فما قَدْرُ تظاهُرِ امرأتين على مَنْ هؤلاء ظُهَراؤه، وذلك إشارةٌ إلى تظاهُرِهما أو إلى الولاية.

وفي الحديث أنَّ عمرَ قال: يا رسول الله، لا تكترِثْ بأمر نسائك، واللهُ معك، وجبريلُ معك، وأبو بكر وأنا معك، فنزلت.

وروي عنه أنه قال لزوجات النبي ﷺ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية، فنزلت[٢].

وقرأ الجمهور: «طَلَّقَكُنَّ» بفتح القاف. وأبو عمرو في رواية عياش[٣] بإدغامها في الكاف.

وتقدَّم ذِكْرُ الخلاف في «أن يُبدله» في سورة الكهف[٤].

والمتبدَّلُ به محذوفٌ؛ لدلالة المعنى عليه، تقديره: أن يُبْدِله خيراً منكنَّ؛ لأنهنَّ إذا طلَّقَهنَّ كان طلاقُهُنَّ لسوء عشرتِهنَّ، واللَّواتي يُبدلهنَّ بهذه الأوصاف يكُنَّ خيراً منهنَّ.

وبدأ في وصفهنَّ بالإسلام وهو الانقياد، ثمَّ بالإيمان، وهو التصديق، ثمَّ بالقنوت وهو الطواعية، ثمَّ بالتوبة وهي الإقلاع عن الذنب، ثمَّ بالعبادة وهي

---

(١) الكلام بنحوه من الكشاف ٤/ ١٢٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢.
(٢) هكذا ذكرهما ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢، ولم أجد من أخرجهما، لكن اللفظ الأول أخرجه بنحوه مسلم (١٤٧٩) عن ابن عباس، عن عمر رضي الله عنهما.
(٣) في (أ) والمطبوع: ابن عباس، والقراءة ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٤٠، وهي في القراءات الشاذة ص ١٥٨، والمشهور عنه كقراءة الجمهور.
(٤) عند تفسير الآية (٨١) منها.

التذلل، ثمَّ بالسياحة وهي كناية عن الصوم. قاله أبو هريرة وابن عباس وقتادة والضحاك. وقيل: إنَّ الرسولَ ﷺ فسَّره بذلك. قاله أيضاً الحسن وابن جُبير وزيد بن أسلم وابنُه عبد الرحمن[١]. قال الفرَّاء[٢] والقُتبي[٣]: سُمِّي الصائم سائحاً؛ لأنَّ السَّائح لا زادَ معه، وإنَّما يأكل من حيث يجد الطعام.

وقال زيد بن أسلم ويمان: مهاجرات. وقال ابن زيد: ليس في الإسلام سياحةٌ إلَّا الهجرة[٤].

وقيل: ذاهباتٍ في طاعة الله[٥].

وقرأ الجمهور: «سائحاتٍ». وعمرو بن فائد: «سَيِّحاتٍ»[٦].

وهذه الصِّفاتُ تجتمع، وأمَّا الثُّيوبةُ والبكارةُ فلا يجتمعان؛ فلذلك عطف أحدَهما على الآخر، ولو لم يأتِ بالواو لاختَلَّ المعنى، وذكرَ الجنسين؛ لأنَّ في أزواجه ﷺ مَنْ تزوَّجها ثيِّباً ومَنْ تزوَّجها بِكرا[٧].

والثَّيِّبُ: الراجع بعد زوال العُذرة، يقال: ثابَتْ تثوبُ ثُؤوباً، ووزنه فَيْعِل كسَيِّد.

---

(١) الكلام بنحوه من النكت والعيون ٦/ ٤١-٤٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٦، ٣٦٧، وزاد المسير ٨/ ٣١١-٣١٢ ومجمع البيان ٢٨/ ١٢٤، دون نسبة هذا القول لزيد بن أسلم وابنه، وإنَّما نسبوا إليهما أنهما فسَّرا السياحة بالهجرة، وكذلك أخرج عنهما الطبري ٢٣/ ١٠٢. والقول عن ابن عباس وقتادة والضحاك أخرجه الطبري ٢٣/ ١٠١-١٠٢. وينظر تمام تخريج هذا القول ـ أي تفسير السياحة بالصوم ـ عند تفسير الآية (١١٢) من سورة التوبة.

(٢) في معاني القرآن له ٣/ ١٦٧.

(٣) في تفسير غريب القرآن ص ٤٧٢.

(٤) أخرجه عن زيد وابنه الطبري ٢٣/ ١٠٢. وينظر التعليق على القول السابق.

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٧٥٧٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢.

(٦) القراءات الشاذة ص ١٥٨، والكشاف ٤/ ١٢٧ من دون نسبة.

(٧) الكلام من الكشاف ٤/ ١٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٢، وتفسير الرازي ٣٠/ ٤٥.

ولمَّا وعظ أزواجَ الرسول ﷺ موعظةً خاصَّةً أتبع ذلك بموعظة عامة للمؤمنين وأهليهم[(١)].

وعطف «وأهليكم» على «أنفسكم»؛ لأنَّ ربَّ المنزل راعٍ وهو مسؤولٌ عن أهله[(٢)]، ومعنى وقايتهم: حَمْلُهم على طاعته وإلزامُهم أداء ما فُرِضَ عليهم. قال عمر: يا رسول الله، نقي أنفُسَنا فكيف لنا بأهلينا؟ قال: «تنهونَهُنَّ عمَّا نهاكم الله تعالى عنه، وتأمرونَهُنَّ بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقايةً بينهنَّ وبين النار»[(٣)].

ودخل الأولاد في «وأهليكم». وقيل: دخلوا في «أنفسكم»؛ لأنَّ الولدَ بعضٌ من أبيه، فيُعلِّمه الحلالَ والحرامَ، ويُجنِّبُه المعاصي[(٤)].

وقرئ: «وأهلوكم» بالواو، وهو معطوف على الضمير في «قُوا»، وحَسُنَ العطفُ للفصل بالمفعول.

وقال الزمخشري[(٥)]: فإن قلت: أليسَ التقديرُ: قُوا أنفُسَكم، وليَقِ أهلوكُم أنفُسَهم؟ قلت: لا، ولكنَّ المعطوفَ مُقارِنٌ في التقدير للواو، و«أنفُسَكم» واقعٌ بعده، فكأنَّه قيل: قُوا أنتم وأهلوكم أنفُسَكم؛ لمَّا جَمَعْتَ مع المخاطب الغائبَ غَلَّبْتَهُ عليه، فجعلْتَ ضميرَهما معاً على لفظ المخاطب. انتهى.

وناقَضَ في قوله هذا؛ لأنَّه قدَّرَ «وَلْيَقِ أهلوكم» فجعله من عطف الجُمل؛ لأنَّ «أهلوكم» اسمٌ ظاهر لا يمكن عنده أن يرتفع بفعل الآمِرِ الذي للمخاطَب، وكذا في قوله: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، ثمَّ قال: ولكنَّ المعطوفَ مُقارِنٌ في التقدير للواو، فناقَضَ؛ لأنَّه في هذا جعَلَه مُقارِناً في التقدير للواو وفيما قبلَه رفَعَه بفعلٍ آخرَ غيرِ الرَّافعِ للواو، وهو «وَلْيَقِ».

---

(١) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٨/١٢٦.
(٢) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ٤/١٨٤٠.
(٣) الوسيط للواحدي ٤/٣٢١.
(٤) تفسير القرطبي ٢١/٩٢-٩٣.
(٥) في الكشاف ٤/١٢٨، وما قبله منه.

وتقدَّم الخلاف في فتحِ الواو في قوله: «وقودها» وضمِّها في البقرة[١]، وتفسير ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾.

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ هي الزَّبانيةُ التسعةَ عشر وأعوانُهم[٢].

ووصفَهم بالغِلَظ إمَّا لشدَّة أجسامهم وقوَّتها، وإمَّا لِفظاظتهم، كقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] أي: ليس فيهم رِقَّةٌ ولا حِنَّةٌ على العُصاة[٣].

وانتصب «ما أمَرَهم» على البدل، أي: لا يعصون أمْرَه، كقوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه:٩٣]، أو على إسقاط حرف الجرِّ، أي: فيما أمرهم.

﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: كرَّرَ المعنى توكيداً. وقال الزمخشري[٤]: فإنْ قلتَ: أليس الجملتان في معنى واحد؟ قلت: لا، فإنَّ معنى الأولى أنَّهم يتقبَّلون أوامره يلتزمونها ولا يأبَوْنها ولا ينكرونها، ومعنى الثانية أنَّهم يؤدُّون ما يؤمَرون لا يتثاقلون عنه ولا يتوانَون فيه.

﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ خطابٌ لهم عند دخولهم النار؛ لأنَّه لا ينفعكم الاعتذارُ، فلا فائدة فيه.

* * *

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ

(١) في تفسير الآية (٢٤) منها.

(٢) الكشاف ٤/١٢٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٣٣٣.

(٤) في الكشاف ٤/١٢٩، وما قبله وما بعده منه.

عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾.

ذكروا في التوبة النَّصوح أربعة وعشرين قولاً[١]. ورُويَ عن عمر وعبد الله وأُبيٍّ ومعاذٍ أنَّها التي لا عودةَ بعدَها كما لا يعودُ اللَّبنُ إلى الضَّرْع، ورفَعَه معاذٌ إلى النبي ﷺ[٢].

وقرأ الجمهور: «نصوحاً» بفتح النون وصفاً لـ «توبة»، وهو من أمثلة المبالغة كضَروب وقَتول[٣].

وقرأ الحسن، والأعرج، وعيسى، وأبو بكر عن عاصم، وخارجة عن نافع بضمِّها[٤]، وهو مصدرٌ وُصِفَ به، ووَصْفُها بالنُّصح على سبيل المجاز؛ إذ النُّصحُ صفةُ التائب، وهو أن ينصح نفسَه بالتوبة فيأتي بها على طريقها، وهي خُلوصها من

(١) في تفسير القرطبي ٢١/ ٩٦ والكلام منه: ثلاثة وعشرين قولاً.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٦٤٧) مطولاً. وفي إسناده نوح بن أبي مريم، وهو كذاب. وعزاه ـ أيضاً ـ السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٤٥ لابن مردويه.
وأخرجه عن عمر ﷺ عبدُ الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٣، وابن أبي شيبة (٢٥٦٣٢)، وهناد في الزهد (٩٠١)، والطبري ٢٣/ ١٠٦-١٠٧، والحاكم ٢/ ٤٩٥، والبيهقي في الشعب (٧٠٣٤).
وأخرجه عن ابن مسعود ﷺ ابنُ أبي شيبة (٢٥٧٠٢)، والطبري ٢٣/ ١٠٧، والبيهقي في الشعب (٧٠٣٥). واخرجه عنه مرفوعاً أحمد (٤٢٦٤) بإسناد ضعيف.
وأورده عن أبيٍّ ﷺ السيوطيُّ في الدر المنثور ٦/ ٤٥، وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بإسناد ضعيف.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ١٩٤.

(٤) القراءة عن أبي بكر عن عاصم في السبعة ص ٦٤١، والتيسير ص ٢١٢، وعن البقية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤. والمشهور عن نافع كقراءة الجمهور.

جميع الشَّوائبِ المفسدةِ لها، من قولهم: عسلٌ ناصحٌ، أي: خالصٌ من الشَّمع[(١)]، أو من النَّصاحة وهي الخياطة، أي: قد أحكمَها وأوثَقها كما يُحكِمُ الخيَّاطُ الثَّوبَ بخياطته وتوثيقه[(٢)].

وسمعَ عليٌّ أعرابياً يقول: اللهمَّ إنِّي أستغفرك وأتوب إليك. فقال: يا هذا، إنَّ سُرعةَ اللِّسان بالتوبة توبةُ الكذَّابين. قال: وما التوبة؟ قال: يجمعُها سِتَّةُ أشياء: على الماضي من الذُّنوب النَّدامة، وللفرائض الإعادة، ورَدُّ المظالم، واستحلالُ الخصوم، وأن تعزِمَ على أن لا تعود، وأن تُذيبَ نفسَك في طاعة الله كما ربَّيتها[(٣)] في المعصية، وأن تُذيقَها مرارةَ الطاعة كما أذَقْتَها حلاوةَ المعاصي.

وعن حذيفة: بحَسْبِ الرَّجلِ من الشَّرِّ أن يتوبَ من الذَّنْبِ ثمَّ يعودَ فيه[(٤)]. انتهى.

و«نَصوحاً» من «نَصَح»، فاحتمل ـ وهو الظاهر ـ أن تكون التوبةُ تنصح نفس التائب، واحتمل أن يكون مُتعلَّقَ النُّصح الناس، أي: يدعوهم إلى مثلها؛ لظهور أثرها[(٥)] على صاحبها.

وقرأ زيد بن علي: «تَوْباً» بغير تاء[(٦)].

ومن قرأ بالضمِّ جاز أن يكون مصدراً وُصِفَ كما قدَّمناه، وجاز أن يكون مفعولاً له، أي: توبوا لِنُصحِ أنفُسِكم[(٧)].

وقرأ الجمهور: «ويُدخِلَكم» عطفاً على «أن يُكَفِّرَ» وقال الزمخشري: عطفاً على محلِّ «عسى أن يُكَفِّرَ»، كأنَّه قيل: تُوبوا يُوجِبْ تكفيرَ سيئاتكم ويُدْخِلْكم. انتهى.

(١) الكشاف ٤/ ١٢٩-١٣٠.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٤٥.
(٣) في (أ) والمطبوع: أدأبتها.
(٤) الكشاف ٤/ ١٢٩. وأخرج الثعلبي في تفسيره ٥/ ٣٩٢-٣٩٣ نحواً من قصة عليٍّ ﷺ ولكن عن جابر ﷺ. وقول حذيفة ﷺ أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧/ ١٧١.
(٥) في (أ) و(ع) والمطبوع: أمرها، والمثبت من (يه)، والكشاف ٤/ ١٣٠ والكلام منه.
(٦) الكشاف ٤/ ١٣٠.
(٧) المصدر السابق.

والأولى أن يكون حذفُ الحركة تخفيفاً وتشبيهاً لما هو من كلمتين بالكلمة الواحدة، تقول في قِمَع ونِطَع: قِمْع ونِطْع.

«يوم لا يخزي» منصوبٌ بـ «يُدْخِلَكم» و«لا يُخزي» تعريضٌ بمَنْ أخزاهم الله من أهل الكفر(١).

و«النبيّ»: هو محمدٌ رسول الله ﷺ، وفي الحديث أنَّه ﷺ تضرَّعَ إلى الله عزَّ وجلَّ في أمرِ أمَّتِه، فأوحى الله تعالى إليه: إن شِئْتَ جعلتُ حسابَهم إليك، فقال: «يا ربِّ أنتَ أرحَمُ بهم» فقال تعالى: إذاً لا أُخزيك فيهم(٢).

وجاز أن يكون «والذين» معطوفاً على النبي، فيدخلون في انتفاء الخِزْي. وجاز أن يكون مبتدأً، والخبر «نورُهم يسعى»(٣)، فيكون النبيُّ ﷺ مخصوصاً بأنَّه لا يُخزى بالنصِّ عليه. وتقدَّم في الحديد: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الآية: ١٢].

وقرأ سهل بن شعيب وأبو حَيْوة: «وبإيمانهم» بكسر الهمزة(٤). وتقدَّم في الحديد.

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ قال ابن عباس والحسن: يقولون ذلك إذا طُفِئ نورُ المنافقين. وقال الحسن أيضاً: يدعونه تقرُّباً إليه، كقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر: ٥٥، ومحمد: ١٩] وهو مغفورٌ له. وقيل: يقوله مَنْ يمرُّ على الصراط زحفاً وحَبْواً. وقيل: يقوله مَنْ يُعطى من النُّور مقدارَ ما يُبصِرُ به موضِعَ قدميه(٥).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ تقدَّم نظير هذه الآية في التوبة(٦).

---

(١) المصدر السابق أيضاً.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (٦٢) عن الحسين بن عبد الرحمن، عن شيخ من قريش، معضلاً. والشيخ من قريش مجهول. والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٦٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤.

(٤) المحتسب ٢/ ٣٢٤ عن سهل بن شعيب وانظر ما تقدم في الصفحة ٢١٢.

(٥) الكشاف ٤/ ١٣٠، وبعضه من المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٤.

(٦) في تفسير الآية (٧٣) منها.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ضرب تعالى المثلَ لهم بامرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ في أنَّهم لا ينفعهم في كفرهم لُحمةُ نسبٍ ولا وصلةُ صهرٍ؛ إذ الكفرُ قاطع العلائق بين الكافر والمؤمن وإن كان المؤمن في أقصى درجات الصَّلاح، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] كما لم ينفعْ تَيْنكَ المرأتين مع كونهما زوجَتَي نبيَّين[١].

وجاءت الكنايةُ عن اسميهما العَلَمين بقوله: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ لما في ذلك من التشريف بالإضافة إليه تعالى، ولم يأتِ التركيبُ بالضمير عنهما فيكون: «تحتَهما»، لِما قصدَ من ذِكْرِ وصفهما بقوله: ﴿صَٰلِحَيْنِ﴾؛ لأنَّ الصَّلاحَ هو الوصفُ الذي يمتاز به من اصطفاه الله تعالى، كقوله في حقِّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل:١٢٢]، وفي قول يوسف عليه السلام: ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١]، وقول سليمان عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ وذلك بكفرهما، وقولِ امرأة نوح عليه السلام: هو مجنون، ونميمةِ امرأة لوط عليه السلام بمَنْ ورَدَ عليه من الأضياف. قاله ابن عباس[٢]. وقال: لم تَزْنِ امرأة نبيٍّ قَطّ، ولا ابتُلي في نسائه بالزِّنى[٣]. قال في «التحرير»: وهذا إجماعٌ من المفسِّرين.

وفي كتاب ابن عطية[٤]: وقال الحسن في كتاب النقَّاش: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالكفر والزِّنى وغيره.

وقال الزمخشري[٥]: ولا يجوز أن يُراد بالخيانة الفجور؛ لأنه سَمِجٌ في

---

(١) الكشاف ٤/ ١٣٠-١٣١ بنحوه.

(٢) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٣٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥، وزاد المسير ٨/ ٣١٥. وأخرجه بتمامه وببعضه عبد الرزاق في تفسيره ١/ ٣١٠، والطبري ١٢/ ٤٣٠، و٢٣/ ١١١-١١٣، والحاكم ٢/ ٤٩٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٢/ ٤٣٠ و٢٣/ ١١٢.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥.

(٥) في الكشاف ٤/ ١٣١، وما بين حاصرتين الآتي منه.

الطِّباع، نقيصةٌ عند كلِّ أحد، بخلاف الكفر، فإنَّ الكفر لا يَسْتَسْمِجونه، [بل يستحسنونه] ويُسَمُّونه حقًّا.

وقال الضحَّاك: خانتاهما بالنميمة، كان إذا أُوحي إليه بشيء أفشَتاه للمشركين. وقيل: خانتاهما بنفاقهما[1].

قال مقاتل: اسم امرأة نوح والِهة، واسم امرأة لوط والِعة[2].

﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نوحٌ ولوطٌ ﴿عَنْهُمَا﴾أي: عن امرأتيهما ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾أي: من عذاب الله[3].

وقرأ الجمهور: «يُغنِيا»[4] بياءِ الغَيْبةِ والألفِ ضميرِ نوحٍ ولوط، أي: على قُرْبِهما منهما فرَّق بينهما الخيانة.

﴿وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ﴾أي: وقتَ موتهما، أو يوم القيامة ﴿مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ﴾ الذين لا وصلةَ بينهم وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أو مع مَنْ دخَلَها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط[5].

وقرأ مُبشِّر بن عُبيد: «تُغْنِيا» بالتاء والألف[6] ضمير المرأتين.

ومعنى «عنهما» عن أنفسهما، ولا بُدَّ من هذا المضاف إلَّا أن يجعل «عن» اسماً كهي في:

دَعْ عَـــنْـــكَ............... [7]

---

(١) مجمع البيان ٢٨/١٢٨، وتفسير القرطبي ٢١/١٠٣.
(٢) النكت والعيون ٦/٤٧، وزاد المسير ٨/ ٣١٥، والتعريف والإعلام ص ٧٨.
(٣) النكت والعيون ٦/٤٧، وتفسير البغوي ٤/٤٦٨.
(٤) من قوله: أي نوح ولوط.. إلى هنا من (يه) وحدها.
(٥) الكشاف ٤/ ١٣١.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥. ووقعت القراءة عنه في القراءات الشاذة: «فلن يُغني» بالياء والإفراد.
(٧) طرف بيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٩٤، ولفظه بتمامه:

دَعْ عَـنْـكَ نَـهْـبـاً صِـيْـحَ فـي حَـجَـراتِـهِ ولـكِـنْ حـديـثـاً مـا حـديـثُ الـرَّواحـلِ

لأنَّها إن كانت حرفاً كان في ذلك تعديةُ الفعل الرَّافع للضَّمير المتصل إلى ضميره المجرور، وهو يجري مجرى المنصوب المتصل، وذلك لا يجوز.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾مثَّلَ تعالى حالَ المؤمنين في أنَّ وصلة الكفار لا تضرُّهم ولا تُنقِصُ من ثوابهم بحال امرأة فرعون ـ واسمُها آسية بنت مُزاحِم ـ ولم يضُرَّها كونُها كانت تحتَ فرعونَ عدوِّ الله تعالى والمُدَّعي الإلهية، بل نجَّاها منه إيمانُها، وبحال مريم إذ أوتيت من كرامة الله تعالى في الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين، مع أنَّ قومَها كانوا كُفَّاراً[(١)].

﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ هذا يدلُّ على إيمانها وتصديقها بالبعث.

قيل: كانت عمة موسى عليه السلام، وآمنت حين سمعت بتلقُّف عصاه ما أفَكَ السَّحرةُ، طلبت من ربِّها القُرْبَ من رحمته، وكان ذلك أهمَّ عندها، فقدَّمَتِ الظَّرفَ وهو «عندك بيتاً»، ثمَّ بيَّنَتْ مكان القُرْبِ فقالت: «في الجنة»[(٢)].

وقال بعض الظُّرفاء وقد سُئِلَ: أين في القرآن مِثْلُ قولهم: الجار قبل الدار؟ قال: قوله تعالى: ﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾، فـ «عِنْدَكَ» هو المجاورة، و«بيتاً في الجنة» هو الدار، وقد تقدَّم «عندَكَ» على قوله: «بيتاً».

﴿وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ﴾قيل: دعَتْ بهذه الدعوات حين أمَرَ فرعونُ بتعذيبها لمَّا عرَفَ إيمانَها بموسى عليه السلام[(٣)].

وذكر المفسِّرون أنواعاً مضطربةً في تعذيبها، وليس في القرآن نَصٌّ أنَّها عُذِّبت.

وقال الحسن: لمَّا دعَتْ بالنَّجاة نجَّاها الله تعالى أكرم نَجاةٍ، فرفعها إلى الجنة فهي تأكل وتشرب وتتنعَّم.

(١) الكشاف ٤/ ١٣١.
(٢) الكشاف ٤/ ١٣١-١٣٢ بنحوه.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥ بنحوه.

وقيل: لمَّا قالت: ﴿ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾أُريَتْ بيتَها في الجنة يُبنى[١].

و«عمله» قيل: كفره. وقيل: عذابه وظلمه وشماتته. وقال ابن عباس: الجماع[٢].

﴿وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال الكلبي: أهل مصر. وقال مقاتل: القِبْط[٣].

وفي هذا دليلٌ على الالتجاء إلى الله تعالى عند المِحَن وسؤالِ الخلاص منها، وأنَّ ذلك من سَنَن الصالحين والأنبياء[٤].

و«مريمَ» معطوف على «امرأة فرعون»[٥].

﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ تقدَّم تفسير نظير هذه في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٦].

وقرأ الجمهور: «ابنةَ عمران» بفتح التاء. وأيوب السَّخْتياني: «ابْنَهْ» بسكون الهاء وصلاً[٧]، أجراه مجرى الوقف.

وقرأ الجمهور: «فنفَخْنا فيه» أي: في الفرج. وعبدُ الله: «فيها» كما في سورة الأنبياء، أي: في الجملة. وجمع تعالى في التمثيل بين التي لها زوجٌ والتي لا زوجَ لها تسليةً للأرامل، وتطييباً لقلوبهن[٨].

---

(١) الكشاف ٤/ ١٣١.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ١٠٥. والقول الأول في النكت والعيون ٦/ ٤٨، وفي الوسيط ٤/ ٣٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٨ ونسباه لمقاتل. والقول الثاني في تفسير أبي الليث ٣/ ٣٨٣-٣٨٤. والقول الثالث في النكت والعيون ٦/ ٤٨، والوسيط ٤/ ٣٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ٣٦٨، وزاد المسير ٨/ ٣١٦. وضعَّفه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٤٨.

(٤) الكشاف ٤/ ١٣٢.

(٥) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٤٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٠٦.

(٦) في تفسير الآية (٩١) منها.

(٧) القراءات الشاذة ص ١٥٩.

(٨) الكشاف ٤/ ١٣٢.

وقرأ الجمهور: «وصَدَّقَتْ» بشدِّ الدال. ويعقوب، وأبو مِجْلَز، وقتادة، وعِصْمة عن عاصم بخفِّها[1]، أي: كانت صادقةً بما أخبرَتْ به من أمر عيسى عليه السلام، وما أظهرَ اللهُ لها[2] من الكرامات.

وقرأ الجمهور: «وكلماتِه» جمعاً، فاحتمل أن تكون الصُّحف المنزَّلة على إدريس عليه السلام وغيرِه، وسمَّاها كلماتٍ لقِصَرِها، ويكون المرادُ بكتبه الكتُبَ الأربعة. واحتمل أن تكون الكلماتُ ما كلَّمَ اللهُ تعالى به ملائكتَه وغيرَهم، وبكُتُبه جميعَ ما يُكتَبُ في اللَّوح وغيرِه[3].

واحتمل أن تكون الكلماتُ ما صدرَ في أمر عيسى عليه السلام[4].

وقرأ الحسن، ومجاهد، والجَحْدريُّ: «بكلمة» على التوحيد[5]، فاحتمل أن يكون اسم جنس واحتمل أن يكون كنايةً عن عيسى؛ لأنَّه قد أطلق عليه أنَّه كلمةُ الله ألقاها إلى مريم[6].

وقرأ أبو عمرو وحفص: «وكتُبِه» جمعاً، ورواه كذلك خارجة عن نافع[7].
وقرأ باقي السبعة: «وكتابِه» على الإفراد، فاحتمل أن يُراد به الجنس، وأن يُراد به الإنجيل، لا سِيَّما إن فُسِّرت الكلمة بعيسى.

وقرأ أبو رجاء: «كُتْبِه» قال ابن عطية[8]: بسكون التاء «وكُتْبِه»، وذلك كلُّه مُرادٌ به التوراة والإنجيل.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥-٣٣٦ عن أبي مجلز، وهي في الكشاف ٤/ ١٣٢ دون نسبة.
(٢) في (أ) والمطبوع: له. والمثبت موافق لما في روح المعاني ٢٧/ ٢٧٦.
(٣) الكشاف ٤/ ١٣٢.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٦.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٥٩ عن مجاهد والجحدري، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٦ والكلام الآتي منه، وزاد المسير ٨/ ٣١٦ عن الجحدري، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٠٦-١٠٧ عن الحسن.
(٦) تنظر الآية (١٧١) من سورة النساء.
(٧) قراءة أبي عمرو وحفص في السبعة ص ٦٤١، والتيسير ص ٢١٢، والمشهور عن نافع كقراءة باقي السبعة الآتية، والكلام من المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٦. وينظر الكشاف ٤/ ١٣٢.
(٨) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٦.

وقال صاحب «اللوامح»: أبو رجاء: «وكَتْبِه» بفتح الكاف، وهو مصدرٌ أُقيمَ مقام الاسم، قال سهل: و«كُتُبه» أجمَعُ من «كتابه»؛ لأنَّ فيه وضع المضاف موضع الجنس، فالكُتُب عامٌّ، والكتاب هو الإنجيل فقط. انتهى.

﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾غلَّبَ الذُّكورية على التأنيث، و«القانتين» شاملٌ للذكور والإناث، و«من» للتبعيض.

وقال الزمخشري[١]: ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على أنَّها وُلِدَتْ من القانتين؛ لأنَّها من أعقاب هارون أخي موسى صلوات الله وسلامه عليهما.

وقال يحيى بن سلام: مثَلٌ ضربَه اللهُ يُحذِّر به عائشة وحفصة من المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ، ثمَّ ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم ابنةِ عمران ترغيباً في التمسُّك بالطاعات والثبات على الدِّين[٢]. انتهى.

وأخذ الزمخشريُّ كلامَ ابن سلَّام هذا وحسَّنه وزمكه[٣] بفصاحته، فقال: وفي طيِّ هذين التمثيلين تعريضٌ بأمَّي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فَرَط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرِهَه، وتحذيرٌ لهما على أغلظِ وجهٍ وأشدِّه؛ لما في التمثيلِ من ذِكْرِ الكفر، ونحوه في التغليظ قولُه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]، وإشارةٌ إلى أنَّ من حَقِّهما أن تكونا في الإخلاص والكمال[٤] فيه كمثل هاتين المؤمنتين، وأن لا تَتَّكِلا على أنَّهما زوجتا رسول الله ﷺ، فإنَّ ذلك الفضلَ لا ينفعهما إلَّا مع كونِهما مُخلِصَتين، والتعريض بحفصة أرجح؛ لأنَّ امرأةَ لوطٍ أفشَتْ عليه كما أفشَتْ حفصةُ على رسول الله ﷺ، وأسرارُ التنزيل ورموزُه في كلِّ بابٍ بالغةٌ من اللُّطف والخفاء حَدًّا تَدِقُّ عن تفطُّن العالِم وتَزِلُّ عن تبصُّره. انتهى.

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٣٢، وما قبله منه بنحوه.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٤٧، وزاد المسير ٨/ ٣١٥.
(٣) زمَّكه وزمَكه: ملأه. اللسان (زمك).
(٤) المثبت من الكشاف، وفي (يه): والإكمال، وفي (أ) و(ع) والمطبوع: والكتمان.

وقال ابن عطية[١]: وقال بعض الناس: إنَّ في المَثَلين عبرةً لزوجات النبي ﷺ حين تقدَّم عتابُهُنَّ، وفي هذا بُعْدٌ، لأنَّ النَّصَّ أنَّه للكفار يُبعِدُ هذا.

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٥.

سورة المُلْك

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ
أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا
وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ
ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا
وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ
بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا
نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ
ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ
بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا
فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾.

هذه السورةُ مكيَّة، ومناسبتُها لِما قبلَها أنَّه لمَّا ضربَ للكفار مَثَلاً بتينِك المرأتينِ المحتوم[1] لهما بالشقاوة وإن كانتا تحت نبيَّيْنِ، ومَثَلاً للمؤمنين بآسيةَ ومريمَ وهما محتومٌ لهما بالسعادة[2]. وإن كان قَوْماهُما كافرَيْن؛ كان ذلك تصرُّفاً في مُلكه

(١) في (ت) و(يه): المختوم. (وكذا في الموضع التالي).

(٢) المثبت من (يه) وهو كذلك في النهر المادّ بهامش البحر ٦/٢٩٦. وفي النسخ الأخرى: بالجنة.

على ما سبقَ به قضاؤه، فقال: «تبارك» أي: تعالى وتعاظَمَ «الذي بيدِهِ المُلك» وهو كناية عن الإحاطة والقهر، وكثيراً ما جاء نسبةُ اليدِ إليه تعالى، كقوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣]، ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وذلك في حقِّه تعالى استعارة لتحقيق الملك، إذ كانت في عُرف الآدميِّين آلةٌ للتملُّك، والمُلك هنا هو على الإطلاق لا يبيد ولا يختلّ[١].

وعن ابن عباس: مَلِكُ الملوك، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾[٢] [آل عمران: ٢٦] وناسبَ الملكَ ذِكْرُ وصفِ القدرة.

و«الحياةُ» ما يصحُّ بوجودِه الإحساس، ومعنى خَلْقِ الموتِ والحياةِ[٣] إيجادُ ذلك المصحِّح وإعدامُه. والمعنى: خلقَ موتَكم وحياتَكم أيها المكلفون. وسَمَّى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى، وهي الخِبْرَة، استعارة من فعل المُختبِر.

وفي الحديث أنه فسَّر «أيُّكم أحسنُ عملاً» أي: «أحسنُ عقلاً، وأشدُّكم للهِ خوفاً، وأحسنُكم في أمرِه ونهيِهِ نظراً؛ وإنْ كان أقلَّكم تطوُّعاً»[٤].

وعن ابنِ عبَّاس والحسنِ والثوريّ: أزهدُكم في الدُّنيا[٥].

وقيل: كَنَى بالموتِ عن الدنيا إذ هو واقعٌ فيها، وعن الآخرة بالحياة من حيث لا موتَ فيها، فكأنَّه قال: هو الذي خلقَ الدُّنيا والآخرة، وصفَهما بالمصدرين[٦].

---

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٧.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٧، وبنحوه في زاد المسير ٨/ ٣١٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٠٩.
(٣) قوله: «والحياة» من (يه)، وهي أيضاً في الكشاف ٤/ ١٣٤ (والكلام منه).
(٤) الحديث بلفظه من المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٧، وأخرجه بنحوه الحارث (٨٢٠ ـ زوائد) والثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٣٧ من حديث أبي قتادة ﷺ، وأخرجه الثعلبي أيضاً من حديث ابن عمر ﷺ، وفي إسنادهما داود بن المُحَبَّر، وهو متروك كما ذكر الحافظ في التقريب. وقد رُوِيَ بعضُه من أقوال السلف. ينظر النكت والعيون ٦/ ٥٠.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨، وهو في النكت والعيون ٦/ ٥٠ عن سفيان الثوري.
(٦) بعده في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨ (والكلام فيه بنحوه): على تقدير حذف المضاف، كعَدْل وزُور.

وقدّم الموت لأنه أهيبُ في النفوس.

و«ليبلوَكم» متعلّق بـ «خلقَ»، و«أيُّكم أحسنُ عملاً» مبتدأ وخبر، فقدَّر الحَوْفي قبلَها فعلاً تكون الجملةُ في موضع معمولِهِ، وهو معلَّق عنها، تقديره: فينظر، وقدَّر ابنُ عطية: فينظر، أو: فيعلم[1].

قال الزمخشري[2]: فإن قلت: من أين تعلَّق قولُه: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ بفعل البلوَى؟

قلت: من حيث إنه تضمَّنَ معنى العلم، فكأنه قيل: ليعلمكم أيُّكم أحسنُ عملاً. وإذا قلتَ: علمتُهُ أزيدٌ أحسنُ عملاً أم هو؟ كانت هذه الجملة واقعةً موقع الثاني من مفعوليه، كما تقول: علمتُه هو أحسنُ عملاً.

فإن قلت: أيسمَّى هذا تعليقاً؟ قلت: لا، إنما التعليقُ أن تُوقع بعده ما يسدُّ مسدَّ المفعولين جميعاً؛ كقولك: علمتُ أيُّهما عَمرو، وعلمتُ أزيدٌ منطلقٌ؟ ألا ترى أنه لا فصلَ بعد سَبْقِ أحدِ المفعولَيْن بين أن يقعَ ما بعدَه مُصَدَّراً بحرف الاستفهام وغير مُصَدَّرٍ به؟ ولو كان تعليقاً لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك: علمتُ أزيدٌ منطلقٌ؟ وعلمتُ زيداً منطلقاً. انتهى.

وأصحابُنا يسمُّون ما منعَه الزمخشريّ تعليقاً، فيقولون في الفعل إذا عُدِّيَ إلى اثنين ونصبَ الأول، وجاءت بعده جملةٌ استفهامية أو بلام الابتداء أو بحرف نفي، كانت الجملة معلَّقاً عنها الفعل، وكانت في موضع نصب، كما لو وقعَتْ في موضع المفعولين وفيها ما يعلِّق الفعل عن العمل. وقد تقدَّم الكلام على مثل هذه الجملة في «الكهف» [٧] في قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

وانتصب «طِباقاً» على الوصف لـ «سَبْعَ» فإمَّا أن يكون مصدر: طابقَ مطابقةً وطِباقاً؛ لقولهم: طابقَ[3] النعلَ: خَصَفَها طَبَقاً على طَبَق، وُصِفَ به على سبيل

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨.

(٢) الكشاف ٤/ ١٣٤.

(٣) كلمة «طابق» من (ع).

المبالغة، أو على حذف مضاف، أي: ذاتَ طِباقٍ، وإمَّا جمع «طَبَق» كـ «جَمَل وجِمال»، أو جمع «طَبَقَة» كـ «رَحَبَة ورِحاب»[1] والمعنى: بعضها فوق بعض[2].

وما ذُكِرَ من موادِّ هذه السماوات؛ فالأولى من مَوْجٍ مكفُوف، والثانية من دُرّة بيضاء، والثالثة من حديد، والرابعة من نحاس، والخامسة من فضة، والسادسة من ذهب، والسابعة من زمُرُّدة بيضاء[3] = يحتاج إلى نقل صحيح.

وقد كان بعضُ من ينتمي إلى الصلاح ـ وكان أعمى لا يُبصر موضع قدمه ـ يُخبر أنه يُشاهد السماواتِ على بعض أوصافٍ ممَّا ذكرنا.

«من تفاوت» قال ابن عباس: من تفرُّق، وقال السُّدِّي: من عيب[4].

وقال عطاء بن يسار: من عدم استواء[5].

وقال ثعلب: أصله من الفَوْت وهو أن يفوتَ شيءٌ شيئاً فيقعُ الخَلَل[6]، وقيل: من اضطراب، وقيل: من اعوجاج، وقيل: من تناقض، وقيل: من اختلاف، وقيل: من عدم التناسب[7].

والتفاوت: تجاوزُ الحدِّ الذي تجبُ له زيادة أو نقص[8]، قال بعض الأدباء:

تناسبتِ الأعضاءُ فيه فلا تَرَى ... بهنَّ اختلافاً بل أَتَيْنَ على قَدْرِ

(١) الرَّحَبَة، بفتح الحاء وسكونها: الأرض الواسعة.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨.
(٣) ذكره الثعلبي ٦/ ٢٣٨-٢٣٩.
(٤) القولان في النكت والعيون ٦/ ٥١، وقول ابن عباس في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٣٨ والقرطبي ٢١/ ١١٥.
(٥) لم أقف عليه. وفي المصدر السالف عن عطاء بن أبي مسلم: لا يفوتُ بعضُه بعضاً.
(٦) في النسخ الخطية: مع الخلل، وفي المطبوع: من الخلل، وكلاهما خطأ، والقول بنحوه لابن قتيبة في غريب القرآن ص٤٧٤، ودون نسبة في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٣٨، والقرطبي ٢١/ ١١٤، وبلفظِهِ في زاد المسير ٨/ ٣١٩. ولم أقف عليه عن ثعلب.
(٧) ينظر تفسير كل من أبي الليث السمرقندي ٣/ ٣٨٦، والثعلبي ٦/ ٢٣٨، والبغوي ٤/ ٣٧٠، والكشاف ٤/ ١٣٤، وزاد المسير ٨/ ٣١٩.
(٨) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨.

وقرأ الجمهور: «من تفاوت» بألف، مصدر «تَفَاوَتَ»، وعبدُ الله وعلقمة والأسود وابنُ جُبير وطلحة والأعمش وحمزة والكسائي بشدِّ الواو مصدر «تَفَوَّتَ»[(١)].

وحكى أبو زيد عن العرب: [تفاوتَ الأمرُ] تفاوتاً؛ بضم الواو وفتحها وكسرها[(٢)]، والفتحُ والكسرُ شاذَّان.

والظاهرُ عمومُ خلقِ الرحمنِ من الأفلاك وغيرِها، فإنه لا تفوُّتَ فيه ولا فطور، بل كلٌّ جارٍ على الإتقان.

وقيل: المرادُ في «خَلْقِ الرحمن» السماواتُ[(٣)] فقط.

والظاهرُ أنَّ قوله تعالى: «ما ترى» استئنافُ أنه لا يُدْرَكُ في خلقِه تعالى تفاوتٌ، وجعلَ الزمخشريُّ هذه الجملةَ صفةً متابعةً[(٤)] لقوله: «طِباقاً» أصلُها: ما ترى فيهنَّ من تفاوت، فوضعَ مكان الضمير قوله: «خَلْقِ الرحمنِ» تعظيماً لخلقهنَّ وتنبيهاً على سببِ سلامتهنَّ من التفاوت، وهو أنه خلق الرحمن، وأنّه بباهرِ قدرتِهِ هو الذي يخلقُ مثلَ ذلك الخلق المتناسب[(٥)]. انتهى. والخطابُ في «تَرَى» لكلِّ مخاطب، أو للرسولِ ﷺ.

ولمَّا أخبرَ تعالى أنه لا تفاوتَ في خلقِه أمرَ بترديدِ البصر في الخلق المناسب[(٦)]، فقال: «فارْجِعِ البصر» ففي الفاء معنى التسبيب، والمعنى أنَّ العِيانَ يُطابقُ الخبر. والفُطور؛ قال مجاهد: الشُّقوق[(٧)]؛ فَطَرَ نابُ البعير: شَقَّ اللحمَ وظَهَرَ، قال الشاعر:

---

(١) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨.

(٢) ينظر القراءات الشاذة ص١٥٩، وما بين حاصرتين منه ومن الدُّرّ المصون ١٠/ ٣٧٨.

(٣) في (يه): المُحْدَث، بدل: السماوات.

(٤) في الكشاف ٤/ ١٣٤: مُشَايعة، وهي مثلُها وزناً ومعنًى.

(٥) في النسخ الخطية: المناسب، والمثبت من المصدر السالف.

(٦) كذا، ولعلها: «المتناسب» مثل سابقتها.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٥١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١١٥.

بَنى لَكُمُ بلا عَمَدٍ سَماءً وسَوَّاها فما فيها فُطُورُ(١)

وقال أبو عُبيدة: صُدُوع، وأنشد(٢) قول عُبيد الله بن [عبد الله] بن عُتبة بن مسعود:

شَقَقْتِ القلبَ ثم ذَرَرْتِ فيه هَواكِ فَلِيمَ فالتأمَ الفُطُورُ(٣)

وقال السُّدِّيُّ: خُرُوق، وقال قتادة: خَلَل، ومنه التفطير والانفطار، وقال ابن عباس: وَهْن(٤). وهذه تفاسيرُ متقاربة.

والجملة من قوله: ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ في موضع نصب بفعل معلَّق محذوف، أي: فانظر هل ترى؟ أو ضُمِّنَ معنى «فارجعِ البصر» معنى: فانْظُرْ ببصرِك هل ترى؟ فيكون معلَّقاً.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾أي: رَدِّدْهُ ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ هي تثنيةٌ لا شَفع الواحد، بل يُراد بها التكرار، كأنَّه قال: كرَّةً بعد كرَّة، أي: كرَّاتٍ كثيرةً، كقوله: لَبَّيْك، يريدُ إجاباتٍ كثيرةً بعضَها في إثر بعض، وأريد بالتثنية التكثير، كما أريد بما هو أصلٌ لها التكثير، وهو مفرد عُطفَ على مفرد، نحو قوله:

لو عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كان أكرمَهُمْ بيتاً وأبعدَهم عن منزلِ الذَّامِ(٥)

يريد: لو عُدَّتْ قبورٌ كثيرة.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٣٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١١٥.

(٢) لعله: وأنشدوا، فقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٢ دون ذكر البيت.

(٣) مجالس ثعلب ص٢٣٦، والأغاني ٩/ ١٥١ (وفيه: صَدَعْتِ) والحماسة ٣/ ١٣٥٤ (بشرح المرزوقي)، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٣٨ (ونقل قبله قول أبي عبيدة السالف). وما سلف بين حاصرتين من المصادر. قال المرزوقي: لِيمَ؛ أصلُه الهمزُ، فأُبدلَ من همزته ياءٌ، وانكسر اللامُ لها.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٥١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١١٥.

(٥) الحماسة ٣/ ١١٢٢ (بشرح المرزوقي) ونُسب فيه البيت لعصام بن عبيد الله، (وفي شرح التبريزي ٣/ ٧٧: عصام بن عُبيد الزِّمّاني) ونُسب في البيان والتبيين ٢/ ٣١٦ لهمّام الرَّقَاشي. وفي هذه المصادر: كنتُ أكرمَهم. قال المرزوقي: معنى البيت: لو عُدَّتْ القبورُ منوَّعةً =

وقال ابن عطية[١] وغيره: «كَرَّتَيْن» معناه: مَرَّتَيْن، ونصبُها على المصدر.

وقيل: أمر برجع البصر إلى السماء مرَّتين، إذْ يمكنُ[٢] غلطٌ في الأول فيستدرك بالثانية.

وقيل: الأولى ليرَى حُسْنَها واستواءَها، والثانية ليُبصِرَ كواكبَها في سيرها وانتهائها.

وقرأ الجمهور: «ينقلبْ» جزماً على جواب الأمر، والخُوارزميّ عن الكسائيّ برفع الباء[٣]، أي: فينقلبُ، على حذف الفاء، أو على أنه موضع حال مقدَّرة، أي: إنْ رَجَعْتَ البصرَ وكرَّرْتَ النظرَ لتطلُّبِ فُطورٍ ـ شُقوقٍ ـ أو خَلَلٍ أو عَيْبٍ[٤] رَجَعَ إليك مُبعَداً عمَّا طلبَه لانتفاءِ ذلك عنها وهو كالٌّ من كثرة النظر.

وكَلالُه يدلُّ على أنَّ المرادَ بالكَرَّتَيْنِ ليس شَفْعَ الواحد، لأنه لا يَكِلُّ البصرُ بالنظر مرَّتين اثنتين.

والحَسِيرُ: الكالُّ، قال الشاعر:

لهنَّ الوَجَى لِمْ كُنَّ عَوْناً على النَّوَى ولا زالَ منها ظالِعٌ وحَسِيرُ[٥]

= مفصَّلةً ـ وإنما يعني أسلافَ من قُدِّمَ عليه في الإذن والدخول خُؤولةً وعُمومةً ـ لكنتُ أكرمَهم أباً وأشرفَهم بيوتاً. اهـ. والذَّامُ: العيب، وهو لغة في الذَّمّ، كما في الخزانة ٧/ ٤٧٥، والبيت فيها هو الشاهد (٥٦٣) على تعاطف المفردَيْن لقصدِ التكثير.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٨.

(٢) قوله: إذ يمكن، من (يه).

(٣) القراءات الشاذة ص١٥٩. والخُوارزمي: هو يحيى بن زياد أبو زكريا، من جِلَّة أصحاب الكسائي. ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٧٢.

(٤) المثبت من (يه). وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: أو خللاً أو عيباً.

(٥) الكامل ٢/ ٨٥١، والتذكرة الحمدونية ٩/ ١٠، وهو في الأغاني ١/ ٢٩٢، والعقد الفريد ٥/ ٣٤٧ برواية: وكَسِيرُ.
ونُسب في الأغاني والتذكرة لجميل بن معمر.
قوله: لهنَّ، أي: الإبل، يقول: هي المُفَرِّقَة. قاله المبرِّد. والوَجَى: الحَفَا؛ وَجِيَ البعيرُ (كرَضِيَ): رَقَّ خُفُّهُ من كثرة المشي. والنَّوَى: البُعْد، وظالِع فاعل؛ من ظَلَعَ، أي: عَرَجَ وغمزَ في مشيه.

يقال: حَسَرَ بعيرُه يحسُرُ حُسُوراً، أي: كَلَّ وانقطعَ، فهو حَسِيرٌ ومَحْسُور، قال الشاعر يصف ناقةً:

فشَطْرَها نَظَرُ العَيْنَيْنِ محسورُ[1]

أي: ونحوَها.

وقد جُمع حَسِير بمعنى أعْيَا وكلَّ؛ قال الشاعر:

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها[2]

البيت.

«السماء الدُّنيا» هي التي نُشاهِدُها. والدُّنوُّ أمرٌ نسبيّ، وإلا فليست قريبة.

«بمصابيح» أي: بنجوم مضيئة كالمصابيح، و«مصابيح» مطلق عام[3]، فلا يدلُّ على أن غير سماء الدنيا ليست فيها مصابيح.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ أي: جعلنا منها، لأنَّ السماءَ ذاتَها ليست الرُّجومَ[4]، هذا إن عاد الضمير في قوله: «وجعلناها» على «السماء»، والظاهرُ عَوْدُه على «مصابيح» ونُسب الرَّجم إليها لأنَّ الشِّهاب المتَّبع للمسترقِ منفصلٌ من نارها، والكوكبُ قارٌّ في فَلَكِهِ على حاله، فالشِّهابُ كقَبَسٍ يُؤخذ من النار، والنارُ باقيةٌ لا تَنقص[5].

---

(١) هو عجز بيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٢، ونسبه في ١/ ٦٠ للهُذليّ، وهو قيس بن خُويلد كما في اللسان (حسر)، وهو دون نسبة في الكامل ١/ ٢٤٩، وجاء بنحوه في ديوان الهُذليين (بشرحه ٢/ ٦٠٧) وفيه: مخزور بدل: محسور. وعليه فلا شاهد فيه، وهو في وصف ناقة. وقوله: فشَطْرَها: منصوبٌ على الظرف، أي: نحوَها (كما سيرد). وقال المُبرِّد: يريد ناحيتَها وقَصْدَها، والعَسِير: التي تَعْسِرُ بذَنَبِها إذا حَمَلَتْ، أي: تُشِيلُهُ وترفعُه.

(٢) هو صدرُ بيت لعلقمة الفحل، وعجزُه: فبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فصَلِيبُ. وهو في ديوانه ص٤٠، وسلف في تفسير الآية (٦٤) من سورة آل عمران.

(٣) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: الأعلام.

(٤) في المطبوع: «ليست يُرجم بها الرجوم». ولعل قوله: «يُرجم بها» نسخة بدل «الرجوم» أُدرجت في النصّ.

(٥) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٣٥.

والظاهر أنَّ الشياطين هم مسترقُو السمع، وأنَّ الرجم هو حقيقة، يُرمَوْن بالشُّهب كما تقدَّم في سورة «الحِجر» وسورة «والصافَّات».

وقيل: معنى «رُجوماً» ظنوناً لشياطين الإنس، وهم المنجِّمون ينسُبون إلى النجوم أشياءَ على جهة الظّنّ من جُهَّالهم[١]، والتمويه والاختلاق من أذكيائهم، ولهم في ذلك تصانيفُ تشتملُ على خُرافات[٢] يُموِّهُون بها على الملوك وضعفاء العقول، ويعملون موالد يحكمون فيها بأشياءَ لا يصحُّ منها شيء.

وقد وقفنا على أشياءَ من كذبهم في تلك الموالد، وما يحكونه عن أبي معشر وغيرِهِ من شيوخ السوء كذبٌ يُغْرُون به الناسَ الجهَّال[٣].

وقال قتادة: خلقَ الله تعالى النجومَ زينةً للسماء، ورجوماً للشياطين، وليُهتَدَى بها في البرِّ والبحر، فمن قالَ غيرَ هذه الخصالِ الثلاث فقد تكلَّفَ وأذهبَ حظَّه من الآخرة[٤].

والضمير في «لهم» عائد على الشياطين.

وقرأ الجمهور: «عذابُ جهنَّم» برفع الباء، والضحاكُ والأعرجُ وأسيد بنُ أسيد المزنيّ والحسنُ في رواية هارون عنه بالنصب عطفاً على «عذاب السعير»[٥] أي: وأعتدنا للذين كفروا عذابَ جهنَّم.

﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا﴾ أي: طُرِحُوا كما يُطْرَحُ الحطبُ في النار العظيمة ويُرمَى به، ومثلُه: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٦] [الأنبياء: ٩٨].

---

(١) في (ت): جهالتهم.
(٢) في (يه): خُرافات وتُرَّهات.
(٣) جاء في وفيات الأعيان: أبو جعفر بن محمد بن عمر البَلْخي المنجّم المشهور، له تصانيف في علم النِّجامة، وكانت له إصابات عجيبة، توفي سنة (٢٧٢هـ).
(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ١٢٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٩ (ولفظُه منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ١١٨.
(٥) القراءات الشاذة ص١٥٩ عن الضحَّاك والأعرج، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٩ عن الحسن في رواية هارون عنه، وهي في الكشاف ٤/ ١٣٦ دون نسبة.
(٦) الكشاف ٤/ ١٣٦.

﴿سَمِعُواْ لَهَا﴾ أي: لجهنم ﴿شَهِيقًا﴾، أي: صوتاً منكراً كصوت الحمار[١] تصوِّت مثل ذلك لشدَّة توقُّدِها وغليانِها.

ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي: سمعوا لأهلها، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[٢] [هود: ١٠٦].

﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾: تغلي بهم غَلْيَ المِرْجَل.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ أي: ينفصلُ بعضُها من بعض لشدة اضطرابها، ويقال: فلان يتميَّز من الغيظ إذا وصفوه بالإفراط في الغضب.

وقرأ الجمهور: «تَمَيَّزُ» بتاء واحدة خفيفة، والبَزِّيُّ بشدِّها، وطلحة بتاءين، وأبو عَمرو بإدغام الدال في التاء، والضحاك: «تَمايَزُ» على وزن تفاعلُ، وأصلُه: تتمايَزُ، بتاءين، وزيدُ بنُ علي وابنُ أبي عَبلة[٣]: «تَمِيزُ» مِن: مازَ.

﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ على الكفرة، جُعلت كالمغتاظة عليهم لشدَّة غليانها بهم، ومثلُ هذا في التجوُّز قولُ الشاعر في كلبٍ يشتدُّ في جَرْيِه:

يكادُ أنْ يخرجَ من إهابِهِ[٤]

وقولُهم: غَضِبَ فلانٌ فطارَتْ منه شِقَّةٌ في الأرض وشِقَّةٌ في السماء: إذا أفرطَ في الغضب[٥].

---

(١) يعني كشهيق الحمار، قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٩: والشهيقُ أقبحُ ما يكون من صوت الحمار.

(٢) الكشاف ٤/ ١٣٦. وينظر النكت والعيون ٦/ ٥٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١١٩.

(٣) قراءة ابن أبي عبلة في القراءات الشاذة ص١٥٩ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٣٩، وقراءة كل من طلحة (وهو ابن مصرِّف) والضحاك في المحرر الوجيز ٥/ ٣٣٩.

(٤) الرَّجَز من قصيدة لأبي نواس في وصف كلب صيد، وقبله: تَراه في الحُضْر إذا هاها به، وهو في ديوانه ص١٠١ قولُه: الحُضر، أي الارتفاع في العَدْوِ، وهاها به، أي: زَجَرَه صاحبُه. ووقع في (يه): عن إهابه. وجاء الرَّجز أعلاه في المطبوع مع الكلام الذي قبله على أنه بيت شعر!

(٥) في (ت): الغيظ.

ويجوزُ أن يُرادَ من غيظِ الزَّبانية.

﴿كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ﴾ أي: فريقٌ من الكفار ﴿سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ سؤالَ توبيخٍ وتقريع، وهو ممَّا يَزيدُهم عذاباً إلى عذابهم. وخزنتُها مالكٌ وأعوانُه.

﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ ينذركم بهذا اليوم. ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ اعترافٌ بمجيءِ النُّذُرِ إليهم.

قال الزمخشري[1]: اعترافٌ منهم بعدلِ الله وإقرارٌ بأنه عزَّ وعلا أزاحَ عِلَلهم ببعثةِ الرسل وإنذارِهم فيما وقعوا فيه، وأنهم لم يُؤتَوا من قُدرتِه كما تزعم المجبِّرة، وإنَّما أُتُوا من قِبَلِ أنفسِهم، واختيارِهم خلافَ ما اختارَ الله وأمرَ به وأوعدَ على ضدِّه. انتهى. وهو على طريق المعتزلة.

والظاهر أن قوله: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ﴾ من قول الكفَّار للرُّسل الذين جاؤوا نُذُراً إليهم، أنكروا أولاً أنَّ الله نزَّل شيئاً، واستجهلوا ثانياً مَن أخبرَ بأنه تعالى أرسلَ إليهم الرُّسل وأنَّ قائلَ ذلك في حيرةٍ عظيمة.

ويجوزُ أن يكون من قول الخَزَنةِ للكفَّار إخباراً لهم وتقريعاً بما كانوا عليه في الدنيا، أرادوا بالضَّلالِ الهلاكَ الذي هُم فيه، أو سمَّوا عقابَ الضَّلال ضلالاً لمَّا كان ناشئاً عن الضَّلال.

وقال الزمخشريُّ[2]: أو من كلام الرُّسُلِ لهم حكَوْهُ للخَزَنة، أي: قالوا لنا هذا فلم نقبله. انتهى.

فإن كان الخطاب في «إن أنتم» للرسل فقد يُرادُ به الجنس، ولذلك جاء الخطاب بالجمع.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي للخَزَنة حين حاوروهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ﴾ سماعَ طالبٍ للحق أو نعقل عقلَ متأمِّلٍ له لم نستوجب الخلود في النار.

---

(١) الكشاف ٤/١٣٦.

(٢) المصدر السالف، والكلام قبله فيه بنحوه.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾[1] أي: بتكذيب الرُّسل ﴿فَسُحْقًا﴾ أي: فبُعداً لهم، وهو دعاء عليهم، والسُّحْقُ: البُعْد، وانتصابُه على المصدر، أي: سَحَقَهُمُ الله سُحْقاً، قال الشاعر:

يَجُولُ بأطرافِ البلادِ مُغَرِّباً ... وتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبا كلَّ مَسْحَقِ[2]

والفعل منه ثلاثي، وقال الزجاج: أي: أسحقهم الله سُحْقاً، أي: باعدهم بُعْداً.

وقال أبو عليّ الفارسيّ: القياس: إسحاقاً، فجاء المصدر على الحذف، كما قيل:

وإنْ أَهْلِكْ فذلك كانَ قَدْرِي[3]

أي: تقديري. انتهى.

ولا يحتاج إلى ادّعاء الحذف في المصدر، لأنَّ فعله قد جاء ثلاثياً كما أنشدنا:

وتَسْحَقُهُ رِيحُ الصَّبا كلَّ مَسْحَقِ

وقرأ الجمهور بسكون الحاء، وعليّ وأبو جعفر والكسائي بخلاف عن أبي الحارث عنه بضمّها[4].

قال ابن عطيّة: «فسحقاً» نصباً على جهة الدُّعاء عليهم، وجاز ذلك فيه وهو من قبل الله تعالى من حيث هذا القول فيهم مستقرّ أولاً[5] ووجوده لم يقع ولا يقع

---

(١) في (يه): «فاعترفوا» حين لم ينتفعوا بالاعتراف «بذنبهم».

(٢) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٧١ برواية: بآفاق، بدل: بأطراف.

(٣) هو عجز بيت ينسب لصاحب المفضليات ص ٧٠ لرجل من عبد القيس، وصدره: فإن يبرأ فلم أنفث عليه. وهو في الحجة ٢/ ١٢٩، والمخصص ٩/ ٩٢، وأمالي ابن الشجري ٢/ ١١٠ دون نسبة. وفي هذه المصادر: يَهْلِك، بدل: أهْلِكْ.

(٤) قراءة الكسائي في السبعة ص ٦٤٤، والتيسير ص ٢١٢، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٨٧، وذكرها القرطبي ٢١/ ١٢١ عن علي ﷺ. وأبو الحارث هو الليث بن خالد صاحب الكسائي.

(٥) في النسخ الخطية: أولاً، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠، والكلام منه.

إلا في الآخرة، فكأنَّه لذلك في حيِّز المتوقَّع الذي يُدعَى به، كما تقول: سُحْقاً لزيدٍ وبُعْداً، والنصبُ في هذا كلّه بإضمار فعل، وأمَّا ما وقعَ وثبتَ فالوجهُ فيه الرفع، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ و﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ وغير هذا من الأمثلة. انتهى.

﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: الذي أُخبِرُوا به من أمرِ المَعَاد وأحوالِه، أو غائبين عن أعين الناس، أي: في خَلَوَاتِهِم، كقوله: «ورجلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضَتْ عيناه»[١].

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ خطابٌ لجميع الخلق، قال ابنُ عبَّاس: وسببُه أنَّ بعضَ المشركين قال لبعض: أسِرُّوا قولَكم لا يسمعُكم إلهُ محمد[٢].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ الهمزةُ للاستفهام، و«لا» للنفي، والظاهرُ أنَّ «مَنْ» مفعول، والمعنى أينتفي عِلْمُه بِمَنْ خلقَ وهو الذي لَطُفَ علمُه ودَقَّ وأحاطَ بخَفِيَّات الأمور وجَلِيَّاتها؟!

وأجاز بعضُ النحاة أن يكون «مَنْ» فاعلاً، والمفعول محذوف، كأنه قال: ألا يعلمُ الخالقُ سِرَّكُم وجَهْرَكُم؟! وهو استفهامٌ معناه الإنكار، أي: كيف لا يعلمُ ما تكلَّم به مَنْ خَلَقَ الأشياءَ وأوجَدَها من العدم الصِّرْف وحالُه أنه اللطيفُ الخبير المتوصِّلُ علمُه إلى ما ظهرَ من خلقِه وما بطن؟!

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ منَّةٌ منه تعالى بذلك، والذَّلُولُ فَعُول للمبالغة من ذلك، تقول: دابَّةٌ ذَلُولٌ بيِّنةُ الذُّلّ، ورجلٌ ذليل: بَيِّنُ الذُّلّ.

وقال ابنُ عطية: والذَّلول فَعُول بمعنى مفعول، أي: مذلولة، فهي كرَكُوب وحَلُوب. انتهى.

وليس بمعنى مفعول، لأنَّ فعله قاصرٌ، وإنما يُعدَّى بالهمزة، كقوله: ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وإمَّا بالتضعيف كقوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس: ٧٢]. وقولُه: أي مذلولة، يظهر أنه خطأ.

---

(١) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ في السبعة الذين يُظلُّهم الله، وهو في صحيح البخاري (٦٦٠)، وصحيح مسلم (١٠٣١).

(٢) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٢٢.

﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أمرٌ بالتصرُّف فيها والاكتساب. و«مناكبها» قال ابن عباس وقتادة وبُشَيْرُ بنُ كعب: أطرافها وهي الجبال[١].

وقال الفرَّاء والكلبيّ ومنذر بنُ سعيد: جوانبها، ومنكبا الرجل جانباه. وقال الحسن والسُّدِّيّ: طرقها وفجاجها[٢].

قال الزمخشري: والمشيُ في مناكبها مَثَلٌ لفَرْطِ التذليل ومجاوزتِه الغايةَ؛ لأن المنكبين وملتقاهما من الغارب أرقُّ شيء من البعير، وأنباهُ[٣] عن أن يَطَأهُ الراكبُ بقَدَمِه ويعتمدَ عليه، فإذا جعلها في الذِّلّ[٤] بحيث يُمْشَى في مناكبها لم يَتَّرِك[٥]. انتهى.

وقال الزجّاج: سَهَّلَ لكم السلوكَ في جبالها، فهو أبلغ التذليل[٦].

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: البعث فيسألكم عن شكر هذه النعمة عليكم.

❀ ❀ ❀

قوله عز وجل: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٢٤. وبُشير بن كعب أحد القرّاء والزُّهّاد، وروى له البخاري، وتحرَّف اسمُه في النسخ الخطية والمطبوع إلى: بشر.

(٢) ينظر معاني الفراء ٣/ ١٧١، والنكت والعيون ٦/ ٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٢٤.

(٣) من النُّبُوّ؛ نَبَا الشيءُ يَنْبُو: لم يستوِ في مكانه.

(٤) جاء في حاشية لمخطوط الكشاف ٣٥٦/ب: الذِّلُّ بكسر الذال مصدر الذَّلُول، وبالضمّ مصدر الذليل. وجاء في حاشية الشهاب ٨/ ٢٢٣: الذِّلّ، بكسر الذال: السهولة.

(٥) المثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ١٣٨/٤، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: ينزل، وهو تحريف، وجاء في حاشية مطبوع الكشاف: يَتَّرِك؛ يفتعل، أي: لم يترك بقية من التذليل. اهـ. وعبارة البيضاوي (٨/ ٢٢٣ بحاشية الشهاب): أي لم يبق شيءٌ لم يتذلّل.

(٦) بنحوه في معاني القرآن للزجاج، وبلفظه عنه في الكشاف ١٣٨/٤، وعبارته: سهَّلَ لكم السلوك في جبالها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغُ التذليل.

قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ
إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا
عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا
رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا
بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم
بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾.

قرأ نافع وأبو عَمرو والبزِّي: «أأمنتم» بتحقيق الأولى وتسهيلِ الثانية، وأدخل أبو عَمرو وقالون بينهما ألفاً، وقنبلٌ بإبدال الأولى واواً[1] لضمة ما قبلَها، وعنه وعن ورشٍ أوجهٌ غيرُ هذه، والكوفيُّون وابنُ عامر بتحقيقهما[2].

﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾ هذا مجاز، وقد قام البرهانُ العقليّ على أنه تعالى ليس بمتحيِّز في جهة، ومجازُه أنّ ملكوتَه في السماءِ لأن «في السماء» هو صِلةُ «مَنْ» ففيه الضَّميرُ الذي كان في العامل فيه، وهو «استقرَّ» أي: مَنْ في السَّماء هو، أي: مَلَكُوتُه، فهو على حذف مضاف[3].

ومَلَكُوتُه في كلِّ شيء، لكن خصَّ السماء بالذِّكر لأنها مسكنُ ملائكتِه، وثَمَّ عرشُه وكرسيُّه واللوحُ المحفوظ، ومنها تنزلُ قضاياه وكتبُه وأمرُه ونهيُه، أو جاء هذا

(١) أي: مفتوحة، وذلك في الوصل، ويَمُدُّ بعدها مدًّا في تقدير ألِف، وإذا ابتدأ حَقَّق الهمزة. ينظر التيسير ص٢١٢.

(٢) ولهشام بن عمار (راوي ابن عامر): التحقيق والتسهيل مع إدخال ألف بينهما. ينظر السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢.

(٣) أي التقدير: مَنْ في السماء مَلَكُوتُه، قال الألوسي في روح المعاني ٢٧/٢١: لمَّا حُذف المضاف وأُقيمَ المضاف إليه مقامه ارتفع واستتر.

على طريق اعتقادهم إذ كانوا مشبِّهة، فيكون المعنى: أأمنتم مَنْ تزعمون أنه في السماء وهو المتعالي عن المكان[1].

وقيل: «مَنْ» على حذف مضاف، أي: خالقُ مَنْ في السماء.

وقيل: «مَنْ» هم الملائكة. وقيل: جبريل، وهو المَلَك الموكَّل بالخسف وغيره[2].

وقيل: «في» بمعنى «على»، ويُراد بالعُلُوّ القهرُ والقُدرة لا بالمكان.

وفي «التحرير»[3]: الإجماعُ منعقدٌ على أنه ليس في السماء بمعنى الاستقرار، لأنَّ مَن قال مِن المشبهة والمجسِّمة إنه على العرش لا يقول بأنه في السماء[4].

﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ وهو ذهابها سُفْلاً ﴿فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾ أي: تذهب وتتموَّج كما يذهبُ التراب في الرِّيح.

وقد تقدَّم شرح الحاصب في سورة الإسراء [٦٨].

والنذيرُ والنكيرُ مصدران بمعنى الإنذار والإنكار، وقال حسان بن ثابت:

فأنذِرْ مثلَها نُصْحاً قريشاً مِنَ الرحمنِ إنْ قَبِلَتْ نَذِيري[5]

وأثبتَ ورشٌ ياءَ «نَذِيري» و«نَكِيري»[6]، وحذفها باقي السبعة.

ولمَّا حذَّرهم ما يمكن إحلالُه بهم من الخَسْف وإرسالِ الحاصب نبَّههم على

---

(١) بعده في الكشاف ٤/ ١٣٨ (والكلام فيه): أن يعذِّبكم بخسفٍ أو بحاصب؟

(٢) ينظر الوسيط ٤/ ٣٢٩، والنكت والعيون ٦/ ٥٥، وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٠.

(٣) هو لابن النَّقيب شيخ المصنف، سلف ذكره مراراً وفي مقدمة المصنف.

(٤) ذكر ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية أن عُلُوَّه سبحانه وتعالى ثابت بالسمع والعقل، وأن كلام السلف في صفة العُلُوّ كثيرٌ جداً، وقال: من سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر. ينظر الشرح ص٣٧٩-٣٨٩.

(٥) ديوان حسان ص١٢٨، وفيه: فأرْدِفْ، بدل: فأنذِرْ. وقوله: مثلها، يعني مثلَ ما حلَّ ببني قُريظة من قتلٍ وبلاءٍ وذُلّ، كما في الأبيات قبله.

(٦) يعني في الوصل. ينظر التيسير ص٢١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٢٧.

الاعتبار بالطير وما أحكم من خَلْقِها، وعلى عَجْزِ آلهتِهم عن شيء من ذلك، وناسبَ ذلك الاعتبارَ بالطير، إذ قد تقدَّمه ذكرُ الحاصب، وقد أهلك اللهُ أصحابَ الفيل بالطَّير والحاصبِ الذي رَمَتْهم به، ففيه إذكار قريش بهذه القصة، وأنه تعالى لو شاء لأهلكَهم بحاصبٍ تَرمي به الطير كما فَعلَ بأصحاب الفيل.

«صافّاتٍ»: باسطةً أجنحتَها صافَّتَها حتى كأنَّها ساكنة.

و«يَقْبِضْنَ»: ويَضْمُمْنَ الأجنحة إلى جوانبهنَّ، وهاتان حالتان للطائر، يستريحُ من إحداهما إلى الأخرى.

وعطف الفعلَ على الاسم لمَّا كان في معناه، ومثِلُه قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ﴾ [العاديات: ٣-٤] عطفَ الفعلَ على الاسم لمَّا كان المعنى: فاللاتي أغَرْنَ صُبْحاً فأَثَرْنَ، ومثلُ هذا العطف فصيحٌ، وعكسُه أيضاً جائز إلا عند السُّهيلي فإنه قبيح نحو قوله:

بـاتَ يُـغَـشِّـيـهـا بـعَـضْـبٍ باتِـرِ يَـقْـصِـدُ فـي أسْـوُقِـهـا وجـائـرِ[1]

أي: قاصدٌ في أسْوُقِها وجائر.

وقال الزمخشريّ[2]: «صافَّاتٍ»: باسطاتٍ أجنحتَهنَّ في الجوّ عند طيرانِها لأنهنَّ إذا بَسَطْنَها صَفَفْنَ قَوادِمَها صفًّا «ويقبضن»: ويَضْمُمْنَها إذا ضَرَبْنَ بها جنوبهنَّ.

فإن قلت: لم قيل: «ويَقْبِضْنَ» ولم يقل: وقابضات؟

(١) معاني القرآن للزجاج ١/ ٤١٢ (تفسير الآية ٤٦ من آل عمران)، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٤٣٧ و٣/ ٢٠٥، وخزانة الأدب ٥/ ١٤٠ (الشاهد ٣٥٦ فيها).
قوله: يُغَشِّيَها، من الغِشاء كالغِطاء وزناً ومعنًى، أي: يشملُها ويعمُّها، وضمير المؤنث للإبل، وهو في وصف كريم بادرَ يعقرُ إبلَه لضيوفه، والعَضْبُ: السيف، والأسْوُق جمع قلة لساق. وهو ما بين الرُّكبة والقدم، وجائر من جارَ في حكمه إذا ظلم. قاله البغدادي. وروايتُه في الخزانة: يُعَشِّيها، بالعين المهملة، قال: أي يُطعمها العَشاء. وهو في معاني الفراء ١/ ٢١٣ برواية: بِتُّ أُعَشِّيها.
(٢) الكشاف ٤/ ١٣٨.

قلت: لأنَّ أصلَ الطيرانِ هو صفُّ الأجنحة لأن الطيران في الهواء كالسِّباحةِ في الماء، والأصلُ في السِّباحة مَدُّ الأطراف وبَسْطُها، وأمَّا القبضُ فطارئٌ على البَسط للاستظهارِ به على التحرُّك، فجيءَ بما هو طارئٌ غيرُ أصيلٍ بلفظِ الفعل على معنى أنهنَّ صافَّات، ويكون منهن القبضُ تارةً بعد تارةٍ كما يكون من السابح. انتهى.

وملخَّصُهُ أنَّ الغالبَ هو البَسْط، فكأنه هو الثابت، فعبَّر عنه بالاسم، والقبض متجدِّدٌ، فعبَّر عنه بالفعل.

﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ أي: بقدرته.

قال الزمخشري: وبما دَبَّرَ لهنَّ من القَوَادم والخَوَافي[1]، وبَنَى الأجسامَ على شكلٍ وخصائصَ قد تَأَتَّى منها الجَرْيُ في الجوّ.

﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ يعلم كيف يخلقُ وكيف يُدَبِّر العجائبَ. انتهى.

وفيه نزوعٌ إلى قول أهل الطبيعة. ونحن نقولُ: إنَّ أثْقَلَ الأشياءِ إذا أرادَ إمساكَها في الهواء واستعلاءَها إلى العرش كان ذلك، وإذا أرادَ إنزالَ ما هو أخفُّ سُفْلاً إلى منتهى ما ينزل كان، وليس ذلك معذوقاً بشكلٍ لا من ثقلٍ ولا خِفَّة[2].

وقرأ الجمهور: «ما يُمسِكُهُنَّ» مخفَّفاً، والزُّهريُّ مشدَّداً[3].

وقرأ الجمهور: «أَمَّنْ» بإدغام ميم «أمْ» في ميم «مَنْ» إذ الأصلُ: أمْ مَنْ، و«أمْ» هنا بمعنى «بل» خاصَّة، لأن الذي بعدَها هو اسم استفهام في موضع رفع على الابتداء، و«هذا» خبر، والمعنى: مَنْ هو ناصِرُكم إنِ ابتلاكم بعذابِه؟ وكذلك: مَنْ

---

(١) القوادم: أربعُ أو عشرُ ريشات في مقدَّم الجناح، الواحدة قادمة، والخوافي: رِيشاتٌ إذا ضمَّ الطائر جناحه خَفِيَتْ، الواحدة خافية. ينظر القاموس.

(٢) ذكر الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٣١٥ نحواً من كلام الزمخشري السالف، ثم بيَّن أنه ليس فيه نُزوعٌ إلى أقوال أهل الطبيعة لأنَّ الإمساكَ بسببِ ما برأهنَّ الله عزَّ وجل على أشكالٍ وخصائصَ وإلهامَهنَّ تلك الحركاتِ هو من آثار رحمته تعالى. وقال: اقتضَتْ حِكْمَتُهُ تعالى في هذا العالَم ذلك الرَّبطَ، وهو أمرٌ عاديّ اختارَه اللهُ تعالى حكمةً وتفضُّلاً، ولو شاءَ جلَّ وعلا غَيْرَه لكان كما شاء.

(٣) القراءات الشاذة ص١٥٩.

هو رازقُكم إن أمسكَ رزقَه؟ والمعنى: لا أحدَ ينصرُكم ولا يرزقُكم.

وقرأ طلحة: «أمَنْ» بتخفيف الميم، وثَقَّلَها في الثانية كالجماعة[1].

قال صاحب «اللوامح»: ومعناه: أهذا الذي هو جندٌ لكم ينصركم، أمِ الذي يرزقُكم؟ فلفظُه لفظُ الاستفهام ومعناه التقريعُ والتوبيخ. انتهى.

﴿بَل لَّجُّوا﴾: تمادَوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: في تكبُّرٍ وعِناد ﴿وَنُفُورٍ﴾: شِرادٍ عن الحق لثِقَله عليهم.

وقيل: «هذا» إشارة إلى أصنامهم[2].

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ قال قتادة: نزلَت مُخبِرةً عن حال القيامة، وأنَّ الكفارَ يمشون فيها على وجوههم، والمؤمنون يمشون على استقامة[3].

وقيل للنبيِّ ﷺ: كيف يمشي الكافرُ على وجهه؟ فقال: «إنَّ الذي أمشاه في الدُّنيا على رجليه قادرٌ أن يُمْشِيَهُ في الآخرة على وجهه»[4]. فالمشيُ على قول قتادة حقيقة.

وقيل: هو مجاز، ضربَ مثلاً للكافر والمؤمن في الدنيا، فقيل: عامٌّ ـ وهو قولُ ابنِ عبَّاس ومجاهد والضحَّاك ـ نزلت فيهما.

وقال ابن عباس أيضاً: نزلت في أبي جهل والرسول عليه الصلاة والسلام.

وقيل: في أبي جهل وحمزة[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢. وتحرَّف قوله: «وثَقَّلَها في» في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع إلى: «ونقلها إلى».

(٢) الكشاف ٤/ ١٣٩، قال الزمخشري: ونحوه قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ [الأنبياء: ٤٣].

(٣) بنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٣-١٣٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٢، وبلفظه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢.

(٤) بنحوه في صحيح البخاري (٤٧٦٠) ومسلم (٢٨٠٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظه من المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢، وهو أقربُ للفظ أحمد في المسند (١٣٣٩٢).

(٥) ينظر ما سلف من أقوال مفرَّقاً في تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٣، والكشاف ٤/ ١٣٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٢ وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٢٩-٤٣٠.

والمعنى أنَّ الكافرَ في اضطرابه وتعسُّفه في عقيدته وتشابه الأمر عليه كالماضي في انخفاضٍ وارتفاعٍ، كالأعمى يتعثَّرُ كلَّ ساعة فيخرُّ لوجهه. وأمَّا المؤمن فإنه لطمأنينة قلبه بالإيمان وكونه قد وضَحَ له الحقُّ كالماشي صحيحَ البصر مستوياً لا ينحرفُ على طريقٍ واضحِ الاستقامة لا حُزُونَ فيها[1]، فآلةُ نَظَره صحيحة، ومَسْلَكُه لا صعوبةَ فيه.

و«مُكِبًّا» حال من «أَكَبَّ»، وهو لا يتعدَّى، و«كَبَّ» متعدٍّ، قال تعالى: ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] والهمزةُ فيه للدخول في الشيء، أو للصيرورة، ومطاوع «كَبَّ»: «انكب» تقول: كببتُه فانكبَّ.

وقال الزمخشريّ[2]: ولا شيءَ من بناء «أفعلَ» مطاوعاً، ولا يُتْقِنُ نحوَ هذا إلّا حَمَلَةُ كتاب سيبويه. انتهى.

وهذا الرجلُ كثيرُ التبجُّحِ بكتاب سيبويه، وكم نصٍّ في كتاب سيبويه عميَ بصرُه وبصيرتُه عنه، حتى إنَّ الإمام أبا الحجّاج يوسف بن معزوز[3] صنَّفَ كتاباً يذكرُ فيه ما غَلِطَ فيه الزمخشريّ وما جَهِلَه من نصوص كتاب سيبويه[4].

و«أَهْدَى» أفعل تفضيل من الهُدَى في الظاهر، وهو نظير: العَسَلُ أحْلَى أم الخَلُّ[5]؟! وهذا الاستفهامُ لا تُرادُ حقيقتُه، بل المرادُ منه أنَّ كلَّ سامعٍ يُجيبُ بأنَّ الماشيَ سَوِيًّا على صراط مستقيم أَهْدَى.

---

(١) حُزُون جمع حَزْن، وهو ما غَلُظَ من الأرض. ووقع في (ت): غَوْر، بدل: حُزُون.

(٢) الكشاف ٣/ ١٣٩.

(٣) القيسيّ، أستاذٌ أديبٌ نحويّ، ألَّفَ شرح الإيضاح للفارسيّ، والردّ على الزمخشري في «مفصَّله» وغير ذلك، مات بمُرْسِيَة في حدود سنة (٦٢٥). بغية الوعاة ٢/ ٣٦٢.

(٤) استغرب السمين في الدر المصون ١٠/ ٣٩٣ كلامَ أبي حيَّانَ هذا، وكيف أنه أخذ كلام الزمخشري وطرَّزَ به عبارتَه، ثم أخذَ يُنحي عليه بإساءة الأدب جزاءَ ما لقَّنَه تلك الكلمات، ثم أخذ يذكر عن إنسان ـ هو مع أبي القاسم كالسُّهَا مع القمر ـ أنه غَلَّطَهُ في نصوص كتاب سيبويه، الله أعلم بصحَّتها. ثم قال: وعلى تقدير التسليم؛ فالفاضلُ مَنْ عُدَّتْ سَقَطاتُه. انتهى. وقوله: السُّهَا: نجم خفيٌّ خافت.

(٥) أي العسل في حلاوته أميزُ من الخلّ في حموضته، وسلف في البقرة (٥٤) (٢٢٢) والنساء (٨٤).

وانتصبَ «قليلاً» على أنه نعت لمصدر محذوف، و«ما» زائدة، و«تشكرون» مستأنف، أو حال مقدَّرة[(١)]، أي: تشكرون شكراً قليلاً.

وقال ابنُ عطية: ظاهرُه أنهم يشكرون قليلاً، وما عسى أن يكون للكافرِ من شكر[(٢)]، وهو قليل غير نافع، وإمَّا أن يريد به نفيَ الشُّكر جملةً، فعَبَّرَ بالقلَّة، كما تقول العرب هذه أرضٌ قلَّما تُنبِتُ كذا، وهي لا تُنبتُه البتَّة. انتهى.

وتقدَّم نظيرُ قوله والردُّ عليه في ذلك.

﴿ذَرَأَكُمْ﴾: بَثَّكُمْ، والحشرُ: البعثُ.

والوعدُ المشارُ إليه هو وعدُ يوم القيامة، أي: متى إنجازُ هذا الوعدِ؟

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ أي: رأوا العذابَ، وهو الموعودُ به زُلْفةً، أي: قُرْباً، أي: ذا قُرب، وقال الحسن: عِياناً، وقال ابنُ زيد: حاضراً[(٣)].

وقيل: التقدير مكاناً ذا زُلْفة، فانتصبَ على الظرف[(٤)].

﴿سِيٓـَٔتْ﴾ أي: ساءَتْ رؤيتُه وجوهَهم، وظهرَ فيها السُّوءُ والكآبة، وغَشِيَها السَّواد كمن يُساق إلى القتل[(٥)].

وأخلصَ الجمهورُ كسرة السين، وأشمَّها الضمَّ أبو جعفر والحسنُ وأبو رجاء وشيبة وابنُ وثَّاب وطلحة وابنُ عامر ونافع والكسائيّ[(٦)].

«وقيل» أي: تقولُ لهم الزَّبانية ومن يُوبِّخُهم.

---

(١) لأنهم حالَ الجَعْلِ غيرُ شاكرين. قاله السمين في الدر المصون ١٠/ ٣٩٤.

(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣ (والكلام منه): فهذا إما أن يريد به ما عسى أن يكون للكافر من شكر... إلخ، ووقع في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: للكافرين، بدل: للكافر من.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٥-١٣٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣١.

(٤) الكشاف ٤/ ١٣٩.

(٥) المصدر السالف.

(٦) التيسير ص١٢٥ عن نافع وابن عامر والكسائي، وهم من السبعة، والنشر ٢/ ٢٠٨ عن أبي جعفر، وهو من العشرة. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣، قال القرطبي ٢١/ ١٣٢: من ضَمَّ لاحَظَ الأصلَ.

وقرأ الجمهور: «تَدَّعُونَ» بشدّ الدال مفتوحة، فقيل: من الدَّعْوَى؛ قال الحسن: تَدَّعُون أنه لا جنةٌ ولا نار[١].

وقيل: تطلبُون وتستعجلون، وهو من الدُّعاء، ويقوِّي هذا القولَ قراءةُ أبي رجاء والضحَّاك والحسن وقتادة وابنِ يسارٍ عبدِ الله[٢] بنِ مسلم وسلَّام ويعقوب: «تَدْعُون» بسكون الدال، وهي قراءة ابنِ أبي عَبْلَة وأبي زيد وعِصْمَة عن أبي بكر والأصمعيّ[٣] عن نافع[٤]، رُوِيَ أنَّ الكفار كانوا يَدْعُون على الرسول ﷺ وأصحابه بالهلاك[٥].

وقيل: كانوا يَتَوَامَرون[٦] بينهم بأنْ يُهلكوهم بالقتل ونحوِه، فأُمِرَ أن يقول: إنْ أهلكَنا الله كما تُريدون، أو رَحِمَنا بالنصرِ عليكم، فمن يحميكم[٧] من العذاب الذي سببهُ كفرُكم؟

ولما قال: «أو رَحِمَنا» قال: «هو الرحمن»، ثم ذكرَ ما به النجاةُ، وهو الإيمانُ والتفويضُ إلى الله تعالى.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣.

(٢) في (ت): وعبد الله (وكذا وقع في روح المعاني ٢٧/ ٣٢٤)؛ وهو خطأ، فهو عبد الله بن مسلم بن يسار، كما في المحتسب ٢/ ٣٢٥.

(٣) في (ت): الأعمش.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٧، والقراءات الشاذة ص١٥٩، والمحتسب ٢/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣، وزاد المسير ٨/ ٣٢٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٢. وقراءة يعقوب هذه من العشرة كما في النشر ٢/ ٣٨٩.

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣، وفي تفسير الطبري ٢٣/ ١٣٧ عن قتادة قال: كانوا يَدْعون بالعذاب، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

(٦) هو على تخفيف الهمز من «يتآمرون» (وهي لفظة المطبوع)، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٣ (والكلام فيه بنحوه): يَتَرامَوْن.

(٧) في المصدر السالف: يُجِيرُكم.

وقرأ الجمهور: «فستعلمون» بتاء الخطاب، والكسائي بياء الغيبة(١) نظراً إلى قوله: ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ولمّا ذكر العذاب وهو مطلق، ذكر فقد ما به حياة النفوس، وهو الماء، وهو عذاب مخصوص.

والغور مشروح في «الكهف» [٤١]، والمعين في «قد أفلح» [٥٠].

وجواب «إن أهلكني»: «فمن يجير»، وجواب «إن أصبح»: «فمن يأتيكم».

وتُلِيَت هذه الآية عند بعض المستهزئين فقال: تجيءُ به الفؤوس والمعَاوِل. فذهب ماء عينيه(٢)!

(١) السبعة ص٦٤٤، والتيسير ص٢١٢.
(٢) الكشاف ٤/ ١٤٠.

مفردات سورة القلم

المَهِين؛ قال الرُّمَّانيّ: الوَضيعُ؛ لإكثارِه من القبيح[1]، من المَهَانة، وهي القِلَّة.

الهَمْزُ أصلُه في اللغة الضربُ طعناً باليد أو بالعصا أو نحوِها، ثم استُعير للذي ينالُ بلسانِه، قال القاضي منذر بن سعيد: وبعينِه وإشارته[2].

النَّميم والنَّميمة مصدران لـ «نَمَّ»، وهو نَقْلُ ما يسمعُ ممَّا يسوءُ ويُحَرِّشُ النُّفوس. وقيل: النَّميم جمع نَميمة، يريدون به اسمَ الجنس.

العُتُلُّ؛ قال الكلبيّ والفرَّاء: الشديدُ الخُصومةِ بالباطل، وقال معمر: هو الفاحشُ اللئيم[3]، قال الشاعر:

بِعُتُلٍّ من الرِّجالِ زَنِيمٍ ... غيرِ ذي نَجْدَةٍ وغيرِ كريمِ[4]

وقيل: الذي يَعْتِلُ الناسَ، أي: يَجُرُّهم إلى حَبْسٍ أو عذابٍ، ومنه: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ [الدخان: ٤٧] قال ابنُ السكِّيت: عتلتُه وعتنتُه، باللام والنون[5].

الزَّنيم الدَّعيّ؛ قال حسَّان:

زَنيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيادةً ... كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارِعُ[6]

---

(١) في المطبوع: القبائح. والكلام في تفسير القرطبي ٢١/١٤٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣٤٧.

(٣) النكت والعيون ٦/٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٠-١٥١، وقول الفراء في معانيه ٣/١٧٣.

(٤) المصدران السالفان الأولان.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/١٥١، وفيه: عَتَلَهُ وعَتَنَهُ، والقولُ الذي قبله فيه وفي النكت والعيون ٦/ ٦٤.

(٦) ونُسب لحسان أيضاً في الكامل ٣/١١٤٦، والمحرر الوجيز ٥/٣٤٨، وليس هو في ديوان

وقال أيضاً:

وأنتَ زنيمٌ نِيطَ في آلِ هاشمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[(١)]

والزَّنيم من الزَّنَمة، وهي الهَنَةُ من جِلد الماعزة[(٢)] تُقطع، فتُخَلَّى معلَّقةً في حَلْقِها[(٣)]؛ سُمِّيَ الدَّعِيُّ بذلك لأنه زيادةٌ معلَّقة بغيرِ أهلِهِ.

وَسَمه: جَعلَ له سِمَةً، وهي العلامةُ تدلُّ على شيء، قال جرير:

لـمَّا وضعتُ على الفَرَزْدقِ مِيسَمِي وعلى البَعِيثِ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ[(٤)]

الخُرْطُوم: الأنف، والخُرطُومُ من صفات الخمر، قال الشاعر:

قد أشهدَ الشَّرْبَ فيهم مِزْهَرٌ رَنِمٌ والقومُ تصرعُهُمْ صَهْبَاءُ خُرْطُومُ[(٥)]

قال الشَّنْتَمِريّ: الخُرطُومُ أولُ خروجِها من الدَّنِّ، ويقال لها: الأنف أيضاً، وذلك أصْفَى لها وأرَقُّ[(٦)].

= حسان، ونُسب للخَطِيم التميمي في سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١، واللسان (زنم). قال ابن منظور: وجدتُ حاشيةً صورتُها: الأعْرَفُ أن هذا البيت لحسان... ثم أورد عن ابن عباس أنه أنشده لحسان عندما سُئِل عن معنى قوله: «زنيم».

(١) ديوان حسان ص٢١٦ (بشرح البرقوقي). قوله: نِيطَ، أي: عُلِّقَ.

(٢) في (أ) و(ت) والمطبوع: الماعز. والكلام في الكشاف ٤/ ١٤٣.

(٣) في المطبوع: حَلْقِه. وفي تفسير البيضاوي ٨/ ٢٢٨ (بهامش حاشية الشهاب): «زَنِيم» مأخوذٌ من زَنَمتَي الشاة، وهما المتدلِّيتان من أُذُنها وحَلْقِها. وقال الشهاب: الزَّنَمةُ ـ بفتحات ـ ما يتدلَّى في حَلْق المعز، والفَلْقةُ من أذنهِ تُشَقُّ فتترك معلَّقةً، فشُبِّهَ من انتسبَ لغير أبيه بذلك.

(٤) ديوان جرير ٢/ ٩٤٠، وفيه: وضَغَا البَعِيث، بدل: وعلى البَعِيث. واسم البَعِيث: خِداش بن بشر، ذكره ابن سلَّام في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٣ (في الطبقة الثانية من طبقات الإسلام). قوله: ضَغَا، أي: صاحَ من الألم.

(٥) البيت لعلقمة بن عَبَدَة الفحل، وهو في ديوانه ص٦٨ (بشرح الشنتمري)، وهو في الأغاني ٢١/ ١٩٩ برواية: مِزهرٌ صَدِحٌ. قوله: مِزْهر: العُودُ يُضرب به، والشَّرْب: جماعة الشاربين، ورَنِمٌ: المُصَوِّت المترنِّم.

(٦) شرح ديوان علقمة للشنتمري السالف، وقال السمين الحلبي في الدُّرّ المصون ١٠/ ٤٠٨: =

وقال النَّضرُ بنُ شُمَيْل: الخُرطُومُ الخمر[1]. وأنشدَ للأعرج المَعْنِيّ:

تَـظَـلُّ يـومَـكَ فـي لـهـوٍ وفـي لـعـبٍ   وأنـتَ بـالـلـيـلِ شَرَّابُ الـخَـرَاطِـيـمِ[2]

الصِّرَامُ: جِدَادُ النَّخل.

الحَرْدُ: المنعُ، من قولهم حارَدَتِ الإبلُ: إذا قلَّتْ ألبانُها، وحارَدَتِ السَّنَةُ: قَلَّ مطرُها وخيرُها، قاله أبو عُبيدة والقُتبي[3].

والحَرْدُ: الغَضَب؛ قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي: وهو مخفَّف، وأنشد:

إذا جِـيـادُ الـخـيـلِ جـاءَتْ تَـرْدِي   مـمـلـوءةً مـن غَـضَـبٍ وحَـرْدِ[4]

وقال الأشهب بن رُمَيْلَة:

أُسُـودُ شَـرًى لاقَـتْ أُسُـودَ خَـفِـيَّـةٍ   تَـسـاقَـوْا عـلـى حَرْدٍ دِمـاءَ الأسـاوِدِ[5]

= جُعلت كالأنف لأنه أوَّلُ ما يبدو من الوجه، فليست الخرطومُ الخمرَ مطلقاً. انتهى. والدَّنُّ: وعاءٌ كبير للخمر وغيرِها.

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٥، والكشاف ٤/ ١٤٣، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٨. ويكون معنى الآية على هذا: سنحدُّه على شرب الخمر، واستبعدَه المصنِّف كما سيرد، وذكر الزمخشري أنه تعسُّف.

(٢) المصادر السالفة (إلا الكشاف) دون نسبة، وفيها: طَرَبٍ، بدل: لعبٍ. والأعرج المَعْنِيّ: هو عديّ بن عمرو بن سويد الطائي، مخضرم، ينظر معجم الشعراء ص٨٥.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩. ووقع في النسخ الخطية والمطبوع: أبو عبيد، والمثبت من تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦-١٦٧ والكلام منه، وبنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٣٧. وقد ردَّ الطبري هذا القول في تفسيره ٢٣/ ١٧٨-١٧٩.

(٤) الرَّجز لقَبِيصة بن النصراني كما في الحماسة ٢/ ٦٢٤ (بشرح المرزوقي). والرَّدَيان: ضَرْبٌ من المشي. قاله المرزوقي.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٧٨، والكامل ١/ ٧٤، والزاهر ١/ ٤٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وزاد المسير ٨/ ٣٣٧. قال الجوهري في الصحاح (شرى): الشَّرَى: طريقٌ في سَلْمى كثيرة الأُسْد، وقال في مادَّة (خفى): قولُهم أُسُودُ خَفِيَّة، كقولهم: =

وقال ابن السكِّيت[1]: وقد يحرَّك، تقول: حَرِدَ - بالكسر - حَرَداً، فهو حَرْدان، ومنه قيل: أَسَدٌ حارِدٌ ولُيُوثٌ حَوَارِد، والحَرْدُ: الانفراد، حَرَدَ يَحْرِدُ حُرُوداً: تنحَّى عن قومه ونَزَلَ منفرداً ولم يُخالطهم، وكوكب حَرُودٌ[2]: معتزلٌ عن الكواكب.

وقال الأصمعيّ: المُنْحَرِدُ: المُنفردُ في لغة هُذيل. انتهى.

والحَرْدُ القَصْدُ، حَرَدَ يَحْرِدُ، بالكسر: قَصَدَ، ومنه: حَرَدْتَ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتَ قَصْدَكَ، ومنه قول الشاعر:

أقبلَ سَيْلٌ جاءَ من عندِ اللهْ[3] يَحْرِدُ حَرْدَ الجنَّةِ المُغِلَّهْ[4]

* * *

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ

= أُسود حَلْيَة، وهما مأسَدَتان. اهـ. وينظر معجم البلدان ٢/ ٣٨٠ و٣/ ٣٣٠. والمراد بالأساود الشجعان، كما في خزانة الأدب ٦/ ٢٩، وفيه استيفاء شرحه.

(١) نقله عنه الجوهري في الصحاح (حرد) والقرطبي في تفسيره ٢١/ ١٦٧، ولم أقف عليه في إصلاح المنطق.

(٢) في الصحاح (حرد) والكلام فيه (ونقله القرطبي ٢١/ ١٦٦-١٦٧): كوكب حَرِيدٌ. وكذا في المعاجم الأخرى، وفي الدر المصون ١٠/ ٤١٣: كوكب حارد، ولم أقف على من ذكرها.

(٣) في المطبوع: وجاء سيلٌ كان من أمرِ الله. وهي رواية الفراء في معانيه ٣/ ١٧٦، ونقله عنه صاحب الخزانة ١٠/ ٣٦٠.

(٤) إصلاح المنطق ص٥٥، والكامل ١/ ٧٤، والصحاح (حرد) وهو برواية المصنف في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦، وجاء في ضرائر الشعر لابن عصفور ص١٣٢ شاهداً على حذف الألف من اسم الله، وردَّه أبو حاتم كما في الخزانة ١٠/ ٣٦٠.

﴿فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ
﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾
كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

هذه السورة مكيَّة، قال ابن عطية[1]: ولا خلافَ فيها بين أحدٍ من أهل التأويل. انتهى.

ومعظمُها نزلَ في الوليد بن المغيرة وأبي جهل.

ومناسبتُها لِما قبلَها أنَّه فيما قبلَها ذكرَ أشياءَ من أحوال السُّعداءِ والأشقياء، وذكر قدرتَه الباهرة وعلمَه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسفَ بهم، أو لأرسلَ عليهم حاصباً، وكان ما أخبرَ تعالى به هو ما تَلَقَّفَهُ رسولُ الله ﷺ بالوحي، وكانَ الكفارُ ينسُبُونه مرَّةً إلى الشِّعر، ومرَّةً إلى السِّحر، ومرَّة إلى الجنون، فبدأ سبحانَه وتعالى هذه السورة ببراءته ممَّا كانوا ينسُبُونه إليه من الجنون، وتعظيم أجرِه على صبرِه على أذاهم، وبالثناء على خُلُقِه العظيم.

«ن» حرفٌ من حروف المعجم، نحو: «ص» و«ق»، وهو غيرُ معرب كبعض الحروف التي جاءت مع غيرها مهملةً من العوامل، والحكمُ على موضعها بالإعراب تخرُّص.

وما يُروى عن ابن عبَّاس ومجاهدٍ أنه اسمُ الحُوتِ الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وعن ابن عباس أيضاً والحسن وقتادة والضحاك أنه اسمُ الدَّواة، وعن

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥.

معاوية بن قُرَّة يرفعُه أنه لوحٌ من نور، وعن ابن عباس أيضاً أنه آخِرُ حرف من حروف الرحمن. قال: الر، وحم، ونون، جاءت حروفاً مقطعة[١]، وعن جعفر الصادق أنه نهرٌ من أنهار الجنة؛ لعلَّه لا يصحُّ شيء من ذلك[٢].

وقال أبو نصر عبد الرحمن القُشيري في «تفسيره»: «ن» حرفٌ لم يُعرب، والمعروفُ أنه حرفٌ[٣] من حروف المعجم، فلو كان كلمةً تامَّةً أُعرِبَ كما أُعرِبَ القلم، فهو إذن حرفُ هجاء كما في سائر مفاتيح السور. انتهى.

ومن قال: إنه اسمُ الدَّواة أو الحوت، وزعمَ أنه مُقْسَمٌ به كالقلم؛ فإن كان عَلَماً فينبغي أن يُجَرَّ، فإنْ كان مؤنثاً مُنِعَ الصَّرفَ، أو مذكَّراً صُرِفَ، وإن كان جنساً أُعرِبَ ونُوِّنَ، وليس فيه شيء من ذلك، فضُعِّفَ القولُ به[٤].

وقال ابنُ عطية: إذا كان اسماً للدَّواة فإمَّا أن يكون لغةً لبعضِ العرب، أو لفظةً أعجميةً عُرِّبَتْ، قال الشاعر:

إذا ما الشَّوْقُ بَرَّحَ بي إليهمْ ... أَلَقْتُ النونَ بالدَّمعِ السَّجُومِ[٥]

فمَنْ جعلَه البَهْمُوتَ جعلَ القلمَ[٦] هو الذي خلقَه الله، وأمرَه بكتب الكائنات، وجَعلَ الضميرَ في «يَسْطُرُون» للملائكة.

(١) قوله: قال الر، وحم... إلى هذا الموضع، من (يه)، وهو كذلك في تفسير القرطبي ٢١/ ١٣٧، وبنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥.

(٢) تنظر هذه الأخبار في تفسير الطبري ٢٣/ ١٤١-١٤٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٥-٢٤٦، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٦-١٣٨.

(٣) قوله: «لم يُعرب والمعروف أنه حرف» من (يه) وهو أيضاً في تفسير القرطبي ٢١/ ١٣٨ والقول فيه بتقديم وتأخير.

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٤٠-١٤١.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ (والكلام منه) وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٧. وفي (ع) و(يه): الشجون، بدل: السَّجوم. وقوله: أَلَقْتُ النونَ، أي: جعلتُ لها لِيقَةً (صوفةً فيها المِداد).

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ (والكلام منه): فمن قال: إنه اسمُ الحوت جعل القلم... الخ. والبَهْمُوت: اسم الحوت في قول الكلبي ومقاتل، كما في تفسير القرطبي ٢١/ ١٣٧.

ومن قال: هو اسمٌ للدَّواة جَعَلَ القلمَ المتعارفَ[1] بأيدي الناس، نصَّ على ذلك ابنُ عباس، وجعلَ الضمير في «يَسْطُرون» للناس، فجاء القَسَمُ على هذا بمجموع أُمِّ الكتاب[2] الذي هو قِوامٌ للعلوم وأمورِ الدنيا والآخرة، فإن القلم أخو اللسان ومَطِيَّةُ الفِطْنة[3]، ونعمةٌ من الله عامَّة. انتهى.

وقرأ الجمهور «ن» بسكون النون وإدغامها في واو «والقلم» بغنَّة، وقومٌ بغير غنَّة، وأظهرَها حمزةُ وأبو عَمرو وابنُ كثير وقالون وحفص[4].

وقرأ ابنُ عباس وابنُ أبي إسحاق والحسنُ وأبو السَّمَّال بكسر النون لالتقاء الساكنين[5]، وسعيدُ بنُ جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها[6]، فاحتملَ أن تكون حركةَ إعراب، وهو اسمٌ للسورة، أقسمَ به وحُذف حرفُ الجرّ، فانتصبَ ومُنع الصرفَ للعلمية والتأنيث، ويكون «والقلم» معطوفاً عليه.

واحتمل أن يكون لالتقاء الساكنين وأوثر الفتح تخفيفاً كـ «أيْنَ».

و«ما» يحتمل أن تكون موصولة ومصدرية، والضمير في «يَسْطُرون» عائدٌ على الكُتَّاب لدلالةِ القلمِ عليهم، فإمَّا أنْ يُرادَ بهم الحفَظَة، وإمَّا أنْ يرادَ كلُّ كاتب.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يُرادَ بالقلم أصحابُه، فيكون الضمير في «يَسْطُرُون» لهم، كأنه قيل: وأصحابِ القلم ومَسْطُورَاتِهم أو سَطْرِهِم[7]. انتهى.

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥: جعل القلمَ هذا المتعارفَ. . . إلخ.
(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: على هذا المجموع أمر الكتاب. والتصويب من المصدر السالف.
(٣) قوله: ومطيَّة الفِطْنَة، من (يه)، وهو في المصدر السالف، والكلام منه.
(٤) ينظر التيسير ص١٨٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥.
(٥) القراءات الشاذة ص١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥، ونُسبت القراءة في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ لابن عباس وأبي رَزِين وقتادة والأعمش.
(٦) القراءات الشاذة ص١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥. قال ابن عطية: المعنى: اذكُرْ نونَ. وجاء في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ عن الحسن وأبي عمران وأبي نَهِيك: «نُ» بالضم.
(٧) المثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٤١، والكلام منه، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: تسطيرهم.

فيكون كقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور: ٤٠] أي: وكذي ظلمات، ولهذا عادَ عليه الضميرُ في قوله: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾.

وجواب القسم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ويظهر أنَّ «بنعمةِ ربِّك» قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحُكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه ﷺ.

وقال ابن عطية[1]: «بنعمةِ ربِّك» اعتراض كما تقول للإنسان: أنتَ ـ بحمد الله ـ فاضلٌ. انتهى.

ولم يبيِّن ما تتعلَّق به الباء في «بنعمة».

وقال الزمخشريّ: يتعلَّق بـ«مجنون» منفيًّا كما يتعلَّق بـ«عاقل» مثبتاً في قولك: أنت بنعمة الله عاقل، مستوياً في ذلك الإثباتُ والنفيُ استواءَهما في قولك: ضربَ زيدٌ عَمراً، وما ضربَ زيدٌ عَمراً، تُعْمِلُ الفعلَ مُثبتاً ومنفيًّا إعمالاً واحداً، ومحلُّه النصبُ على الحال، كأنه قيل[2]: ما أنت بمجنونٍ مُنْعَماً عليك بذلك، ولم تمنع الباء أن يعمل «مجنون» فيما قبلَه؛ لأنها زائدة لتأكيد النفي. والمعنى استبعادُ ما كان ينسُبه إليه كفارُ مكةَ عداوةً وحَسَداً، وأنه من إنعام الله تعالى عليه بحصافةِ العقل والشَّهامة التي يقتضيها التأهيلُ للنبوَّة بمنزلة. انتهى.

وما ذهب إليه الزمخشريّ من أنَّ «بنعمةِ ربِّك» متعلِّق بـ«مجنون» وأنه في موضع الحال، يحتاجُ إلى تأمُّل، وذلك أنه إذا تسلَّط النفيُ على محكوم به، وذلك له معمول؛ ففي ذلك طريقان: أحدُهما أنَّ النفيَ يتسلَّط على ذلك المعمول فقط، والآخرُ أن يتسلَّط النفيُ على المحكوم به، فينتفي معمولُه لانتفائه، بيانُ ذلك تقول: ما زيدٌ قائمٌ مسرعاً، فالمُتبادِرُ إلى الذِّهن أنه منتفٍ إسراعُه دون قيامِه، فيكون قد قامَ غيرَ مسرع، والوجهُ الآخرُ أنه انتفى قيامُه فانتفى إسراعُه، أي: لا قيامَ فلا إسراعَ، وهذا الذي قرَّرْناه لا يتأتَّى معه قول الزمخشريّ بوجه، بل يؤدِّي إلى

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٦.
(٢) في الكشاف ٤/١٤١ (والكلام منه): كأنه قال.

ما لا يجوزُ أن يُنطق به في الحقِّ المعصوم ﷺ.

وقيل: معناه: ما أنتَ بمجنونٍ والنعمةُ لربِّك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك، أي: والحمدُ لله. ومنه قول لَبيد:

وأُفرِدْتُ في الدُّنيا بفَقْدِ عَشِيرتي ... وفارقَني جارٌ بأَرْبَدَ نافعُ[1]

أي: وهو أَرْبَد. انتهى. وهذا تفسيرُ معنًى لا تفسيرُ إعراب.

وفي «المنتخب»[2] ما ملخَّصُه: المعنى: انتفَى عنك الجنونُ بنِعْمَةِ رَبِّكَ، أي: حصُولُ الصفةِ المحمودة وزَوالُ[3] الصفةِ المذمومة بواسطة إنعامِ ربِّك.

ثم قَرَنَ[4] بهذه الدَّعوى ما هو كالدَّليل القاطعِ على صِحَّتها، لأنَّ نِعَمَهُ كانت ظاهرةً في حقِّه من كمالِ الفَصاحة والعقلِ والسِّيرةِ المَرْضِيَّة والبراءةِ من كلِّ عيب والاتِّصافِ بكلِّ مَكْرُمة، فحصولُ ذلك وظهورُه جارٍ مجرى اليقين في كونهم كاذبين في قولهم: إنه مجنون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ في احتمال طعنِهم، وفي دعاء الخلقِ إلى الله، فلا يَمنَعْك ما قالوا عن الدعاء إلى الله.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا كالتفسير لما تقدَّم من قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وتعريفٌ لمن رَماه بالجنون أنه كذبٌ وخطأٌ، وأنَّ مَن كان بتلك الأخلاقِ المَرْضِيَّة لا يُضاف

---

(١) ديوان لَبيد ص١٦٨ (بشرح الطُّوسي)، والبيت من قصيدة يرثي أخاه أَرْبَدَ، وروايتُه فيه: وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مَضِنَّةٍ ففارقَني... والرواية أعلاه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٩ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٠، والكلام فيهما. وقوله: جارِ مَضِنَّةٍ، أي: جارٍ يُضَنُّ به. قاله الطَّوسي.

(٢) ذكرَ المصنِّف هذا الكتاب عند تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة، ونسبه لأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المُرْسيّ، ولم أقف على من نسبه إليه عند غير المصنف، والكلام أعلاه بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٧٩-٨٠ دون نسبة، وتنظر ترجمة المُرْسيّ في معجم الأدباء ١٧/ ٢٠٩-٢١٢.

(٣) في المطبوع: وزال عنك، بدل: وزوال. والكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٧٩.

(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: قرَّر. والمثبت من المصدر السالف ٣٠/ ٨٠.

الجنونُ إليه، ولفظُه يدلُّ على الاستعلاء والاستيلاء[(١)]. انتهى.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي: على ما تحمَّلْتَ من أثقال النبوَّة ومِن أذاهُم ممَّا ينسُبون إليك ممَّا أنت لا تلتبسُ به من المعائب ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مقطوع، مَنَنْتُ الحبلَ قطعتُه، وقال الشاعر:

غُبْساً كواسِبُ لا يُمَنُّ طعامُها[(٢)]

أي: لا يُقطع.

وقال مجاهد: غير محسوب، وقال الحسن: غيرُ مُكَدَّرٍ بالمنّ، وقال الضحَّاك: بغير عمل، وقيل: غيرُ مقدَّر، وهو بمعنى قولِ مجاهد[(٣)].

وقال الزمخشريّ: أو غيرَ ممنُونٍ عليك لأنه ثوابٌ تستوجبُه على عملك وليس بتفضُّل ابتداءً، وإنما تُمَنُّ الفَواضِلُ لا الأجورُ على الأعمال. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال[(٤)].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابنُ عباس ومجاهد: دينٍ عظيم ليس دينٌ أحبَّ إلى الله تعالى منه[(٥)].

---

(١) يعني في قوله: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وعبارة تفسير الرازي ٣٠/ ٨١: وكلمة «على» للاستعلاء.

(٢) هو عجز بيت للَبِيد، وهو في ديوانه ص٣٠٨، وصدرُه: لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تنازعَ شِلْوَهُ، غُبْسٌ... الخ، بالرفع، وهو الصواب، وأما رواية المصنف «غُبْساً» ففي تفسير القرطبي ٢١/ ١٤١، وفيه عجز البيت فقط، وكذا وقع في «صحاح» الجوهري فيما ذكرَ ابنُ منظور في اللسان (منن)، وذكر أنَّ الجوهري غلطَ فيه، وينظر تمام كلام ابن منظور عليه ثمة، لكن البيت وردَ (وبتمامه) في مطبوع الصحاح على الجادّة، والله أعلم. قوله: لِمُعَفَّر، أي: من أجل مُعَفَّرٍ، وهذا المعفَّرُ (كما في القصيدة) ابنُ بقرة ـ وهو القَهْدُ ـ عُفِّر في التراب، وغُبْس، أي: ذئاب، من الغبَس، وهو لون الرماد.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٤٩، والنكت والعيون ٦/ ٦١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤١.

(٤) وذكر ابن المنير في الإنصاف (بهامش الكشاف ٤/ ١٤١) أن هذا الكلام سوء أدب من الزمخشري، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة». انتهى. وينظر صحيح مسلم (٢٨١٧-٢٨١٨).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤١، وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٩ مختصر.

وقالت عائشة: إنَّ خُلُقَهُ كان القرآن[١].

وقال عليّ: هو أدبُ القرآن[٢].

وقال قتادة: ما كان يأتمرُ به من أمرِ الله تعالى[٣].

وقيل: سُمِّيَ عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه[٤] من كَرَم السجيَّة وبَرَاعة[٥] القريحة والمَلَكةِ الجميلة وجُودة الضرائب[٦]، ما دعاه أحدٌ إلا قال: لبيك[٧].

وقال: «إن الله بعثني لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق»[٨].

ووصَّى أبا ذَرّ فقال: «وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن»[٩].

وعنه ﷺ: «ما من شيء يُوضَعُ في الميزان أثقلَ من خُلُقٍ حَسَن»[١٠]. وقال: «أحبُّكم إلى الله تعالى أحسنُكم أخلاقاً»[١١].

---

(١) هو قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم (٧٤٦).

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٢.

(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٣.

(٥) في المطبوع: ونزاهة.

(٦) جمع ضريبة، أي: الطبيعة والسَّجيَّة. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦.

(٧) جاء هذا الكلام ضمن حديث عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه عنها أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص١٧-١٨، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧١، وفي إسناده حسين بن علوان الكوفي، وهو متروك الحديث. ينظر ميزان الاعتدال ١/ ٤٩٥.

(٨) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٩٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنما بعثتُ...». وأخرجه عنه أحمد في المسند (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بعثت لأتمِّمَ صالح الأخلاق».

(٩) هو قطعة من حديثه رضي الله عنه، أخرجه أحمد في المسند (٢١٣٥٤) والترمذي في السنن (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(١٠) هو عن أبي الدرداء (وليس عن أبي ذر كما يقتضيه السياق) أخرجه أحمد (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وينظر سياق الكلام في تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٣.

(١١) هو بنحوه قطعة من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد (٨٨٢٢)، وتنظر بقية أحاديث الباب فيه.

والظاهر تعلق «بأيِّكم المفتون» بما قبلَه. وقال أبو عثمان المازنيُّ: تمَّ الكلامُ في قوله: «ويبصرون»، ثم استأنفَ قولَه: «بأيِّكم المفتون» انتهى. فيكون قوله: «بأيِّكم المفتون» استفهاماً يُرادُ به التَرداد بين أمرَيْن، معلومٌ نفيُ الحكم عن أحدهما ويُعيِّنُه الوجود[1]، وهو أنَّ المؤمن ليسَ بمفتونٍ ولا به فتون.

وإذا كان متعلِّقاً بما قبلَه - وهو قولُ الجمهور - فقال قتادة وأبو عبيدة معمر: الباء زائدة، والمعنى: أيُّكم المفتونُ[2]؟ وزيدت الباءُ في المبتدأ كما زيدت في قولهم: بحَسْبِكَ درهمٌ، أي: حَسْبُكَ.

وقال الحسن والضحَّاك والأخفش: الباء ليست بزائدة، والمفتون بمعنى الفتنة، أي: بأيِّكم هي الفتنةُ والفسادُ الذي سمَّوه جنوناً[3].

وقال الأخفش أيضاً: بأيِّكم فِتَنُ المفتون، حذفَ المضافَ وأقامَ المضافَ إليه مقامه[4]، ففي قولِه الأول جعلَ المفتون مصدراً، وهنا أبقاه اسمَ مفعول وتأوَّله على حذف مضاف.

وقال مجاهد والفرَّاء: الباء بمعنى «في»، أي: في أيِّ فريقٍ منكم النوعُ المفتون[5]؟ انتهى. فالباء ظرفية نحو: زيدٌ بالبصرة، أي: في البصرة، فيظهر من هذا القول أنَّ الباء في القول قبلَه ليست ظرفية، بل هي سببيَّة.

وقال الزمخشري[6]: المفتون: المجنون، لأنه فُتِنَ، أي: مُحِنَ بالجنون، أو

---

(١) أي: تعيُّنُ وجوده للآخَر، كما هي عبارة روح المعاني ٢٧/ ٣٣٧. وكلام المازني في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦.

(٢) بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٤، وردَّه الزجَّاج في معانيه ٥/ ٢٠٤-٢٠٥، وقال: الباء في «بأيكم المفتون» لا يجوز أن تكون لغواً. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٤-١٤٥.

(٣) القول في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٥ عن الحسن والضحَّاك.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٣، والكلام في المصدر السالف.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤١.

لأنَّ العرب يزعمون أنه من تخييل الجن، وهم الفُتَّاك المُفتَّاك منهم. انتهى.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَةَ: «في أيِّكم المفتون»[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ وعيدٌ للضال، وهم المجانين على الحقيقة حيث كانت لهم عقولٌ لم ينتفعوا بها ولا استعملوها في اتِّباع ما[2] جاءت به الرسل، أو يكون «أعلم» كناية عن جزاء الفريقين.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ أي: الذين كذَّبوا بما أنزلَ الله عليك من الوحي، وهذا نهيٌ عن طَواعِيَتِهم في شيء ممَّا دَعَوْه إليه[3] من تعظيم آلهتهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ «لَوْ» هنا على رأي بعض النحويين[4] مصدرية بمعنى «أنْ»، أي: ودُّوا إدهانَك[5].

وتقدَّم الكلامُ في ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ومذهبُ الجمهور أنَّ معمولَ «وَدَّ» محذوف، أي: وَدُّوا إدهانَك[6]، وحُذِف لدلالة ما بعدَه عليه، و«لَوْ» باقيةٌ على بابها من كونها حرفاً لما كان سيقعُ لوقوعِ غيرِه، وجوابُها محذوف تقديرُه: لَسُرُّوا بذلك.

وقال ابن عباس والضحَّاك وعطيَّة والسُّدِّيّ: «لو تُدْهِنُ» لو تكفرُ فيتمادَوْنَ على كفرهم.

وعن ابن عباسٍ أيضاً: لو تُرَخِّصُ لهم فيُرَخِّصون لك.

وقال قتادة: لو تَذْهَبُ عن هذا الأمر فيذهبون مَعَك.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٧.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: فيما، بدل: في اتِّباع ما. والمثبت من (ت) و(يه).

(٣) في (يه): إليهم.

(٤) في (أ) والمطبوع: البصريين، بدل: بعض النحويين، وهو خطأ.

(٥) في النسخ الخطية والمطبوع والنهر المادّ (بهامش مطبوع البحر ٨/ ٣٠٦): إدهانكم، وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة. وينظر التعليق التالي.

(٦) في (أ) و(ت) والمطبوع: إدهانكم، والمثبت من (ع) و(يه).

وقال الحسن: لو تُصانِعُهم في دينك فيصانعونك[١] في دينهم.

وقال زيد بنُ أسلم: لو تُنافق وتُرائي فينافقونك ويُراؤونك[٢].

وقال الرَّبيع بنُ أنس: لو تكذب فيكذبون.

وقال أبو جعفر: لو تَضعُفُ فيضعفون.

وقال الكلبيّ والفرَّاء: لو تَلِينُ فيلينون.

وقال أبان بن تغلب: لو تُحابي فيُحابون. وقالوا غير هذه الأقوال[٣].

وقال الفرَّاء: الإذهان التليين[٤].

وقال المفضَّل: النِّفاق وتركُ المناصحة[٥]، وهذا نقلُ أهل اللغة، وما قالوه لا يخرجُ عن ذلك، لأنَّ ما خالفَ ذلك هو تفسيرٌ باللازم.

و«فيُدْهِنُون» عطف على «تُدْهِنُ»، وقال الزمخشري[٦]: عُدِلَ به إلى طريق آخر، وهو أنْ جُعِلَ خبرَ مبتدأ محذوف، أي: فهم يُدْهِنُون، كقوله: ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] بمعنى: ودُّوا لو تُدْهِنُ فهم يدهنون حينئذٍ، أو: وَدُّوا إدْهانَك فهم الآن يُدْهِنُون لِطمعِهم في إدهانك. انتهى.

وجمهور المصاحف على إثبات النون، وقال هارون: إنه في بعض المصاحف: «فيُدْهِنُوا»[٧]، ولنصبه وجهان:

---

(١) في (ت) والمطبوع: فيصانعوك، وفي (أ): فيصانعون، والمثبت من (ع) و(يه).

(٢) في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧: فينافقون، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٧: فينافقون ويُراؤون.

(٣) ينظر ما سلف من أقوال مفرَّقةً في تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٦-١٥٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥١، والنكت والعيون ٦/ ٦٢، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠-٣٣١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٦-١٤٧.

(٤) بنحوه في معاني الفراء ٣/ ١٧٣، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٦ عنه: التليين لمن لا ينبغي له التليين.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٨، والمفضَّل: هو ابنُ سَلَمة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٢.

(٧) نقله عنه سيبويه في الكتاب ٣/ ٣٦، وجاء أيضاً عن سيبويه عن هارون في المصدر السالف. =

أحدُهما: أنه جواب «وَدُّوا» لتضمُّنِه معنى «لَيْتَ».

والثاني: أنه على توهُّم أنه نُطق بـ «أنْ» أي: وَدُّوا أن تُدْهِنَ فيدهنوا، فيكون عطفاً على التوهُّم، ولا يجيء هذا الوجه إلا على قول من جعلَ «لو» مصدرية بمعنى «أنْ».

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ تقدَّم تفسير «مَهِين» وما بعده في المفردات، وجاءت هذه الصفات صفاتِ مبالغة، ونُوسب فيها، فجاء «حَلَّاف»، وبعدَه «مَهِين» لأن النون فيها مع الميم تواخٍ[١]، ثم جاء «همَّازٍ مَشَّاءٍ بنميم» بصفتي المبالغة، ثم جاء: «منَّاع للخير مُعْتَدٍ أثيم»، فـ «مَنَّاع» و«أثيم» صفتا مبالغة.

والظاهرُ أنَّ «الخير» هنا يُراد به العُمومُ فيما يطلقُ عليه خير.

وقيل: الخيرُ هنا المالُ، يُريدُ: منَّاعٍ للمال، عَبَّرَ به عن الشُّحِّ.

«مُعْتَدٍ»[٢]: متجاوزِ الحدَّ في الظُّلم.

وفي حديث شدَّاد بن أوس: قلت - يعني لرسول الله ﷺ -: وما العُتُلُّ الزَّنيم؟ قال: «الرَّحِيبُ الجوف، الوثيرُ الخَلْق، الأكُولُ الشَّرُوب، الغَشُوم الظَّلُوم»[٣].

وقرأ الحسن: «عُتُلٌّ» برفع اللام[٤]، والجمهورُ بجرِّها.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قال الزمخشريّ: جعلَ جَفاءَهُ ودعوتَه أشدَّ مَعَايبِهِ، لأنّه إذا جفا وغلُظ طبعُه، قَسَا قلبُه، واجترأ على كلِّ معصية، ولأنَّ الغالبَ أنَّ النُّطفةَ إذا خَبُثَتْ

= وهارون: هو ابنُ موسى الأزدي، نحويُّ، ثقة صاحبُ قراءة، روى له الشيخان، ينظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١١٥.

(١) أي: تقارُب، فالنون في «مَهِين» في رأس الآية مناسِبةٌ للميم في رؤوس الآيات بعدها.

(٢) المثبت من (يه). وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: معناه، بدل: معتدٍ، وهو تحريف.

(٣) هو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٣ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٢، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٦٧ بأطول منه. وأخرجه أحمد في المسند (١٨٩٩١) بنحوه عن عبد الرحمن بن غُنْم. قوله: الوثير، من الوثارة، وهي كثرةُ الشحم. (اللسان «وثر» عن أبي زيد).

(٤) القراءات الشاذة ص١٥٩، والكشاف ٤/ ١٤٣ (وسيذكرها المصنف عنه).

خُبثَ الناشئُ منها، ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ ولدُ الزِّنى ولا ولدُه ولا ولدُ ولدِه»[(١)].

وقرأ الحسن: «عُتُلٌّ» رفعاً على الذَّمِّ، وهذه القراءة تقوية لما يدلُّ عليه «بَعْدَ ذَلِكَ».

وقال ابن عطية[(٢)]: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد ما وصفناه به، فهذا الترتيب إنما هو في قول الواصف، لا في حصول تلك الصفات في الموصوف، وإلا فكونه عُتُلًّا هو قبل كونه صاحب خيرٍ يمنعُه. انتهى.

والزَّنيم: المُلْصَقُ في القوم وليس منهم. قاله ابن عباس وغيره[(٣)].

وقيل: الزَّنيم: المُريبُ القبيحُ الأفعالِ[(٤)].

وعن ابن عباس أيضاً: الزَّنيم الذي له زَنَمَةٌ في عُنُقِه كزَنَمَةِ الشَّاة، وما كنَّا نعرفُ المشارَ إليه حتى نزلت فعرفناه بزَنَمتِه. انتهى[(٥)].

ورُوِيَ أنَّ الأخنسَ بنَ شَرِيقٍ كان بهذه الصفة، كان له زَنَمة[(٦)].

---

(١) الحديث في الكشاف ٤/١٤٣ (والكلام منه) وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من حديث أبي هريرة (١٥٦٤-١٥٦٦) وبنحوه من حديث ابن عمرو (١٥٦١-١٥٦٣) وذكر الاضطراب والاختلاف في روايتهما، وقال: ليس في هذه الأحاديث شيءٌ يصحُّ. وهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمُها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣٤٨.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٤، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٣، والمحرر الوجيز ٥/٣٤٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣، وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٢ دون نسبة، وقاله الفراء في معانيه ٣/ ١٧٣، ونقله عنه الرازي في تفسيره ٣٠/ ٨٤.

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨ عن بعض المفسرين.

(٥) المصدر السالف، وأخرج البخاري في صحيحه (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال: رجلٌ من قريش له زَنَمةٌ مثلُ زَنَمة الشاة. وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨، وذكر الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٥ عن الضحاك أن =

وروى ابنُ جُبير عن ابن عباس أنَّ الزَّنيم هو الذي يُعرف بالشرّ كما تُعرف الشاة بالزَّنَمة[1].

وعنه أيضاً: أنه المعروف بالأُبْنَة، وعنه أيضاً: أنه الظَّلُوم[2].

وعن عكرمة: هو اللئيم[3].

وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيِّب أنه ولد الزِّنى الملحَق في النسب بالقوم[4].

وكان الوليد دَعِيًّا في قريش ليس من سِنْخِهم، ادَّعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده[5].

وقال مجاهد: كانت له ستةُ أصابعَ في يده، في كل إبهام أُصبعٌ زائدة[6].

والذي يظهر أنَّ هذه الأوصاف ليست لمعيَّن، ألا ترى إلى قوله: ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾ وقوله ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ فإنَّما وقعَ النهيُ عن طواعيةِ مَنْ هو بهذه الصِّفات.

قال ابن عطية ما ملخَّصُهُ: قرأ النَّحْويَّان والحِرْمِيَّان وحفص وأهلُ المدينة: «أنْ كان» على الخبر، وباقي السبعة والحسنُ وابنُ أبي إسحاق وأبو جعفر على الاستفهام[7]، وحقَّق الهمزتين حمزة، وسهَّلَ الثانيةَ باقيهم[8]، فأمَّا على الخبر فقال

= الوليد بن المغيرة كان بهذه الصفة، وذكر أيضاً عن ابن إسحاق أن الآية نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق، ولذلك سُمِّيَ زنيماً.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٦-١٦٧ (مختصر) وزاد المسير ٨/ ٣٣٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٣، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٥ عن الشعبي.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣، والأبنة: العيب.

(٣) أخرج الطبري ٢٣/ ١٦٨ عنه قوله: الزنيم الذي يُعرف باللؤم كما تُعرف الشاة بزنمتها.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٤-١٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣.

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٢. وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣: بعد ثماني عشرة سنة من مولده، وذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥٢ عن مُرَّة الهَمْداني. قوله: سِنْخِهم، أي: أصلهم.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣.

(٧) يعني بهمزة واحدة ممدودة. النحويان: أبو عمرو والكسائي، والحرميان: نافع وابن كثير.

(٨) غير أن أبا بكر عن عاصم حقَّقَ الهمزتين، ولم يذكره ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨ =

أبو عليّ الفارسيّ[1]: يجوز أن يعمل فيها «عُتُلّ» وإن كان قد وُصف. انتهى.

وهذا على قول كوفيّ، ولا يجوزُ ذلك عند البصريِّين.

وقيل: «زنيم»[2] لاسيما على قول من فسَّره بالقبيح الأفعال.

وقال الزمخشريّ[3]: متعلِّق بقوله: «ولا تُطِعْ» يعني: ولا تُطِعْهُ مع هذه المثالب لأنْ كان ذا مال، أي: ليسارِهِ وحظِّه مِن الدنيا، ويجوزُ أن يتعلَّق بما بعدَه على معنى: لكونهِ متموِّلاً مستظهِراً بالبنين كذَّبَ آياتِنا، ولا يعملُ فيه «قال» الذي هو جواب «إذا» لأنَّ ما بعدَ الشرط لا يعملُ فيما قبلَه، ولكنْ ما دلَّت عليه الجملةُ من معنى التكذيب. انتهى.

وأمَّا على الاستفهام فيحتمل أن يفسَّر عاملٌ يدلُّ عليه ما قبلَه، أي: أتكونُ طَوَاعيةً لأنْ كانَ، وقدَّره الزمخشريّ: أتطيعُه لِأنْ كانَ. أو عاملٌ يدلُّ عليه ما بعدَهُ[4]، أي: أَكَذَّبَ أو جَحَدَ لِأَنْ كانَ.

وقرأ نافع في رواية اليزيديّ[5] عنه: «إنْ كانَ» بكسر الهمزة، قال الزمخشريّ: والشرط للمخاطَب، أي لا تُطع كلَّ حلَّافٍ شارطاً يسارَه، لأنه إذا أطاعَ الكافرَ لِغناه فكأنَّه اشترطَ في الطاعة الغِنَى، ونحوُ صرفِ الشَّرط إلى المخاطَب صرفُ الترجِّي إليه في قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤]. انتهى.

= (والكلام منه) إنما ذكرَ عن عاصم تسهيل الثانية. وينظر السبعة ص٦٤٦، والتيسير ص٢١٣، والنشر ١/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٦.

(١) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨.

(٢) يعني جواز عمل «زنيم» في «أنْ كان»، وهو من كلام ابن عطية أيضاً.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٣.

(٤) في (أ) والمطبوع: ما قبله، وهو خطأ.

(٥) في القراءات الشاذة ص١٥٩: الزهري، ووقع في (ع) و(يه) والكشاف ٤/ ١٤٣: الزبيري. وهو خطأ. وجاء في حاشية (ع) ما صورتُه: «أظنُّها اليزيدي». اهـ. واليزيدي: هو يحيى بن المبارك أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ ثقة، توفي سنة (٢٠٢)هـ ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٧٧.

وأقول: «إنْ كان» شرطٌ، و«إذا تُتلى» شرط، فهو ممَّا اجتمعَ فيه شرطان، وليسا من الشروط المترتّبةِ الوقوع، فالمتأخِّرُ لفظاً هو المتقدِّم، والمتقدِّم لفظاً هو شرطٌ في الثاني، فهو كقوله:

فإنْ عَثَرْتُ بعدَها إنْ وَأَلَتْ   نفسيَ من هَاتَا فقُولا لا لَعَا[1]

لأنَّ الحاملَ على تركِ تدبُّرِ آياتِ الله كونُه ذا مالٍ وبنينَ، فهو مشغولُ القلب بذلك، غافلٌ عن النظر والفِكْر، قد استولَتْ عليه الدُّنيا وأبطَرَتْهُ.

وقرأ الحسن: «آئذا» على الاستفهام[2]، وهو استفهامُ تقريع وتوبيخ على قوله: القرآن أساطيرُ الأولين؛ لمَّا تُليت عليه آياتُ الله.

ولمَّا ذكرَ قبائحَ أفعالِه وأقوالِه؛ ذكرَ ما يَفعَلُ به على سبيل التوعُّد، فقال: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦﴾ والسِّمَةُ العلامة.

ولمَّا كان الوجه أشرفَ ما في الإنسان، والأنفُ أكرمَ ما في الوجه لتقدُّمِهِ ـ ولذلك جعلوه مكانَ العزِّ والحميَّة واشتقُّوا منه الأَنَفَة، وقالوا: حَمِيُّ الأنف، شامِخُ العِرْنِين[3]، وقالوا في الذليل: جُدِعَ أنفُه ورَغِمَ أنفُهُ ـ وكان أيضاً ممَّا تظهرُ السِّماتُ فيه لعلوِّه؛ قال: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦﴾ وهو غايةُ الإذلال والإهانة والاستبلاد، إذ صارَ كالبهيمة لا يملكُ الدَّفْعَ عن وَسْمِهِ في الأنف، وإذا كان الوَسْمُ في الوجه شَيْناً، فكيف به على أكرم عُضْوٍ فيه؟! وقد قيل: الجمال في الأنف، وقال بعض الأدباء[4]:

وحُسْنُ الفَتَى في الأنفِ والأنفُ عاطلٌ   فكيف إذا ما الخالُ كانَ له حَلْيَا

---

(١) البيت لابن دُريد، وهو في مقصورته ص١٦٧ (بشرح ابن هشام اللخمي) قال الشارح: «وَأَلَتْ»: نَجَتْ وخَلَصَتْ، و«هاتا» بمعنى هذه، وقوله: «لا لَعَا»؛ قال الخليل: «لَعَا» كلمة تقال عند العَثْرة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٥٩-١٦٠.

(٣) العِرْنين: الأنف، أو ما صَلُبَ من عَظْمِه. ينظر القاموس.

(٤) يريد المصنف نفسَه، ذكره عنه الصفدي في أعيان العصر ٣/ ٤٧٩، والعيني في عقد الجمان (حوادث سنة ٦٩٢) ص١٩٧.

و«سَنَسِمُه» فعل مستقبَل لم يتعيَّن زمانه، فقال ابنُ عباس: هو الضَّربُ بالسَّيف، أي: يُضرب به في وجهه وعلى أنفِه، فيجيءُ ذلك كالوَسْم[١] على الأنف، وحَلَّ به ذلك يومَ بدر.

وقال المبرِّد: ذلك في عذاب الآخرة في جهنم، وهو تعذيبٌ بنارٍ على أنوفهم.

وقال آخرون: ذلك في يوم القيامة، أي: يُوسَمُ على أنفِهِ بِسِمَةٍ يُعرفُ بها كفرُهُ وانحطاطُ قَدْرِهِ.

وقال قتادة وغيرُه: معناه: سنفعلُ به في الدنيا من الذَّمّ والمقت والإشهار بِالشرِّ ما يبقَى فيه ولا يخفَى به، فيكون ذلك كالوَسْم على الأنف ثابتاً بيّناً كما تقول: سأطوِّقُك طَوْقَ الحمامة، أي: أُثبتُ لك الأمرَ بيِّناً فيك، ونحو هذا أراد جرير بقوله:

لـمَّـا وضـعـتُ عـلـى الـفـرزدقِ مِـيـسَـمـي[٢]

وفي الوَسْم على الأنف تشويهٌ، فجاءت استعارتُه في المذمَّات بليغةً جدّاً.

قال ابن عطية[٣]: وإذا تأملتَ حال أبي جهلٍ ونظرائِه وما ثبتَ لهم في الدنيا من سُوءِ الأُحْدُوثةِ رأيتَ أنهم قد وُسِمُوا على الخراطيم. انتهى.

وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفرَّاء: يسودُّ وجهُه قبل دخولِ النار، وذكرَ الخرطومَ والمرادُ الوَجْهُ، لأنَّ بعضَ الوجه يؤدِّي عن بعض.

وقال أبو عبد الله الرازي[٤]: إنما بالغَ الكفار في عداوة الرسول ﷺ بسبب

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩ (والكلام فيه): الوسم.

(٢) سلف في تفسير المفردات.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، والأقوال السالفة كلها فيه.

(٤) في تفسيره ٣٠/ ٨٦، والكلام السالف قبله فيه. وينظر معاني الفراء ٣/ ١٧٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٤-٢٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٨.

الأنَفَة والحميَّة، فلمَّا كان منشأ هذا[١] الإنكار هو الأَنَفَة والحميَّة؛ عبَّر[٢] عن هذا الاختصاص بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ انتهى كلامه.

وفي استعارة «الخرطوم» مكان «الأنف» استهانةٌ واستخفاف، لأنَّ حقيقة الخرطوم هو للسِّباع.

وتلخَّص من هذا أن قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أهو حقيقة أم مجاز؟ وإذا كان حقيقةً فهل ذلك في الدنيا أو في الآخرة؟ وأبعدَ النَّضْر بنُ شُميل في تفسيره «الخُرْطُوم» هنا بالخمر، وأنَّ معناه: سَنَحُدُّه على شُربها[٣].

ولمَّا ذكرَ المتَّصفَ بتلك الأوصاف الذميمة ـ وهم كفار قريش ـ أخبرَ تعالى بما حَلَّ بهم من الابتلاء بالقَحْطِ والجوع بدعوةِ رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على مُضَرَ، واجْعَلْها عليهم سنينَ كسِنِي يوسف» الحديث[٤]. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ المعروفِ خبرُها عندَهم، كانت بأرض اليمن بالقُرب منهم قريباً من صنعاء لرجلٍ كان يؤدِّي حقَّ اللهِ منها، فماتَ فصارت إلى ولدِه، فمنعوا الناسَ خيرَها وبَخِلُوا بحقِّ اللهِ تعالى، فأهلكَها الله تعالى من حيث لم يُمْكِنْهم دفعُ ما حلَّ بها[٥].

وقيل: كانت بصَوْرَان على فراسخَ من صنعاء لناسٍ بعد رَفْع عيسى عليه السلام.

وكان صاحبُها يتركُ للمساكينِ ما أخطأه المِنْجَلُ وما في أسفلِ

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: شاهد، بدل: منشأ هذا. وهي غير مجوَّدة في (يه)، والمثبت من تفسير الرازي والكلام منه.

(٢) في المصدر السالف: فلما كان منشأ هذا الإنكار هو الأَنَفَة والحميَّة كان منشأ عذاب الآخرة هو هذه الأَنَفَة والحميَّة، فعبَّر... الخ.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٩، وسلف القول في تفسير المفردات.

(٤) هو شطر من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٧٢٦٠) والبخاري (٦٢٠٠) ومسلم (٦٧٥).

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: بهم؛ والمثبت من (ع) و(يه) وهو كذلك في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٠، والكلام فيه.

الأكْدَاس[١]، وما أخطأه القِطافُ من العِنَب، وما بقيَ على البِساط تحت النَّخْلة إذا صُرِمَتْ، فكان يجتمعُ لهم شيءٌ كثير، فلمَّا ماتَ قال بنُوه: إنْ فعَلْنا ما كان يفعلُ أبونا ضاقَ علينا الأمر، ونحن أولو عِيال، فحلفُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحين في السَّدَف خُفْيَةً من المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم[٢].

والكاف في ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ في موضع نصب[٣]، و«ما» مصدريَّة، وقيل: بمعنى «الذي»، و«إذْ» معمول لـ «بَلَوْنَاهُمْ».

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ جواب القسَم لا على منطوقهم؛ إذْ لو كان على منطوقهم لكان: «لنَصْرِمُنَّها» بنون المتكلِّمين، والمعنى: لَيَجُدُّنَّ ثمرَها إذا دخلُوا في الصباح قبل خروج المساكين إلى عادتهم مع أبيهم.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: ولا يَنْثَنُون عمَّا عزمُوا عليه من منع المساكين[٤].

وقال مجاهد: معناه: لا يقولون إن شاء الله، بل عزموا على ذلك عَزْمَ من يملكُ أمرَه[٥].

وقال الزمخشري[٦] متَّبعاً قولَ مجاهد ولا يقولون إن شاء الله: فإن قلت: لِمَ سُمِّيَ استثناءً وإنما هو شرط؟

قلت: لأنه يؤدِّي مؤدَّى الاستثناء من حيث إنَّ معنى قولك: لأَخْرُجَنَّ إن شاء الله، ولا أَخْرُجُ إلا أن يشاء الله، واحد. انتهى.

---

(١) جمع كُدْس، وهو ما يُجمع من حبٍّ محصود، أو تمرٍ أو غيره في البَيْدَر.

(٢) بعده في الكشاف ٤/ ١٤٤ (والكلام فيه): فأحرقَ الله جنتهم. والخبر بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٥-٢٥٦. قوله: السَّدَف، هو سواد الليل، أو الصُّبحُ وإقبالُه، وهو المناسب للآية. ينظر القاموس (سدف).

(٣) أي: في محل نصب صفة لمصدر مقدَّر، أي: بلوناهم ابتلاءً مثلَ ما بَلَوْنا.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩.

(٥) المصدر السالف، وقول مجاهد هو ما جاء في صدر الكلام، وهو قول الأكثرين كما في زاد المسير ٨/ ٢٣٥، وهو في النكت والعيون ٦/ ٦٧ دون نسبة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٤.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ وقرأ النَّخعيّ: «طَيْف»[١].

قال الفرَّاء: والطائفُ الأمرُ الذي يأتي بالليل. ورُدَّ عليه بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فلم يتخصَّص بالليل[٢].

و«طائف» مبهم، فقيل: هو جبريل عليه السلام اقتلَعَها وطاف بها حول البيت، ثم وضعَها حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سُميت بالطائف، وليس في أرض الحجازِ بلدةٌ فيها الماءُ والشجرُ والأعنابُ غيرها[٣].

وقال ابن عبَّاس: طائفٌ من أمرِ ربِّك.

وقال قتادة: عذابٌ من ربِّك.

وقال ابنُ جُرَيج[٤]: عنقٌ من نارٍ خرجَ من وادي جهنم.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ قال ابنُ عبَّاس: كالرَّماد الأسود، والصَّرِيم: الرَّمادُ الأسود بلغة خُزيمة[٥].

وعنه أيضاً: الصَّرِيم رملة باليمن معروفة لا تُنبت، فشبَّه جنَّتهم بها[٦].

وقال الحسن: صُرِمَ عنها الخير، أي: قُطع، فالصَّرِيم بمعنى مَصْرُوم[٧].

وقال الثوري: كالصُّبح من حيث ابيضَّت، كالزَّرع المحصود[٨].

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٠، وهي في المصدر السالف دون نسبة.
(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٥، وبلفظه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ١٦١، وليس في هذا الكلام ما يصحُّ.
(٤) تحرف في (أ) والمطبوع إلى: جرير. وتنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٦/ ٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٣.
(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩ (وفيه جذيمة، بدل: خزيمة) وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٤.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩.
(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥.

وقال مُؤرِّج: كالرملة انصرَمَتْ من معظم الرَّمل، والرملة: لا تُنبت شيئاً ينفع[١].

وقال الأخفش: كالصُّبح انصَرَمَ من الليل[٢].

وقال المبرِّد: كالنهار فلا شيء فيها[٣].

وقال شَمِر: الصَّرِيمُ الليل، والصَّرِيمُ النهار، أي: يَنصَرِمُ هذا عن ذاك، وذاك عن هذا[٤].

وقال الفرَّاء والقاضي منذر بن سعيد وجماعة: الصَّريمُ الليلُ من حيث اسودَّت جنَّتُهم[٥].

﴿فَتَنَادَوْا﴾: دعا بعضُهم بعضاً إلى المُضِيّ إلى ميعادهم: ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾.

قال الزمخشري[٦]: فإن قلتَ: هلَّا قيل: اغْدُوا إلى حَرْثِكم، وما معنى «على»؟

قلت: لَمَّا كان الغُدُوُّ إليه لِيَصْرِمُوه ويقطعُوه؛ كان غُدُوًّا عليه، كما تقول: غَدَا عليهم العَدُوّ، ويجوزُ أن يُضَمَّن الغُدُوُّ معنى الإقبال، كقولهم: يُغْدَى عليه بالجَفْنَةِ ويُراح، أي: فأَقْبِلُوا على حَرْثِكم باكرين. انتهى.

واستسلفَ الزمخشريُّ أنَّ «غَدَا» يتعدَّى بـ «إلى»، ويحتاجُ ذلك إلى نقل بحيث يكثُر ذلك فيصيرُ أصلاً فيه، ويُتأوَّلُ ما خالفه، والذي في حفظي أنه معدًّى بـ «على» كقول الشاعر:

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥، وهو بنحوه في صحيح البخاري (تفسير سورة القلم) دون نسبة.

(٢) تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٥٦، والبغوي ٤/ ٣٧٩، والقرطبي ٢١/ ١٦٥.

(٣) الكامل ١/ ٣٠٥ (ونقله عنه القرطبي ٢١/ ١٦٥)، وذكر المبرِّد أيضاً أن الصَّريم الليل المظلم وقال: فهو من الأضداد.

(٤) بنحوه في تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥، وبلفظه في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، وفي معاني الفراء ٣/ ١٧٥: فأصبحت كالصَّريم: كالليل المسوَدّ.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٤.

وقــد أغْــدُو عــلــى ثُــبَــةٍ كــرامٍ نَـشَـاوَى وَاجِـديـنَ لِـمـا نَـشـاءُ[١]

وكذا غُدِّيَ مرادفُه؛ قال الشاعر[٢]:

بَـكَـرْتُ عـلـيـه[٣] غُـدْوَةً فـرأيـتُـهُ قُـعوداً لَـدَيْـهِ[٤] بـالـصَّـرِيـمِ عَـوَاذِلُـهْ[٥]

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ الظاهر أنه من صِرَام النَّخل، قيل: ويحتمل أن يريد: إن كنتُم أهلَ عزمٍ وإقدامٍ على رَأيكم، من قولك: سيفٌ صارمٌ.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يُخفون كلامَهم خوفاً من أن يشعرَ بهم المساكين.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: يتخافتون بهذا الكلام وهو «لا يَدْخُلَنَّها» و«أَنْ» مصدرية، ويجوز أن تكون تفسيرية.

وقرأ عبد الله وابنُ أبي عَبْلَة: «لا يَدْخُلَنَّها» بإسقاط «أَنْ»[٦] على إضمار: يقولون، أو على إجراء «يتخافتون» مُجرى القول، إذ معناه: يُسَارُّون القولَ.

والنهيُ عن الدُّخول نهيٌ عن التمكينِ منه، أي: لا تُمكِّنُوهم من الدخول فيدخلوا.

﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قصد وقُدرة في أنفسهم يظنُّون أنهم تمكَّنوا من مُرادهم، قال معناه ابنُ عباس[٧]، أي: قاصدينَ إلى جَنَّتِهم بسرعة، قادرين عند أنفسهم على صِرَامِها.

---

(١) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص٧٢، وفيه شَرْب، بدل: ثُبَة، أي: جماعة، والشَّرْب جمع شارب، ونَشَاوَى جمع نَشْوَان، مثل سَكْران وسَكَارَى.

(٢) من قوله: وقد أغدو على... إلى هذا الموضع ليس في (أ) والمطبوع.

(٣) في (يه): عليهم.

(٤) في (أ) والمطبوع: عليه.

(٥) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص١٤٠.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وهي في الكشاف ٤/ ١٤٤ عن ابن مسعود فقط، وجاء في القراءات الشاذة ص١٦٠ عنه: لا يَدْخُلْنَها، بسكون النون (دون ذكر حذف «أنْ»).

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، والكلام في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦.

قال أبو عبيدة والقُتَبيّ: «على حَرْد»: على مَنْعٍ[١]، أي: قادرين في أنفسهم على منع المساكين من خيرِها، فجزاهم الله بأن منعَهم خيرها.

وقال الحسن: «على حَرْد» أي: حاجةٍ وفاقة[٢].

وقال السُّدِّيّ وسفيان: «على حَرْدٍ» على غضب[٣]، أي: لم يقدرُوا إلا على حَنَقٍ وغضبٍ بعضِهم على بعض[٤].

وقيل: «على حَرْدٍ»: على انفراد، أي: انفردُوا دونَ المساكين[٥].

وقال الأزهريّ: «حَرْد» اسم قريتهم[٦].

وقال السُّدِّيُّ: اسم جنَّتهم[٧] أي: غَدَوْا على تلك الجنة «قادِرِين» على صِرَامِها عند أنفسِهم، أو مقدِّرين أن يَتِمَّ لهم مرادُهُم من الصِّرَام.

قيل: ويحتمل أن يكون من التقدير بمعنى التضييق، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]، أي: مضيِّقين على المساكين إذْ حرمُوهم ما كان أبوهم يُنيلُهم منها[٨].

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهَا﴾ أي: على غير الحالة التي كانوا عَهِدُوها عليها من هلاكها وذهابِ ما فيها من الخير ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي عن الطريقِ إليها. قاله قتادة، وذلك في أوَّلِ وصولِهم أنكروا أنها هي، واعتقدُوا أنهم أخطؤوا الطريقَ إليها، ثم وَضَحَ لهم أنها هي، وأنه أصابَها من عذاب الله ما أذهبَ خيرَها.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٨.

(٣) ينظر وسيط الواحدي ٤/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٦/ ٦٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٤٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٧، وسلف معناه في المفردات.

(٦) تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ (وذكره الأزهري رواية عن بعض التفسير)، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٧.

(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، والنكت والعيون ٦/ ٦٩، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٨.

(٨) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠.

وقيل: «لَضَالُّون» عن الصواب في غُدُوِّنا على نيَّةِ مَنْعِ المساكين فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خَيْرَها لجِنايتِنا[1] على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أفضلُهم وأرجحُهم عقلاً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أنَّبَهُم ووبَّخهم على تركِهم ما حضَّهم عليه من تسبيح الله، أي: ذكرِه وتنزيهِه عن السُّوء، ولو ذكرُوا الله وإحسانَه إليهم لامتثلُوا ما أمرَ به من مواساة المساكين، واقتَفَوْا سنةَ أبيهم في ذلك، فلمَّا غَفَلُوا عن ذِكْرِ الله تعالى وعزمُوا على منعِ المساكن ابتلاهم الله. وهذا يدلُّ على أنَّ أوسطَهم كان قد تقدَّم إليهم وحرَّضَهم على ذِكْرِ الله تعالى.

وقال مجاهد وأبو صالح: كان استثناؤهم «سبحان الله»[2].

قال النحَّاس: جعلَ مجاهدٌ التسبيحَ موضع «إن شاء الله» لأنَّ المعنى تنزيهُ الله أن يكون شيءٌ إلا بمشيئته[3].

وقال الزمخشري: لالتقائهما[4] في معنى التعظيم للهِ، لأنَّ الاستثناء تفويضٌ إليه، والتسبيحَ تنزيهٌ له، وكلُّ واحدٍ من التفويضِ والتنزيه تعظيمٌ له. انتهى.

وقيل: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: تستغفرون. ولمَّا أَنَّبَهُمْ رجَعُوا إلى ذكرِ الله تعالى واعترفُوا على أنفسهم بالظُّلم وبادرُوا إلى تسبيح الله تعالى فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾؛ قال ابنُ عباس: أي: نستغفرُ الله من ذنبنا[5].

ولمَّا أقرُّوا بظلمهم لامَ بعضُهم بعضاً وجعلَ اللَّوْمَ في حيِّزِ غيرِه، إذْ كان منهم مَنْ زَيَّن، ومنهم مَنْ قَبِلَ، ومنهم من أَمَرَ بالكَفِّ، ومنهم مَنْ عَصَى الأمرَ، ومنهم مَنْ سَكَتَ على رِضاً منه[6].

---

(١) في المطبوع: بخيانتنا، وهو تحريف. ينظر الكشاف ٤/ ١٤٥.
(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٩.
(٣) هو في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٩ عن النحاس، ولم أقف عليه عنده.
(٤) يعني التسبيح والاستثناء، والكلام في الكشاف ٤/ ١٤٥.
(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٩.
(٦) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٤٥.

ثم اعترفوا بأنهم طَغَوْا، وتَرَجَّوا انتظارَ الفَرَج في أن يُبْدِلَهم خيراً من تلك الجنَّة.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ أي: بهذه الجنة ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ﴾.

وتقدَّم في «الكهف» [٨١] الخلافُ في تخفيف «يبدلنا» وتثقيلها منسوباً إلى القُرَّاء[١].

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ أي: طالبون إيصالَ الخيرِ إلينا منه.

والظاهرُ أنَّ أصحابَ هذه الجنة كانوا مؤمنين، أصابوا معصيةً وتابوا.

وقيل: كانوا من أهل الكتاب[٢].

وقال عبد الله بنُ مسعود: بلغني أنَّ القومَ دَعَوا اللهَ وأخلصُوا، وعَلِمَ اللهُ منهم الصِّدْقَ فأبدَلَهُم بها جنةً يقال لها: الحَيَوان، فيها عِنَبٌ، يَحْمِلُ البغلُ منها العنقودَ.

وقال أبو خالد اليَمانيّ: رأيتُ الجنةَ[٣] وكلُّ عنقودٍ منها كالرجلِ الأسْودِ القائم.

وعن مجاهد: تابُوا فأُبدِلُوا خيراً منها[٤].

وقال القشيريّ: المعظمُ يقولون: إنهم تابوا وخلصوا. انتهى.

وتوقَّفَ الحسنُ في كونهم مؤمنين وقال: أكانَ قولُهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ إيماناً أو على حدِّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؟[٥]

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ هذا خطابٌ للرسول ﷺ في أمرِ قريش.

---

(١) قرأ نافع وأبو عَمرو: «يُبَدِّلَنَا» بالتشديد، وباقي السبعة بالتخفيف. ينظر السبعة ص٣٩٧، والتيسير ص١٤٥.

(٢) سلف (في قول) أنَّ هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام.

(٣) من قوله: يقال لها الحيوان... إلى هذا الموضع سقط من (أ) والمطبوع، وهذا القول والذي قبله في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٠.

(٤) الكشاف ٤/ ١٤٥، وبنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٣٩ دون نسبة.

(٥) هذا القولُ وقول القشيري قبله في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٠.

قال ابنُ عطية[١]: والإشارة بـ «ذلك» إلى العذاب الذي نَزَلَ بالجنة، أي: كذلك العذاب، أي: الذي ينزلُ بقريش بغتةً، ثم عذابُ الآخرة بعد ذلك أشدُّ عليهم من عذاب الدنيا.

وقال كثير من المفسِّرين: العذاب النازل بقريش المماثل لأمر الجنة هو الجَدْبُ الذي أصابَهم سبع سنين حتى رأوا الدُّخانَ وأكلوا الجلود. انتهى.

وقال الزمخشري[٢]: مثلُ ذلك العذاب الذي بلونا به أهلَ مكة وأصحابَ الجنة عذابُ الدنيا، ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأعظمُ منه. انتهى.

وتشبيهُ بلاءِ قُريش ببلاءِ أصحابِ الجنَّة هو أنَّ أصحابَ الجنة عزموا على الانتفاعِ بثمرِها وحِرْمانِ المساكين، فقلبَ اللهُ تعالى عليهم وحَرَمَهم، وأنَّ قريشاً حين خرجُوا إلى بدر حلفُوا على قتلِ الرسول ﷺ وأصحابِه، فإذا فعلُوا ذلك رجعُوا إلى مكة، وطافُوا بالكعبة، وشربُوا الخمور، فقلبَ الله عليهم بأن قُتِلُوا وأُسِرُوا[٣].

ولمَّا عذَّبهم بذلك في الدنيا قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا
لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا
بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟
بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً
أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ
سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ
مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ
وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١.
(٢) الكشاف ٤/ ١٤٥.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٩١.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

لـمَّا ذكرَ تعالى أنه بَلَا كفارَ قريش وشَبَّهَ بلاءَهم ببلاء أصحابِ الجنَّة، أخبرَ بحالِ أضدادِهم، وهم المتقون، فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الكُفْرَ ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أضافَها إلى النعيم لأن النعيم لا يُفارقها، إذ ليس فيها إلا هو، ولا يَشُوبُه كَدَرٌ كما يَشُوب جناتِ الدُّنيا.

ورُوِيَ أنه لـمَّا نزلَتْ هذه الآية قالت قريش: إنْ كانَ ثَمَّ جنةٌ فلنا فيها أكبرُ[1] الحظِّ. فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وقال مقاتل: قالوا: فَضَّلَنا الله عليكم في الدنيا، فهو يُفضِّلُنا عليكم في الآخرة، وإلا فالمشاركة. فأجاب تعالى: «أفنجعلُ»[3] أي: لا يتَساوَى المطيعُ والعاصي، وهو استفهامٌ فيه توقيفٌ على خطأ ما قالوا وتوبيخ.

ثم التفتَ إليهم فقال: «ما لكم»؟ أي: أيُّ شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهامُ إنكارٍ عليهم.

ثم قال: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وهو استفهامٌ ثالث على سبيل الإنكار عليهم، استفهمَ عن هيئةِ حُكمهم، ففي قوله: «مالكم» استفهامٌ عن كينونةٍ مبهمةٍ، وفي «كيف تحكمون» استفهامٌ عن هيئةِ حُكمهم.

ثم أضربَ عن هذا إضرابَ انتقالٍ لشيء آخرَ لا إبطالٍ لما قبلَه، فقال: ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أي: بل ألكم ﴿كتابٌ﴾ أي: من عند الله ﴿تدرسون﴾ أي[4]: ما تختارونه يكونُ لكم؟

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: أكثر.
(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥١ (ولفظُه منه)، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩. ونسب الخبر في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٢ لابن عباس.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٩١، وبنحوه أيضاً في الكشاف ٤/ ١٤٥-١٤٦ دون نسبة.
(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: أنَّ، بدل: أي.

وقرأ الجمهور: «إنَّ لكم» بكسر الهمزة، فقيل: هو استئنافُ قولٍ على معنى: إنْ كان[1] لكم كتابٌ فلكم فيه متخيَّر.

وقيل: «إنَّ» معمولة لـ «تدرُسُون» أي: تدرُسُون في الكتاب أنَّ لكم لمَا تَخيَّرون، أي: تختارون من النعيم. وكُسِرت الهمزةُ من «إنَّ» لدخول اللام في الخبر، وهي بمعنى «أنَّ» بفتح الهمزة. قاله الزمخشري[2] وبدأ به وقال: ويجوزُ أن تكون حكايةً للمدرُوس كما هو كقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات ٧٨-٧٩] انتهى.

وقرأ طلحة والضحَّاك: «أنَّ لكم» بفتح الهمزة[3]، واللام في «لَمَا» زائدة، كهي في قراءة من قرأ: «إلا أنهم ليأكلون الطعام» بفتح همزة «أنهم»[4].

وقرأ الأعرج: «أإنَّ لكم» على الاستفهام[5].

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ أي: أقسامٌ علينا بالغة، أي: متناهيةٌ في التوكيد، يقال: لفلانٍ عليَّ يمين: إذا حلفتَ له على الوفاء بما حلفتَ عليه.

و«إلى يوم القيامة» متعلِّق بما تعلَّق به الخبر، وهو «لكم» أي: ثابتةٌ لكم إلى يوم القيامة، أو بـ «بالغة» أي: تبلغُ إلى ذلك اليوم وتنتهي إليه.

وقرأ الجمهور: «بالغةٌ» بالرفع على الصفة، والحسنُ وزيد بنُ علي بالنصب على الحال من الضمير المستكنّ في «علينا»[6].

---

(١) كلمة «كان» من (يه).

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، ونُسبت القراءة في القراءات الشاذة ص١٦٠ للأعرج، ونُسبت في زاد المسير ٨/ ٣٣٩ لأبي الجوزاء وعاصم الجحدريّ وأبي عمران.

(٤) الآية (٢٠) من سورة الفرقان.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، وقُيِّدت بالمدّ في القراءات الشاذة ص١٦٠.

(٦) وذلك إن كان صفة لـ «أَيْمان» كما ذكر السمين في الدر المصون ١٠/ ٤١٥. وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٥، والكشاف ٤/ ١٤٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٣.

وقال ابنُ عطية: حال من نكرة[(١)] لأنها مخصَّصة بـ «عَلَيْنا»[(٢)].

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جوابُ القسم، لأن معنى: «أم لكم أيمانٌ علينا»: أم أقسمنا لكم. قاله الزمخشريّ.

وقرأ الأعرج: «أإنَّ لكم» كالتي قبلَها على الاستفهام[(٣)].

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامنٌ بما يقولونه ويدَّعُون صحَّتَه. و«سَلْ» معلَّقة عن مطلوبها الثاني، لمَّا كان السؤالُ سبباً لحصول العلم جازَ تعليقُه كالعلم، ومطلوبُها الثاني أصلُه أن يُعدَّى بـ «عن» أو بالباء كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال الشاعر:

فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنَّني عليمٌ بأدواءِ النِّساءِ طَبِيبُ[(٤)]

ولو كان غير اسم استفهام لتَعدَّى إليه بـ «عن» أو بالباء كما تقول: سَلْ زيداً عن من ينظرُ في كذا، ولكنه علَّق «سَلْهُم» فالجملة في موضع نصب[(٥)].

وقرأ الجمهور: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ وعبدُ الله وابنُ أبي عَبْلَة: «فليأتوا بشِرْكِهِم»[(٦)].

قيل: والمرادُ في القراءتين الأصنام، أو ناسٌ يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم فيه، أي: لا أحدَ يقولُ بقولهم كما أنه لا كتابَ لهم ولا عهدَ من الله ولا زعيمَ بذلك.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ هذا استدعاءٌ وتوقيف؛ قيل: في الدُّنيا، أي: ليُحْضِرُوهم حتى يُرى هل هم بحال من يضُرُّ وينفع أم لا.

(١) وهي كلمة «أيْمان»، وكلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢.
(٢) تحرفت اللفظة في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع إلى: تغليباً.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وقيّدت بالمدّ في القراءات الشاذة ص١٦٠.
(٤) البيت لعلقمة الفحل، وهو في ديوانه ص٣٥، وسلف في الأعراف (١٨٧) والفرقان (٥٩).
(٥) يعني بعد إسقاط الخافض. ينظر الدر المصون ١٠/ ٤١٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢.

وقيل: في الآخرة على أن يأتوا بهم «يومَ يُكْشَفُ عن ساق»، وعلى هذا القولِ الناصبُ لـ «يومَ»: «فليأتوا». وقيل: اذكر[١]، وقيل: التقدير: يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ كانَ كيتَ وكيتَ، وحُذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث[٢].

والظاهر وقول[٣] الجمهور أنَّ هذا اليوم هو يومُ القيامة[٤].

وقال أبو مسلم: هذا اليومُ هو في الدنيا لأنه قال: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ويومُ القيامة ليس فيه تعبُّدٌ ولا تكليف، بل المرادُ منه إمَّا آخِرُ أيامِ الرَّجلِ في دنياه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: ٢٢] ثم يَرَى الناسَ يُدْعَوْن إلى الصلاة إذا حضرت أوقاتُها، فلا يستطيع الصلاة لأنه الوقتُ الذي لا ينفعُ فيه نفساً إيمانُها.

وإمَّا حالُ المرَض والهَرَم والعَجْزِ[٥] وقد كانوا قبلَ ذلك اليوم يُدْعَوْنَ إلى السجود وهم سالمون ممَّا بهم الآن، فذلك إمَّا لشدَّةِ النازلةِ بهم من هَوْلِ ما عايَنُوا عند الموت، وإمَّا من العَجْزِ والهَرَم.

وأُجِيبَ بأنَّ الدُّعاء إلى السجود ليس على سبيل التكليف، بل على سبيل التقريع والتخجيل، وعندما يُدْعَوْنَ إلى السجود سُلِبُوا القدرةَ عليه، وحِيلَ بينهم وبين الاستطاعة حتى يزدادَ حُزنُهم وندامتُهم على ما فرَّطُوا فيه حين دُعُوا إليه وهم سالِمُو الأطرافِ والمفاصل[٦].

وقرأ الجمهور: «يُكْشَفُ» بالياء مبنيًّا للمفعول.

---

(١) وعلى هذا التقدير يُوقف على «صادقين» ولا يوقف عليه في التقدير الذي قبله. ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥.

(٢) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٩٤.

(٣) في (يه): قول (دون واو).

(٤) ذكره عن الجمهور الرازيُّ في تفسيره ٣٠/ ٩٤.

(٥) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: المعجزة، وفي (ت): العجزة. والمثبت من تفسير الرازي (٣٠/ ٩٥) وقول أبي مسلم فيه.

(٦) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٤٧.

وقرأ عبد الله وابن أبي عَبْلَة بفتح الياء مبنياً للفاعل[١].

وابنُ عبَّاس وابنُ مسعود أيضاً وابنُ هُرْمُز بالنون[٢].

وابنُ عباس أيضاً: «تَكْشِفُ» بفتح التاء مبنياً للفاعل[٣].

وعنه أيضاً بالتاء مضمومةً مبنيًّا للمفعول[٤].

وقرئ: «يُكْشِف» بالياء المضمومة وكسر الشين[٥] من: أكشَفَ إذا دَخَلَ في الكَشْف، ومنه: أكشَفَ الرجلُ: انقَلَبَتْ شفتُه العليا[٦].

وكَشْفُ الساق كنايةٌ عن شدَّة الأمر وتفاقمه، قال مجاهد: هي أولُ ساعةٍ من يوم القيامة[٧]، وهي أفظعُها.

وما جاء في الحديث من قوله: «فيُكْشَفُ لهم عن ساق»[٨] محمول أيضاً على

---

(١) على معنى: يكشفُ الله، كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣، والقراءة أيضاً في زاد المسير ٨/ ٣٤٠.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣، وزاد المسير ٨/ ٣٤٠-٣٤١، وهي في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥ دون نسبة.

(٣) وذلك على معنى أن القيامة هي الكاشفة، كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣، والقراءة أيضاً في معاني الفراء ٣/ ١٧٧، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٩٦، والمحتسب ٢/ ٣٢٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٨، وزاد المسير ٨/ ٣٤٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥.

(٤) على معنى: تُكْشَفُ القيامةُ والشِّدَةُ والحالُ الحاضرة، كما في المحرر الوجيز. والقراءةُ أيضاً في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٦، وهي في المحتسب ٢/ ٣٢٦ دون نسبة.

(٥) كذا في القراءات الشاذة ص١٦٠ عن الحسن. وجاءت العبارة في النسخة (يه): «تُكشِفُ، بالتاء المضمومة. . . .» وهي كذلك في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٨ عن الحسن، وفي الكشاف ٤/ ١٤٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٦ دون نسبة. وجاءت في الدُّرِّ المصون ١٠/ ٤١٧ على الوجهين، فقال السمين: وقُرئ: يُكشِفُ، بضم الياء أو التاء وكسر الشين.

(٦) في القراءات الشاذة ص١٦٠ والكشاف ٤/ ١٤٧: أكْشَفَ الرجلُ فهو مُكْشِفٌ: إذا انقلبَتْ شفتُه العليا. وذكر ابن خالويه أنه لا يوجد في كلام العرب: أكْشَفَ، إلا هذا الحرف.

(٧) كذا في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وهي في رواية عن ابن عباس كما في تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٨، وفي رواية أخرى فيه أيضاً عن ابن عباس ﷺ: هي أشدُّ ساعة في يوم القيامة، وهي أيضاً في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٥٩ والرازي ٣٠/ ٩٤ والقرطبي ٢١/ ١٧٦.

(٨) جاء هذا اللفظ بنحوه في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في صحيح البخاري (٤٩١٩) =

الشدَّة في ذلك اليوم، وهو مجازٌ مشهورٌ شائعٌ في لسان العرب[(١)]؛ قال حاتم:

أخو الحربِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّها وإنْ شَمَّرَتْ عن ساقِها الحَرْبُ شَمَّرَا[(٢)]

وقال الراجز:

عجبتُ من نفسي ومِنْ إشفاقِها ومن طِرَادي الخيلَ[(٣)] عن أرزاقها

في سنةٍ قد كشفَتْ عن سَاقِها حَمراءَ تَبْرِي اللحمَ عن عُرَاقِها[(٤)]

وقال الراجز:

قد شَمَّرَتْ عن سَاقِها فشُدُّوا وجَدَّتِ الحربُ بكم فَجِدُّوا[(٥)]

وقال الراجز:

صبراً أُمامُ إنه شَرٌّ بَاقْ وقامتِ الحربُ بنا على سَاقْ[(٦)]

= ومسلم (١٨٣) مطولاً، ورُوي من روايات أخرى، ينظر حديث أبي هريرة (٨١٠) في الإيمان لابن منده.

(١) ينظر الكشاف ٤/ ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٤.

(٢) ديوان حاتم ص٤٩، ونُسب في العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ لحذيفة بن أنس، ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ٧٨ لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص٦١، وفيهما: أخا الحرب. . . .

(٣) كذا في النسخ الخطية والمطبوع وروح المعاني ٢٧/ ٣٥٩، وهو خطأ، وفي: المصادر: الطير، والرَّجَز لشاعرٍ كان يطردُ الطير عن زرعٍ في عام جَدْب كما في الزَّاهر، وفي محاضرات الأدباء والتذكرة (كما سيرد) قصة لطيفة في ذلك، فتنظر ثمة.

(٤) الزاهر ٢/ ٣٧١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٩، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٤٨، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥ (وفيه وفي الزَّاهر: طرادِ الطيرِ)، ونُسب الرَّجز في التذكرة لرؤبة بن عُيينة.

(٥) الكامل ٢/ ٤٩٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٩، والنكت والعيون ٦/ ٧١، والأسماء والصفات ٢/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥، وفيه وفي النكت: قد كشفت عن. . .

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٩، وقد استشهد ابن عباس بهذا الرجز على تفسير هذه الآية كما في تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٧ (البيت الثاني فقط) ومستدرك الحاكم ٢/ ٤٩٩-٥٠٠، والأسماء والصفات ٢/ ١٨٤، وزاد المسير ٨/ ٣٤١ (البيت الثاني) وفي هذه المصادر: اصبر عناق، بدل: صبراً أُمامُ.

وقال الشاعر:

كَشَفَتْ لهم عن سَاقِها وبَدَا من الشَّرِّ البَوَاحْ[١]

ويُرْوَى: الصُّرَاح[٢].

وقال ابن عبَّاس: يوم يكشف عن شدَّة[٣].

وقال أبو عبيدة[٤] هذه كلمة تستعمل في الشدة يقال: كشفَ عن ساقه: إذا تشمَّر، قال: ومن هذا تقول العرب لسنةِ الجَدْب: كشفت عن ساقها.

ونَكَّرَ «ساق» للدلالة على أنه أمرٌ مبهم في الشدَّة منكر خارجٌ عن المألوف، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] فكأنه قيل: يوم يقعُ أمرٌ فظيعٌ هائل[٥].

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ظاهرُه أنهم يُدْعَوْن، وتقدَّم أن ذلك على سبيل التوبيخ، لا على سبيل التكليف.

وقيل: الداعي ما يرَوْنَه من سجود المؤمنين فيُريدون هم السجودَ فلا يستطيعونه، كما ورد في الحديث الذي حاورَهم فيه الله تعالى أنهم يقولون: أنت ربُّنا. ويخرُّون للسجود، فيسجدُ كلُّ مؤمن، وتصيرُ أصلابُ المنافقين والكفار كصياصي البقر

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢ وفيه: عن الشرّ، وذكر فيه ابن عطية أن البيت في وصف حرب، وهو في معاني الفراء ٣/ ١٧٧ وتفسير الطبري ٢٣/ ١٩٦ برواية: وبدا لهم من الشرّ البَرَاح، ونُسب في معاني الفراء لجد أبي طَرَفَة بن العبد. ونسبه التبريزي في شرح الحماسة ٢/ ٣١ لسعد بن مالك جد طرفة بن العبد.

(٢) هذه الرواية في المحتسب ٢/ ٣٢٦، والخصائص ٣/ ٢٥٢، وشرح الحماسة للتبريزي ٢/ ٣١، والأسماء والصفات ٢/ ١٨٥، والنكت والعيون ٦/ ٧٠، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٤، والقرطبي ٢١/ ١٧٥.

(٣) هو في المصادر المذكورة قبل تعليقين وفي النكت والعيون ٦/ ٧٠، واستشهد ابن عباس بإثره بالبيت المذكور.

(٤) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٦، ولم أقف على الكلام بحروفه.

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٧.

عظماً واحداً، فلا يستطيعون سجوداً. انتهى[(١)].

ونفيُ الاستطاعةِ للسجود في الآخرة لا يدلُّ على أنَّ لهم استطاعةً في الدنيا كما ذهب إليه الجُبَّائيّ[(٢)].

و«خاشعة» حال، وذُو الحال الضميرُ في «يُدْعَون» وخَصَّ الأبصار بالخشوع وإن كانت الجوارح كلُّها خاشعة لأنه فيه أبينُ منه في كلِّ جارحة.

﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ قيل: هو عبارة عن جميع الطاعات، وخُصَّ بالذِّكر من حيث هو عُظْمُ[(٣)] الطاعات، ومن حيث امتُحِنُوا به في الآخرة.

وقال النَّخعي[(٤)] والشعبي: أرادَ بالسُّجود الصلواتِ المكتوبةَ.

وقال ابن جُبير: كانوا يسمعون النِّداءَ للصلاة و«حيَّ على الفلاح» فلا يُجيبون[(٥)].

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ المعنى خَلِّ بيني وبينه فإني سأجازيه، وليس ثَمَّ مانعٌ منه. وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن يكذبُ بما جاءَ به الرسولُ ﷺ من أمرِ الآخرة وغيرِهِ. وكان تعالى قد قدَّم أشياءَ من أحوال السُّعداء والأشقياء.

و«مَنْ» في موضع نصب إمَّا عطفاً على الضمير في «ذَرْني»، وإمَّا على أنه مفعول معه[(٦)].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٧-١٧٨.

(٢) نقل الرازي في تفسيره ٣٠/ ٩٦ عن الجُبَّائي (وهو من أئمة المعتزلة) قوله: لما خصَّص عدم الاستطاعة بالآخرة دلَّ على ذلك أنهم في الدنيا كانوا يستطيعون، فبطل بهذا قول من قال: الكافر لا قدرة له على الإيمان... الخ. وأجاب الرازي على كلامه، فينظر ثمة.

(٣) أي: أكثرُ، وهي مثبتة من (يه)، وكذلك هي في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ والكلام منه، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: أعظم.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ والكلام منه: التيمي، وكذا هو في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٦٢ والقرطبي ٢١/ ١٧٩ وكلامه فيه بنحوه.

(٥) المصادر السالفة.

(٦) ذكر السمين في الدُّرّ ١٠/ ٤١٩ أنه مرجوحٌ لإمكان العطف من غير ضعف.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ إلى قوله: ﴿مَتِينٌ﴾ تُكلِّم عليه في «الأعراف» [١٨٢-١٨٣].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ إلى ﴿يَكْتُبُونَ﴾ تُكلِّم عليه في «الطور» [٤٠-٤١].

رُوِيَ أنه ﷺ أرادَ أن يدعوَ على الذين انهزمُوا بأُحُد حين اشتدَّ بالمسلمين الأمر، وقيل: حين أرادَ أن يَدْعُوَ على ثَقِيف، فنزلت: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالُهم وتأخيرُ نصرِك عليهم[١]، وامْضِ لِما أُمرتَ به من التبليغ واحتمال الأذى[٢].

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونسُ عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: في بطن الحوت، وهو قوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾[٣] [الأنبياء: ٨٧]. وليس النهيُ منصبًّا على الذَّوات، إنما المعنى: لا تكُنْ حالُك مثلَ حالِهِ إذْ نادَى، فالعاملُ في «إذْ» هو المحذوفُ المضاف، أي: كحال ـ أو كقصَّة ـ صاحب الحوت إذْ نادَى ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوءٌ غيظاً على قومه إذْ لم يؤمنوا لمَّا دعاهم إلى الإيمان، وأحْوَجُوه إلى استعجالِ مفارقتِهِ إياهم، وقال ذو الرُّمَّة:

وأنتَ من حُبِّ مَيٍّ مُضْمِرٌ حَزَناً ... عاني الفؤادِ قريحُ القلبِ مكظومُ[٤]

وتقدَّمت مادة «كظم» في قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقرأ الجمهور: «تَدَارَكَهُ» ماضياً ولم تلحقه علامةُ التأنيث لمجازِ التأنيث، ولتحسين الفصل.

وقرأ أُبَيٌّ وعبدُ الله وابنُ عباس: «تَدَارَكَتْه» بتاء التأنيث[٥].

---

(١) الكشاف ٤/ ١٤٨، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٩.
(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.
(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: أن لا إله إلا أنت سبحانك، وحذفتُ لفظة «أن» لأنها ليست من القول.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وزاد المسير ٨/ ٣٤٣.

وابنُ هُرْمُز والحسنُ والأعمش بشدِّ الدال[١]؛ قال أبو حاتم: ولا يجوزُ ذلك، والأصل في ذلك: «تَتَدَارِكُهُ» لأنه مستقبل، انتصبَ بـ «أنْ» الخفيفة قبله.

وقال بعض المتأخرين: هذا يجوز[٢] على حكاية الحال الماضية المقتضية، أي: لولا أن كان يُقالُ: تَتَدَارِكُه، ومعناه: لولا هذه الحالُ الموجودةُ كانت له من نِعَم الله لنُبذ بالعراء، ونحوُه قوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾[٣] [القصص: ١٥].

وجواب «لولا» قوله: ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لكنه نَبَذَه وهو غيرُ مذموم، كما قال: ﴿فَنَبَذْنَهُ بِالْعَرَاءِ﴾ [الصافات: ١٤٥] والمعتمدُ فيه على الحال لا على النَّبْذ مطلقاً، بل بقيد الحال. وقيل: لَنُبِذَ بعَراءِ القيامة مذموماً، ويدلُّ عليه: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤] [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

ثم أخبرَ تعالى أنه اجتباه، أي: اصطفاه وجعلَه من الصالحين، أي: الأنبياء.

وعن ابن عباس: رَدَّ اللهُ إليه الوحيَ وشفَّعه في قومه[٥].

ولمَّا أمرَه تعالى بالصبر لِما أرادَه تعالى ونهاه عمَّا نهاه، أخبرَه بشدَّة عداوتهم ليتلقَّى ذلك بالصبرِ[٦]، فقال: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ أي: لَيُزِلُّونَ قدمَك[٧] بنظَرِهم الحادِّ الدالِّ على العداوة المُفرِطة، أو: لَيُهْلِكُونَك، من قولهم:

(١) أي: تَدَّارَكُهُ، وهو مضارع أُدغمت التاءُ منه في الدال، كما في تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٣، والقراءة في المصادر السالفة، والمحتسب ٢/ ٣٢٦.

(٢) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: لا يجوز، وهو خطأ، والمثبت من (يه)، والكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٢٧، وقول أبي حاتم السالف فيه.

(٣) قال ابن جني في المحتسب: أشار سبحانه إليهما إشارة الحاضر، لأنه لما كان حكايةَ حال صارت كأنها حاضرة.

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٤، والنكت والعيون ٦/ ٧٣ (مختصر).

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٨، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٤.

(٦) بعدها في (أ) والمطبوع: «لما أراده تعالى ونهاه عما نهاه أخبره» وهو تكرار.

(٧) قوله: لَيُزِلُّون، من (يه) وهو موافق لما في الكشاف ٤/ ١٤٨ والكلام فيه بنحوه، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: ليُزلقون. وتحرَّفت لفظة «قدمك» في (أ) والمطبوع إلى: قومك.

نظرَ إليّ نظراً يكادُ يصرعُني، ويكادُ يأكلُني، أي: لو أمكنَه بنظرِه الصَّرْعُ والأكلُ لفعلَه، وقال الشاعر:

يتقارضُون[١] إذا التَقَوْا في مَوْطنٍ نَظَراً يُزِلُّ مَوَاطئَ[٢] الأقدامِ[٣]

وقال الكلبيّ: «لَيُزْلِقُونَكَ»: لَيَصْرِفُونك[٤].

وقرأ الجمهور: «لَيُزْلِقُونَكَ» بضم الياء، من: أَزْلَقَ، ونافعٌ بفتحها[٥] من زَلَقْتُ الرَّجُلَ، عُدِّيَ بالفتحة من زَلِقَ الرجلُ بالكسر، نحو: شَتِرَتْ عينُه، بالكسر، وشَتَرَها اللهُ، بالفتح.

وقرأ عبدُ الله وابنُ عبّاس والأعمشُ وعيسى: «لَيُزْهِقُونَكَ» بالهاء بدل اللام[٦].

وقيل: معنى لَيُزْلِقُونَكَ بأبصارهم: لَيَأْخُذُونكَ بالعين، وذُكر أنَّ اللَّقْعَ بالعين[٧] كان في بني أسد؛ قال ابنُ الكلبيّ: كان رجلٌ من العرب يمكثُ يومين أو ثلاثةً لا يأكل، ثم يرفعُ جانبَ خِبائِه فيقول: لم أرَ كاليومَ إبلاً ولا غنماً أحسنَ من هذه! فما تذهبُ إلا قريباً حتى[٨] تسقطَ طائفةٌ أو عِدَّةٌ منها، فسألَ الكفارُ هذا

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: يتعارضون.

(٢) في (أ) و(يه) والمطبوع: مواطنَ.

(٣) المعاني الكبير ٢/ ٨٤٥، وغريب القرآن ص٤٨٢، واللسان (قرض). وروايتُه في هذه المصادر: يُزيل، بدل: يُزِلُّ، والرواية أعلاه في الكشاف ٤/ ١٤٨، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٧ برواية: في مجلسٍ... نظراً يُزيلُ...

(٤) النكت والعيون ٦/ ٧٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٦، وفيهما: لَيَصْرَعُونَكَ، وهو الأشبه، لما سيرد في الخبر عن الكلبي.

(٥) ينظر السبعة ص٦٤٧، والتيسير ص٢١٣.

(٦) قوله: بالهاء بدل اللام، من (ع) و(يه). وينظر القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥.

(٧) أي: الإصابة بالعين، ولم تجوَّد لفظة «اللقع» في (ت)، ووقع في (أ) و(ع) والمطبوع: اللفع (بالفاء) وهو تحريف، والمثبت من (يه).

(٨) المثبت من (يه)، وهو موافق لما في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٣، والخبر فيه، ووقع في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: إلا قليلاً ثم، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥: إلا قليلاً حتى.

الرجلَ[1] أن يُصِيبَ رسولَ الله ﷺ، فأجابَهم، وأَنشَدَ[2]:

قد كانَ قومُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً وإخالُ أنكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ[3]

أي: مصابٌ بالعيون، فعصَمَ اللهُ نبيَّه ﷺ، وأنزل عليه هذه الآية[4].

قال قتادة: نزلت لدفع العين حين أرادُوا أن يَعِينُوه عليه الصلاة والسلام.

وقال الحسن: دواءُ من أصابَتْهُ العينُ أنْ يقرأَ هذه الآية[5].

وقال القُشيريّ: الإصابةُ بالعين إنَّما تكون مع الاستحسان، لا معَ الكراهة والبُغْض، وقال[6]: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

وقال القرطبي: ولا يمنعُ كراهةُ الشيء من أن يُصابَ بالعين عداوةً له حتى يَهلِك. انتهى.

وقد يكون في المَعِين - وإن كان مُبْغَضاً عند العائن - صفةٌ يستحسنُها العائنُ فيَعِينُه من حيث تلك الصفة؛ لاسيما مَنْ تكونُ فيه صفاتُ كمال[7].

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ على قول من يقول: «لمَّا» ظرف يكونُ العاملُ فيه «لَيُزْلِقُونَكَ»، وإن كان حرفَ وجوب لوجوب - وهو الصحيح - كان الجواب محذوفاً لدلالة ما قبلَه

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: قال الكفار لهذا الرجل، بدل: فسأل الكفار... إلخ. والمثبت من المصادر. ينظر إضافة إلى ما سلف: زاد المسير ٨/ ٣٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٥.

(٢) في تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥: فأجابهم، فلما مرَّ النبيُّ ﷺ أنشد.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥، ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ١٠ للعبَّاس بن مِرْداس.

(٤) ينظر أسباب النزول للواحدي ص٤٧٢، وتفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٦٣ والبغوي ٤/ ٣٨٤، والقرطبي ٢١/ ١٨٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٤، والكشاف ٤/ ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٥، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٠٠.

(٦) في تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥ (والقولُ فيه): ولهذا قال.

(٧) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٠٠.

عليه، أي: لمَّا سمعوا الذِّكْرَ كادوا يُزْلِقُونَك. والذِّكْرُ القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ تنفيراً عنه وقد علموا أنه ﷺ أتمُّهم فضلاً وأرْجَحُهم عقلاً.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ وعِبْرةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: للجنِّ والإنس، فكيف ينسُبون إلى الجِنِّ مَنْ جاء به؟!

مفردات سورة الحاقة

«الحُسُومُ» قال الفرَّاء: التِّباع: مِنْ حَسَمَ الداءَ، أي: تابعَ بالمكواةِ عليه[1]، قال الشاعر:

فـفـرَّقَ بـيـنَ بَـيْـنِـهِـمُ[2] زمـانٌ   تَـتَـابَـعَ فـيـه أَعْـوامٌ حُـسُـومُ[3]

وقال المبرِّد: حَسَمْتُ الشيءَ: فَصَلْتُه عن غيره، ومنه الحُسَام[4]، قال الشاعر:

فـأَرْسَـلْـتَ رِيـحـاً دَبُـوراً عَـقِـيـمـاً   فَدَارَتْ عَـلَـيْـهِـمْ فكـانَـتْ حـسُـوما[5]

وقال الليث: الحُسُوم: الشُّؤم، يقال: هذه ليالي الحُسُوم، أي: تَحْسِمُ الخيرَ عن أهلها، وقاله في «الصّحاح»[6].

«صَرْعَى»: هَلْكَى، الواحد: صَرِيع.

وَهَى الشيءُ: ضَعُفَ وتَدَاعَى للسُّقوط، قال ابنُ شجرة[7]: من قولهم: وَهَى السِّقاءُ: إذا انخرقَ، ومن أمثالهم قولُ الراجز:

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٠، ونقله عنه أيضاً القرطبي ٢١/ ١٩٢.
(٢) في (أ) و(ت) والمطبوع: جمعهم.
(٣) الكشاف ٤/ ١٥٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٢، ونُسب فيهما البيت لعبد العزيز بن زُرارة الكِلابي. قوله: البَيْن، أي: الوَصْل.
(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ١٩٢.
(٥) الزاهر ١/ ٢٦٦، والنكت والعيون ٦/ ٧٨ (وفيه: فأرسل).
(٦) ينظر تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٤، والصحاح (حسم)، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٢-١٩٣.
(٧) النكت والعيون ٦/ ٨١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٠.

خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤهُ ومَنْ هُرِيقَ بالفَلاةِ ماؤهُ[١]

الأرجاء: الجوانب، واحدُها «رَجاً» أي: جانبٌ من حائط أو بئر ونحوِه، وهو من ذوات الواو، ولذلك برزت في التثنية، قال الشاعر:

كأنْ لَمْ تَرَيْ قَبْلي أسِيراً مقيَّداً ولا رَجُلاً يُرْمَى به الرَّجَوَانِ[٢]

وقال الآخر:

فلا يُرْمَى بِيَ[٣] الرَّجَوَانِ إنّي أقلُّ القومِ[٤] مَنْ يُغْني مكاني[٥]

«هاءَ» بمعنى «خُذْ» فيها لغات ذكرناها في «شرح التسهيل»[٦].

وقال الكسائيّ وابنُ السِّكِّيت: العربُ تقول: هاءَ يا رجل، وللاثنين رجلين أو امرأتين: هاؤما، وللرِّجال: هاؤم، وللمرأة: هاءِ؛ بهمزة مكسورة من غير ياء، وللنساء: هاؤنَّ[٧].

قيل: ومعنى «هاؤم»: خُذُوا، ومنه الخبر في الرِّبا: «إلَّا هاءَ وهاءَ»[٨] أي:

---

(١) المصدران السالفان، والصحاح (وَهَى)، وجمهرة الأمثال ١/ ٤١٤ وفيه عن الأصمعي أن المراد به: من لم يستقم أمرُه فلا تعانِه.

(٢) الصحاح (رجا) ونُسب فيه للمرادي، والأغاني ١٢/ ١٧١ ونُسب فيه لأبي النشناس رجلٍ من اللصوص، والمستقصى ٢/ ٢٦٩-٢٧٠ ونُسب فيه لطهمان الأعور، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٩ دون نسبة. قال في الصحاح: إذا قالوا: رُمِيَ به الرَّجَوَان أرادوا أنه طُرح به في المهالك، وقال في اللسان: أي لا يستطيع أن يَستمسك، وقال في المحرر: أي: يُلقَى في بئر فهو لا يجدُ ما يَتمسَّكُ به.

(٣) في المطبوع: به.

(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: اليوم.

(٥) أدب الكاتب ص٢٥٧، ومجمع الأمثال ١/ ٢١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠١.

(٦) تكرَّر ذكره مراراً، وقد طبع منه عدَّة أجزاء، وقد فصَّل القولَ فيها أيضاً السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٤٣٢.

(٧) ينظر النكت والعيون ٦/ ٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٦.

(٨) أخرجه البخاري (٢١٣٤) ومسلم (١٥٨٦) من حديث عمر ﷺ، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٦.

يقول كلٌّ واحدٍ لصاحبه: خُذْ. وقيل: تَعَالَوْا. وزعمَ القُتَبيُّ أنَّ الهمزةَ بدلٌ من الكاف[1]، وهذا ضعيف إلا إنْ كان عَنَى أنها تَحُلُّ محلَّها في لغة من قال: هاكَ وهاكِ وهاكُما وهاكُم وهاكنَّ، فيمكن؛ لا[2] أنه بدلٌ صناعي، لأنَّ الكاف لا تُبدل من الهمزة، ولا الهمزةُ منها.

وقيل: «هاؤم» كلمة وُضعت لإجابة الدَّاعي عند الفَرَح والنشاط، وفي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام ناداه أعرابي بصوت عالٍ فجاوبَه عليه الصلاة والسلام: «هاؤم» بصَوْلَةِ صوتِه[3].

وزعم قومٌ أنها مركبة في الأصل، والأصلُ: هاء أُمُو[4]، ثم نقله التخفيفُ والاستعمالُ.

وزعم قوم أنَّ هذه الميم ضميرُ جماعة الذكور.

القُطُوف جمع قِطْف، وهو ما يُجْتَنَى من التمر ويُقطف.

السِّلسلة معروفة، وهي حَلَقٌ يدخلُ في حَلَقٍ على سبيل الطُّول.

الذِّراع مؤنَّث، وهو معروف، وقال الشاعر:

أَرْمِي عليها وَهْيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهْيَ ثلاثُ أَذْرعٍ وإصْبَعُ[5]

حَضَّ على الشيء: حملَ على فعلِه بتوكيد.

الغِسْلِين؛ قال اللغويُّون: ما يجري من الجِراح إذا غُسِلَتْ.

الوَتِين: عِرْقٌ يتعلَّق به القلب، إذا انقطعَ ماتَ صاحبُه، وقال الكلبيّ: عِرْقٌ بين

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٨٤، والمصدران السالفان.
(٢) سقطت لفظة «لا» من (أ) والمطبوع.
(٣) في النكت والعيون ٦/ ٨٣: بطولِ صوته، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٦: يطوِّلُ صوتَه. والحديث أخرجه أحمد (١٨٠٩٥) والترمذي (٣٥٣٥) مطولاً من حديث صفوان بن عسَّال ﷺ، وصححه ابن حبان (١٣٢١).
(٤) أُمُو، من الأَمِّ، وهو القَصْد. قاله السمين في الدر ٩/ ٤٣٣.
(٥) الرجز لحميد الأرقط، وهو في الكتاب ٢/ ٣٠٨، والخصائص ٢/ ٣٠٧، واللسان (رمى).

العِلْباء والحُلْقُوم(١)، والعِلْباءُ عَصَبُ العُنُق، وهما عِلْباوان بينهما العِرْقُ(٢)، وقيل: عِرْقٌ غليظٌ تُصادِفُه شفرةُ النَّاحِر، ومنه قولُ الشمَّاخ:

إذا بَلَّغْتِني وحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةَ فاشْرَقِي بدمِ الوَتِينِ(٣)

* * *

سورة الحاقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا
ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ
لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم
مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً
رَّابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢ فَإِذَا
نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ
۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ
ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾.

هذه السورة مكيَّة، ومناسبتُها لِما قبلَها أنه لمَّا ذكرَ شيئاً من أحوالِ السُّعداء والأشقياء وقال: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ ذكرَ حديثَ القيامة وما أعدَّ الله تعالى فيها لأهلِ السَّعادة وأهلِ الشَّقاوة، وأدرجَ بينَهما شيئاً من أحوال الذين كذَّبُوا الرسل كعادٍ وثمودَ وفرعونَ ليَزدَجِرَ بذكرِهم وما جرى عليهم الكفارُ الذين عاصرُوا

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٨٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٥.

(٢) ينظر الصحاح (علب) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٥.

(٣) ديوان الشمَّاخ ص٣٢٣، وفيه: حَطَطْتِ رَحْلي. وعَرَابة: هو ابنُ أوس بن قيظي، والمعنى: أنه إذا أوصلته ناقتُه إلى عَرَابة فلا يحتاج أن يرحل إلى غيره، لأنه سيُغنيه بالعطاء. وينظر الكامل ١/ ١٦٧-١٦٨، وخزانة الأدب ٣/ ٣٨-٣٩ و٤/ ٣٤٩.

رسولَ الله ﷺ، وكانت العربُ عالِمةً بهلاكِ عادٍ وثمودَ وفرعونَ فنَصَّ عليهم لذلك[١].

«الحاقَّة» المرادُ بها القيامةُ والبعث، قاله ابنُ عباس وغيرُه، لأنَّها حَقَّت لكلِّ عاملٍ عملَه.

وقال ابنُ عبَّاس وغيرُه: لأنها تُبدِي حقائقَ الأشياء.

وقيل: سُمِّيت بذلك لأنَّ الأمرَ يَحُقُّ فيها، فهي من باب: ليلٌ نائمٌ.

و«الحاقَّة» اسمُ فاعل من: حَقَّ الشيءُ إذا ثبتَ ولم يُشَكَّ في صحَّته.

وقال الأزهري[٢]: حاقَقْتُهُ فحقَقْتُهُ أَحُقُّه، أي: غالبتُه فغلبتُه، فالقيامة حاقَّةٌ لأنها تَحُقُّ كلَّ مُحاقٍّ في دين الله بالباطل، أي كلَّ مُخاصم فتغلبُه.

وقيل: الحاقَّة مصدر كالعاقبة والعافية.

و«الحاقَّة» مبتدأ، و«ما» مبتدأ ثانٍ و«الحاقَّة» خبرُه، والجملة خبرٌ عن «الحاقَّة» والرابطُ تكرارُ المبتدأ بلفظه، نحو: زيدٌ ما زيد.

و«ما» استفهامية لا يراد به حقيقتُه، بل التعظيم، وأكثرُ ما يُربط بتكرار المبتدأ إذا أُريد معنى التعظيم والتهويل.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ مبالغةٌ في التهويل: والمعنى أنَّ فيها ما لم يُدْرَ ولم يُحَطْ به وصفٌ من أمورِها الشاقَّةِ وتفصيلِ أوصافِها. و«ما» استفهامٌ أيضاً مبتدأ، و«أَدْرَاك» الخبر، والعائد على «ما» ضميرُ الرفع في «أدراك»، و«ما» مبتدأ، و«الحاقة» خبر، والجملة في موضع نصب بـ «أَدْرَاك»، و«أَدْرَاك» معلَّقة.

وأصل «دَرَى» أن يُعدَّى بالباء، وقد تُحذف على قلَّة، فإذا دخلت همزة النَّقل تعدَّى إلى واحد بنفسِه وإلى الآخر بحرف الجرّ، فقولُه: «ما الحاقَّة» بعد «أَدْرَاك» في موضع نصب بعد إسقاط حرف الجرّ.

و«القارعة» من أسماء القيامة لأنها تَقْرَعُ القلوبَ بصَدْمَتِها.

---

(١) في المطبوع: فقصَّ عليهم ذلك.

(٢) تهذيب اللغة ٣/ ٣٧٧.

وقال الزمخشريّ: تَقْرَعُ الناسَ بالأفزاع والأهوال، والسماءَ بالانشقاقِ والانفطارِ، والأرضَ والجبالَ بالدَّكِّ والنَّسْفِ، والنُّجومَ بالطَّمْسِ والانكدار، ووُضِعَتْ موضعَ الضمير لِتَدُلَّ على معنى[1] القَرْعِ في الحاقَّة زيادةً في وصفِ شدَّتها.

ولمّا ذَكَرَها وفَخَّمَها أتْبَعَ ذِكْرَ ذلك ذِكْرَ مَنْ كذَّبَ بها وما حَلَّ بهم بسبب التكذيب تذكيراً لأهلِ مكَّة وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم. انتهى.

وقرأ الجمهور: «فأُهْلِكُوا» رباعياً مبنيًّا للمفعول، وزيدُ بنُ علي: «فهلكوا» مبنيًّا للفاعل.

وقال قتادة: «بالطاغية»: بالصَّيْحة التي خرجَتْ عن حدِّ كلِّ صَيْحة.

وقال مجاهد وابنُ زيد: بسبب الفَعْلَةِ الطاغيةِ التي فعلُوها.

وقال ابنُ عباس وابنُ زيد أيضاً وأبو عبيدة ما معناه: الطاغية مصدر كالعاقبة، فكأنَّه قالَ: بطغيانهم[2]. ويدلُّ عليه: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس: ١١].

وقيل: الطاغية عاقرُ الناقة[3]، والهاء فيه للمبالغة، كرجل راوية، وأُهْلِكُوا كلُّهم لرضاهم بفعله[4].

وقيل: بسبب الفئة الطاغية[5].

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: فوُضع الضمير ليدلَّ على... الخ. والمثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٤٩ والكلام منه.

(٢) ردَّ الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٤٩ هذا القول وقال: ليس بذاك؛ لعدم الطِّباق بينه وبين قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾. وكذا ردَّه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧ للسبب ذاته، وذكر أن قول قتادة هو المناسب لما ذُكر في عاد، وهو اختيار الطبري كما سيذكره المصنف عنه، وتنظر الأقوال السالفة في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٠٨-٢٠٩، والنكت والعيون ٦/ ٧٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧ (ولفظها منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٠.

(٣) هو قول ابن زيد كما في المصادر السالفة.

(٤) بنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ١٩٠-١٩١.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٦-٣٥٧.

واختار الطبريُّ[(١)] وغيرُه أنَّ الطاغية هي الصيحةُ: وترجيحُ ذلك مقابلةُ سببِ الهلاك في ثمود سببَ الهلاك في عاد وهو قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾.

وتقدَّم القولُ في «صَرْصَرٍ» في سورة القمر [١٩].

﴿عَاتِيَةٍ﴾ عَتَتْ على خُزَّانها فخرجت بغير مقدار، أو على عاد فما قَدَرُوا على أن يَتَستَّرُوا منها، أو وُصفت بذلك استعارةً لشدَّة عَصْفِها.

والتسخيرُ هو استعمال الشيء باقتدار عليه، فمعنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: أقامها وأدامَها ﴿سَبْعَ لَيَالٍ﴾ بَدَتْ عليهم[(٢)] صُبْحَ الأربعاء لثمانٍ بقينَ من شوَّال إلى آخر الأربعاء تمام الشهر.

﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة وأبو عبيدة: تباعاً لم يتخللها انقطاع.

وقال الخليل: شُؤماً ونَحْساً.

وقال ابنُ زيد: «حُسُوماً» جمع حاسم، أي: تلك الأيام قطعتهم بالإهلاك، ومنه حَسْمُ العلل، والحُسام[(٣)].

وقال الزمخشري[(٤)]: وإنْ كان مصدراً فإمَّا أنْ ينتصبَ بفعل مضمر، أي: تَحسِمُ حُسُوماً بمعنى: تستأصلُ استئصالاً، أو يكونُ صفةً، كقولك: ذاتَ حُسُوم، أو يكون مفعولاً له، أي: سَخَّرَها عليهم للاستئصال.

وقرأ السُّدِّيُّ: «حَسُوماً» بالفتح[(٥)] حالاً من الرِّيح: أي: سَخَّرَها عليهم مُستأصِلةً.

(١) تفسيره ٢٣/ ٢٠٩.
(٢) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧ (والكلام فيه بنحوه): بدأت بهم.
(٣) الأقوال في المصدر السالف، وينظر النكت والعيون ٦/ ٧٧، وتفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٦٧، والقرطبي ٢١/ ١٩٢.
(٤) الكشاف ٤/ ١٥٠.
(٥) المصدر السالف (والكلام منه) وتفسير الرازي ٢٩/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٤، وذُكرت في القراءات الشاذة ص١٦٠-١٦١ لكن دون ضبط.

وقيل: هي أيام العَجُز، وهي آخِرُ الشتاء، وأسماؤها: الصِّنُّ، والصِّنَّبْرُ، والوَبْرُ، والآمِرُ، والمُؤْتَمِرُ، والمُعلِّلُ، ومُطْفِئُ الجمر، وقيل: مُكْفِئُ الظَّعْن[١].

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي: في الليالي والأيام، أو: في ديارهم، أو: في مهابِّ الرِّيح، احتمالات أظهرُها الأول لأنه أقربُ ومصرَّحٌ به.

وقرأ أبو نَهِيك: «أَعْجُز»[٢] على وزن أَفعُل، كضَبُع وأَضْبُع.

وحكى الأخفش أنه قُرِئ: «نخيل» بالياء[٣].

«خاوية» خلَتْ أعجازُها بِلًى وفساداً.

وقال ابنُ شجرة: كانت تدخلُ من أفواههم فتُخرجُ ما في أجوافِهم من الحَشْوِ من أدبارهم، فصاروا كالنَّخل الخاوية. وقال يحيى بنُ سلَّام: خَلَتْ أبدانُهم من أرواحهم[٤].

وقال ابنُ جُرَيْج: كانوا في سبعة أيام في عذاب، ثم في الثامن ماتُوا وأَلْقَتْهُم الرِّيحُ في البحر، فذلك قولُه: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾[٥].

وقال ابنُ الأنباريّ: «من باقية» أي: من باقٍ، والهاء للمبالغة.

وقال أيضاً: من فئة باقية.

وقيل: «من باقية»: من بقاء، مصدر جاء على: فاعلة، كالعاقِبة[٦].

وقرأ أبو رجاء وطلحة والجَحْدَري والحسن بخلاف عنه وعاصم في رواية أبان

---

(١) الكشاف ٤/ ١٥٠، وينظر القاموس (عجز).

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٠.

(٣) المصدر السالف، والكشاف ٤/ ١٥٠ دون نسبة.

(٤) ينظر النكت والعيون ٦/٧٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٤.

(٥) تفسير الرازي ٢٩/ ١٠٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٩٥.

(٦) الأقوال الثلاثة في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧.

والنَّحويان[١]: «ومَنْ قِبَلَهُ» بكسر القاف وفتح الباء[٢]، أي: أجنادُه وأهلُ طاعته، وتقول: زيدٌ قِبَلَكَ، أي: فيما يليك من المكان، وكثُر استعمال «قِبَلَكَ» حتى صار بمنزلة: عندَكَ[٣]، وفي جهتِك، وما يليك بأيِّ وجهٍ وَلِيَ[٤].

وقرأ باقي السبعة وأبو جعفر وشيبة والسُّلَمي: «ومن قَبْلَه» ظرف زمان[٥]، أي: الأمم الكافرة التي كانت قبلَه، كقوم نوح. وقد أشارَ إلى شيء من حديث بعد هذا، والمؤتفكاتُ قرى قوم لوط.

وقرأ الحسن هنا: «والمؤتفكة» على الإفراد[٦]﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالفَعْلَةِ أو الفَعَلات الخاطئة، قاله مجاهد، أو بالخطأ فيكون مصدراً جاء على فاعلة كالعاقبة، قاله الجرجاني[٧].

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ «رسول» جنس، وهو مَنْ جاءهم من عند الله تعالى، كموسى ولوط عليهما السلام.

وقيل: لوط عليه السلام، أعاده على أقرب مذكور، وهو رسول المؤتفكات.

وقال الكلبيّ: موسى عليه السلام، أعادَه على الأسبق، وهو رسول فرعون.

وقيل: «رسول» بمعنى: رسالة[٨].

---

(١) بعدها في (ت) و(ع) و(يه): وأبان، والمثبت من (أ) والمطبوع، وهو كذلك في المحرر الوجيز ٥/٣٥٨، والكلام فيه، والنحويَّان: أبو عَمرو البصري، والكسائي.
(٢) المصدر السالف، وقراءة النحويَّيْن (أبي عمرو والكسائي) في السبعة ص٦٤٨، والتيسير ص٢١٣، وهي أيضاً قراءة يعقوب من العشرة كما في النشر ٢/٣٨٩.
(٣) في (يه): وكثر استعمال قِبَل حتى صار بمنزلة عند.
(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/٣٥٨.
(٥) المصادر الأربعة السالفة.
(٦) المحرر الوجيز ٥/٣٥٨، وزاد القرطبي ٢١/ ١٩٥ نسبتها للجحدري.
(٧) بنحوه في تفسير القرطبي ٢١/١٩٦، وينظر الكشاف ٤/ ١٥٠، والمحرر الوجيز ٥/٣٥٨.
(٨) ينظر الوسيط ٤/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٥/٣٥٨، وتفسير القرطبي ٢١/١٩٦.

«رابية» أي: نامية، قال مجاهد: شديدة[١]، يريد أنها زادت على غيرها من الأَخَذات، وهي الغرَقُ وقلبُ المدائن.

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: زادَ وعَلَا على أعلى جبل في الدنيا خمس عشرة ذراعاً[٢]؛ قال ابنُ جُبير: طَغَى على الخُزَّان كما طغت الرِّيح على خُزَّانها[٣].

﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي: في أصلاب آبائكم، أو حملنا آباءكم[٤].

﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي سفينةُ نوح عليه السلام، وكثر استعمالُ الجارية في السفينة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢] وقال الشاعر:

تسعونَ جاريةً في بطنِ جاريةٍ[٥]

وقال المهدويّ: المعنى: في السفن الجارية[٦]، يعني أن ذلك هو على سبيل الامتنان، والمحمولون هم المخاطبون.

﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: سفينةَ نوح عليه السلام. ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ بما جَرَى لقومه الهالكين وقومِه الناجين فيها وعِظةً.

قال قتادة: أدركَها أوائلُ هذه الأمة. وقال ابنُ جُريج: كانت ألواحُها على الجُودِيّ[٧].

(١) تفسير الطبري ٢١٨/٢٣، وتفسير القرطبي ١٩٦/٢١.
(٢) هو من قول قتادة كما في تفسير الطبري ٢١٩/٢٣، والنكت والعيون ٧٩/٦، والمحرر الوجيز ٣٥٨/٥، وتفسير القرطبي ١٩٧/٢١.
(٣) بنحوه في تفسير الطبري ٢١٩/٢٣، وأخرجه أيضاً بنحوه أطولَ منه عن ابن عباس قولَه، وأورده القرطبي ٢١/ ١٩١ عنه مرفوعاً.
(٤) النكت والعيون ٧٩/٦-٨٠. وعبارة زاد المسير ٣٤٨/٨ وتفسير القرطبي ١٩٧/٢١: حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم.
(٥) لم أقف عليه، ونقله عنه السمين في الدُّرّ ٤٢٧/٩ وقال: وهو من الألغاز. وجاء في اللباب أيضاً ممَّا يُلغَزُ به:

رأيتُ جاريةً في بطنِ جاريةٍ   في بطنها رجلٌ في بطنهِ جملُ

(٦) المحرر الوجيز ٣٥٨/٥.
(٧) القولان في النكت والعيون ٦/ ٨٠، وتفسير القرطبي ١٩٧/٢١، وقول قتادة في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣١.

وقيل: لنجعلَ تلك الحَمْلةَ في سفينةِ نوح عليه السلام لكم عِظةً تذكرونَ بها نجاةَ آبائِكم وإغراقَ مكذِّبي نوح عليه السلام.

﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي: تحفظُ قصَّتَها أُذُنٌ من شأنها أنْ تعيَ المواعظ وتعتبر بها؛ يقال: «وَعَيْتُ» لما حُفِظَ في النَّفس، و«أَوْعَيْتُ» لما حُفِظَ في غير النفس من الأوعية[(١)].

وقال قتادة: الواعية هي التي عَقَلَتْ عن الله، وانتفعَتْ بما سمعت من كتاب الله[(٢)].

وفي الحديث أنَّه ﷺ قال لعلي: «إني دَعَوْتُ اللهَ تعالى أن يجعلَها أُذُنَكَ يا عليّ». قال علي رضي الله عنه: فما سمعتُ بعد ذلك شيئاً فنسيتهُ[(٣)].

وقرأ الجمهور: «وتَعِيهَا» بكسر العين وتخفيف الياء[(٤)]، وابنُ مُصَرِّف وأبو عَمرو في رواية هارون وخارجة عنه[(٥)] وقُنبل بخلاف عنه بإسكانها[(٦)]، وحمزةُ بإخفاء الحركة.

ووَجْهُ الإسكان التشبيه في الفعل بما كان على وزن فَعِل في الاسم والفعل، نحو: كَبْد وعَلْم[(٧)]، و«تَعي» ليس على وزن فَعِل، بل هو مضارع «وَعَى» فصار

---

(١) يعني تقول: وَعَيْتُ كذا، أي: حفظتُه في نفسي، وأَوْعَيْتُ المتاعَ في الوعاء. نقله القرطبي ٢١/١٩٧-١٩٨ عن الزجَّاج في معانيه ٥/٢١٥-٢١٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٢٢٣، وتفسير القرطبي ٢١/١٩٨.

(٣) المصدران السالفان، والنكت والعيون ٦/ ٨٠، والخبر فيها عن مكحول مرسل، وأخرجه أيضاً الثعلبي ٦/٢٦٨ عن عبد الله بن حسن مرسلاً، وذكر الشوكاني في الفوائد المجموعة ص٣١٦ أنه موضوع.

(٤) عبارة (أ) و(ت) والمطبوع: وقرأها «وتَعِيهَا» بكسر العين وتخفيف التاء العامَّةُ.

(٥) في (يه): في رواية هارون عنه وخارجة.

(٦) هي في السبعة من رواية أبي ربيعة عن قنبل، وهي أيضاً فيه وفي المحرر الوجيز ٥/٣٥٨ من رواية الحلواني عن ابن كثير، ومثَّلها الثعلبي ٦/٢٦٨، والقرطبي ٢١/١٩٨ بقراءة: «أَرْنَا مناسِكَنا». بسكون الراء في الآية (١٢٨) من سورة البقرة.

(٧) أي: «كَبْد» في الاسم، و«عَلْم» في الفعل المخفَّفَيْن من «كَبِد» و«عَلِم»، وهما بمنزلة فَعْل الحَلْقيّ العين المخفَّف من فَعِل، مثل «فَخْذ» في الاسم، و«شَهْد» في الفعل. ينظر شافية ابن الحاجب ١/٤١-٤٢، وتفسير الرازي ٣٠/١٠٧، والدر المصون ١٠/٤٢٧.

إلى: تَعِل[١]، وأصلُه: تَفعِل، حُذفت واوُه.

ورَوَى عن عاصم عصمةُ[٢] وحمزة[٣] الأزرق: «وتَعِيَّها» بتشديد الياء[٤]، قيل وهو خطأ، وينبغي أن تُتَأوَّل على أنه أرِيدَ به شدَّةُ بيان الياء احترازاً ممَّن سكَّنها لا إدغامُ حرف في حرف، ولا ينبغي أن يُجعل ذلك من باب التضعيف في الوقف ثم أجرِيَ الوصلُ مُجرَى الوقف، وإن كان قد ذهب إلى ذلك بعضُهم.

ورُوِيَ عن حمزة وعن موسى بن عبد الله العبسي[٥]: «وتَعِيْها» بإسكان الياء، فاحتَمل الاستئنافَ، وهو الظاهر، واحتَمل أن يكون مثل قراءة: «من أوسطِ ما تطعمون أهَالِيْكم» بسكون الياء[٦].

وقال الزمخشريّ[٧]: فإنْ قلتَ: لم قيلَ: «أُذُنٌ واعية» على التوحيد والتنكير؟

قلتُ: للإيذان بأنَّ الوُعاةَ فيهم قِلَّة، ولِتوبيخِ الناسِ بقلَّةِ مَنْ يَعِي منهم، وللدلالةِ على أنَّ الأُذنَ الواحدة إذا وَعَتْ وعَقَلَت عن الله تعالى فهِيَ السَّوادُ الأعظمُ عند الله تعالى، وأنَّ ما سواها لا يُبالي بهم بالةً وإنْ ملؤوا ما بين الخافقين. انتهى، وفيه تكثير.

ولمَّا ذكرَ تعالى ما فعلَ بمكذِّبي الرُّسُل من العذاب في الدُّنيا ذكرَ أمرَ الآخرة وما يَعرضُ فيها لأهلِ السَّعادة وأهلِ الشَّقاوة، وبدأ بإعلام يوم القيامة، فقال: ﴿فَإِذَا

(١) تحرفت في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع إلى: فعل، وأصل تَعِي: تَوْعِي، حُذف منه الواو كما سيرد.

(٢) في (ع): وعصمة، وضُرب على الواو في (ت).

(٣) في (يه): وعن حمزة.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦١ عن ابن ثوباك ونضيف (كذا) قال محقِّقُه: لعل الصواب: نظيف.

(٥) لعل الصواب: عُبيد الله بن موسى كما في غاية النهاية، وفيه أنه قرأ على حمزة، وجاء فيه أيضاً باسم: عبد الله بن موسى، وقال: الصواب عبيد الله بن موسى. ووقع في (أ) والمطبوع: العنسي، وهو تحريف.

(٦) وهي قراءة شاذة، وقراءة الجمهور: أَهْلِيكم. (المائدة: ٨٩)، وسلفت في موضعها من التفسير.

(٧) الكشاف ٤/ ١٥١.

نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾﴾ وهذه النفخةُ هي نفخةُ الفَزَع؛ قال ابنُ عبَّاس: وهي النفخةُ الأولى[١] التي يحصُل عنها خَرابُ العالَم، ويؤيِّد ذلك قولُه: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾.

وقال ابنُ المسيِّب ومقاتل: هي النفخةُ الآخرة[٢]، وعلى هذا لا يكون الدَّكُّ بعد النَّفخ، والواوُ لا ترتِّب، ورُوِيَ ذلك عن ابن عباس أيضاً، ولمَّا كانت النفخةُ مرَّةً أُكِّدَتْ بقوله: «واحدة».

وقرأ الجمهور: «نفخةٌ واحدةٌ» برفعهما، ولم تلحق التاء «نُفخ» لأن تأنيث النفخة مجازيّ، ووقعَ الفصل.

وقال ابن عطية[٣]: لمَّا نُعت صحَّ رفعُه. انتهى، ولو لم يُنعت لصحَّ لأنَّ «نفخة» مصدر محدود، ونعتُه ليس بنعت تخصيص إنما هو نعتُ توكيد.

وقرأ أبو السَّمَّال بنصبهما، أقامَ الجارَّ والمجرور مُقام الفاعل[٤].

وقرأ الجمهور: «وحُمِلَتْ» بتخفيف الميم، وابنُ أبي عَبْلَة وابنُ مِقْسَم والأعمش وابنُ عامر في رواية يحيى بتشديدها[٥]، فالتخفيف على أن تكون الأرضُ والجبالُ حَمَلتْها[٦] الرِّيح العاصف، أو الملائكة، أو القدرة من غير واسطةِ مخلوق. ويبعدُ قولُ من قال: إنها الزلزلة، لأن الزلزلة ليس فيها حملٌ، إنما هي اضطراب، والتشديدُ على أن تكون للتكثير[٧]، أو يكون التضعيف للنقل، فجازَ أن

---

(١) المصدر السالف، ونُسب في زاد المسير ٣٤٨/٨ لعطاء.

(٢) في (يه): الأخيرة، ونُسب القول في زاد المسير ٣٤٨/٨ لابن السائب ومقاتل.

(٣) المحرر الوجيز ٣٥٩/٥.

(٤) زاد السمين بعدَهُ قولَه: فتُرك المصدرُ على أصله. ينظر الدر المصون ٤٢٨/١٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٦١، والكشاف ١٥١/٤. والمحرر الوجيز ٣٥٩/٥، وتفسير القرطبي ١٩٩/٢١.

(٥) ينظر المصادر السالفة، والمحتسب ٣٢٨/٢.

(٦) في (يه): حملتهما.

(٧) وعندئذ لا يكون للفعل مفعول آخر. ينظر الدر المصون ٤٢٨/١٠.

تكونَ الأرضُ والجبالُ المفعول الأولَ أُقيم مُقام الفاعل والثاني محذوف، أي: ريحاً تَفُتُّها[(١)]، أو ملائكةً، أو قدرةً، وجازَ أن يكون الثاني أُقيم مُقام الفاعل والأول محذوف، وهو واحدٌ من الثلاثةِ المقدَّرة[(٢)].

وثَنَّى الضمير في «فَدُكَّتا» وإن كان قد تقدَّمه ما يعود عليه ضميرُ الجمع لأن المرادَ جملةُ الأرض وجملةُ الجبال، أي: ضُرِبَ بعضُها ببعض حتى تَتَفَتَّتَ[(٣)] وتَرجِعَ كما قال تعالى: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤] والدَّكُّ فيه تفرّقُ الأجزاء كقوله: ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦] والدقُّ فيه اختلاف[(٤)] الأجزاء.

وقيل: تُبسط فتصيرُ أرضاً لا تَرَى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً، وهو من قولهم بعيرٌ أَدَكُّ، وناقةٌ دكَّاءُ: إذا ضَعُفا فلم يرتفع لهما سَنامُهما واستَوَتْ حدجتهما[(٥)] مع ظهريهما.

«فيومئذ» معطوف على «فإذا نُفخ في الصور» وهو منصوب بـ «وقعت» كما أنَّ «إذا» منصوب بـ «نُفخ» على ما اختَرْناه وقرَّرْناه، واستدللنا له في أنَّ العاملَ في «إذا» هو الفعلُ الذي يليها لا الجوابُ وإن كان مخالفاً لقولِ الجمهور. والتنوين في «إذْ» للعِوَض من الجملة المحذوفة، وهي في التقدير: فيومَ إذْ نُفِخَ في الصُّورِ وجَرَى كَيْتَ وكَيْت.

و«الواقعة» هي القيامة، وقد تقدَّم في ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ أنَّ بعضَهم قال: هي صخرةُ بيتِ المقدس.

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: انفطَرَتْ وتَميَّزَ بعضُها من بعض، فهي يومَ إذٍ انشقَّتْ

---

(١) في (أ) والمطبوع: تُفَتِّتها، وهما بمعنى.

(٢) ينظر المحتسب ٢/ ٣٢٨-٣٢٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٠.

(٣) في (ت) و(يه): تفتت، وفي المطبوع: تفتتت، والمثبت من (أ) و(ع).

(٤) في (يه): اختلاط.

(٥) كذا في (ع) و(يه)، ولعلها محرَّفة عن: «حَدَبَتَيْهما» مثنّى حَدَبَة، أو أنها (على افتراض صحتها) مأخوذة من الحَدْج، وهو شدُّ الحِدْج (مثل الهَوْدَج) على البعير، والله أعلم. ووقع في (أ) و(ت): حراجينهما، وفي المطبوع: عراجينهما (؟).

«واهيةٌ» ضعيفةٌ لتشقُّقِها بعد أن كانت شديدة ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧]، أو منخرقة كما يقال: وَهَى السِّقاءُ: انخرقَ.

وقيل: انشقاقُها لنزول الملائكة قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

وقيل: انشقاقُها لهولِ يومِ القيامة[١].

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ قال ابنُ عباس: على حافَّاتها حين تنشقّ. والظاهر أنَّ الضمير في «حافّاتها»[٢] عائد على السماء.

وقال ابن جُبير والضحَّاك: على حافَّات الأرض ينزلون إليها يحفظون أطرافَها وإن لم يَجرِ لها ذكر قريب[٣]، كما رُوِيَ أنَّ الله تعالى يأمرُ ملائِكةَ سماءِ الدُّنيا فيقفون[٤] صفًّا على حافَّات الأرض، ثم ملائكة الثانية فيصفُّون حولهم[٥]، ثم ملائكةَ كلِّ سماء، فكلَّما نَدَّ[٦] أحدٌ من الجنِّ والإنس وجدَ الأرضَ قد أُحِيطَ بها.

و«المَلَك» اسمُ جنس يُراد به الملائكة.

وقال الزمخشريّ[٧]: فإنْ قلتَ: ما الفرقُ بين قوله: «والمَلَكُ» وبين أن يقال: «والملائكةُ»؟

قلتُ: المَلَكُ أعمُّ من الملائكة، ألا ترى أنَّ قولَك: «ما مِنْ مَلَكٍ إلا وهو شاهِدٌ» أعمُّ من قولك: ما من ملائكة؟ انتهى. ولا يظهرُ أنَّ المَلَك أعمُّ من

(١) تنظر الأقوال في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٠، وبعضها في النكت والعيون ٦/ ٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٤٩.
(٢) كذا، ولو ذُكر بلفظ الآية «أرجائها» لكان أحسن كما هو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٩.
(٣) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٩، وينظر النكت والعيون ٦/ ٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٥٠.
(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٩ (والكلام فيه): فيصفُّون.
(٥) في المصدر السالف: خلفهم.
(٦) في (ت): أتى، وفي المصدر السالف: فرَّ.
(٧) الكشاف ٤/ ١٥١-١٥٢.

الملائكة؛ لأنَّ المفردَ المحلَّى بالألف واللام الجنسيَّة قُصاراه أنْ يُراد به الجمع المحلَّى بهما، ولذلك صحَّ الاستثناءُ منه، فقُصاراه أن يكون كالجمع المُحلَّى بهما، وأمَّا دعواه أنه أعمُّ منه بقوله: ألا ترى. . . الخ، فليس دليلاً على دعواه لأنَّ «مِن مَلَك» نكرة مفردة في سياق النفي قد دخلت عليها «مِنْ» المخلِّصة للاستغراق، فشَمِلَتْ كلَّ مَلَك، فاندرَجَ تحتَها الجمعُ لوجود الفَرْدِ فيه، فانتَفَى كلُّ فرد فرد، بخلاف «مِنْ ملائكة» فإنَّ «مِنْ» دخلَتْ على جمع مُنَكَّر فعمَّ في كلِّ جمع جمع من الملائكة، ولا يلزمُ من ذلك انتفاءُ كلِّ فرد فرد من الملائكة، لو قلتَ: ما في الدارِ من رجال، جازَ أن يكونَ فيها واحد؛ لأنَّ النفيَ إنَّما انسحبَ على جمع، ولا يلزمُ من انتفاءِ الجمع أن ينتفيَ المفرد، والمَلَكُ في الآية ليس في سِياقِ نفي دخَلَتْ عليه «مِنْ» فيكون أعمَّ من جمع دخلت عليه «مِنْ» وإنما جيءَ به مفرداً لأنه أخفُّ، ولأنَّ قولَه: ﴿عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَآۚ﴾ يدلُّ على الجمع، لأنَّ الواحدَ بما هو واحد لا يمكنُ أن يكونَ على أرجائها في وقت واحد بل في أوقات، والمرادُ ـ والله تعالى أعلم ـ أنَّ الملائكة على أرجائها لا أنه مَلَكٌ واحد ينتقل على أرجائها في أوقات.

وقال الزمخشري: يعني أنها تنشقُّ وهي مسكنُ الملائكة، فيقومون[١] إلى أطرافها وما حولَها من حافَّاتها. انتهى.

والضمير في «فوقَهم» عائدٌ على «الملك» ضمير جمع على المعنى لأنه يُرادُ به الجنس، قال معناه الزمخشريّ. وقيل: يعودُ على الملائكة الحاملين[٢]، أي: فوق رؤوسهم. وقيل: على العالَم كلِّهم.

والظاهرُ أنَّ التمييزَ المحذوفَ في قوله: «ثمانية»: أملاكٌ، أي: ثمانية أشخاص من الملائكة.

وعن الضحَّاك: ثمانيةُ صفوف[٣].

(١) في مطبوع البحر ٨/ ٣٢٨ والكشاف ٤/ ١٢٥ (والكلام منه): فينضوون.

(٢) أي: الثمانية، وينظر الدر المصون ١٠/ ٤٣٠.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٢٨، والكشاف ٤/ ١٥٢ بلفظ: ثمانية صفوف لا يعلم عدَّتهنَّ إلا الله،
=

وعن الحسن: اللهُ أعلمُ كم هم، أثمانيةُ صفوف أم ثمانيةُ أشخاص[١].

وذكروا في صفات هؤلاء الثمانية أشكالاً متكاذبة ضربنا عن ذكرها صَفْحاً.

«يومئذ» أي يومَ إذْ كانَ ما ذُكِرَ «تُعْرَضون» أي: للحساب، و«تُعْرَضُون» هو جوابُ قوله: «فإذا نُفِخَ»[٢] فإنْ كانَ النفخة هي الأولى فجازَ ذلك لأنه اتُّسع في اليوم فجُعل ظرفاً للنَّفخ، ووقوعُ الواقعة وجميعِ الكائنات بعدَها، وإن كانت النفخة هي الثانية فلا يُحتاج إلى اتّساع لأنَّ قولَه: «فيومئذٍ» معطوف على «فإذا»، و«يومئذ تُعرضون» بدل من «فيومئذ»، وما بعدَ هذه الظروف واقعٌ في يوم القيامة. والخطابُ في «تُعرَضُون» لجميع العالم المحاسَبين.

وعن عبد الله وأبي موسى: في القيامة عَرْضَتان فيهما مَعَاذِيرُ وتوقيفٌ وخُصومات، وثالثةٌ تتطايرُ فيها الصُّحُفُ للأيمان والشَّمائل[٣].

وقرأ الجمهور: «لا تَخفَى» بتاء التأنيث، وعليٌّ وابنُ وثّاب وطلحةُ والأعمشُ وحمزةُ والكِسائيُّ وابنُ مِقْسَم عن عاصم وابنُ سعدان بالياء[٤].

«خافية»: سريرةٌ وحالٌ كانت تَخفَى في الدنيا.

❃ ❃ ❃

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا

= وهو في تفسير الطبري أيضاً ٢٣/ ٢٢٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(١) في الكشاف وتفسير القرطبي: . . . أثمانية أم ثمانية آلاف.

(٢) نظر فيه السمين في الدر المصون ٨/ ٤٣٠ وقال: بل جوابُها ما تقدَّم من قوله: «وقعت الواقعة» و«تعرضون» على هذا مستأنف.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠، وينظر مسند أحمد (١٩٧١٥).

(٤) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص٦٤٨، والتيسير ص٢١٣، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾.

«أمّا» حرفُ تفصيل فُصِّلَ بها ما وقعَ في يوم العَرْض.

ويظهر أنَّ مَنْ قُضِيَ عليه دخولُ النار من الموحِّدين أنه في يوم العَرْض يأخذُ كتابَه بيمينه مع الناجين من النار ويكون ذلك يأنسُ به مدَّةَ العذاب.

وقيل: لا يأخذُه حتى يخرجَ من النار وإيمانُه أنيسُه مدَّةَ العذاب، قيل: وهذا يظهر لأنَّ من يُسارُ به إلى النار؛ كيف يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾[(١)]؟ وهل هذا إلا استبشارٌ وسرور؟ فلا يناسبُ دخولَ النار.

و«هاؤم» إن كان مدلولُها: خُذْ، فهي متسلّطة على «كتابيه» بغير واسطة، وإن كان مدلُولها: تَعَالَوْا؛ فهي متعدّية إليه بواسطة «إلى» و«كتابيه» يطلبُه «هاؤم» و«اقرؤوا» فالبصريُّون يُعْمِلون «اقرؤوا» والكوفيون يُعْمِلون «هاؤم» وفي ذلك دليل على جواز التنازع بين اسم الفعل والفعل[(٢)].

وقرأ الجمهور: «كِتابِيَهْ» و«حِسابِيَهْ» في موضعيهما و«مالِيَهْ» و«سُلطانِيَهْ» وفي القارعة: «ماهِيَهْ» بإثبات هاء السكت وقفاً ووصلاً لمراعاة خطّ المصحف، وقرأ ابن محيصن بحذفها وصلاً ووقفاً وإسكان الياء، وذلك: كتابيْ، وحسابيْ، وماليْ، وسلطانيْ[(٣)]، ولم يُنْقَل ذلك فيما وقفتُ عليه في «ماهِيَهْ» في القارعة، وابنُ أبي إسحاق والأعمش بطرح الهاء فيهنَّ في الوصل لا في الوقف، وطرَحَها حمزة

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

(٢) وقع في (أ) والمطبوع: والقسم، بدل: والفعل، وهو خطأ.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦١ دون تقييد ذلك وصلاً أو وقفاً. وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠ وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٦-٢٠٧ عن ابن محيصن وغيره حذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف فيهنّ.

في ماليَ، وسلطانيَ، وما هيَ، في الوصل لا في الوقف وفتحَ الياءَ فيهنَّ[١]. وما قاله الزَّهراوي[٢] من أن إثبات الهاء في الوصل لحنٌ لا يجوز عند أحدٍ علمتُه، ليس كما قال، بل ذلك منقولٌ نَقْلَ التواتر، فوجب قبولُه.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ أي: أيقنتُ، ولو كان ظنًّا فيه تجويز لكان كفراً.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾: ذاتِ رضاً، وقال أبو عبيدة والفرَّاء[٣]: «راضية»: مَرْضِيَّة، كقوله: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي: مدفُوق.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: مكاناً وقَدْراً ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ما يُجنَى منها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة التناول يدركها القائم والقاعد والمضطجع بفيه من شجرتها.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أي: يقال لهم.

و«هنيئاً» تقدَّم الكلامُ عليه في أوَّل النساء. وقال الزمخشري[٤] هنا: «هنيئاً» أكْلاً وشُرْباً هنيئاً، أو هَنِيتُم هنيئاً على المصدر. انتهى. فقولُه: أكلاً وشُرباً هنيئاً، يظهرُ منه أنه جعلَ «هنيئاً» صفةً لمصدرَيْن، ولا يجوزُ ذلك إلا على تقدير الإضمار عند من يُجيز ذلك، أي: أكلاً هنيئاً وشُرْباً هنيئاً.

﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: قدَّمتُم من العمل الصالح ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ يعني أيامَ الدُّنيا.

وقال مجاهد وابنُ جُبير ووكيع وعبد العزيز بن رُفيع: أيَّام الصوم[٥]، أي: بدلَ ما أمسكتُم عن الأكل والشُّرب لوجهِ الله تعالى[٦].

والظاهرُ العمومُ في قوله: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾ أي: من الأعمال الصالحة.

---

(١) ينظر التيسير ص٢١٤ و٢٢٥.

(٢) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٨ لأبي عبيدة، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢، ونقله عنهما القرطبي في تفسيره ٢١/ ٢٠٧.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٣.

(٥) المصدر السالف عن مجاهد، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠ عن ابن جبير ووكيع وعبد العزيز.

(٦) الكشاف ٤/ ١٥٣.

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ لمَّا رأى فيه قبائحَ أفعالِه وما يصيرُ أمرُه إليه تمنَّى أنه لم يُعطَه، وتمنَّى أنه لم يَدْرِ حسابَه، فإنه انجلى عنه حسابُه عن ما يسوءُه فيه، إذْ كان عليه لا له.

﴿يَٰلَيۡتَهَا﴾ أي: المَوْتة التي مِتُّها في الدُّنيا ﴿كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ﴾ أي: القاطعة لأمري فلم أُبعث ولم أُعذَّب، أو: يا ليتَ الحالة التي انتهيتُ إليها الآن كانت الموتةَ التي مِتُّها في الدُّنيا، حيث رأى أنَّ حالتَه التي هو فيها أمرُّ ممَّا ذاقَه من الموتة، وكيف لا وأمرُه آلَ إلى عذاب لا ينقطع؟!

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾﴾ يجوزُ أن يكون نفياً محضاً، أخبر بذلك متأسِّفاً على ماله حيث لم ينفعه، ويجوزُ أن يكون استفهاماً وبَّخ به نفسَه وقرَّرَها عليه.

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ أي: حُجَّتي، قاله ابنُ عباس ومجاهد والضحَّاك وعكرمة والسُّدِّيّ.

وقال ابنُ زيد: يقولُ ذلك ملوكُ الدُّنيا(١).

وكان عضُدُ الدولة ابنُ بُوَيْهِ(٢) لمَّا تَسمَّى بمَلِك الأملاك غَلَّابِ القَدَر(٣)، لم يُفلح وجُنَّ، فكان لا ينطلق لسانه إلا بقوله: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿خُذُوهُ﴾ أي: يُقال للزَّبانية: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ أي: اجعلوا في عنقه غُلًّا.

﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ قال الزمخشريّ(٤): ثم لا تُصَلُّوهُ إلا الجحيمَ، وهي النارُ

---

(١) ينظر فيما سلف تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣٦-٢٣٧، والنكت والعيون ٦/ ٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٠٩، وسيرد من قول المصنف أن قول ابن زيد مرجوح.

(٢) هو عَضُد الدولة أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو، صاحب العراق وفارس، تملَّك بفارس بعد عمه عماد الدولة واتسعت أملاكه ومدحه المتنبيّ وفحول الشعراء، مات سنة (٣٧٢هـ) ببغداد ودُفن بمشهد النَّجف. ينظر سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٤٩-٢٥٢.

(٣) وذلك في بيت شعر من أبيات قالها:

عَضُدُ الدولةِ وابنُ رُكْنِها مَلِكُ الأملاكِ غَلَّابُ القَدَرْ

وينظر خبر هذا في المصدر السالف، ويتيمة الدهر ٢/ ٢٥٩.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٣.

العُظمى لأنه كانَ سلطاناً يتعظَّم على الناس، يقال: صَلِيَ النارَ، وصَلَّاهُ النارَ. انتهى. وإنَّما قدَّرَهُ: لا تُصَلُّوه إلا الجحيمَ، لأنه يزعُم أن تقديمَ المفعول يدلُّ على الحصر، وقد تكلَّمنا معه في ذلك عند قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ وليس ما قاله مذهباً لسيبويهِ ولا لِحُذَّاقِ النُّحاة.

وأمَّا قولُه: لأنه كان سلطاناً يتعظَّم على الناس، فهذا قولُ ابنِ زيد، وهو مرجوح، والرَّاجحُ قولُ ابنِ عبَّاس ومن ذُكِرَ معه أنَّ السلطان هنا هو الحُجَّة التي كان يحتجُّ بها في الدُّنيا، لأنَّ من أُوتِيَ كتابَه بشِمالِهِ ليس مختصًّا بالملوك، بل هو عامٌّ في جميع أهل الشقاوة.

﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا﴾ أي: قياسُها ومقدارُ طولِها ﴿سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ يجوزُ أن يُراد ظاهرُهُ من العدد، ويجوزُ أن يُرادَ المبالغةُ في طولها وإنْ لم تبلغ هذا العدد.

قال ابنُ عبَّاس وابنُ جُرَيْج ومحمد بن المُنْكَدِر: بذراع المَلَك.

وقال نوف البِكالي وغيرُه: الذِّراع سبعون باعاً، في كلِّ باع كما بين مكةَ والكوفة. وهذا يحتاج إلى نقل صحيح.

وقال الحسن: الله أعلمُ بأيِّ ذراعٍ هي.

وقيل: بالذِّراعِ المعروف، وإنما خاطبَنا تعالى بما نعرفه ونُحصِّلُه.

وقال ابنُ عباس: لو وُضِعَ منها حلقةٌ على جبلٍ لذابَ كالرَّصاص[(١)].

﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ أي: أَدْخِلُوه، كقوله: ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٢١] والظاهرُ أنه يُدخلُ في السِّلْسِلة، ولطولِها تلتوي عليه من جميع جهاتِه، فيبقَى داخلاً فيها مضغوطاً حتى تعمَّه.

وقيل: في الكلام قلبٌ، والسِّلْسِلةُ تدخلُ من فمه وتخرجُ من دُبُرِه، فهي في

(١) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٣٧-٢٣٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦١ (ولفظها منه)، وزاد المسير ٨/ ٣٥٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٠.

الحقيقة التي تسلكُ فيه. ولا ضرورةَ تدعُو إلى إخراج الكلام عن ظاهره إلا إنْ دلَّ الدليلُ الصحيحُ على خلافه.

وقال الزمخشريّ[١]: والمعنى في تقديم السِّلسِلة على السِّلك مثلُه في تقديم الجحيم على التصلية، أي: لا تَسْلُكُوه إلا في هذه السِّلسِلة، كأنَّها أفظعُ من سائرِ مواضعِ الإرهاق في الجحيم. ومعنى «ثمَّ» الدلالةُ على تفاوتِ ما بين الغُلِّ والتَّصلية بالجحيم وما بينَها وبين السَّلْكِ في السِّلْسِلة، لا على تراخي المدَّة. انتهى.

وقد تقدَّم أنَّ من مذهبِه الحَصْرَ في تقديم المعمول، وأمَّا «ثمَّ» فيمكن بقاؤها على موضوعها من المُهْلَة، وأنه أوَّلاً يُؤخَذُ فيُغَلُّ، ولمَّا لم يُعذَّب بالعجلة صارت له استراحة ثم جاء تصليةُ الجحيم، فكان ذلك أبلغَ في عذابِهِ إذ جاءه ذلك وقد سكنَتْ نفسُه قليلاً، ثم جاءَ سَلْكُه بعد ذلك بعد كونِه مغلولاً معذَّباً في النار، لكنه كان له انتقالٌ من مكانٍ إلى مكان فيجد بذلك بعضَ تنفّس فلما سُلِكَ في السِّلْسِلة كان ذلك أشدَّ ما عليه من العذاب حيث صارَ لا حِراكَ له ولا انتقال، وأنه يضيق[٢] عليه غاية، فهذا يصحُّ فيه أن تكون «ثُمَّ» على موضوعها من المهلة الزمانية.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ﴾ بدأ بأقوى أسبابِ تعذيبِه، وهو كفرُه بالله، وأنه تعليلٌ مستأنف، كأنَّ قائلاً قال: لِمَ يُعذَّبُ هذا العذابَ البليغ؟ فقيل: إنه كان لا يؤمن.

وعطفُ «ولا يحضُّ» على «لا يؤمن» داخلٌ في العلَّة، وذلك يدلُّ على عِظَمِ ذنبِ مَن لا يَحُضُّ على إطعام المسكين، إذ جُعل قَرِينَ الكفر، وهذا حُكم تركِ الحَضّ، فكيف يكون تركُ الإطعام؟! والتقدير: على إطعام طعامِ المسكين. وأضافَ الطعام إلى المسكين من حيث له نسبةٌ إليه[٣]، إذ يستحقُّ المسكين حقَّه في مالِ الغنيّ المُوسِرِ ولو بأدنَى يسار، وللعربِ في مكارِمِهم وإيثارِهم آثارٌ عجيبة غريبة بحيث لا توجد في غيرهم، وما أحسنَ ما قال القائلُ فيهم:

---

(١) الكشاف ٤/ ١٥٤.

(٢) في (يه): مضيَّق.

(٣) في (أ) و(ع) والمطبوع: من حيث لم ينسبه إليه، وهو خطأ.

عـلـى مُكـثـرِيـهِـمْ رِزْقُ مَـنْ يَـعْـتَـرِيـهِـمُ وعـنـدَ الـمُـقـلِّـيـنَ الـسَّـمـاحَـةُ والـبَـذْلُ[١]

وكان أبو الدَّرداء يحضُّ امرأتَه على تكثير المَرَقِ[٢] لأجلِ المساكينِ ويقول: خَلَعْنا نصفَ السِّلسلة بالإيمان، أفلا نخلعُ نصفَها الآخر؟ وقيل: هو منعُ الكفار وقولُهم: أنُطْعِمُ مَنْ لو يشاءُ اللهُ أطعمَه[٣]؟ يعني أنه إذا نُفي الحَضّ انتفى الإطعامُ بجهة الأَوْلى كما صرّح به في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٣-٤٤].

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ أي: صديقٌ مُلاطِفٌ وادٌّ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وقيل: قريبٌ يدفعُ عنه.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ قال ابنُ عباس: هو صَدِيدُ أهلِ النار.

وقال قتادة وابنُ زيد: هو والزَّقُّوم أخبثُ شيء وأبشعُه.

وقال الضحَّاك والرَّبيع: هو شجرٌ يأكلُه أهلُ النار.

وقيل: هو شيء يجري من ضريع أهل النار[٤]، يدلُّ على هذا قولُه في «الغاشية»: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ فهما شيءٌ واحدٌ، أو متداخلان.

قيل: ويجوزُ أن يكونا متبايِنَيْن، وأخبرَ بكلٍّ واحدٍ منهما عن طائفةٍ غيرِ الطائفةِ التي الآخَرُ هو طعامُها[٥].

و«له» خبر «ليس»، وقال المَهْدَويّ: ولا يصحُّ أن يكون «هاهنا»، ولم يبيِّن

(١) البيت لزهير بن أبي سُلمى، وهو في ديوانه ص١١٤، وسلف في تفسير الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: الرزق، وهو تحريف، والخبر في الكشاف ٤/ ١٥٤، وتفسير الرازي ٣٠/ ١١٥.

(٣) المصدران السالفان، وقوله: «أنُطْعِمُ من لو يشاء الله أطعمه» من الآية (٤٧) في سورة يس.

(٤) كلمة «ضريع» من (يه)، وفي المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١-٣٦٢: هو شيء من ضريع النار.

(٥) لفظة «هو» من (يه)، والقول بنحوه أوضحُ منه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢، والأقوال السالفة فيه أيضاً، وينظر بعضها في تفسير الطبري ٢٣/ ٢٤٠-٢٤١، والنكت والعيون ٦/ ٨٥، وزاد المسير ٨/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١١-٢١٢.

ما المانعُ من ذلك، وتبعَه القرطبيُّ[١] في ذلك وقال: لأنَّ المعنى يصير: ليس هاهنا طعامٌ إلا من غِسْلِين، ولا يصحُّ ذلك؛ لأنَّ ثَمَّ طعاماً غيرَه، و«هاهنا» متعلّق بما في «له» من معنى الفعل. انتهى.

وإذا كان ثَمَّ غيرُه من الطعام وكان الأكلُ غيرَ أكلٍ آخَرَ صحَّ[٢] الحَصْرُ بالنسبة إلى اختلاف الآكِلِين، وأمَّا إن كان الضَّريعُ هو الغِسْلِين كما قال بعضُهم فلا تناقضَ، إذِ المحصورُ[٣] في الآيتَيْن هو من شيء[٤] واحد، وإنما يمتنعُ ذلك من وجهٍ غيرِ ما ذكرَه، وهو أنه إذا جعلنا الخبر «هاهنا» كان «له» و«اليومَ» متعلِّقين بما تعلَّق به الخبر، وهو العاملُ في «ههنا»، وهو عاملٌ معنويّ، فلا يتقدَّمُ معمولُه عليه، فلو كان العاملُ لفظيًّا جاز، كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ فـ «له» متعلِّق بـ «كُفُواً»، وهو خبر لـ «يَكُنْ»[٥].

وقرأ الجمهور: «الخاطِئون» بالهمز، اسم فاعل من خَطِئَ، وهو الذي يفعلُ ضدَّ الصَّواب متعمِّداً لذلك، والمخطِئ الذي يفعلُه غيرَ متعمِّد.

---

(١) في تفسيره ٢١/ ٢١١، وكلام المهدوي في المحرر الوجيز/ ٣٦٢.

(٢) في روح المعاني ٢٧/ ٤٠٢ عن البحر؛ وكان الأكل أكلاً آخر... إلخ.

(٣) في المصدر السالف عن البحر: فلا تناقض بين هذا الحصرِ والحصرِ في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦﴾ إذِ المحصور... إلخ.

(٤) في النهر الماذ بهامش مطبوع البحر ٨/ ٣٢٧: شجر، بدل: شيء.

(٥) كذا وقع سياق الكلام في (أ) و(ت) و(ع) ومطبوع البحر والنهر الماذ بهامشه وروح المعاني ٢٧/ ٤٠٢ وقد نقلَه عن أبي حيَّان.

وجاء الكلام في النسخة (يه) ببعض اختلاف، ولعلَّه من تعديل المصنف، فجاء فيها ما صورتُه: إذ المحصورُ في الآيتين هو من شيء واحد، ويجوز أن يكون «له» الخبر، ويتعلَّق «اليوم» و«هاهنا» بما في «له» من معنى الفعل. ويجوز أن يكون «هاهنا» الخبر، ويكون «له» و«اليوم» متعلّقين بما تعلَّق به الخبر، وهو العامل في «هاهنا»، وهو عامل معنويّ يجوزُ أن يتقدَّم معمولُه عليه في نحو هذا كما لو كان العاملُ لفظياً كقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾... الخ. ووقع نحو هذا الكلام في الدُّرّ المصون ١٠/ ٤٣٧. وقال الآلوسي بإثر كلام أبي حيان: وفي إطلاق العامل المعنويّ على متعلَّق الجار والمجرور المحذوف بحث.

وقرأ الحسنُ والزُّهريُّ والعَتَكيُّ وطلحةُ في نَقْلٍ بياء مضمومة بدلاً من الهمزة[1].

وقرأ أبو جعفر وشيبةُ وطلحةُ ونافعٌ بخلاف عنه: بضم الطاء دون همز[2]، فالظاهر أنه اسمُ فاعل من خَطِئَ كقراءة من همز[3]، وقال الزمخشريّ[4]: ويجوزُ أن يُراد الذينَ يتخطَّوْنَ الحقَّ إلى الباطل، ويَتعدَّوْنَ حدودَ الله. انتهى. فيكون اسمَ فاعل من «خَطَا يخطُو» كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨]. ومَنْ يَتّبعُ خُطُواتِ الشيطان خَطَا إلى المعاصي.

❁ ❁ ❁

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ
عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ
حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ
﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

تقدَّم الكلامُ في «لا» قبلَ القَسَم في قوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥].

وقراءةُ الحسن: «لَأُقْسِمُ»[5] بجَعْلِها لاماً دخلت على «أُقْسِمُ».

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢ عن الحسن والزُّهْرِيّ، وزاد ابنُ جنِّيّ نسبتَها في المحتسب ٢/ ٣٢٩ لموسى بن طلحة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢، ونُسبت في القراءات الشاذة ص١٦١ لابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم. وجاء في الكشاف ٤/ ١٥٤ عن ابن عباس: ما الخاطُون؟! كلُّنا نخطُو. وروى عنه أبو الأسود الدُّؤلي: ما الخاطُون؟ إنما هو الخاطئون، وما الصابُون؟ إنما هو الصابئون.

(٣) يعني أنه خُفِّفَ بالحذف. ينظر الدر المصون ١٠/ ٤٣٩.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٤.

(٥) ولفظها بتمامها: فَلَأُقْسِمُ، كما هو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢.

وقيل: «لا» هنا نفيٌ للقسَم، أي: لا يُحتاجُ في هذا إلى قسم لوضوح الحق في ذلك، وعلى هذا فجوابُه جوابُ القسم[١].

قال مقاتل: سببُ ذلك أنَّ الوليدَ قال: إنَّ محمداً ساحرٌ، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عُقبة[٢]: كاهن، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝٣٩﴾[٣].

قال قتادة: عامّ في جميع مخلوقاته.

وقال [ابن] عطاء[٤]: «ما تُبصرون» من آثار القدرة، «وما لا تُبصرون» من أسرار القدرة.

وقيل: «وما لا تُبصرون»: الملائكة، وقيل: الأجساد والأرواح[٥].

«إنه» أي: القرآن﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾هو محمدٌ ﷺ في قول الأكثرين، ويؤيِّدُه قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ وما بعدَه. ونُسب القول إليه لأنه هو مبلِّغه والعاملُ به.

وقال ابنُ السائب ومقاتل وابن قتيبة: هو جبريل عليه السلام[٦]، إذ هو الرسولُ عن الله، ونَفَى تعالى أن يكونَ قولَ شاعر لمباينتهِ لضروب الشعر، ولا قولَ كاهن لأنه وردَ بسب الشياطين.

---

(١) تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٣، وفيه: فجوابه كجواب القسم.

(٢) كلمة «عقبة» من (يه)، وهو ابنُ أبي مُعَيط.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٨٥-٨٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٢، وفيهما بإثره: أي أقسم، وزاد في النكت قوله: و«لا» صلة زائدة.

(٤) لفظة «ابن» بين حاصرتين من تفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢. والقول فيهما، وابنُ عطاء: هو محمد بن أحمد بن سهل بن عطاء البغدادي الزاهد العابد، توفي سنة (٣٠٩) ينظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥٥.

(٥) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢، وينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٢.

(٦) قول ابن السائب ـ وهو الكلبي ـ ومقاتل: إنه جبريل، في النكت والعيون ٦/ ٨٦، وزاد المسير ٨/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٣. وأما ابن قُتيبة فقال: الرسولُ هنا محمد ﷺ كما في المصادر السالفة، وبنحوه في تفسير غريب القرآن له ص٤٨٤.

وانتصبَ «قليلاً» على أنه صفة لمصدر محذوف، أو لزمان محذوف، أي: تؤمنون إيماناً قليلاً، أو زماناً قليلاً، وكذا التقدير في ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[1] والقِلَّة هو إقرارُهم إذا سُئلوا: مَنْ خلقَهم؟ قالوا: الله.

وقال ابن عطيَّة: ونصب «قليلاً» بفعل مضمر يدلُّ عليه قوله: «تؤمنون»، و«ما» تَحتمِل أن تكون نافية، فينتفي إيمانُهم البتَّة، وتَحتمِل أن تكون مصدريَّة، ويَتَّصِفُ بالقِلَّة، فهو[2] الإيمان اللغويّ[3]؛ لأنهم قد صدَّقُوا بأشياءَ يسيرةٍ لا تغني عنهم شيئاً إذ كانوا يُصَدِّقون أنَّ الخير والصِّلةَ والعَفافَ الذي كان يأمرُ به رسولُ الله ﷺ هو حقٌّ صواب. انتهى.

أمَّا قوله: ونصب «قليلاً» بفعل مضمر يدلُّ عليه «تؤمنون» فلا يصحُّ؛ لأنَّ ذلك الفعلَ الدَّالَّ عليه «تؤمنون» إمَّا أن تكون «ما» نافية أو مصدرية كما ذهب إليه، فإنْ كانت نافية فذلك الفعلُ المضمر الدالُّ عليه «تؤمنون» المنفيُّ بـ «ما» يكون منفيًّا، فيكون التقدير: ما تومنون قليلاً ما تومنون، والفعل المنفيّ بـ «ما» لا يجوز حذفُه ولا حذفُ «ما»، لا يجوزُ: زيداً ما أضْرِبُه، على تقدير: ما أضْرِبُ زيداً ما أضْرِبُه.

وإن كانت مصدرية كانت إمَّا في موضع رفع على الفاعلية بـ«قليلاً»، أي: قليلاً إيمانُكم، ويبقَى «قليلاً» لا يتقدَّمه ما يعتمدُ عليه حتى يعمل ولا ناصبَ له، وإمَّا في موضع رفع على الابتداء، فتكونُ مبتدأً لا خبرَ له؛ لأنَّ ما قبلَه منصوبٌ لا مرفوع.

وقال الزمخشري[4]: والقِلَّة في معنى العَدَم، أي: لا تؤمنون، ولا تَذَكَّرون البتَّة، والمعنى: ما أكْفَرَكُم وما أغفَلَكُم! انتهى.

ولا يُراد بـ «قليلاً» هنا النفيُ المحض كما زعم، وذلك لا يكون إلا في «أقلّ»

---

(١) وتكون «ما» زائدة للتوكيد. ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٣، والدر المصون ١٠/ ٤٤٠.

(٢) في المطبوع: والمتصف بالقلة هو... الخ.

(٣) عبارة المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢: ويتصف بالقلَّة إما الإيمان وإما العدد الذي يؤمنون، فعلى اتصاف إيمانهم بالقلَّة فهم الإيمان اللغوي... الخ. ولعل المصنف اختصر الكلام أو أن فيه سقطاً.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٤.

نحو: أَقَلُّ رجلٍ يقولُ ذلك إلا زيدٌ، وفي «قَلَّ» نحو: قَلَّ رجلٌ يقولُ ذلك إلا زيدٌ، وقد تستعمل في «قليل» و«قليلة» إذا كانا مرفوعَيْن نحو ما جَوَّزُوا في قوله:

قـلـيـلٌ بـهـا الأصـواتُ إلا بُـغـامُـهـا[(١)]

أمَّا إذا كان منصوباً نحو: قليلاً ضَرَبْتُ، أو: قليلاً ما ضَرَبْتُ، على أن تكون «ما» مصدريَّة؛ فإنَّ ذلك لا يجوز؛ لأنه في «قليلاً ضربتُ» منصوبٌ بـ «ضَرَبْتُ»، ولم تستعمل العربُ «قليلاً» إذا انتصبَ بالفعل نَفْياً، بل مقابلاً لـ «كثيراً»[(٢)] وأمَّا في «قليلاً ما ضَرَبْتُ» على أن تكون «ما» مصدريَّة فتحتاجُ إلى رفع «قليل» لأنَّ «ما» المصدريَّة في موضع رفع على الابتداء[(٣)].

وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عَمرو بخلاف عنهما والحسنُ والجَحْدَريّ: «يؤمنون» «يَذَّكَّرون» بالياء فيهما[(٤)]، وباقي السبعة بتاء الخطاب[(٥)]، وأُبيّ بتاءين[(٦)].

وقرأ الجمهور: «تنزيلٌ» بالرفع، وأبو السَّمال[(٧)]: «تنزيلاً» بالنصب[(٨)].

وقرأ الجمهور: «ولو تَقَوَّلَ» والتقوُّلُ أن يقولَ الإنسان عن آخرَ أنه قال شيئاً لم يقله.

---

(١) هو عجز بيت لذي الرُّمَّة، وصدرُه: أُنِيخَتْ فأَلْقَتْ بَلْدَةً فوقَ بَلْدَةٍ. وهو في ديوانه ٢/ ١٠٠٤. البَلْدَة الأولى: صدرُ الناقة، والثانية: الأرض، ويجوز في «قليل» الجرُّ على أنه صفة سببيَّة للبَلْدة الثانية، ويجوز الرفع على أنه خبر الأصوات. ينظر خزانة الأدب ٣/ ٤١٩-٤٢٠، وسلف البيت في تفسير الآيتين (٨٣) و(١٢٦) من سورة البقرة.

(٢) في (أ) والمطبوع: كثير.

(٣) نقل السمين كلام أبي حيان هذا وقال: هو مجرّد دعوى! ينظر الدر المصون ١٠/ ٤٤١.

(٤) يعني مع تشديد الذال، وقراءة ابن عامر هي من رواية ابن ذكوان بخلف عنه، ورواية أبي عمرو هي من رواية هارون عنه، ينظر السبعة ص٦٤٨، والتيسير ص٢١٤، وهي عن الحسن والجحدريّ في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢.

(٥) مع تشديد الذال لنافع وأبي عمرو وأبي بكر بن عيَّاش، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢.

(٧) في (يه): السمَّاك.

(٨) الكشاف ٤/ ١٥٤، وتفسير الرازي ٣٠/ ١١٨، وفيهما: أي: نزل تنزيلاً.

وقرأ ذكوان وابنُه محمد: «يقول» مضارع «قال»(١)، وهذه القراءة مُعَرِّضةٌ(٢) بما صَرَّحَتْ به قراءةُ الجمهور(٣).

وقُرئ: «ولو تُقُوِّلَ» مبنيًّا للمفعول، وحذف الفاعل وقام المفعول مَقامه، وهو «بعضُ» إنْ كان قُرِئَ مرفوعاً، وإن كان قُرِئَ منصوباً؛ فـ «علينا» قام مقامَ الفاعل(٤)، والمعنى: ولو تَقَوَّلَ علينا متقوِّلٌ، ولا يكونُ الضمير في «تقوَّلَ» عائداً على الرسول ﷺ لاستحالة وقوعِ ذلك منه، فنحن نمنعُ أن يكون ذلك على سبيل الفَرْضِ في حقِّه عليه الصلاة والسلام(٥).

و«الأقاويل» جمع الجمع وهو «أقوال»، كبيت وأبيات وأبابِيت.

قال الزمخشريّ(٦): وسمَّى الأقوالَ المُتَقَوَّلَةَ أقاويلَ تصغيراً لها وتحقيراً، كقولك: الأعاجِيب والأضاحِيك، كأنها جمع أُفْعُولَة، من القول.

والظاهر أنَّ قوله «باليمين» المرادُ به الجارحة، فقال الحسن: المعنى: قطعناه عبرةً ونكالاً، والباء على هذا زائدة.

وقيل: الأخذُ على ظاهره.

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٢٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٣، وهي في القراءات الشاذة ص١٦١ دون نسبة.

(٢) في (أ) والمطبوع: معترضة، وهو تحريف.

(٣) يعني أن «يَقُولُ» ليست مختصَّة بالباطل دون الحق، فالتعريض بها ـ على هذه القراءة ـ جاء في قوله: الأقاويل، وقولِهِ: لَأَخَذْنا منه باليمين ثم لقطَعْنا منه الوتين. قاله ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٤) يعني أنَّ القائم مقام الفاعل (على هذه الرواية) الجارُّ، كما ذكر السمين في الدرّ المصون ١٠/ ٤٤٢ وقال: وهذا عند من يرى قيام غير المفعول به مع وجودِهِ. اهـ. وتحرَّف لفظ «فعلينا» في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: «بعلينا».

(٥) لكن المفسِّرين على أنَّ الضمير في «تَقَوَّلَ» عائدٌ على النبي ﷺ، وما استبعدَه أبو حيان هنا لم يستبعد مثله، فذكر في قوله: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ [الأحقاف: ٨] أن ذلك على سبيل الفَرْض، ونقل عن الزمخشري في تفسير قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] أن ذلك على سبيل الفَرْض، ولم يتعقَّبه، ونقل عنه قولَه أيضاً: المُحالاتُ يصحُّ فَرْضُها.

(٦) الكشاف ٤/ ١٥٥.

قال الزمخشريّ: والمعنى: ولو ادَّعى علينا[1] شيئاً لم نقله لقتلناه صَبْراً كما تفعل الملوكُ بمن يتكذَّب عليهم معاجلةً بالسُّخط والانتقام، فصوَّر قتلَ الصبر بصورتِه ليكونَ أهولَ، وهو أن يُؤخذَ بيده وتُضرَبَ رقبتُه، وخصَّ اليمين عن اليسار؛ لأنَّ القتال إذا أرادَ أن يُوقِعَ الضربَ في قفاه أخذَ بيساره، وإذا أرادَ أن يُوقعَه في جِيدِه وأن يَكْفَحَهُ[2] بالسيف ـ وهو أشدُّ على المصبورِ لِنَظَرِه إلى السيف ـ أخذَ بيمينه.

ومعنى ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ لأخَذْنا بيمينه، كما أن قوله: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ لقَطَعْنا وَتِينَهُ. انتهى.

وهو قول للمتقدِّمين حسَّنَه الزمخشريّ بتكثير ألفاظِهِ ومصاغَتِها، قالوا: المعنى: لأخَذْنا بيدِه التي هي اليمين على جهة الإذلال[3] كما يقول السلطان إذا أرادَ عقوبةَ رجلٍ يا غلام خذ بيدِه وافعل كذا. قاله أو قريباً منه الطبري[4].

وقيل: اليمين هنا مجاز، فقال ابنُ عباس: «باليمين» بالقوَّة، ومعناه: لنِلْنا منه عقابَه بقوَّةٍ منَّا[5].

وقال مجاهد: بالقدرة[6].

---

(١) في (أ) و(ع) والمطبوع: ولو ادَّعى مُدَّعٍ علينا، والمثبت من (يه)، وهو موافق لما في الكشاف ٤/ ١٥٥ (والكلام منه) وكذا هو في نسخة خطية له ص٣٦٤، ولعل زيادة كلمة «مُدَّعٍ» من تصرُّف النُّسَّاخ ليتوافق ذلك مع ما سلف من قول أبي حَيَّان بمنع عَوْدِ الضمير في «تَقَوَّلَ» على النبي ﷺ، والله أعلم.

(٢) أي: يلقاه مواجهةً. وتحرَّفت اللفظة في (أ) و(ع) والمطبوع إلى: يلحقه.

(٣) بعدها في (أ) والمطبوع: والصَّغَار.

(٤) تفسيره ٢٣/ ٢٤٣، ونقله عنه بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٨٧، والقرطبي في تفسيره ٢١/ ٢١٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٣، ولفظُه عن ابن عباس عند الثعلبي ٦/ ٢٧٣ والبغوي ٤/ ٣٩٠: لأخذناه بالقوة والقدرة.

(٦) لفظُه في النكت والعيون ٦/ ٨٦: لأخذنا منه بالقُدرة، وهو بنحو قولِ ابن عباس السالف قبله، وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٤.

وقال السُّدِّيّ: عاقبناه بالحقّ[١]، و«مِن» على هذا صِلة.

وقال نفطويه: لقبضنا بيمينه[٢] عن التصرُّف.

وقيل: لَنَزَعْنا منه قوَّتَه. وقيل: لأذللناه وأعجزناه.

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابنُ عباس: هو نِياطُ القلب.

وقال مجاهد: حَبْلُ القلب الذي في الظَّهر، وهو النُّخاع والمَوْتُون: الذي قُطِعَ وَتِينُه[٣]، والمعنى: لو تَقوَّلَ علينا لأذْهَبْنا حياتَه معجَّلاً.

والضمير في «عنه» الظاهر أنه يعودُ على الذي تَقَوَّلَ، ويجوز أن يعود على القتل، أي: لا يقدرُ أحدٌ منكم أن يَحْجُزَهُ عن ذلك ويدفعَه عنه، والخطاب في «منكم» للناس.

والظاهر في «حاجِزِين» أن يكون خبراً لـ «ما» على لغة الحجاز[٤]؛ لأن «حاجزين» هو محطُّ الفائدة، ويكون «منكم» لو تأخَّر لكان صفة لـ «أحد» فلمَّا تقدَّم صارَ حالاً، وفي جواز هذا نظر، أو يكون للبيان، أو يتعلَّق بـ «حاجزين» كما تقول: ما فيك زيدٌ راغباً، ولا يمنع هذا الفصل من انتصاب خبر «ما».

وقال الحَوْفيّ والزمخشريّ[٥]: «حاجزين» نعت لـ «أحد» على اللفظ، وجُمع على المعنى، لأنه في معنى الجماعة يقع في النفي العام للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، ومنه: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقوله: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢] مَثَّلَ بهما الزمخشريُّ. وقد تكلَّمنا على ذينك في موضعيهما، وفي الحديث: «لم تَحِلَّ الغنائم[٦] لأحدٍ سُودِ الرؤوسِ قبلكم»[٧].

---

(١) النكت والعيون ٦/٨٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٥.

(٢) في (يه): يمينه، والقول في تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٥.

(٣) المصدران السالفان، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٤٣-٢٤٥.

(٤) يعني: و«أحد» اسمها، و«مِنْ» زائدة.

(٥) الكشاف ٤/ ١٥٥.

(٦) في (يه): الغنم، والمثبت من تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٦ (والكلام فيه بنحوه). ومصادر الحديث، وسقطت اللفظة من (أ) والمطبوع، ومكانها بياض في (ع).

(٧) هو قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٧٤٣٣) والترمذي (٣٠٨٥) وغيرهما.

وإذا كان «حاجِزين» نعتاً ف «أحد» مبتدأ والخبر «منكم» ويضعف هذا القول لأنَّ النفي يتسلَّط على الخبر، وهو كينونتُه منكم، فلا يتسلَّط على الحَجْز، وإذا كان «حاجِزين» خبراً تسلَّط النفيُ عليه، وصار المعنى: ما أحدٌ منكم يَحْجُزُهُ عمَّا نُريدُه[١] به من ذلك.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ﴾ أي: وإنَّ القرآنَ، أو الرسول ﷺ.

﴿وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ وعيد، أي: مكذِّبين[٢] بالقرآن، أو بالرسول ﷺ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ﴾ أي: القرآن؛ من حيث كفروا به، ويَرَوْنَ مَنْ آمنَ به ينعُم[٣] وهم معذَّبون.

وقال مقاتل: وإنَّ تكذيبَهم بالقرآن لحسرةٌ عليهم[٤]، عادَ الضمير على المصدر المفهوم من قوله: «مكذِّبين» كقوله:

إذا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إليه[٥]

أي: للسَّفَهِ.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: وإنَّ القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ۝٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ۝٥٢﴾ وسبق الكلام على إضافة «حَقّ» إلى «اليقين» في آخر «الواقعة».

---

(١) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: يريد.

(٢) قوله: وعيد أي مكذبين، ليس في (يه).

(٣) في (يه): بنعم.

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٣٣٠.

(٥) وعجزُه: وخالفَ والسفيهُ إلى خلاف. وهو دون نسبة في المصادر، وهو الشاهد (٣٧٤) في خزانة الأدب، وسلف في تفسير آل عمران (١٨٠) والنساء (١٤٣)، والأنعام (٦٨).

مفردات سورة المعارج

العِهْنُ: الصُّوف دون تقييد، أو الأحمر، أو المصبوغ ألواناً، أقوال.

الفَصيلة؛ قال ثعلب: الآباء الأَدْنَوْن، وقَال أبو عبيدة: الفَخِذ[1]، وقيل: عشيرتُه الأقربون.

«لَظَى» اسم لجهنَّم، أو للدَّرْكَة الثانية من دَرَكاتِها، وهو عَلَم منقول من اللَّظَى، وهو اللَّهَب، ومُنع الصرفَ للعلميَّة والتأنيث.

الشَّوَى جمع شَواة، وهي جلدةُ الرأس، وقال الأعشى:

قـالَـتْ قُـتَـيْـلَـةُ مَـالَـهُ   قَـدْ جُـلِّـلَـتْ شَـيْـباً شَـوَاتُـهْ[2]

والشَّوَى: جِلْدُ الإنسان، والشَّوَى: قوائمُ الحيوان، والشَّوَى: كلُّ عضوٍ ليس بمقتل، ومنه: رَمَى فأَشْوَى: إذا لم يُصب المقتل. والشَّوَى: رُذال[3] المال، والشَّوَى: الشيءُ الهيِّنُ اليسير.

الهَلَع: الفَزَعُ والاضطرابُ السريعُ عند مَسِّ المكروه، والمنعُ السريعُ عند مسِّ الخير، من قولهم: ناقةٌ هِلْواع[4]: سريعةُ السَّيْر.

---

(١) بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، ونقل القرطبي ٢١/ ٢٣٠ عنه: الفصيلة دون القبيلة. اهـ. والفَخِذ ـ كما في القاموس ـ حيُّ الرَّجل إذا كان من أقرب عشيرته.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٦١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٣.

(٣) تحرَّفت اللفظة في المطبوع إلى: زوال. وينظر الكلام في الصحاح (شوى) والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) المثبت من (يه)، وتحرفت في النسخ الأخرى والمطبوع إلى: هلوع، والكلام في الكشاف ٤/ ١٥٨.

وقال أبو عبيدة: الهَلَع في اللغة: أشدُّ الحِرْص وأسوأُ الجَزَع[١].

الجَزَع: الخوف، قال الشاعر:

جَزِعْتُ ولم أجْزَعْ من البَيْنِ مَجْزَعا[٢]

عِزِين جمع عِزَة، قال أبو عبيدة: جماعات في تفرقة[٣].

وقيل: الجمعُ اليسير، كثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة[٤].

وقال الأصمعي: في الدار عِزُون، أي: أصنافٌ من الناس[٥]. قال عنترة:

وقِرْنٍ قد تركتُ لِذِي وَلِيٍّ ... عليهِ الطيرُ كالعُصَبِ[٦] العِزِينِ[٧]

وقال الراعي:

أخليفةَ الرحمنِ إنَّ عَشِيرتي ... أمسى سَوَامُهُمُ عِزِينَ فُلُولا[٨]

وقال الكُمَيْت[٩]:

---

(١) لفظ قول أبي عبيدة في مجاز القرآن: قد فسَّرها: لا يصبر، إذ مسَّه الشرُّ جَزُوعاً، وإذا مسَّه الخير منوعاً، والهلوع مصدره، وهو أسوأ الجَزَع.

(٢) هو صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: وعزَّيتُ قلباً بالكواعب مولعاً، وسلف في تفسير الآية (٢١) من سورة إبراهيم.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠، ونقله عنه أيضاً القرطبي ٢١/ ٢٤١.

(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠.

(٥) الصحاح (عزا)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣.

(٦) في المطبوع: كالغصن. والبيت غير واضح في (أ).

(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٢، وروايتُه في ديوان عنترة ص١٧٩:

وقِرْنٍ قد تركتُ لدى مَكَرٍّ ... عليه سبائباً كالأرجوانِ

القِرْنُ: الكُفْؤُ في الشجاعة، والعُصَبُ: جمع عُصْبَة، وهي هنا جماعة الطير.

(٨) ديوان الراعي ص٢٢٨، ورواية صدره منه: أوَلِيَّ أمْرِ اللهِ إنَّ عشيرتي. ورواية عجزه في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤١: أمْسَى سَرَاتُهُمُ إليك عِزِينا. وفي تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١: سوائمهم، بدل: سوامهم.

(٩) ديوانه ص٤٤٨.

ونحنُ وجَنْدَلٌ باغٍ تَرَكْنَا كتائبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عِزِينَا

وقال آخر:

تَرَانا عِنْدَهُ والليلُ داجٍ على أبوابِه حِلَقاً عِزِينَا[1]

وقال آخر:

فلمَّا أنْ أَتَيْنَ على أُضاخٍ ضَرَحْنَ حَصَاهُ أشْتَاتاً عِزِينَا[2]

«عِزَة» ممَّا حُذِفَ لامُه، فقيل: هي واو، وأصلُه عِزْوَة، كأنَّ كلَّ فِرْقَة تعتَزِي إلى غيرِ مَنْ تَعْتَزِي إليه الأخرى، فهم متفرّقون[3]، ويقال: عَزَاه يَعْزُوه: إذا أضافَه إلى غيره.

وقيل: لامُها هاء، والأصل عِزْهَة، وجُمعت «عِزَة» بالواو والنون كما جُمعت «سنة» وأخواتُها بذلك، وتكسر العين في الجمع وتضمّ، وقالوا عِزًى على فِعَل، ولم يقولوا: عِزَات[4].

* * *

سورة المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ① لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ② مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ③ تَعۡرُجُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ④ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمۡ
يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ⑥ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ⑦ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ⑧ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ⑨ وَلَا

(١) النكت والعيون ٦/ ٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤١.
(٢) الصحاح (ضرح - عزا)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٢. أُضاخ: اسم جبل كما في معجم البلدان، وضَرَح أي: دفعَ.
(٣) الكشاف ٤/ ١٦٠.
(٤) ينظر الصحاح (عزا)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٢.

يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِۦ
وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ
ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ
﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾
إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ
﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

هذه السورة مكِّيَّة، قال الجمهور: نزلت في النَّضْر بن الحارث حين قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾الآية[١] [الأنفال: ٣٢].

وقال الربيع بن أنس: في أبي جهل[٢]، وقيل: في جماعة من قريش قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ الآية[٣].

وقيل: السائلُ نوحٌ عليه السلام، سأل العذابَ على الكافرين[٤].

وقيل: السائلُ رسولُ الله ﷺ، سألَ اللهَ أن يُشَدِّدَ وَطْأتَهُ على مُضَر، الحديث، فاستجابَ الله دعوتَه[٥].

---

(١) السنن الكبرى للنسائي (١١٥٥٦)، والمستدرك ٢/ ٥٠٢، عن ابن عباس، وينظر النكت والعيون ٦/ ٨٩، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٥، والكشاف ٤/ ١٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤، وزاد المسير ٨/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٨-٢١٩.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٥٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢١٩، وهو في النكت والعيون ٦/ ٩٠ عن ربيع بن أبي حمزة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٩٠، وتفسير القرطبي ٢٠/ ٢١٩.

(٤) تفسير القرطبي ٢١/ ٢١٩.

(٥) بنحوه في المصدر السالف، ودعاؤه ﷺ على مُضَر قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه البخاري (٦٢٠٠) ومسلم (٦٧٥).

ومناسبةُ أوَّلِها لآخِرِ ما قبلَها أنه لمَّا ذكرَ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۝﴾ أخبرَ عمَّا صدرَ عن بعض المكذِّبين بنِقَمِ الله. وإنْ كانَ السائلُ نوحاً عليه السلام أو الرسول ﷺ فناسبَ تكذيب المكذبين أنْ دعا عليهم رسولُهم حتى يُصابوا فيعرفوا صدقَ ما جاءهم به.

وقرأ الجمهور: «سأَلَ» بالهمز، أي: دَعَا داعٍ، من قولهم: دَعَا بكذا: إذا استدعاه وطلبَه، فالباء على أصلها.

وقيل المعنى: بحث باحث واستفهم، قيل: فالباء بمعنى «عن».

وقرأ نافع وابنُ عامر: «سالَ» بألف[1]، فيجوز أن يكونَ قد أُبدلت همزتُه ألفاً، وهو بَدلٌ على غير قياس، وإنما قياسُ هذا بين بين، ويجوز أن يكون على لغة من قال: سِلْتُ أَسَالُ، وعينُ الفعل واو[2]، حكاها سيبويه[3].

وقال الزمخشريّ[4]: هي لغة قريش، يقولون: سِلْتَ تَسَالُ، وهما يَتَسَايلان. انتهى.

وينبغي أنْ يُتَثَبَّتَ في قوله: إنها لغة قريش، لأنَّ ما جاءَ في القرآن من باب السؤال هو مهموز، أو أصلُه الهمز، كقراءة من قرأ: «وسَلُوا اللهَ من فَضْله» إذْ لا يجوزُ أن يكون من «سَالَ» التي عينُها واو، إذ كان يكونُ ذلك: وسَالوا الله، مثل: خافُوا الأمر، فيبعُد أن يجيء ذلك كلُّه على لغة قريش[5]، وهم الذين نزلَ القرآن بلغتهم إلا يسيراً فيه لغةُ غيرهم.

(١) السبعة ص٦٥٠، والتيسر ص٢١٤.
(٢) قوله: وعين الفعل واو، من (ب).
(٣) مثل خِفْتُ أخافُ، وينظر الكتاب ٣/ ٤٦٨ و٥٥٥، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢١.
(٤) الكشاف ٤/ ١٥٦.
(٥) في مطبوع البحر ٨/ ٣٣٢، والدر المصون ١٠/ ٤٤٦ عن البحر: لغة غير قريش! وينظر تفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٠.

ثم جاء في كلام الزمخشري: وهما يتسايلان، بالياء، وأظنُّه من الناسخ، وإنَّما هو: يتساولان، بالواو كما حكاه أبو زيد عن العرب: هما يتساولان[١]، فإن توافقت النُّسخ بالياء، فيكون التحريف من الزمخشري، وعلى تقدير أنه من السؤال فسائل اسم فاعل منه. وتقدَّم ذكر الخلاف في السائل من هو. وقيل: «سالَ» من السَّيَلان، ويؤيِّدُهُ قراءةُ ابنِ عباس: «سالَ سَيْلٌ»[٢]. وقال زيد بن ثابت: في جهنَّم وادٍ يُسَمَّى سايلاً، وأخبرَ هنا عنه.

قال ابن عطية[٣]: ويحتمل إن لم يصحَّ أمرُ الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القَدَر بذلك العذاب قد استُعير له السيلُ لِما عُهد من نفوذِ السَّيل وتصميمه.

وقال الزمخشريّ: والسَّيْلُ مصدر في معنى السائل، كالغَوْر بمعنى الغائر، والمعنى: اندفعَ عليهم وادي عذاب، فذهبَ بهم وأهلكَهم. انتهى.

وإذا كان السائل هم الكفار فسؤالُهم إنَّما كان على أنه كَذِبٌ عندهم، فأخبرَ تعالى أنه واقع وعيداً لهم.

وقرأ أُبيّ وعبدُ الله: سالَ سالٌ، مثل: مالَ[٤]، بإلقاء صورة الهمزة ـ وهي الياء ـ من الخطّ تخفيفاً، قيل: والمراد: سائلٌ. انتهى. ولم يحك هل قرأا بالهمز أو بإسقاطها البتة، فإنْ قَرأا بالهمز فظاهر، وإنْ قَرأا بحذفها فهو مثل «شاكٌ» في «شائك»[٥] حُذفت عينُه، واللامُ جَرَى فيها الإعراب.

والظاهر تعلُّق «بعذاب» بـ «سألَ»، وقال أبو عبد الله الرازيّ: يتعلَّق بمصدر دلَّ

---

(١) قوله: كما حكاه... الخ، من (يه).

(٢) القراءات الشاذة ص١٦١، والمحتسب ٢/ ٣٣٠، والكشاف ٤/١٥٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وزاد المسير ٨/٣٥٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٤ وقول زيد السالف فيه وفي تفسير كل من الثعلبي ٢٧٥، وزاد المسير ٨/ ٣٥٨ والقرطبي ٢١/ ٢٢٠.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ (والكلام فيه): مثل: قال قالٌ.

(٥) توضِّحها عبارة الدر المصون ٨/ ٤٤٧: كما قيل: هذا شاكٌ، في: شائك السلاح.

عليه فعلُه، كأنه قيل: ما سؤالُه؟ فقيل: سؤاله بعذاب[١].

والظاهر اتصال «للكافرين» بـ «واقع» فيكون متعلِّقاً به، واللام للعلَّة، أي: نازلٍ بهم لأجلهم، أي: لأجلِ كفرِهم.

أو على أنَّ اللام بمعنى «على» قاله بعضُ النحاة، ويؤيِّدُه قراءة أُبيّ: «على الكافرين»[٢].

أو على أنه في موضع صفة أي: واقعٍ كائنٍ للكافرين، وقال قتادة والحسن: المعنى كأنَّ قائلاً قال: لمن هذا العذابُ الواقع؟ فقيل: للكافرين[٣]، وقال الزمخشريّ[٤]: أو بالفعل أي: دَعَا للكافرين. ثم قال: وعلى الثاني ـ وهو ثاني ما ذَكَرَ من توجيهِه في «الكافرين» قال ـ: هو كلام مبتدأ جوابٌ للسائل، أي: هو للكافرين. وكان قد قرَّرَ أنَّ «سأل» ضُمِّن معنى «دَعَا» فعُدِّيَ تعديتَه، كأنه قال: دَعَا داعٍ بعذاب، من قولك: دَعَا بكذا: إذا استدعاه وطلبَه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان: ٥٥]. انتهى.

فعلى ما قرَّرَه أنه متعلِّق بـ «دَعَا» يعني بـ «سأل» فكيف يكونُ كلاماً مبتدأ جواباً للسائل، أي: هو للكافرين. هذا لا يصحّ، أخذَ قولَ قتادة والحسن وأفسدَه[٥].

---

(١) لم أقف عليه. وتعقَّب السمين في الدر ٨/ ٤٤٧ هذا الكلام بأن قوله أولاً: «متعلّق بمصدر دلَّ عليه فعل السؤال» ينافي تقديره بقوله: «سؤالُهم بعذاب» لأن الباء في هذا التركيب المقدَّر تتعلَّق بمحذوف لأنها خبر المبتدأ لا بالسؤال.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٢.

(٣) المصدران السالفان.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٦.

(٥) وَهِمَ المصنِّف رحمه الله في نقله عن الزمخشري فنسبه إلى الغلط، فما ذكره عنه أنَّ «سأل» بمعنى «دعا» إنما هو القول الأول له، وأمَّا القول الثاني فهو أن «سأل» مضمَّن معنى: عُنِيَ واهتمَّ، أوردَه شارحاً فيه قول قتادة (السالف قريباً) وعليه يكون قوله «للكافرين» كلاماً مبتدأ جواباً للسائل، أي: هو للكافرين، نبَّه على هذا السمين في الدُّرّ المصون ١٠/ ٤٤٩ ثم قال: والترتيب الذي رتَّبه الزمخشري في تعلُّق اللام من أحسن ما يكون صناعةً ومعنًى.

والأجودُ أن يكون «من الله» متعلِّقاً بقوله: «واقع» و«ليس له دافع» جملة اعتراض بين العامل والمعمول، وقيل: يتعلَّق بـ «دافع» أي: من جهته إذا جاء وقتهُ.

﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ «المعارج» لغةً الدَّرَجُ، وهنا استعارة، قال ابنُ عباس وقتادة: في الرُّتَبِ والفواضل والصفات الحميدة.

وقال ابن عباس أيضاً: المعارجُ السماواتُ، تعرجُ فيها الملائكةُ من سماء إلى سماء.

وقال الحسن: هي المراقي إلى السماء[1].

وقيل: المعارج الغُرف، أي: جعلَها لأوليائه في الجنة[2].

«تعرجُ» قراءة الجمهور بالتاء على التأنيث، وعبدُ الله والكسائيّ وابنُ مِقْسَم وزائدة عن الأعمش بالياء[3].

و«الرُّوح» قال الجمهور: هو جبريل؛ خُصَّ بالذِّكر تشريفاً، وأُخِّرَ هنا بعد «الملائكة»، وقُدِّم في قوله ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨].

وقال مجاهد: ملائكةٌ حَفَظَةٌ للملائكة الحافظين لبني آدم لا تراهم الحفظة كما لا نرى نحن حَفَظَتَنا[4].

وقيل: الرُّوحُ ملكٌ غيرُ جبريل عظيم الخِلْقَة.

وقال أبو صالح: خلق كهيئة الناس وليسوا بالناس[5].

---

(١) الأقوال في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وينظر أيضاً تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٠، والنكت والعيون ٦/ ٩٠، وزاد المسير ٨/ ٣٥٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٢.

(٢) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٢.

(٣) السبعة ص٦٥٠ والتيسير ص٢١٤ عن الكسائي. وينظر معاني الفراء ٣/ ١٨٤، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥-٣٦٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٣.

(٤) الكشاف ٤/ ١٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٥) لفظهُ في النكت والعيون ٦/ ٩٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٣: خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس.

وقال قَبِيصة بنُ ذُؤيب: روح الميت حين يُقْبَض[١].

«إليه» الضميرُ عائدٌ على الله تعالى، أي: إلى عرشه، وحيث يَهبِطُ منه أمرُه تعالى[٢].

وقيل: «إليه» أي: إلى المكان الذي هو محلُّهم، وهو في السماء لأنها محلُّ بِرِّهِ وكرامتِه[٣].

والظاهر أنَّ المعنى أنها تعرُجُ في يوم من أيامكم هذه، ومقدارُ المسافة أن لو عَرَجَها آدميٌّ خمسون ألف سنة. قاله ابنُ عباس[٤] وابنُ إسحاق وجماعة من الحُذَّاق منهم القاضي منذر بن سعيد، فإن كان العارجُ مَلَكاً فقال مجاهد: المسافةُ هي من قعرِ الأرضِ السابعة إلى العرش، ومن جعلَ الرُّوح جنس أنواع الحيوان قال وهب: المسافة من وجهِ الأرض إلى منتهى العرش.

وقال عكرمة والحَكَم: أرادَ مدةَ الدُّنيا، فإنها خمسون ألفَ سنة، لا يدري أحدٌ ما مَضَى منها وما بقي، أي: تعرجُ في مدَّة الدنيا وبقاء هذه البنية[٥].

وقال ابن عباس أيضاً: هو يوم القيامة.

وقيل: طولُه ذلك العدد، وهذا ظاهرُ ما جاء في الحديث في مانع الزكاة، فإنه قال: في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة[٦].

وقال ابن عباس وأبو سعيد الخدري: قدرُه في رَزَايَاه وهَوْلِهِ وشدَّتِه للكفار ذلك

---

(١) المصدران السالفان.

(٢) الكشاف ٤/ ١٥٧.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٣.

(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ دون نسبة هذا القول لابن عباس، وقوله هو ما سيرد عنه لاحقاً.

(٥) قال الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٤٢١: هذا يحتاج إلى نقل صحيح. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وزاد المسير ٨/ ٣٦٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٤.

(٦) هو في مسند أحمد (٧٧٢٠) وسنن النسائي الكبرى (١١٥٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٥.

العدد، وفي الحديث: يخفُّ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة[(١)].

وقال عكرمة: مقدارُ ما ينقضي فيه من الحساب قَدْرُ ما يقضى بالعدل في خمسين ألفَ سنة من أيام الدُّنيا[(٢)]، وقال الحسن نحوه.

وقيل: لا يُراد حقيقةُ العدد إنما أُريدَ به طُولُ الموقف يومَ القيامة وما فيه من الشدائد، والعربُ تصفُ أيام الشدَّة بالطُّول، وأيامَ الفَرَح بالقِصَر، قال الشاعر يصفُ أيامَ الفرح والسرور:

ويومٍ كظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ دَمُ الزِّقِّ عنَّا واصْطِفاقُ المَزَاهِرِ[(٣)]

والظاهرُ أنَّ قوله «في يوم» متعلِّق بـ «تَعْرُجُ» وقيل: بـ «دَافِع» والجملةُ من قوله: «تَعْرُجُ» اعتراض.

ولمَّا كانوا قد سألوا استعجالَ العذاب وكان السؤالُ على سبيل الاستهزاء والتكذيب وكانوا قد وُعدوا به، أمرَه تعالى بالصبر، ومن جعلَه من السَّيَلان فالمعنى أنه أشرفَ على الوقوع.

والضمير في «يَرَوْنَه» عائد على العذاب، أو على اليوم إذا أريد به يوم القيامة، وهذا الاستبعادُ هو على سبيل الإحالة منهم.

﴿وَنَرَنٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ أي: هيِّناً في قُدرتنا غيرَ بعيد علينا ولا متعذِّر، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، والبُعْدُ والقُرْبُ في الإمكان لا في المسافة.

---

(١) الحديث في مسند أحمد (١١٧١٧)، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٣ عن أبي سعيد الخدري ﵁، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٥ (ولفظُه منه).

(٣) نُسب البيت في الشعر والشعراء ١/ ٢٨٤ لبعض الضَّبِّيين، ونُسب في الحيوان ٦/ ١٧٩، والصحاح (صفق)، وجمهرة الأمثال ٢/ ١٩ ليزيد بن الطَّثْرِيَّة، ونقل صاحب اللسان (صفق) عن ابن برِّي قوله: صوابُه لشُبرمة بن الطُّفيل.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ﴾ «يومَ» منصوب بإضمار فعل، أي: يقعُ يومَ تكون، أو: يومَ تكونُ السماءُ كالمُهْلِ كان كيت وكيت، أو بـ «قريباً»[١]، أو بدل من ضمير «نَرَاه» إذا كان عائداً على يوم القيامة.

وقال الزمخشريّ[٢]: أو هو بدل من «في يوم» فيمن علَّقه بـ «واقع» انتهى.

ولا يجوز هذا، لأنَّ «في يوم» وإن كان في موضع نصب لا يُبدلُ منه منصوب، لأن مثل هذا ليس من المواضع التي تُراعى في التوابع، لأن حرف الجرّ فيها ليس بزائدٍ ولا محكوم له بحكم الزائد كـ «رُبَّ» وإنما يجوزُ مراعاة المواضع في حرف الجر الزائد كقوله:

يا ابْنَـيْ لُبَـيْـنَـى لسـتُـمـا بِـيَـدٍ إلا يَـداً لَـيْـسَـتْ لـهـا عَـضُـدُ[٣]

ولذلك لا يجوز: مرَرْتُ بزيدٍ الخياطَ على مراعاة موضع «بزيد»، ولا: مَرَرْتُ بزيد وعمراً، ولا: غضبتُ على زيدٍ وجعفراً، ولا: مررتُ بعَمْرٍو أخاك، على مراعاة الموضع.

فإن قلت: الحركةُ في «يومَ تكونُ» حركةُ بناء لا حركةُ إعراب، فهو مجرورٌ مثل «في يوم».

قلت: لا يجوزُ بناؤُه على مذهب البصريِّين لأنه أُضيفَ إلى مُعرب، لكنه يجوزُ على مذهب الكوفيِّين، فيتمشَّى كلامُ الزمخشريّ على مذهبهم إن كان استحضرَهُ وقصدَه[٤].

«كالمُهْل» تقدَّم الكلام عليه في سورة الدُّخان [٤٥].

---

(١) قال السمين: هذا ظاهر إذا كان الضمير في «نراه» للعذاب. الدر المصون ١٠/ ٤٥١.
(٢) الكشاف ٤/ ١٥٧، والقولان المذكوران قبله فيه أيضاً.
(٣) البيت لأوس بن حجر، وسلف في تفسير الآية (٣٥) من سورة القصص.
(٤) تعقَّب السمين الحلبي شيخه أبا حيَّان وقال: قولُه: إن كان استحضرَه، فيه تحاملٌ على الرَّجل، وأيُّ كبيرِ أمرٍ في هذا حتى لا يستحضر مثل هذا؟! والتبجُّح بمثل هذا لا يليق ببعض الطلبة، فإنها من الخلافيات المشهورة شهرة: قِفا نَبْكِ... ينظر الدّرّ المصون ١٠/ ٤٥٣.

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ يعني المنفوش، كما في القارعة، لمَّا نُسِفَتْ طارت في الجوّ كالصوف المنفوش إذا طيَّرتْه الرِّيح.

قال الحسن تُسَيَّرُ الجبالُ مع الرِّياح، ثم تَنْهَدُّ، ثم تصيرُ كالعِهْن، ثم تُنسَف فتصيرُ هَباءً[١].

وقرأ الجمهور: «ولا يَسْأَلُ» مبنياً للفاعل، أي: لا يسألهُ نَصْرَهُ ولا منفعتَه لعلمِه أنه لا يجدُ ذلك عندَه.

وقال قتادة: لا يسألُه عن حالِه لأنها ظاهرة[٢].

وقيل: لا يسألُه أن يحملَ عنه من أوزارِه شيئاً ليأسِه عن ذلك.

وقيل: شفاعة.

وقيل: «حميماً» منصوبٌ على إسقاط «عن» أي: عن حميم لِشُغله بما هو فيه.

وقرأ أبو حَيْوَة وشيبة وأبو جعفر والبزّيّ بخلاف عن ثلاثتهم مبنيًّا للمفعول، أي: لا يُسألُ إحضارَهُ، كلٌّ من المؤمن والكافر له سِيمَا يُعرفُ بها[٣].

وقيل: عن ذنوب حميمه ليُؤخَذَ بها.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ استئنافُ كلام؛ قال ابنُ عبَّاس: في المحشر يُبَصَّرُ الحميمُ حميمَه، ثم يَفِرُّ عنه لشُغلِه بنفسه[٤]، وقيل: يُبَصَّرُونَهم في النار، وقيل: يُبَصَّرُونَهم فلا يحتاجون إلى السؤال والطَّلَب.

---

(١) بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦ (ولفظُه منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٨.

(٣) النشر ٢/ ٣٩٠ عن أبي جعفر، وذكرها ابنُ مجاهد في السبعة ص٦٥٠ عن شيبة وقال: هو غلط، وذكرها الداني في جامع البيان ٢/ ٤٥٤ من رواية البَزّيّ عن ابن كثير باختلاف فيه. والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦.

(٤) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٥٧-٢٥٨.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكونَ «يُبَصَّرُونَهم» صفةً، أي: حميماً مبصَّرين معرَّفين إيَّاهم. انتهى.

و«حميمٌ حميماً» نكرتان في سياق النفي فيعمَّان، ولذلك جُمع الضمير.

وقرأ قتادة: «يُبْصِرُونَهم» مخفَّفاً مع كسر الصاد[١]، أي: يُبْصِرُ المؤمنُ الكافرَ في النار، قاله مجاهد[٢].

وقال ابنُ زيد: يُبْصِرُ الكافرُ مَنْ أَضَلَّه في النار عبرةً وانتقاماً وخِزْياً[٣].

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾ أي: الكافر وقد يندرجُ فيه المؤمنُ العاصي الذي يُعذَّب.

وقرأ الجمهور: «من عذابِ» مضافاً، وأبو حَيْوَة منوَّناً، والجمهورُ: [يومِئذٍ] بكسرها[٤]، والأعرج وأبو حَيْوَة[٥] بفتحها.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجتِه، ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: أقربائه الأَدْنَيْن[٦]﴿تُـْٔوِيهِ﴾: تضمُّه انتماءً إليها أو لِياذاً بها في النَّوائب. ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ عطف على «يفتدي» أي: ينجيه الافتداء، أو من تقدَّم ذكرُهم.

وقرأ الزُّهريّ: «تؤوِيهُ» و«تُنجيهُ» بضمِّ الهاءَيْن[٧].

«كلا» ردعٌ لِودادَتِهم الافتداءَ، وتنبيهٌ على أنه لا ينفع.

«إنها» الضمير للقصَّة، و«لَظَى نَزَّاعةٌ» تفسيرٌ لها أو للنار الدالِّ عليها «عذابِ يومِئذ»، و«لَظَى» بدلٌ من الضمير، و«نَزَّاعةٌ» خبر «إنَّ»، أو خبر مبتدأ، و«لَظَى» خبر

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦، وضبطت في القراءات الشاذة ص١٦١ بفتح الصاد (؟).

(٢) النكت والعيون ٦/ ٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٢٩.

(٣) المصادر السالفة، ولفظُه من المحرر.

(٤) يعني بكسر الميم، والكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧ أوضحُ منه. وينظر القراءات الشاذة ص١٦١.

(٥) من قوله: منوَّناً. . . إلى هذا الموضع، سقط من مطبوع البحر، ولفظة «يومئذ» بين حاصرتين زيادة من عندي للإيضاح.

(٦) في النسخ الخطية: الأَدْنَوْن، وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة، ووقع في مطبوع البحر: أقرباؤه الأدنون. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧.

«إنَّ» أي: هي نَزَّاعةٌ، أو بَدَلٌ من «لَظَى»، أو خبر بعد خبر، كلٌّ هذا ذكروه، وذلك على قراءة الجمهور برفع «نَزَّاعة».

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يكون ضميراً مبهماً[١] ترجمَ عنه الخبر. انتهى. ولا أدري ما هذا المضمَر الذي ترجمَ عنه الخبر، وليس هذا من المواضع التي يفسِّر فيها المفردُ الضميرَ، ولولا أنه ذكر بعد هذا: «أو ضمير القصَّة» لحملتُ كلامَه عليه.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة وأبو حَيْوَة والزعفراني وابنُ مِقْسَم وحفص واليزيديّ في اختيارِهِ: «نزَّاعةً» بالنصب[٢] فتَعيَّنَ أن يكون «لَظَى» خبراً لـ «إنَّ»، والضميرُ في «إنها» عائد على النار الدالِّ عليها «عذاب» وانتصبَ «نزَّاعةً» على الحال المؤكِّدة أو المبيِّنة، والعاملُ فيها «لَظَى» وإن كان عَلَماً لِما فيه من معنى التَّلَظِّي، كما عملَ العَلَم في الظرف في قوله:

أنا أبو المِنْهالِ بعضَ الأحْيانْ[٣]

أي: المشهورُ بعضَ الأحيان.

أو على الاختصاص للتهويل، قاله الزمخشريّ، وكأنَّه يعني القطع، فالنصبُ فيها كالرَّفع فيها إذا أضمرتَ «هو»، فتُضمِرُ هنا: «أَعْني».

قال الحسن وثابت البُنَانيّ: «للشَّوَى»: لمكارم وجهه. وقال قتادة: لمكارم خِلْقَتِهِ. وقال أبو العالية: لمحاسنِ وجهه. وقال الضحَّاك: تَبْرِي اللحم والجلدَ عن العظم [حتى لا تتركَ] منه شيئاً. وقال الحسن أيضاً: الشَّوى: الهام[٤].

---

(١) يعني الضمير في «إنها». والكلام في الكشاف ٤/ ١٥٨.

(٢) رواية حفص في السبعة ص٦٥١، والتيسير ص٢١٤، وينظر زاد المسير ٨/ ٣٦٢.

(٣) سلف في تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة، والآية (٣) من سورة الأنعام.

(٤) من قوله: قال الحسن وثابت... إلى هذا الموضع، من (يه) وما سلف بين حاصرتين من القرطبي ووقع مكانها بياض في (يه)، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٣، والنكت والعيون ٦/ ٩٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٤.

«تَدْعُو» أي: حقيقةً، يخلقُ اللهُ فيها الكلامَ كما يخلقُه في الأعضاء؛ قال[١] ابنُ عباس وغيرُه: تدعُوهم بأسمائهم وأسماء آبائهم.

وقال الزمخشريّ: وكما خلقَه في الشجرة. انتهى. فلم يترك مذهب الاعتزال[٢].

وقال الخليل: مجازٌ عن استدنائها[٣] منهم وما تُوقِعُه بهم من عذابها. وقال ثعلب: تُهْلِكُ، تقولُ العرب: دعاك الله، أي: أهلَكَك، وحكاه الخليل عن العرب.

وقال الشاعر:

لَيالِيَ يدعوني الهوى فأُجيبُهُ وأَعْيُنُ مَنْ أَهْوَى إلَيَّ رَوَانِ[٤]

وقال آخر:

تَرفَّعَ للقَنَانِ وكلِّ فَجٍّ طَبَاهُ الرِّعْيُ منهُ والخَلَاءُ[٥]

يصفُ ظَلِيماً[٦]، وطَبَاه، أي: دعاه، والهَوَى والرِّعْيُ لا يَدْعُوَان حقيقةً، ولكنَّه لمَّا كان فيهما ما يَجذِبُ صارَا داعِيَيْنِ مجازاً.

وقيل: «تَدْعُو» أي: خَزَنَةُ جهنم، أُضِيفَ دعاؤهم إليها.

---

(١) في (أ) و(ت) و(يه): قاله، وغير مظهَّر في (ع)، وأثبتُّ اللفظة على الصواب. ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٥.

(٢) يعني مذهبه في أن كلام الله مخلوق، وأشار إلى الآية (٣٠) من سورة القصص: ﴿نُودِيَ مِن شَٰطِيِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾.

(٣) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧: عبارة عن حرصها عليهم واستدنائها... الخ. وقولُ الخليل بنحوه في العين ٢/ ٢٢١، ونقله عنه الثعلبي ٦/ ٢٧٩، والقرطبي ٢١/ ٢٣٥.

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٨٥. قوله: روان، جمع رانية، وهي المديمة النظر في سكون، يريد أنهنَّ كَلِفاتٌ به.

(٥) البيت لزهير بن أبي سُلمى، وهو في ديوانه ص٦٦ برواية: تَرَبَّعَ بالقَنَان. والقَنَان: جَبَل والرِّعْي: الكلأ.

(٦) الظَّلِيم: ذَكَر النَّعام، وجاء قوله: «يصف ظليماً» في (ع) و(يه) بعد لفظة «دعاه» الآتية.

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ [عنه][(١)] ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ⑱﴾ أي: وجمعَ المالَ فجعلَه في وعاء وكنزَهُ ولم يُؤَدِّ حقَّ اللهِ فيه.

وهذه إشارة إلى كفَّارٍ أغنياء[(٢)]، وقال الحَكَم: كان عبدُ الله بنُ عُكَيْم لا يَرْبطُ كيسَه ويقول: سمعتُ الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ⑱﴾[(٣)].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ جنس، ولذلك استثنى منه: «إلا المصلِّين»، وقيل: الإشارةُ إلى الكفار.

وقال ثعلب: قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر: ما الهَلَع؟ فقلت: قد فسَّره الله تعالى، ولا يكونُ تفسيرٌ أبينَ من تفسيرِه، وهو الذي إذا نالَه شرٌّ أظهرَ شدَّةَ الجَزَع، وإذا نالَه خيرٌ بَخِلَ به ومنعَه الناسَ. انتهى[(٤)].

ولمَّا كان شدَّةُ الجَزَع والمَنْع متمكِّنةً في الإنسان جُعل كأنه خُلِقَ مجبولاً[(٥)] عليهما، كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. و«الخير» المال.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ㉒﴾ استثناء - كما قلنا - من «الإنسان» ولذلك وصفَهم بما وصفَهم به من الصبر على المكاره والصفاتِ الجميلة التي حازوها.

وقرأ الجمهور: «على صَلَاتهم» بالإفراد، والحسنُ جمعاً[(٦)].

وديمومتُها؛ قال الجمهور: المواظبةُ عليها، وقال ابنُ مسعود: صلاتُها لوقتها، وقال عقبة بنُ عامر: يَقِرُّون فيها ولا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، ومنه: الماء الدائم[(٧)].

---

(١) لفظة «عنه» بين حاصرتين من الكشاف ٤/ ١٥٨ (والكلام منه).
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٥، والمصدر السالف، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٥.
(٤) الكشاف ٤/ ١٥٨.
(٥) في (أ) و(ع) و(يه): محمولاً. والمثبت من (ت)، والكلام بنحوه في المصدر السالف.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٨.
(٧) الكلام في المصدر السالف، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٢٦٨-٢٦٩، والنكت والعيون ٦/ ٩٥، وزاد المسير ٨/ ٣٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٣٧-٢٣٨.

وقال الزمخشريّ: دوامُهم عليها أن يُواظِبُوا على أدائِها ولا يشتغلون[١] عنها بشيء، ومحافظتُهم عليها أن يُراعوا إسباغَ الوضوء لها ومواقيتها، ويُقيموا أركانَها، ويُكملوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم، فالدَّوام يرجعُ إلى أنفس الصلوات والمحافظةِ على أحوالها. انتهى. وهو جوابه لسؤاله: فإنْ قلتَ: كيف قال: «على صَلَاتهم دائمون» ثم قال: «على صَلَاتِهم يحافظون»؟

وأقول: إنَّ الدَّيمومةَ على الشيء والمحافظةَ عليه شيءٌ واحد، لكنَّه لما كانت الصلاة هي عمود الإسلام بُولِغَ في التوكيد فيها، فذُكرت أولَ خِصال الإسلام المذكورة في هذه السورة وآخِرَها ليُعلم مرتبتُها في الأركان التي بُني الإسلام عليها.

والصفاتُ التي بعد هذه تقدَّم تفسيرُها، ومعظمُها في سورة «قد أفلح المؤمنون».

وقرأ الجمهور: «بشهادتِهم» على الإفراد، والسُّلَميُّ وأبو عَمرو وحفص على الجمع[٢].

❁ ❁ ❁

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

كان رسولُ الله ﷺ يصلِّي عند الكعبة ويقرأ القرآن، فكانوا يحتفُّون به حِلَقاً

---

(١) كذا، بثبوت النون، والجادة حذفها، وعبارة الكشاف ١٥٩/٤: أن يواظبوا على أدائها، لا يُخِلُّون بها ولا يشتغلون... الخ.

(٢) السبعة ص٦٥١، وجامع البيان ٤٥٥/٢، والمحرر الوجيز ٣٧٠/٥، وتفسير القرطبي ٢٣٩/٢١. وقراءة أبي عَمرو هي من رواية عباس بن الفضل بن عمرو عنه.

حِلَقاً يستمعون ويستهزؤون بكلامه ويقولون: إنْ دخلَ هؤلاء الجنةَ كما يقولُ محمد فلَنَدْخُلَنَّها قبلَهم. فنزلت[١].

وتقدَّم شرح «مُهْطِعِين» في سورة إبراهيم عليه السلام [٤٣].

ومعنى «قِبَلَكَ» أي: في الجهة التي تليك ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ أي: عن يمينك وعن شِمالك.

وقيل: نزلت في المستهزئين الخمسة[٢].

وقرأ الجمهور: «أنْ يُدْخَلَ» مبنيًّا للمفعول، وابنُ يَعْمَر والحسن وأبو رجاء وزيد بنُ عليّ وطلحة والمفضَّل عن عاصم مبنيًّا للفاعل[٣].

«كلَّا» ردٌّ ورَدْعٌ لطَمَاعِيَتِهم، إذْ أظهرُوا ذلك وإن كانوا لا يعتقدون صحَّةَ البعث ولا أنَّ ثَمَّ جنةً ولا ناراً.

﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أنشأناهم من نطفةٍ مَذِرَة، فنحن قادرون على إعادتِهم وبعثِهم يومَ القيامة، وعلى الاستبدال بهم خيراً منهم، قيل: فليس بنفس الخلقِ ومِنَّتِهِ عليهم بذلك يُعطَى الجنة، بل بالإيمانِ والعملِ الصالح[٤].

وقال قتادة في تفسيرها: إنما خُلِقْتَ من قَذَرٍ يا ابْنَ آدم[٥].

وقال أنس: كان أبو بكر إذا خَطَبَنا ذكرَ مَنَاتِنَ ابنِ آدمَ ومرورَهُ في مجرى البول مرَّتين، وكذلك[٦] نطفة في الرَّحِم، ثم علقةً، ثم مضغة، إلى أنْ يخرجَ فيتلوَّثَ في نجاسته طفلاً. فلا يُقلِعُ أبو بكر حتى يَقْذِرَ أحدُنا نفسَه.

---

(١) أسباب النزول للواحدي ص٤٧٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١، والكشاف ٤/ ١٥٩.
(٢) عبارة الكشاف ٤/ ١٦٠ وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣: قيل: كان المستهزئون خمسة أرهط.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وزاد المسير ٨/ ٣٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٣.
(٥) وتتمتُه كما في المصدرين السالفين وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٢: فاتَّقِ الله.
(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٠ (والقول فيه): وكونه، بدل من: وكذلك، وهو الأشبه، والقول أيضاً بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٢.

فكأنه قيل: إذا كان خلقُكم من نطفة مَذِرَة، فمن أين تتشرَّفُون وتدَّعون دخولَ الجنة قبلَ المؤمنين[١]؟!

وأبهمَ في قوله: «ممَّا يعلمون» وإن كان قد صرَّحَ به في عدَّة مواضع إحالةً على تلك المواضع[٢].

ورأى مُطَرِّفُ بنُ عبد الله بنِ الشِّخِّير المُهَلَّبَ بنَ أبي صُفْرَة يتبختَرُ في مِطْرَفِ خَزٍّ وجُبَّةِ خَزٍّ، فقال له: يا عبد الله، ما هذه المِشْيَةُ التي يُبْغِضُها الله؟! فقال له: أتعرفُني؟! قال: نعم، أوَّلُكَ نطفةٌ مَذِرَة، وآخِرُك جِيفةٌ قَذِرة، وأنت تحملُ عَذِرَة. فمضَى المهلَّبُ وتركَ مِشْيَتَهُ[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ «لا» نفياً وجمعهما، وقومٌ بلامٍ دون ألف، وعبدُ الله بنُ مسلم وابنُ مُحَيْصِن والجَحْدَريّ: «المشرقِ والمغربِ» مفرَدَين[٤].

أقسمَ تعالى بمخلوقاته على إيجاب قدرته على أن يبدِّلَ خيراً منهم، وأنه لا يسبقُه شيء إلى ما يريد.

﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ وعيدٌ، وما فيه من معنى المهادنة منسوخٌ بآية السيف[٥].

وقرأ أبو جعفر وابنُ مُحيصن: «يَلْقَوْا» مضارع «لَقِيَ»، والجمهور: «يُلاقُوا» مضارع «لاقَى»[٦].

والجمهور: «يَخْرُجُون» مبنيًّا للفاعل، قال ابن عطية: ورَوَى أبو بكر عن عاصم مبنيًّا للمفعول[٧].

---

(١) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٦٠.

(٢) وقال الزمخشري: أبهمَ وأخفَى إشعاراً بأنه منصبٌ يُستحيا من ذكره.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٤، والمِطْرَفُ: ثوبٌ مربَّع من خَزٍّ ذو رسوم.

(٤) ينظر القراءات الشاذة ص١٦١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١.

(٦) المصدر السالف، والنشر ٢/ ٣٩١، وقراءة أبي جعفر من العشرة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، ونُسبت في القراءات الشاذة ص١٦١ لعليّ ﷺ، ونُسبت في

و«يومَ» بدل من «يَوْمَهُمْ».

وقرأ الجمهور: «نَصْبٍ» بفتح النون وسكون الصاد، وأبو عِمْران الجَوْنيّ ومجاهد بفتحهما، وابنُ عامر وحفصٌ بضمّهما، والحسنُ وقتادة بضمّ النون وسكون الصّاد[(١)].

والنَّصْبُ ما نُصب للإنسان فهو يَقْصِدُهُ مُسْرِعاً إليه من عَلَمٍ أو بناءٍ أو صَنَم، وغلبَ في الأصنام حتى قيل: الأنصاب[(٢)].

وقال أبو عَمرو: هو شبكة يقعُ فيها الصيد، فيُسارع إليها صاحبُها مخافةَ أن ينفلتَ الصيدُ منها[(٣)].

وقال مجاهد: نَصْب: عَلَم[(٤)].

ومن قرأ بضمهما؛ قال ابنُ زيد: أي أصنام منصوبة كانوا يعبدونها[(٥)].

وقال الأخفش: هو جمع نَصْب كرَهْن ورُهُن، والأنصاب جمع الجمع[(٦)].

﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسْرِعون، وقال أبو العالية: يستَبِقُون إلى غايات[(٧)]، قال الشاعر:

= جامع البيان ٢/ ٤٥٥-٤٥٦ وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٦ للأعشى عن عاصم، وزاد القرطبي نسبتها للسُّلَمي والمغيرة.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، وينظر القراءات الشاذة ص١٦١، وزاد المسير ٨/ ٣٦٦-٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٦. وقراءةُ ابن عامر وحفص من القراءات السبعة، ينظر السبعة ص٦٥١، والتيسير ص٢١٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧١.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣، ونُسب القول فيه لأبي العلاء، ولعلَّه محرَّف فيه عن ابن العلاء، وهو أبو عَمرو البصري.

(٤) نُسب في النكت والعيون ٦/ ٩٧ لقتادة، وجاء في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٧ عن الكلبي: عَلَم أو راية.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩٧.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٧.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٩٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣.

فـوارسُ ذُبْـيـانَ تـحـتَ الـحَـدِيـ ـدِ كـالـجِـنِّ يُـوفِـضْـنَ مـن عَـبْـقَـرِ[١]

وقال آخر في معنى الإسراع:

لَأَنْـعَـتَـنْ نَـعَـامَـةً مِـيـفَـاضَـا
خَـرْجَـاءَ ظَـلَّـتْ تَـطْـلُـبُ الإضَـاضَـا[٢]

وقال ابن عبَّاس وقتادة: يَسْعَوْن، وقال الضحَّاك: ينطلقون، وقال الحسن: يبتدرون[٣].

وقرأ الجمهور: «ذِلَّةٌ» منوَّناً، «ذلك اليومُ» برفع الميم مبتدأ وخبر، وقرأ عبد الرحمن بن خَلَّاد عن داود بن سالم عن يعقوب والحسنُ بنُ عبد الرحمن عن التَّمَّار: «ذِلَّةُ» بغير تنوين مضافاً إلى «ذلك»، و«اليومِ» بخفض الميم[٤].

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٧. وعَبْقَر: موضع تزعم العرب أنه موطنٌ للجنّ، ثم نسبوا إليه كلَّ شيء تعجَّبُوا من حِذْقِه أو جَوْدَةِ صَنْعَتِه. (المعجم الوسيط).

(٢) الرَّجز في معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧١، واللسان (أضض - وفض) وفيه وفي الطبري: تعدو، بدل: ظَلَّتْ. قوله: مِيفَاضَا، أي: مسرعة، وخَرْجَاء، أي: خالطَ بياضَها سوادٌ، والإضاض: الملجأ.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٣.

(٤) نُسبت القراءة في زاد المسير ٨/ ٣٦٧ لأبي المتوكِّل وأبي الجوزاء وعَمرو بن دينار.

مفردات سورة نوح

الأطوار: الأحوالُ المختلفة، قال:

فـإنْ أَفـاقَ فـقَـدْ طـارَتْ عَـمَـايـتُـهُ والـمـرءُ يُـخْـلَـقُ طَـوْراً بـعـدَ أطْـوَارِ[1]

وَدٌّ وسُوَاعٌ ويَغُوثُ ويَعُوقُ ونَسْرٌ: أسماءُ أصنامٍ أعلامٌ لها، اتَّخذَها قومُ نوح عليه السلام آلهةً.

* * *

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ
إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ
أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا
﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ
وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ
وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا
﴿١١﴾ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾
وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ﴿١٤﴾﴾.

هذه السورة مكيَّة، ومناسبتُها لِما قبلَها أنه تعالى لمَّا أقسمَ على أنْ يُبدِّلَ خيراً منهم وكانوا قد سَخِرُوا من المؤمنين وكذَّبوا بما وُعِدُوا به من العذاب؛ ذَكَرَ قِصَّةَ

---

(١) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو في ديوانه ص٤٩. والعَمَاية: اللَّجاجَةُ في الباطل.

نوح وقومِه معه، وكانوا أشدَّ تمرُّداً من المشركين، فأخذَهم الله أخْذَ استئصال حتى إنه لم يُبْقِ لهم نَسْلاً على وجه الأرض، وكانوا عبَّادَ أصنام كمشركي مكة، فحذَّرَ تعالى قريشاً أن يُصيبَهم عذابٌ يستأصِلُهم إن لم يؤمنوا.

ونوحٌ عليه السلام أوَّلُ نبيٍّ أُرسل، ويقالُ له: شيخُ المرسَلين، وآدمُ الثاني، وهو نوح بن لامَك[١] بن مَتُّوشَلَخ بن خَنُوخ[٢] - وهو إدريس - بن يَرْد بن مَهْلائيل بن أنُوش بن قَيْنان بن شِيث بن آدمَ عليه الصلاة والسلام[٣].

﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ يجوز أن تكون «أنْ» مصدريَّة، وأن تكون تفسيريَّة.

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال ابنُ عباس: عذابُ النار في الآخرة. وقال الكلبيّ: ما حَلَّ بهم من الطُّوفان[٤].

﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ «مِنْ» للتبعيض لأنَّ الإيمان إنما يَجُبُّ ما قبلَه من الذنوب لا ما بعدَه.

وقيل: لابتداء الغاية، وقيل: زائدة، وهو مذهب ونحوٌ؛ قال ابنُ عطية: كوفيّ[٥]. وأقول: أخفشيّ لا كوفيّ، لأنهم يشترطون أن يكون بعد «مِن» نكرة، ولا يُبالون بما قبلَها من واجبٍ أو غيرِه، والأخفش يُجيزُ مع الواجب وغيرِه، وقيل: النكرة والمعرفة. وقيل: لبيان الجنس، ورُدَّ بأنه ليس قبلها ما تبيِّنه.

قال الزمخشريّ: فإن قلتَ: كيف قال: «ويُؤَخِّرْكُم» مع إخباره بامتناع تأخيرِ الأجل، وهل هذا إلا تناقض؟

---

(١) في (يه): لَمْك، وكذا قيَّده الآلوسي في روح المعاني ٢٧/ ٤٤٦ بفتح اللام وسكون الميم، وسيرد اسمه كذلك آخر السورة.

(٢) في (يه): أخنوخ.

(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٤٨، وجاء في روح المعاني ٢٧/ ٤٤٦: مهلاييل بن قَيْنان بن أنُوش. ونقل القرطبي عن وهب قوله: كلهم مؤمنون.

(٤) القولان في النكت والعيون ٦/ ٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٥٠.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٢، ولفظه فيه: وهذا نحوٌ كوفي.

قلت: قَضَى اللهُ مثلاً أنَّ قومَ نوح إنْ آمَنوُا عَمَّرهُم ألفَ سنة، وإنْ بقُوا على كفرهم أهلكَهم على رأس تسع مئة، فقيل لهم: آمِنُوا يُؤخِّرْكُم إلى أجلٍ مسمًّى، أي: إلى وقتٍ سمَّاه الله تعالى وضربَه أمداً تنتهون إليه لا تتجاوزونَه، وهو الوقتُ الأطول تَمَامُ الألف، ثم أخبرَ أنه إذا جاء ذلك الأجل الأمد لا يُؤَخَّر كما يُؤَخَّرُ هذا الوقت، ولم تكن لكم[١] حيلة، فبادِرُوا في أوقات الإمهال والتأخير. انتهى.

وقال ابن عطيَّة ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ مما تعلَّقت المعتزلة به في قولهم: إنَّ للإنسان أجَلَيْن، قالوا: لو كانَ واحداً محدَّداً لمَا صَحَّ التأخيرُ إنْ كان الحدُّ قد بلغَ، ولا المعاجلةُ إن كان لم يبلغ.

قال: وليس لهم في الآية تعلُّق، لأنَّ المعنى أنَّ نوحاً عليه السلام لم يعلم هل هم ممَّن يُؤخَّرُ أو ممَّن يُعاجَل، ولا قال لهم: إنكم تُؤَخَّرون عن أجل قد حانَ لكم، لكن قد سبقَ في الأزل أنهم إمَّا ممَّن قُضِيَ له بالإيمان والتأخير، وإمَّا ممَّن قُضِيَ عليه بالكفر والمعاجلة[٢]، ثم تشدَّدَ هذا المعنى ولاحَ بقوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ﴾ وجواب «لو» محذوف تقديرُه: لو كنتم تعلمون لبادرتُم إلى عبادتِه وتقواه وطاعتي فيما جئتُكم به منه تعالى.

ولمَّا لم يُجيبوه وآذَوْه شَكا إلى ربِّه شكوى مَنْ يعلمُ أنَّ الله تعالى عالمٌ بحالِه مع قومِه، لمَّا أُمِرَ بالإنذار فلم يُجْدِ فيهم ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ أي: جميعَ الأوقات من غير فُتورٍ ولا تعطيل في وقت، ولمَّا ازدادوا إعراضاً ونِفاراً عن الحقِّ جعلَ الدعاءَ هو الذي زادهم، إذ كان سببَ الزيادة، ومثلُه: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي: ليتوبوا فتغفرَ لهم ذكر المسبَّبَ الذي هو حظُّهم خالصاً ليكونَ أقبحَ في إعراضهم عنه ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ الظاهر

---

(١) في (ت): لهم.

(٢) بعده في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٣ (والكلام منه): فكأنَّ نوحاً عليه السلام قال لهم: آمِنُوا يبيِّن لكم أنكم ممَّن قُضي لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتمُ فسيبين لكم أنكم ممَّن قُضي عليه بالكفر والمعاجلة.

أنه حقيقة، سدُّوا مسامعَهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم إليه وتغطَّوْا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهةً وبُغضاً من سماع النُّصح ورؤية الناصح، ويجوزُ أن يكون كنايةً عن المبالغةِ في إعراضهم عمَّا دعاهم إليه، فهم بمنزلة مَنْ سَدَّ سمعَه ومنعَ بصرَه.

ثم كرَّرَ صفةَ دعائه بياناً وتوكيداً، لمَّا ذكرَ دعاءَه عمومَ الأوقات ذكرَ عمومَ حالات الدُّعاء.

و«كلَّما دعوتُهم» يدلُّ على تكرار الدَّعَوات، فلم يُبيِّن حالة دعائه أولاً، وظاهرُه أن يكون دعاؤه إسراراً لأنه يكون ألطفَ بهم، ولعلهم يقبلون منه كحال مَنْ ينصحُ في السِّرّ، فإنه جديرٌ أن يُقبل منه، فلمَّا لم يُجْدِ له الإسرارُ انتقلَ إلى أشدَّ منه، وهو دعاؤهم جِهَاراً صَلْتاً بالدعاء إلى الله لا يُحاشي أحداً، فلما لم يُجْدِ عاد إلى الإعلان وإلى الإسرار.

قال الزمخشريّ[1]: ومعنى «ثُمَّ» الدلالةُ على تباعدِ الأحوال، لأنَّ الجِهارَ أغلظُ من الإسرار، والجمعُ بين الأمرين[2] أغلظُ من إفرادِ أحدِهما. انتهى.

وكثيراً كرَّر الزمخشريّ أنَّ «ثم» للاستبعاد، ولا نعلمُه من كلام غيرِه.

وانتصب «جِهاراً» بـ «دَعَوْتُهم» وهو أحدُ نوعي الدُّعاء، ويجيء فيه من الخلاف ما جاء في نصب: هو يمشي الخَوْزَلَى[3]؛ قال الزمخشري: أو لأنه أرادَ بـ «دَعَوْتُهُمْ»: جاهرتُهم، ويجوزُ أن يكونَ صفةً لمصدر «دعا» أي: دعاءً جِهاراً، أي: مُجاهِراً به، أو مصدراً في موضع الحال أي: مجاهِراً.

ثم أخبرَ أنه أمرَهم بالاستغفار، وأنهم إذا استغفروا دَرَّ لهم الرزق في الدنيا، فقدَّم لهم ما يسرُّهم وما هو أحبُّ إليهم إذِ النفس متشوِّفةٌ إلى الحصول على العاجل كما قال تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ﴾ [الصف: ١٣]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

---

(١) الكشاف ٤/ ١٦٢.

(٢) في (يه): الاثنين.

(٣) هي مِشْيةٌ في تثاقل. القاموس (خزل).

﴿ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٦] الآية، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم﴾ [الجن: ١٦].

قال قتادة: كانوا أهلَ حُبٍّ للدنيا، فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يُحبُّونها[١].

وقيل: لمَّا كذَّبوه بعد طُولِ تكرارِ الدعاء قَحَطُوا، وأُعقِمَ نساؤهم، فبَدَأهم في وَعْدِه[٢] بالمطر، ثم ثَنَّى بالأموال والبنين[٣].

«ومِدْرَار» من الدَّرِّ، وهو صفة يستوي فيها المذكَّر المؤنَّث، ومِفْعَال لا تلحقُه التاء إلا نادراً، فيشترك فيه المذكَّر والمؤنَّث، تقول: رجلٌ مِجْذَامَةٌ ومِطْرَابةٌ[٤]، وامرأة مِجْذَامةٌ ومِطْرَابة.

والسماء: المظلَّة، قيل: لأنَّ المطرَ ينزلُ منها إلى السحاب، ويجوزُ أن يُرادَ السحابُ أو المطر، كقوله:

إذا نــزلَ الســمــاءُ بــأرضِ قــومٍ

البيت[٥].

الرَّجاء بمعنى الخوف[٦]، وبمعنى الأَمَل، فقال أبو عبيدة وغيره: «لا تَرْجُون»: لا تخافون، قالوا: والوَقَار بمعنى العَظَمةِ والسلطانِ، والكلامُ على هذا وعيدٌ

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ٢٩٤، والنكت والعيون ٦/ ١٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٤ (ولفظُه منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٥٤.

(٢) قوله: «في وعده» ليس في (ت).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٤.

(٤) رجل مِجْذَامة: سريع القطع للمودَّة، ورجلٌ مطرابٌ ومِطْرابة: طَرُوب. القاموس (جذم - طرب).

(٥) وعجزُه: رعيناهُ وإن كانوا غضابا، وهو لمعاوية بن مالك. والكلام وصدرُ البيت في الكشاف ٤/ ١٦٢.

(٦) قال القرطبي ٢١/ ٢٥٥: الرجاء هنا بمعنى الخوف.

وتخويفٌ[١]. وقيل: لا تأمُلُون له توقيراً، أي: تعظيماً؛ قال الزمخشريّ: والمعنى: مالكم لا تكونون على حالٍ تأمُلُون[٢] فيها تعظيمَ الله إياكم في دار الثواب، و«لله» بيانٌ للمُوَقَّر، ولو تأخَّر لكان صلة [للوَقَار][٣].

أو: لا تخافون لله حِلْماً وتركَ معاجلةٍ بالعقاب فتؤمنوا.

وقيل: مالكم لا تخافون للهِ عَظَمةً.

وعن ابن عباس: لا تخافون للهِ عاقبةً لأنَّ العاقبةَ حالُ استقرار الأمور وثباتُ الثواب والعقاب، من وَقَرَ إذا ثبتَ واستقرَّ. انتهى[٤].

وقيل: ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاءَهُ وَقاراً، ويكون على هذا منهم كأنه يقول: تُؤَدَةً منكم وتمكُّناً في النظر، لأن الكفر[٥] مَظِنةُ الخِفَّة والطَّيش وركوب الرأس. انتهى.

وفي «التحرير والتحبير»: قال سعيد بن جُبير: مالكم لا ترجون للهِ ثواباً ولا تخافون عقاباً. وقاله ابنُ جبير عن ابن عباس[٦].

وقال العَوْفي عنه: مالكم لا تعلمون للهِ عَظَمَةً.

وعن مجاهد والضحَّاك: مالكم لا تُبالون للهِ عَظَمةً؛ قال قُطْرب: هذه لغة حجازية، وهُذيل وخُزاعة ومُضَر يقولون: لم أَرْجُ: لم أُبالِ. انتهى[٧].

«لا تَرْجُونَ» حال.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٤، وقول أبي عبيدة فيه.

(٢) تحرَّفت لفظة «تأملون» في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع إلى: «ما يكون» والمثبت من (به)، وهو موافق لما في الكشاف ٤/ ١٦٣ والكلام منه.

(٣) ما بين حاصرتين من المصدر السالف.

(٤) الأقوال في الكشاف ٦/ ١٦٣.

(٥) تحرَّفت اللفظة في (أ) والمطبوع إلى: الفكر، والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٤.

(٦) القولُ أيضاً في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٥٥. وكتاب التحرير والتحبير هو لابن النقيب شيخ المصنف تكرَّر ذكره في الكتاب وفي مقدمته.

(٧) تنظر الأقوال في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٥٦.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ جملة حاليَّة تَحمِلُ على الإيمان بالله وإفرادِه بالعبادة، إذ في هذه الجملة الحالية التنبيهُ على تدريج الإنسان في أطوارٍ لا يمكن أن تكون إلا من خَلْقِهِ تعالى؛ قال ابن عباس ومجاهد: من النُّطفة والعَلَقة والمُضْغَة.

وقيل: في اختلاف ألوانِ الناس وخَلْقِهم وخُلُقِهم ومِلَلِهم.

وقيل: صبياناً، ثم شباباً، ثم شيوخاً وضعفاء، ثم أقوياء.

وقيل: معنى أطواراً: أنواعاً صحيحاً وسقيماً، وبصيراً وضريراً، وغنيًّا وفقيراً[١].

* * *

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا
﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ
إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟
نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾
إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن
دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾.

لمَّا نبَّهَهُم نوحٌ عليه السلام على الفِكْرِ في أنفسهم وكيف انتقلوا من حالٍ إلى حال وكانت الأنفسُ أقربَ ما يفكرون فيه[٢] منهم أرشدَهم إلى الفِكْر في العالَم عُلْوِهِ وسُفْلِهِ وما أودَعَ تعالى في العالَم العُلْويّ[٣] من هذين النيِّرَيْن اللذَيْن بهما قِوامُ الوجود.

وتقدَّم شرح «طباقاً» في سورة المُلك [٣].

---

(١) المصدر السالف.

(٢) في (يه): قلة، بدل: فيه.

(٣) في (أ) و(ت) والمطبوع: وما أودع تعالى فيه أي في العالَم العُلْوي... الخ.

والضمير في «فيهنَّ» عائدٌ على السماوات، ويقال: القمر في السماء الدنيا، وصَحَّ كونُ السماوات ظرفاً للقمر لأنه لا يلزم من الظرف أن يملأه المظروف، تقول: زيد في المدينة، وهو في جزء منها.

ولم تقيَّد[١] الشمسُ بظرف، فقيل: هي في الرابعة، وقيل: في الخامسة، وقيل: في الشتاء في الرابعة، وفي الصيف في السابعة[٢]. وهذا شيءٌ لا يُوقف على معرفته إلا من علم الهيئة، ويذكرُ أصحابُ هذا العلم أنه يقوم عندهم البراهين القاطعة على صحَّة ما يدَّعونه، وأن في معرفة ذلك دلالةً واضحةً على عَظَمة الله وقُدرتِه وباهرِ مصنوعاته.

«سراجاً» يستضيءُ به أهلُ الدنيا كما يستضيءُ الناسُ بالسِّراج في بيوتهم، ولم يبلغ القمرُ مبلغَ الشمس في الإضاءة، ولذلك جاء: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]. والضياء أقوى من النور.

والإنبات استعارة في الإنشاء، أنشأ آدمَ من الأرض، وصارت ذرِّيَّته منه، فصحَّ نسبتُهم كلِّهم إلى أنهم أُنبتوا منها.

وانتصاب «نباتاً» بـ «أنبتَكُم» مصدراً على حذف الزائد، أي: إنباتاً، أو على إضمار فعل، أي: فنبتُّم نباتاً.

وقال الزمخشري: المعنى أنبتَكم فنبتُّم، أو نصب بـ «أنبتَكم» لتضمنه معنى نبتُّم. انتهى[٣]. ولا أعقلُ معنى هذا الوجه الثاني الذي ذكرَه.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ أي: يُصيِّركم فيها مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ أي: يومَ القيامة، وأكَّدَه بالمصدر، أي: ذلك واقعٌ لا محالة.

---

(١) في (يه): يقيد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٥، ونُسب القول الأخير فيه لابن عمر.

(٣) الكشاف ٤/ ١٦٣.

﴿بِسَاطًا﴾ تتقلَّبون عليها كما يتقلَّبُ الرجلُ على بِساطِه، وظاهرُه أنَّ الأرضَ ليست كُرَوِيَّة، بل هي مبسوطة[١].

﴿سُبُلًا﴾: طُرُقاً ﴿فِجَاجًا﴾: متَّسعة، وتقدَّم الكلام على الفَجّ في سورة الحجّ [٢٧].

ولما أصرُّوا على العصيان وعاملُوه بأقبح الأقوال والأفعال ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ الضميرُ للجميع، وكان قد قال لهم: «وأطيعون» وكان قد أقام فيهم ما نص الله تعالى عليه: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] وكانوا قد وُسِّعَ عليهم في الرِّزق بحيث كانوا يزرعُون في الشهر مرَّتين.

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: عامَّتُهم وسَفِلَتُهم، إذْ لا يصحُّ عَوْدُه على الجميع في عبادة الأصنام ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ﴾ أي: رؤساؤهم وكبراؤهم، وهم الذين كان ما تَأَثَّلُوه[٢] من المال وما تكثَّروا به من الولد سبباً في خسارتهم في الآخرة، وكان سببَ هلاكِهم في الدُّنيا.

وقرأ ابنُ الزُّبير والحسن والنَّخَعيّ والأعرج ومجاهد والأخوان وابنُ كثير وأبو عَمرو ونافع في رواية خارجة عنه: «ووُلْدُهُ» بضمّ الواو وسكون اللام.

والسُّلَميُّ والحسن أيضاً وأبو رجاء وابنُ وثَّاب وأبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابنُ عامر بفتحهما وهما لغتانِ، كبُخْل وبَخَل[٣].

والحسنُ أيضاً والجَحْدرِيّ وقتادةُ وزِرٌّ وطلحةُ وابنُ أبي إسحاق وأبو عَمرو في رواية بكسر الواو وسكون اللام[٤].

---

(١) هذا ما كانوا يعتقدونه، وقد صار من المعلوم في العصر الحاضر أن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية ذوات أشكال كروية.

(٢) أي: ما تأصَّلوه وجمعوه.

(٣) ينظر السبعة ص٦٥٢-٦٥٣، والتيسير ص٢١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧ (والكلام فيه)، والنشر ٢/ ٣٩١.

(٤) القراءة عن المذكورين أعلاه عدا أبي عمرو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٥، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٢ عن الحسن والجحدري، وفي الكشاف ٤/ ١٦٤ دون نسبة، ونُسبت في زاد =

وقال أبو حاتم: يمكن أن يكون الوُلْد بالضم جمع الولد كخُشْب وخَشَب، وقد قال حسان بنُ ثابت:

يـا بِـكْـرَ آمـنـةَ الـمـبـاركَ بِـكْـرُهـا مـن وُلْدِ مُحْصَنَةٍ بسَعْدِ الأسْعَدِ[1]

«ومَكَرُوا» يظهر أنه معطوف على صلة «مَنْ» وجُمع الضمير في «ومكروا» «وقالوا» على المعنى، ومَكْرُهُم احتيالُهم في الدِّين وتحريشُ الناس على نوح عليه السلام.

وقرأ الجمهور: «كُبَّاراً» بشدِّ الباء، وهو بناءٌ فيه مبالغةٌ كثيرة، قال عيسى بنُ عمر: هي لغةٌ يمانية، وعليها قول الشاعر:

والـمـرءُ يُـلْـحِـقُـهُ بـفـتـيـانِ الـنَّـدَى خُـلُـقُ الـكـريـمِ ولـيـسَ بـالـوُضَّـاءِ[2]

وقولِ الآخر:

بـيـضـاءُ تـصـطـادُ الـقـلـوبَ وتَـسْـتَـبِـي بـالـحُـسْـنِ قـلـبَ الـمُـسْـلـم الـقُـرَّاءِ[3]

ويقال: حُسَّان، وطُوَّال، وجُمَّال.

وقرأ عيسى وابنُ مُحَيْصِن وأبو السَّمَّال بخَفِّ الباء[4]، وهو بناءُ مبالغة أيضاً[5].

= المسير ٨/ ٣٧٣ للحسن وأبي العالية وابن يعمر والجحدري، ولم أقف على نسبتها لأبي عمرو.

(١) هذه الرواية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٥ (وتحرَّف في مطبوعه «يا» إلى: «ما»)، وهو في سيرة ابن هشام ٤/ ٦٧٠ برواية: وَلَدَتْه، بدل: من وُلْدِ، وفي ديوان حسان... برواية: المبارك ذِكرُهُ ولَدَتْكَ..

(٢) أنشده أبو صدقة الدُّبَيْري للفراء كما في إصلاح المنطق ص١٢٤، وهو في الصحاح واللسان (وضأ)، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٥-٣٧٦ (وقول عيسى بن عمر فيه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٠.

(٣) أنشده كسابقه أبو صَدَقَة كما في إصلاح المنطق ص١٢٤، وهو في الصحاح (قرأ)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٠. والقُرَّاء (وزن: زُنَّار): الناسك المتعبِّد.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦١.

(٥) قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦: هو بناء مبالغة إلا أنه دون الأول.

وقرأ زيد بن علي وابن محيصن فيما رَوَى عنه أبو الإخريط وَهْبُ بنُ واضح: «كِباراً» بكسر الكاف وفتح الباء[١]، قال ابنُ الأنباريّ: هو جمع كبير، كأنه جعلَ «مكراً»[٢] مكان ذنوبٍ أو أفاعيل. انتهى. يعني فلذلك وصفَه بالجمع.

«وقالوا» أي: كبراؤهم لأتباعهم، أو «قالوا» أي: جميعُهم بعضُهم لبعض: ﴿لَا تَذَرُنَّ﴾: لا تَتْرُكُنَّ ﴿ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: أصنامكم، وهو عامٌّ في جميع أصنامِهم، ثم خصُّوا بعدُ أكابرَ أصنامِهم، وهو وَدٌّ ومن[٣] عطف عليه.

ورُوي أنها أسماءُ رجال صالحين كانوا في صدر الزمان، قال عروة بنُ الزبير: كانوا بني آدم، وكان وَدٌّ أكبرَهم وأبرَّهم به[٤].

وقال محمد بنُ كعب ومحمد بنُ قيس: كانوا بينَ آدم ونوح عليهما السلام، ماتوا فصُوِّرَتْ أشكالُهم لتُذكر أفعالُهم الصالحة، ثم هلكَ مَنْ صوَّرَهم وخَلَفَ من يُعَظِّمُها، ثم كذلك حتى عُبدت[٥].

قيل: ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها، وقيل: بل الأسماء فقط إلى قبائل من العرب؛ فكان وَدٌّ لكلب بدُومةِ الجَنْدل، وسُوَاع لهُذيل، وقيل: لهَمْدَان، ويَغُوث لمُراد، وقيل: لمَذْحِج، ويَعُوق لهَمْدَان، وقيل: لمراد، ونَسْر لِحِمْيَر، وقيل: لذي الكَلَاع من حِمْيَر، ولذلك سَمَّتْ العربُ بعبدِ وَدّ، وعبدِ يَغُوث[٦].

وما وقع من هذا الخلاف في سُوَاع ويَغُوث ويَعُوق يمكن أن يكون لكلٍّ منهما صنمٌ يسمَّى بهذا الاسم، إذ يبعدُ بقاءُ أعيان تلك الأصنام، فإنما بقيت الأسماء، فسَمَّوْا أصنامَهم بها.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦ والكلام منه.
(٢) في المحرر الوجيز (والكلام منه): كأنه جعل المكر...
(٣) في المطبوع: وما.
(٤) بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦١.
(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٢ بأطول منه، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٧-٢٨٨.
(٦) الكشاف ٤/ ١٦٤، والمحرر الوجيز ٦/ ٣٧٦، وينظر الكلام مفصَّلاً في النكت والعيون ٦/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٣-٢٦٤.

قال أبو عثمان النَّهْدِيّ: رأيتُ يغوث وكان من رصاصٍ يُحمل على جمل أجرد يسيرون معه لا يَهِيجُونه حتى يكون هو الذي يبرُك، فإذا بَرَكَ نزلوا وقالوا: قد رضيَ لكم المنزل، فينزلون حولَه ويضربون عليه[١] بناء. انتهى[٢].

وقال الثعلبي: كان يَعُوقُ[٣] لكَهْلَان من سبأ يتوارثونه حتى صار في هَمْدَان، وفيه يقول مالك بن نَمَط الهَمْدَاني:

يَريشُ اللهُ في الدُّنيا ويَبْري ولا يَبْري يعوقُ[٤] ولا يَريشُ

وقال الماورديُّ: وَدٌّ أولُ صنمٍ[٥] معبود، سُمِّيَ وَدًّا لِوُدِّهم له. انتهى[٦].

وقيل: كان وَدٌّ على صورة رجل، وسُوَاعٌ على صورة امرأة، ويَغُوثُ على صورة أسد، ويَعُوقُ على صورة فرَس، ونَسْرٌ على صورة نَسْر[٧]. وهذا مُنافٍ لما تقدَّم من أنهم صوَّرُوا صُوَرَ ناسٍ صالحين.

وقرأ نافع وأبو جعفر وشيبة بخلاف عنهم: «وُدًّا» بضم الواو، والحسنُ والأعمشُ وطلحة وباقي السَّبعة بفتحها[٨]، وقال الشاعر:

حَيَّاكَ وُدٌّ فإنَّا لا يَحِلُّ لنا لَهْوُ النساءِ وإنَّ الدينَ قد عَزَمَا[٩]

وقال آخر:

---

(١) في (أ) والمطبوع: له.
(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٤.
(٣) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يغوث، والمثبت من (يه) وهو كذلك في تفسير كل من الثعلبي ٥/ ٢٨٨، والقرطبي ٢١/ ٢٦٤.
(٤) المثبت من (يه) وهو كذلك في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٤، وفي النسخ الأخرى: يغوث.
(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: اسم، بدل: أول.
(٦) النكت والعيون ٦/ ١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٣.
(٧) هو قول الواقدي كما في تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٤.
(٨) ينظر السبعة ص٦٥٣، والتيسير ص٢١٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، والنشر ٢/ ٣٩١.
(٩) البيت للنابغة الذُّبياني، وهو في ديوانه ص١٠١ برواية: حيَّاك ربي. والرواية أعلاه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٣.

فحيَّاكِ وُدٌّ مَنْ هداكِ لِفِتْيَةٍ وخُوصٍ بأعلى ذي فَضَالةَ هُجَّدِ[1]

قيل: أرادَ ذلك الصَّنم.

وقرأ الجمهور: «ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ» بغير تنوين، فإن كانا عربيَّيْنِ فمنعُ الصرف للعلمية ووزن الفعل، وإن كانا عجميين فللعُجمة والعلميَّة.

وقرأ الأشهب: «ولا يغوثاً ويعوقاً» بتنوينهما[2]، قال صاحب «اللوامح»: جعلَهما فَعُولاً، فلذلك صَرَفَهما، فأمَّا في العامَّة فإنهما صفتانِ من الغَوْث والعَوْق يفعُل منهما، وهما معرفتان، فلذلك مُنع الصرف لاجتماع الثِّقَلَيْن اللذين هما تعريفٌ ومشابهةُ الفعل المستقبل. انتهى.

وهذا تخبيط، أمَّا أولاً فلا يمكن أن يكونا فَعُولاً لأن مادة «يغث» مفقودة، وكذلك «يعق»، وأمَّا ثانياً فليسا بصفتين من الغَوْث والعَوْق لأنَّ يفعُلاً لم يجئ اسماً ولا صفة، وإنما امتنعا من الصرف لما ذكرناه.

وقال ابنُ عطية: وقرأ الأعمش: «ولا يَغُوثاً ويَعُوقاً» بالصَّرف، وذلك وهم، لأنَّ التعريف لازم ووزنَ الفعل. انتهى.

وليس ذلك بوهم، ولم ينفرد الأعمش بذلك، بل قد وافقَه الأشهب العُقيلي على ذلك، وتخريجُه على أحد وجهين:

أحدُهما: أنه جاء على لغة من يصرفُ جميع مالا ينصرف عند عامَّة العرب، وذلك لغة، وقد حكاها الكسائي وغيرُه.

والثاني: أنه صُرف لمناسبة ما قبلَه وما بعدَه من المنوَّن، إذ قبلَه «وَدّاً

---

(١) البيت للحطيئة، وهو في ديوانه. . . برواية: ما هداكِ، بدل: من هداكِ، وطُوالة، بدل: فضالة، وطُوالة موضع ببُرْقان كما ذكر ياقوت في معجم البلدان ٤/ ٤٥ وأورد بيت الحطيئة هذا، وهو أيضاً في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦ واللسان (هجد)، والخطاب لأم معبد. قال ابن عطية: يُروى البيتان (هذا والذي قبلَه) بضمّ الواو.

(٢) نُسبت القراءة في القراءات الشاذة ص١٦٢ والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦ للأعمش وسيردُ ذلك.

ولا سُواعاً» وبعده: «ونَسْراً» كما قالوا في صَرْفِ «سَلاسِلاً» و«قَوارِيراً، قَوَارِيراً»[١]: إنَّ[٢] صَرْفَ ذلك للمناسبة.

وقال الزمخشريّ: وهذه قراءةٌ مشكلة، لأنهما إن كانا عربيَّين أو أعجميَّين ففيهما منعُ الصَّرْف، ولعلَّه قصد[٣] الازدواج، فصرفَهما لمصادفته أخَوَاتِهما منصرفات: وَدًّا وسُوَاعاً ونَسْراً، كما قُرئ: «وضُحاها» بالإمالة لوقوعه مع الممالات للازدواج. انتهى. وكأنَّ الزمخشريّ لم يدرِ أنَّ ثَمَّ لغةً لبعض العرب تصرفُ كلَّ ما لا ينصرف عند عامَّتهم، فلذلك استشكلَها.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ أي: الرؤساء المتبوعُون كثيراً من أتباعِهم وعامَّتِهم، وهذا إخبارٌ من نوح عليه السلام عنهم بما جرى على أيديهم من الضلال.

وقال الحسن[٤]: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ أي: الأصنام، عادَ الضمير عليها كما يعودُ على العقلاء، كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. ويُحسِّنُه عَوْدُه على أقرب مذكور، ولكنْ عَوْدُه على الرؤساء أظهر، إذْ هم المحدَّثُ عنهم، والمعنى فيهم أمكنُ.

ولمَّا أخبرَ أنهم قد أضلُّوا كثيراً دَعا عليهم بالضلال، فقال: «ولا تَزِدْ» وهي معطوفةٌ على «وقد أضلُّوا» إذ تقديرُه: وقال: قد أضَلُّوا كثيراً، فهي معمولة لـ «قال» المضمرة المحكيّ بها قولُه «وقد أضلُّوا» ولا يشترطُ التناسبُ في عطف الجمل بل قد تُعطف جملةُ الإنشاء على جملة الخبر والعكسُ، خلافاً لمن يدَّعي التناسب.

وقال الزمخشري[٥] ما ملخَّصه: عُطف «ولا تَزِدْ» على «رَبِّ إنهم عَصَوْني» أي: قال هذين القولين.

---

(١) من سورة الإنسان، الآيات: ٤ و١٥ و١٦.
(٢) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: لمن.
(٣) في الكشاف ٤/ ١٦٤: ففيهما سببا منع الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة، ولعله قصدَ... الخ.
(٤) هو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦ عن النقَّاش.
(٥) الكشاف ٤/ ١٦٤.

﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز أن يريد لهم الضلالَ ويدعُو اللهَ بزيادته؟

قلت: المرادُ بالضلال أن يُخذلوا ويُمنعوا الألطاف لتصميمهم على الكفر ووقوعِ اليأسِ من إيمانهم، وذلك حَسَنٌ جميلٌ يجوزُ الدعاء به، بل لا يَحسُنُ الدعاءُ بخلافه. انتهى. وذلك على مذهبه الاعتزاليّ.

قال: ويجوزُ أن يُريد بالضَّلال الضَّياعَ والهلاكَ كما قال[1]: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ انتهى.

وقال ابنُ بحر: ﴿إِلَّا ضَلَٰلًا﴾: إلا عذاباً، قال: كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[2] [القمر: ٤٧].

وقيل: إلا خُسراناً[3].

وقيل: إلا ضلالاً في أمر دنياهم وترويج مكرِهم وحِيَلِهم[4].

وقرأ الجمهور: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ جمعاً بالألف والتاء مهموزاً.

وأبو رجاء كذلك إلا أنه أبدلَ الهمزةَ ياءً، وأدغمَ فيها ياء المدِّ[5].

والجَحْدَريُّ وعُبيد عن أبي عَمرو على الإفراد مهموزاً[6].

والحسنُ وعيسى والأعرجُ بخلاف عنهم وأبو عمرو: «خطاياهم» جمع تكسير[7].

(١) في الكشاف ٤/ ١٦٤: لقولِه، بدل: كما قال.
(٢) النكت والعيون ٦/ ١٠٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٥، وهو في تفسير الرازي ٢٩/ ١٤٥ دون نسبة.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٥.
(٤) تفسير الرازي ٢٩/ ١٤٥.
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٢، وهي في تفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٦ دون نسبة.
(٦) القراءات الشاذة، ونُسبت أيضاً في المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦ إلى الحسن.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، وقراءة أبي عَمرو هذه سبعيَّة، ينظر السبعة ص٦٥٣، والتيسير ص٢١٥.

وهذا إخبارٌ من الله تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام بأنَّ دعوةَ نوح عليه السلام قد أُجيبت.

و«ما» زائدة للتوكيد، و«مِنْ» قال ابن عطيَّة: لابتداء الغاية[١]. ولا يظهر إلا أنها للسبب.

وقرأ عبد الله: «من خطيئاتهم ما أُغرقوا» بزيادة «ما» بين «أُغرِقُوا» و«خطيئاتهم»[٢].

وقرأ الجمهور: «أُغْرِقُوا» بالهمزة، وزيد بنُ عليّ: «غُرِّقُوا» بالتشديد، وكلاهما للنقل.

و«خطيئاتهم» الشِّرك وما انجرَّ معه من الكبائر.

﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ أي: جهنم، وعَبّر عن المستقبل بالماضي لتحقُّقه، وعطف بالفاء على إرادة الحُكم، أو عبَّر بالدخول عن عرضهم على النار غُدُوًّا وعَشِيًّا كما قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٦].

قال الزمخشريّ: أو أُرِيدَ عذابُ القبر. انتهى.

وقال الضحاك: كانوا يُغرقون من جانب ويُحرقون بالنار من جانب[٣].

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ تعريضٌ بانتفاء قدرةِ آلهتِهم على نصرهم.

ودعا نوحٌ عليه السلام عليهم بعد أن أوحى إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]. قاله قتادة[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، قال السمين في الدُّرّ ٨/ ٤٧٦: وليس بواضح.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٤، وتفسير الرازي ٢٩/ ١٤٥، وقال: وعلى هذه القراءة لا تكون «ما» صلة زائدة لأن «ما» مع ما بعده في تقدير المصدر.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٨٩، والكشاف ٤/ ١٦٥، وزاد المسير ٨/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٧.

(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٨، والنكت والعيون ٦/ ١٠٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٧.

وعنه أيضاً: ما دعا عليهم إلا بعدَ أنْ أخرجَ اللهُ كلَّ مؤمنٍ من الأصلاب، وأعقمَ أرحامَ نسائِهم[١]. وهذا لا يظهر، لأنه قال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ الآية، فقوله: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ يدلُّ على أنه لم يُعقم أرحامَ نسائهم. وقاله أيضاً محمد بنُ كعب والربيعُ وابنُ زيد، ولا يظهرُ كما قلنا، وقد كان قبل ذلك طامعاً في إيمانهم عاطفاً عليهم.

وفي الحديث أنه ربَّما ضرَبَه ناسٌ منهم أحياناً حتى يُغشَى عليه، فإذا أفاقَ قال: اللهمَّ اغفرْ لقومي فإنهم لا يعلمون[٢].

و«ديَّار» من ألفاظ العموم التي تستعمل في النَّفي وما أشبهه، ووزنُه: فَيْعَال، أصلُه: دَيْوار، اجتمعت الياء والواو، وسُبقت إحداهما بالسكون فأدغمت، ويقال منه: دَوَّار، ووزنه: فعَّال، وكلاهما من الدَّوران، كما قالوا: قَيَّام وقَوَّام، والمعنى معنى «أَحَد»[٣]، وعن السُّدِّيِّ: مَنْ يسكن الدار[٤].

وقال الزمخشري: وهو فَيْعال من الدَّوْر، أو من الدار. انتهى. والدار أيضاً هي من الدَّوْر، وألفُها منقلبةٌ عن واو.

﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ وصفَهم وهم حالةَ الولادة بما يصيرون إليه من الفجور والكفر.

ولمَّا دعا على الكفار استغفرَ للمؤمنين فبدأ بنفسه، ثم بمن وجَبَ بِرُّهُ عليه، ثم للمؤمنين، فكان هو ووالداه اندرجُوا في المؤمنين والمؤمنات.

---

(١) هو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٨ عن محمد بن كعب والربيع وابن زيد (كما سيرد) وغيرهم، ولم أقف عليه عن قتادة.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٩، والنكت والعيون ٦/ ٩٨-٩٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧ ولفظه منه.

(٣) هو قول الضحَّاك كما في النكت والعيون ٦/ ١٠٥، وفي القاموس: ما به داريٌّ وديَّارٌ ودُورِيّ وديُّور: أحد.

(٤) المصدران السالفان.

وقرأ الجمهور: «ولوالديَّ»، والظاهر أنهما أبوه لَمْكٌ بنُ مَتُّوشَلَخ، وأمُّه شمخاء بنت أنوش[١]، وقيل: هما آدمُ وحَوَّاء[٢].

وقرأ ابنُ جُبير والجَحْدَري: «ولوالِدِي» بكسر الدال[٣]، فإمَّا أن يكون خَصَّ أباه الأقرب، أو أرادَ جميعَ من وَلَدُوه إلى آدم عليه السلام.

وقال ابن عباس: لم يكفر لنوح عليه السلام أبٌ ما بينَه وبين آدم عليه السلام.

وقرأ الحسين بنُ عليّ ويحيى بن يَعْمَر والنَّخَعيُّ والزُّهْرِيُّ وزيد بنُ عليّ: «ولوَلَدَيَّ» تثنية «وَلَد»[٤] يعني ساماً وحاماً.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ﴾ قال ابن عباس والجمهور: مسجدي، وعن ابن عباس أيضاً: شريعتي، استعار لها بيتاً، كما قالوا: قبَّة الإسلام وفسطاط الدين[٥]. وقيل: سفينته، وقيل: دارُه[٦].

﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ دعا لكلِّ مؤمن ومؤمنة في كل أمَّة. والتَّبارُ: الهلاك.

❋ ❋ ❋

تم الجزء العشرون من البحر المحيط، ويتلوه الجزء الواحد والعشرون وأوله تفسير سورة الجنّ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ الآية.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٠، والكشاف ٤/ ١٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) الكشاف ٤/ ١٦٥.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٩٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٠.

(٤) القراءات الشاذة ص١٦٢، والمحرر الوجيز ٦/ ٣٧٧.

(٥) في المطبوع: وفسطاطه.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٧، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٣٠٨، والنكت والعيون ٦/ ١٠٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٢٧٠-٢٧١.

فهرس الآيات

سورة الطور ....

• **مفردات سورة الطور** ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ
الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا
﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ
إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ
ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم
بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ
كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾
فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ ٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ
رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا
مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ
وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ
كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ
السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ

كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٧) وَٱصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٨) وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ (٤٩)﴾ . . ٢١

سورة النجم . . . .

● **مفردات سورة النجم** ٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ
إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨)
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ (١١) أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ
مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٤) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ (١٥) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا
يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ (١٨) أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩)
وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢) إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ
سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم
مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥)﴾ ٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن
يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ (٢٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ (٢٧) وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن
يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا (٢٨) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ
أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢)﴾ ٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ (٣٤) أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥)
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ
لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ
ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ
وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ
وَأَطْغَىٰ (٥٢) وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ (٥٣) فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ (٥٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ (٥٥) هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ
ٱلْأُولَىٰٓ (٥٦) أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ
وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ (٦٢)﴾ ٦١

سورة القمر

• مفردات سورة القمر ٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١) وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ
مُّسْتَمِرٌّ (٢) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ (٣) وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا
فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٥) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ
نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ
هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ
فَانتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)
وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن
مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)﴾ ٧٨

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٤)
أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ
فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ (٢٨) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ
فَعَقَرَ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا
الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٣٢)﴾ ٩٩

تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤)
نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن
ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي
وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا
فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ
مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي
ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)
وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٥١) وَكُلُّ شَيْءٍ
فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٢) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ (٥٣) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ
عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٥٥)﴾ ١٠٦

سورة الرحمن ....

• مفردات سورة الرحمن ١١٦

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ (١) عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ (٢) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ (٣) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٤) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٥) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٦) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ (٩) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١٠) فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (١١) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٦) رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٨) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢١) يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ (٢٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٣) وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ (٢٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٥) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٨) يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ (٢٩) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٠)﴾ ١٢١

تفسير قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٢) يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ (٣٣) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٤) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ (٣٥) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٦) فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ (٣٧) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٨) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ (٣٩) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٠) يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ (٤١) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٢) هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ (٤٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٥) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤)﴾ ١٣٩

تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٥٦) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ (٦٠) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَآمَّتَانِ (٦٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧١) حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ (٧٤) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٥) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ (٧٦) فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٧) تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٧٨)﴾ ١٥١

سورة الواقعة ....

• **مفردات الآيات (١-٤٠) من قوله تعالى:** ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١)﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ (٤٠)﴾ ١٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٢) خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ
رَجًّا (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا (٦) وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا
أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١)
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا
مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا
يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦)
وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ
مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥)
فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾ ١٦٣

- **مفردات الآيات (٤١-٩٦) من قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٩٦)﴾** ١٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا
بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ
أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩)
لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢)
فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)
نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٧) أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ (٥٨) أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٥٩) نَحْنُ قَدَّرْنَا
بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ
النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ
لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ
(٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧٠) أَفَرَأَيْتُمُ
النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (٧١) أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ (٧٢) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ
(٧٣) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٧٤)﴾ ١٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ
كَرِيمٌ (٧٧) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٨٠) أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ
أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ
تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن
كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ

ٱلْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ (٩٦)﴾ ١٩١

سورة الحديد . . . .

تفسير قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١) لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٦)﴾ ٢٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾ . . . ٢٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (١٤) فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٥)﴾ ٢١١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ (١٦) ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ (١٩) ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ (٢٠)﴾ ٢١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ ٢٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ ٢٢٨

سورة المجادلة

تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ ٢٣٥

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ (١١)﴾ ٢٤٧

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١) لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٢٢)﴾ ٢٥٣

سورة الحشر ....

• مفردات سورة الحشر ٢٦٠

تفسير قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (١) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ (٢) وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٤) مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (٥) وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٧)﴾ ٢٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ٢٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ ٢٨٢

سورة الممتحنة ....

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً

وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑦ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ⑧ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ⑨﴾ ٢٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ⑩ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ⑪ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑫ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ⑬﴾ ٢٩٨

سورة الصف ....

تفسير قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ④ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑥ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑦ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑧ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ⑨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑪ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑫ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ⑬ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ⑭﴾ ٣٠٩

سورة الجمعة ....

تفسير قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (١) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢) وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥) قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١)﴾ ٣٢٢

سورة المنافقون . . . .

تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ (١) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٥) سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٦) هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (٩) وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١)﴾ ٣٣٤

سورة التغابن . . . .

تفسير قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ
غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ
يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ ٣٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ
لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ
مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ
تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ ٣٥٦

سورة الطلاق ....

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ
لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ
اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ ٣٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا (٤) ذلك أمر الله أنزله إليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا (٥) أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧)﴾ ٣٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (٨) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٩) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا (١١) الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢)﴾ ٣٧٨

سورة التحريم ....

تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم (١) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم (٢) وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير (٣) إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير (٤) عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا (٥) يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٦) يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون (٧)﴾ ٣٨٤

تفسير قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير (٨) يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير (٩) ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين (١٠) وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله

وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا
وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢)﴾ ٣٩٧

سورة الملك . . . .

تفسير قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (١) ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ (٢) ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ
مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ (٥)
وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٦) إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ (٧) تَكَادُ
تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا
نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ (٩) وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ (١٠) فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ (١١) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ
ٱلْخَبِيرُ (١٤) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٥)﴾ . ٤٠٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى
ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ
نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩)
أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ
إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِى
ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ
وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ
هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٩) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن
يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ (٣٠)﴾ ٤٢١

سورة القلم . . . .

• مفردات سورة القلم ٤٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ (٣) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٤) فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ (٥) بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ (٦) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا
تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾
أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا
بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ
نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ
يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾
بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ٤٣٤

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ
إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ
يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى
ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ
كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ
مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ
إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ٤٥٩

سورة الحاقة . . . .

• **مفردات سورة الحاقة** ٤٧٣

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ
لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ
بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا
لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ
وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ
يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ
مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ ٤٧٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ
حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا
حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ
الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا
يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا
الْخَاطِئُونَ (٣٧)﴾ ٤٨٩

تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ
الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُ
لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١)
فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾ ٤٩٧

سورة المعارج ....

• **مفردات سورة المعارج** ٥٠٥

تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣)
تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ
يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ
حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ
الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ
وَتَوَلَّى (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٨) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ
مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ (٢٥) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ
مَأْمُونٍ (٢٨) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠)
فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣١) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ
قَائِمُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ (٣٥)﴾ ٥٠٧

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ
امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا
لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ

﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ ٥٢١

سورة نوح ....

• مفردات سورة نوح ٥٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ ٥٢٦

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ ٥٣٢